

# دوستويفسكي

الاعمال الأدبية الكاملة المجلد ٨

ترجمة الدكتور سامي الدروبي

نرجسة  
ورالعقاب



دار  
النشر





الانعمال الأدبية الكاملة  
المجلد الثامن

دوستويفسكي: الأعمال الأدبية الكاملة - ١٨ مجلداً

ترجمها عن الفرنسية: د. سامي الدروبي

الطبعة العربية الأولى: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

القاهرة ١٩٦٧

الطبعة العربية الثانية: دار ابن رشد للطباعة والنشر

بيروت - لبنان - شارع فردان - بناية شبارو

ص.ب: ١٤/٥٥٣٧ - هاتف: ٢٥٢٨٣٢

الخطوط والغلاف: عماد حليم

طُبعت بإشراف: نتورك - إيطاليا ١٩٨٥



# الْجُرِيَّةُ وَالْعِقَابُ ١

## جميع الحقوق محفوظة

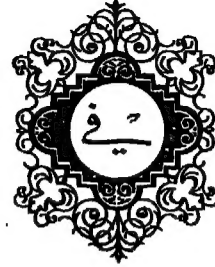
« الجريمة والعقاب » (Prestoupólnié i nakazanié)

ظهرت في مجلة « الرسول الروسى » فى اعداد سنة ١٨٦٦ ،  
من كانون الثانى ( يناير ) الى كانون الاول ( ديسمبر ) ، المجلدات  
من ٦١ الى ٦٦ .

الجزء الأول



## الفصل الأول



الأيام الأولى من شهر تموز ( يوليو ) ، أثناء  
حر شديد ، خرج شاب في نحو نهاية  
الأصيل ، خرج من الغرفة الصغيرة التي كان  
يسكنها في زقاق س \* \* \* واتجه نحو جسر ك \* \*

بطيء الخطى قلق الهيئة •

لقد أسعفه الخط فأفلح أثناء هبوطه السلم أن يتحاشى لقاء صاحبة  
البيت التي يسكن عندها • ان الغرفة التي يسكنها الشاب تقع تحت السقف  
من منزل عال يتألف من أربعة طوابق \* ، وهي أقرب الى جحر منها الى  
مسكن • وكانت صاحبة البيت التي تؤجره هذه الغرفة مع الطعام والخدمة  
تسكن هي نفسها في الطابق الأدنى ، فكان لا بد للشاب ، كلما خرج ،  
أن يمر حتماً أمام المطبخ الذي يظل بابه مفتوحاً على السلم دائماً • وكان  
الشاب يشعر في كل مرة أثناء مروره بضيق وحرّج وانزعاج فيحس  
بالحجل والعار ، ويفقد قاتم النفس مظلم المزاج •

وليس مرد ذلك الى أنه جبان رعديد ، أو الى أنه مروّع مذعور ،  
بالعكس \* \* \* ولكنه يعاني منذ بعض الوقت حالة من التوتر والعصبية  
توشك أن تكون مرض الكآبة • لقد بلغت حياته من الاعتزال ومن فرط  
الانطواء على النفس أنه يخشى لقاء أى انسان ، لا لقاء صاحبة البيت

فحسب • كان يعيش فى فقر مدقع ، وبؤس شديد ، ولكن العوز نفسه أصبح فى هذه الآونة الأخيرة لا يتقل عليه • أصبح الشاب لا يهتم بشئونه ولا يريد أن يهتم بها • والواقع أن صاحبة البيت كانت لا تخيفه ، مهما تكن المكائد التى تدبرها له • ولكن الوقوف على فسحة السلم ، والاصغاء الى ثمرات سخيفة شتى عن ترهات لا تعنيه فى قليل ولا كثير ، واحتمال التذكير الدائم المستمر ، الذى تصحبه تهديدات وشكاوى ، بضرورة مبادرته الى دفع الأجرة ، واضطراره الى اختلاق الحيل واتصال الاعذار وتلفيق الأكاذيب ... ولكن ذلك كله أصبح من الأمور التى لا يمكن أن يطبقها ، فهو يؤثر عليها أن يتسلل على السلم تسلل هرة ، وأن يفرّ دون أن يراه أحد •

على أن الحوف الذى شعر به هذه المرة من تصور أن دأته قد تراه ، أدهشه هو نفسه منذ أصبح فى الشارع •

حدث نفسه يقول وهو يتسم ابتسامة غريبة : « أفكر فى اقدام على عمل مثل «ذلك» العمل ، ثم أشعر بخوف لأمر تافه هذه التفاهة ؟ نعم ، ان كل شئ موجود بين يدي الانسان ، ومع ذلك يدع الانسان لكل شئ أن يمر تحت أنفه ... وما ذلك الا أن الانسان جبان ... نعم ، هذه بديهية ... انه لمن الشائق أن تعرف ما الذى يخافه البشر أكثر ما يخافون ... ألا ان ما يخافه البشر أكثر ما يخافون هو أن يتقدموا خطوة الى أمام ، هو أن يقولوا كلمة شخصية • على أننى أسرف فى الثروة كثيراً • وإذا كنت لا أعمل شيئاً ، فلأننى أثرت ... أو قل على نحو أصبح وأدق : اذا كنت أثرت فلأننى لا أفعل شيئاً • ومع ذلك فأنا فى هذه الأشهر الأخيرة انما تعلمت الثروة قابلاً فى ركبي أفكر ... أفكر فى كل شئ ولا أفكر فى شئ • مثلاً : فيم أذهب الآن الى هناك ؟ أنا قادر على أن أفعل « ذلك الأمر » ؟ هل « ذلك الأمر » جد حقاً ؟ لا ... ما هو بالجد

البته ! وانما هو نزوة خيال لا أكثر ! اننى « أدغدغ » نفسى ملتصقاً  
تسلية • نعم ، أعتقد اعتقاداً جازماً بأننى ألتصق لنفسى تسلية • • • •  
الحر فى الشارع ما يزال مرهقاً • يضاف الى ذلك نقص 'الهواء' ،  
والصخب ، والكلس المنتشر فى كل مكان ، والسقالات ، والآجر ،  
والغبار ، ثم ذلك التن الصيفى الخاص الذى يعرفه كل ساكن من سكان  
بطرسبرج لا تتسع له موارده أن يستأجر « فيلا » • ان اجتماع ذلك كله  
قد أثار أعصاب الشاب الذى كانت أعصابه مهتزة من قبل فلورته مزيداً  
من الضيق • وهذه روائع كريهة تنشرها بقايا اسماك ، وهؤلاء سكارى  
يلقاهم المرء عند كل خطوة رغم أن اليوم ليس يوم الأحد بل هو يوم من  
أيام الأسبوع ، فتصطبغ اللوحة بلون حزين منقر • ان شعوراً عميقاً  
بالاشمئزاز يرتسم على القسمة الدقيقة من وجه الشاب • والشباب حسن  
الصورة ومسيم الطلعة ، له عينان دكناوان رائعتان ، وشعر أشقر ضارب  
الى لون كلون الرماد ، وقامة فوق الوسط طولاً ، نحيلة مشوقة • ولكنه  
لا يلبث أن يبدو عليه الاسترسال العميق فى الأحلام ، أو قل الانحدار  
الى نوع من الحذر • وظل يسير لا يرى من حوله شيئاً ، ولا يرغب فى أن  
يرى أى شىء • كل ما هنالك أنه كان ، بين الفينة والفينة ، يستأنف  
محاورة نفسه ، جرياً على عادة وعاما الآن • وأدرك فى تلك اللحظة  
نفسها أن خواطره وأفكاره تختلط وتضطرب من حين الى حين ، وأنه  
ضعيف جداً : انه لم يكده يطعم شيئاً منذ يومين •

وكان يرتدى ثياباً تبلغ من الرثالة أن شخصاً آخر غيره كان لا بد  
أن يشعر بضيق وخرج ، مهما تكن عاداته المكتسبة ، اذا هو خرج فى وضع  
النهار بمثل تلك الأسمال • الحق أن هذا الحى ليس من الأحياء التى يمكن  
أن يستغرب فيها الناس منظر رداء • ان هذا المكان القريب من « سوق  
العلف » \* ، الذى تكثر فيه محال من نوع خاص ، والذى يتألف سكانه

من صنّاع وعُمّال متكديسين فى هذه الشوارع والأزقة من مركز  
بطرسبرج ، يشتمل على تنوع كبير فى الأفراد يُستغرب معه أن يُدهش  
أحد من شخص متفرد بعض التفرد • على أن نفس الشاب قد بلغت من  
فرط الامتلاء بالاحتقار الكاره أنه رغم ما يتصف به طبعه من شدة التاذى  
الذى يذكر أحياناً بالأطفال الصغار ، كان لا يشعر بخجل كثير من عرض  
أسنانه البالية فى الشارع • ولا كذلك اذا هو التقى بأشخاص يعرفهم أو  
برفاق قدامى لا يجب على وجه العموم أن يختلف اليهم •••

ومع ذلك حين أعول مسكّير كان مفوداً ( لا ندرى الى أين  
ولا لماذا ) فى عربة كبيرة يجرها حصان قوى ، حين أعول هذا السكّير  
على حين فجأة قائلاً بصوت مجلجل وهو يرمى إليه بيده : « هيه ، أنت  
يا صاحب القبعة الألمانية ! » ، فان الشاب توقف بقية ، وقبض على قبعته  
بحركة عصبية • هى قبعة عالية مشتراه من عند تسيمرمان \* لكنها قد  
اهترأت اهترأً تاماً ، واحمرّ لونها ، وغشيتها البقع وقبعتها الثقوب  
وزالت حافتها وانطوى أحد طرفيها حتى صار زاوية بشعة كريهة •  
على أن الشاب لم يشعر بخجل ، وانما استولت عليه عاطفة أخرى تشبه  
الهلح •

ودمدم يخاطب نفسه مضطرباً : « كنت أعرف هذا حق المعرفة ••  
قدّرته من قبل ••• ذلك أسوأ ما فى الأمر ! تكفى نرمة سخيفة من  
هذا النوع ، يكفى أمر تافه كهذا ، حتى يتعرض كل شيء للخطر !  
نعم ، ان هذه القبعة صارخة ••• هى مضحكة ، وهى لذلك صارخة •••  
ما دمت أرتدى هذه الأسنات البالية فلا بد لى من قلنسوة ، او من  
أية طاقة عتيقة • أما هذه القبعة الفظيعة فلا ! ••• ما من أحد يلبس  
قبعة كهذه القبعة • أنها ترى من مسافة فرسخ كامل ••• ومن





راسکولنيکوف

رأها مرةً يتذكرها ولا ينساها ... يتذكرها في المستقبل ... فتكون هي الدليل القاطع ... اننى أحتاج الآن الى أن لا يتبّه الى أحد ! ان الأشياء الصغيرة ، ان الأشياء الصغيرة هي التي لها أكبر شأن وأعظم خطر ! ... هذه هي الحقيقة ، ان أشياء صغيرة كهذه القبة هي التي تفسد كل شيء في آخر الأمر دائماً ... ،

لم يكن طريقه طويلاً ، حتى لقد كان يعرف عدد الخطوات التي يجب أن يقطعها منذ يجتاز باب منزله : انها سبعمائة وثلاثون خطوة تماماً . لقد عدّ هذه الخطوات ذات يوم من الأيام بعد أن أفرط في الاستسلام لأحلامه .

في ذلك الأوان لم يكن يصدّق بعد أن هذه الأحلام واقعة ، وانما كان يروّح عن نفسه بما تشتمل عليه تلك الأحلام من جرأة دنيئة فتانة في آن واحد . أما الآن ، بعد انقضاء شهر على ذلك الأوان ، فقد أخذ يرى الأمور رؤية مختلفة ؟ ورغم جميع المحاورات المحققة التي كانت تجري بينه وبين نفسه ، والتي كان في أثنائها يعيب على نفسه ضعفه وتردده ، فانه قد اعتاد ، رغم ارادته تقريباً ، أن ينظر الى هذا « الحلم الدنيء » نظراته الى مشروع عليه أن ينفذه ، دون أن يزداد من ذلك ثقة بنفسه على كل حال . وهو الآن ذاهب لاجراء « تمرين » على ذلك الفعل الدنيء ، فاضطرابه يزداد قوة عند كل خطوة .

وفيما هو منهار القلب تسرى في جسمه رعدة عصبية ، اقترب من مبنى ضخم يطل من احدى جهتيه على القناة ويطل من الجهة الأخرى على شارع من ... ؟ ان هذا المنزل ، المقسم الى مساكن صغيرة ، يسكنه أناس من جميع الأنواع : خياطون ، وقفّالون ، وطباخون ، وألمان مختلفون ، وشابات يعشن من جالهن ، وموظفون صغار ، وهلمّ جرا ... ان الذهب والأياب تحت قوسى مدخله الكبيرين ، وفي فناءه الواسعين ،

لا ينقطعان • وثمة بوابون ثلاثة أو أربعة يتولون أمره • فما كان أشدَّ سرور الفتى حين لم يلتق بأحد منهم • فلما اجتاز المدخل تسلل الى السلم الأيمن دون أن يراه أحد • ان هذا السلم ضيق ، مظلم ، « أسود » ، ولكن الشاب يعرفه فقد سبق أن درسه ؛ ثم ان هذا الجو يعجب الفتى ويرضيه ، فهو في ظلام كهذا الظلام لا يخشى أن تقع عليه نظرة مستطلعة • ومع ذلك قال الفتى لنفسه رغم ارادته حين وصل الى الطابق الثالث : « اذا كنت أشعر الآن بهذا الخوف كله ، فيماذا يمكن أن أشعر اذا اتفق أن مضيت الى « آخر الشوط » ؟ ... وهناك كانت تسدُّ طريقه صناديق وجنود سابقون كانوا يخلون أحد المساكن من أثاثه • كان الفتى يعرف من قبل أن موظفاً ألمانيا هو رب أسرة كان يقيم في هذا المسكن حتى ذلك الحين • فقال لنفسه أيضاً قبل أن يقرع باب المرأة العجوز : « ان هذا الألماني ذاهب اذن الآن » فلا يبقى على الفسحة الثالثة من السلم ، خلال فترة من الوقت ، الا مسكن واحد مشغول هو مسكن المرأة العجوز • ذلك أمر تسرُّ معرفته ... حين تأزف الساعة • ورنَّ الجرس رنيناً ضعيفاً كأنه من حديد أبيض لا من نحاس • ان الأجراس تكون دائماً من هذا النوع في المساكن الصغيرة التي تتألف منها عمارة من هذا الطراز • وكان الشاب قد نسي صوت ذلك الجرس ، فاذا هو يحس هذا الصوت الآن تذكيراً مباغتاً بشيء تخيله واضحاً ... فارتعد • كان أعصابه في هذه المرة منهكة • وبعد دقيقة شقَّ الباب شقاً ضيقاً ، وأخذت ساكنة البيت تتفحص القادم الجديد ، من خلال هذا الشق ، بشك واضح وارتياب ظاهر • ان المرء لا يرى ، في هذا الظلام ، الا عينيها اللتمعين • ولكنها حين أبصرت على فسحة السلم ناساً كثيرين اطمأنت ففتحت الباب فتحاً كاملاً • اجتاز الفتى العتبة ، وولج حجرة المدخل التي يقطعها حاجز جُعل ما وراءه مطبخاً صغيراً • وقفت العجوز قبالة صامته تحدجه بنظرة

سائلة \* هي امرأة عجوز قصيرة جداً نحيلة جداً ، في نحو الستين من العمر ، لها عيان حادتان شيرتان ، وأنف صغير مدبب \* وكانت حاسرة الرأس ، فشرها المكبب الأشيب يلتصق ببريق الزيت \* وحول عنقها الطويل النحيل انذى يشبه ساق دجاجة ، كانت تلتف خرق مبهمة من قماش « الفلانيل » ، وعلى كتفها يتدلى ، رغم الحر الشديد ، فراء قد اصفر لونه وتسسل وبره \* وكانت العجوز تسعل وتخرج البلغم من حلقها في كل لحظة \* وأغلب الظن أن الفتى ألقى عليها نظرة خاصة ، لأن الشك والارتباب عادا يظهران في عينيها .

تذكر الفتى فجأة أن عليه أن يكون لطيفاً ودوداً ، فأسرع يمدم قائلاً للتعريف بنفسه وهو ينحني نصفين :

— راسكولنيكوف \* ، طالب \* جئت اليك في الشهر الماضي \*\*\*  
فقاطعت العجوز تقول بصوت واضح متميز دون أن تحول نظرتها السائلة عن وجهه :

— أتذكر يا بني ، أتذكر جيداً أنك جئت \*\*\*  
فتابع راسكولنيكوف كلامه وقد ساوره شيء من الدهشة والاضطراب حين لاحظ شك العجوز وارتيابها :  
— فهأنا ذا أجيء اليك مرة أخرى \*\*\* لأمر صغير من ذلك النوع نفسه \*\*\*

وحدث نفسه قائلاً وهو يشعر بضيق : « الحقيقة أنها ربما كانت هكذا دائماً ، ولكنني لم ألاحظ ذلك في المرة الماضية ! » \*  
وصمتت العجوز كأنما لتفكر ، ثم تمحت قليلاً ، وقالت للزائر وهي تدله على باب الغرفة وتتضاءل أمامه :

- تفضل ادخل يا بنى !

دخل الشاب غرفة صغيرة مفروشة الجدران بورق أصفر ، فيها أزهار جبرانيوم ، ولتوافدها ستائر من قماش المسلمين • وكانت الغرفة فى تلك اللحظة تضيئها أشعة الشمس الضاربة بنور ساطع • قال الفتى يحدث نفسه : « ماذا ؟ هل ستسطع الشمس اذن هذا السطوع • حينذاك » ؟ لقد اخترقت هذه الفكرة ذهن راسكولنيكوف على غير علم منه ، فاذا هو يلف الغرفة كلها بنظرة سريعة ليدرس ترتيبها وليحفظه فى ذاكرته ان أمكن ذلك • ولكن هذه الغرفة لا تتميز كثيراً بصفات خاصة • ان أثاثها المصنوع من خشب أبيض على طراز عتيق ، يتألف من أريكة ذات مسند ضخم له أقواس ، ومنضدة بيضاوية الشكل موضوعة أمام الأريكة ، وكراسى مصفوفة على طول الجدران ، ولوحتين أو ثلاث لوحات لا قيمة لها ، موضوعة فى أطر مصفوفة ، تمثل آتسات ألمانيات فى أيديهن طيور • ذلك هو الأثاث كله • وفى ركن من الأركان ، أمام أيقونة صغيرة ، كان يسطع سراج صغير • والمكان كله تسوده نظافة قصوى • فالأثاث وأرض الغرفة قد دُكت بالشمع فهى تلمع • قال الفتى يحدث نفسه : « هذا من عمل الزابنت ! » • ما كان لأحد أن يستطيع العثور على ذرة غبار واحدة فى المسكن كله • عاد راسكولنيكوف يحدث نفسه فقال : « لا يجد المرء نظافة كهذه النظافة الا عند الأرامل العجائز الشريرات » • قال ذلك والتفت ببصره خلسةً يستطلع ستارة من قماش تحجب باباً يصل هذه الغرفة بغرفة أخرى فيها سرير العجوز وخزائنها وهى غرفة لم يسبق له أن دخلها قط • ان المسكن كله لا يضم الا هاتين الغرفتين •

سألته العجوز القصيرة وهى تدخل الغرفة بعده وتقف مرة أخرى أمامه لتفحصه وجهاً لوجه :

– ما هي الخدمة التي أستطيع أن أقدمها اليك ؟

قال الفتى :

– جئتك بشيء أريد أن أرهنه • هوذا •••

قال ذلك وأخرج من جيبه ساعة عتيقة مصنوعة من فضة ، رُسمت على غطائها الكرة الأرضية ، ولها سلسلة من فولاذ •

قالت المرأة العجوز :

– ولكن مدة رهنك الأول قد انتهت • انقضى على الرهن الأول شهر منذ ثلاثة أيام •

– سأدفع لك الفائدة عن شهر آخر • اصبري علىّ •

قالت :

– أنا التي أقرر أصبر أم أبيع الرهن الآن • هذا شأنى أنا يا بنى •

– هل تقرضينى مبلغاً كبيراً على رهن هذه الساعة يا أليونا  
ايقانوننا ؟ \*

– انك تجيئين دائماً بأشياء صغيرة تافهة ليس لها قيمة البتة •••  
لقد أقرضتك فى المرة الماضية روبلين على رهن خاتمك ، مع أن فى امكان  
اى انسان أن يشتري من عند الصائغ خاتماً جديداً من نوعه بروبيل  
ونصف روبيل •

– أقرضينى أربعة روبيلات على رهن الساعة • سأفكها قريباً •••  
ورثتها عن أبى • وسيصلنى مبلغ من المال بعد مدة قصيرة •  
– أقرضك على رهنها روبلاً ونصفاً ، والفائدة تُدفع سلفاً •  
صاح الفتى متعجباً :

— روبلاً ونصفاً ؟

— لا مساومة • اما أن تقبل واما أن ترفض •

قالت العجوز ذلك ومدّت اليه الساعة ، فتناولها الفتى غاضباً حتى  
لقد همّ أن ينصرف • ولكنه لم يلبث أن عدل، عن ذلك اذ تذكر أنه  
جاء لغرض آخر أيضاً •

قال بلهجة خشنة :

— هاتى !

فدست العجوز يدها فى جيبيها لتخرج مفاتيحها ، ومضت الى الغرفة  
الأخرى وراء الستارة • فلما أصبح القتي وحيداً وسط الغرفة ، أصاح  
بسمعه مستطعماً ، وأطلق العنان لحياه • سمعها تفتح الخزانة • قال يحدث  
نفسه : « أغلب الظن أنه الدُرُج الأعلى ••• هى تحمل مفاتيحها اذن  
فى الجيب الأيمن ••• والمفاتيح كلها كتلة واحدة تضمها حلقة من فولاذ  
••• وبين المفاتيح مفتاح مسنّن الرأس أكبر من سائرهما ثلاث مرات ،  
ولكن من الواضح أنه ليس مفتاح الخزانة ••• اذن هناك أيضاً سحارة  
أو صندوق ••• هذا أمر هام • ان لجميع الصناديق مفاتيح من هذا  
النوع ••• على كل حال ، هذا كله كريبه بشع ••• » •

وعادت العجوز •

— خذ يا بنى • اذا كانت الفائدة عشرة كوبيكات عن كل روبل فى  
الشهر تُقْطَع سلفاً ، فان الفائدة عن روبل ونصف روبل تكون خمسة  
عشر كوبكاً • يضاف الى ذلك عشرون كوبكاً عن الروبلين اللذين  
اقتترضتهما فى المرة الماضية على أساس تلك الفائدة نفسها ، فيكون مجموع  
ما يجب اقتطاعه خمسة وثلاثين كوبكاً ، فيبقى لك عن رهن الساعة روبل  
 وخمسة وعشر كوبكاً • اليك المبلغ •

– كيف ؟ ألا يبقى لى الا روبل وخمسة عشر كوبكاً ؟

– تماماً •

لم يناقشها الفتى ، وتناول المال • وكان ينظر الى العجوز ولا يستجبل  
الخروج ، كانما كان يريد أن يقول شيئاً ، أو أن يفعل شيئاً ، دون أن  
يدرى ما هو هذا الشيء على وجه الدقة •

وقال لها أخيراً :

– ربما جئت بشيء آخر فى الأيام القليلة القادمة يا أليونا ايفانوفنا  
••• هو شيء من فضة ••• شيء ذو قيمة ••• علبة سجائر ••• نعم ،  
سأجيتك بعلبة سجائر متى ردتها الى صديق لى •••

واضطرب الفتى وصمت •

فقالت العجوز :

– طيب يا بنى ••• سنكلم فى الأمر فى حينه •  
قال لها الفتى بلهجة منطلقة على قدر المستطاع ، وهو يتجه نحو  
حجرة المدخل :

– أستودعك الله ••• أأنت اذن وحيدة فى البيت دائماً دون أن  
تكون أحتك معك ؟

– فيم يعينك هذا يا بنى ؟

– لا يعينى فى شيء ••• ألقيت السؤال هكذا ••• دون هدف •••  
فأذا أنت ، على الفور ••• أستودعك الله يا أليونا ايفانوفنا •

خرج راسكونيكوف وهو فريسة اضطراب عميق ما ينفك يزداد ،  
حتى توقف عدة مرات مذهولاً أثناء هبوطه السلم • فلما صار فى الشارع  
آخر الأمر هتف يقول :





المجوز المرامية

• آه ••• ربه ! ما أبشع هذا كله ! هل يمكننى ، هل يمكننى حقاً  
أن ••• •

ثم أضاف يقول بافتناع :

• لا ••• هذه حماقة ••• هذه سخافة ••• هل يمكن حقاً أن  
تكون فكرة شيطانية كهذه الفكرة قد ساورت ذهنى ؟ ما أقدر ما فى قلبى  
اذن من وحل ! ثم ان هذا كله وسخ جداً ، مقزز جداً ، قدر جداً !  
كيف أمكنتى ، خلال شهر بكامله ، أن ••• •

ولكن الفتى لم يجد الكلمات ولا هتافات التعجب التى كان يمكن  
أن تعبر عن حالته العصبية الرهيبة • ان الاحساس بالانتمزاز الذى  
لا نهاية له والذى كان قد بدأ يتجشم على صدره ويقبض قلبه ويخنفه  
خفقاً أثناء ذهابه الى مسكن العجوز قد بلغ الآن أبعاداً عظيمة وأخذ يتجلى  
بعنف شديد حتى صار الفتى لا يعرف كيف يتخلص من هذه النازلة التى  
ألت به وهذا الحزن الذى عصفت بقلبه • كان يمشى على الرصيف  
كالسكران لا يلاحظ حتى المارة الذين كان يصطدم بهم • ولم يثب الى  
رشده الا فى الشارع التالى • فلما نظر حواليه لاحظ أنه أمام خمارة  
ينزل اليها النازل على سلّم يؤدي من الرصيف الى القبو •

وفى تلك اللحظة نفسها كان يخرج من الخمارة سكرانان يسند كل  
منهما الآخر ، ويتبادلان الشتائم أثناء صعودهما السلّم • فلم يلبث  
راسكولينكوف أن هبط الى الخمارة دون تردد • لم يسبق له أن دخل  
خمارة فى يوم من الأيام ، ولكنه يشعر الآن بدوار فى رأسه ؛ كما أن ظمأً  
لا يطاق كان يعذّبه • انتهى أن يشرب بيرة باردة ، لا سيما وأنه كان  
يعزو ضعفه الى الجوع أيضاً • جلس فى ركن مظلم قدر امام مائدة صغيرة  
متسخة بالدهن ، وطلب بيرة فشرّب كأساً أولى بشرهة ، فلم يلبث أن

شعر بشيء من التخفف والراحة ، وأصبحت أفكاره أوضح • قال لنفسه وقد ارتد اليه الأمل : « ذلك كله سخافات ! لا داعى الى القلق ! هو انزعاج جسمى لا أكثر ! فما ان يشرب المرء كأساً من بيرة وما ان يأكل قطعة من بسكويت حتى يشتد فكره ويقوى ذهنه وتتضح أفكاره وترسخ عزيمته • أوه ! ذلك كله باطل ! • • • • • ولكن رغم بادرة الاستخفاف هذه ، كان راسكولنيكوف كمن تحرر الآن فجأة من حمل ثقيل : ها هو ذا شيء من فرح يتجلى منذ الآن فى نظراته التى أخذت تطوف على الحضور بمودة وصداقة • ومع ذلك أحس ، حتى فى تلك الدقيقة ، احساساً غامضاً بأن حالة التفاؤل التى صارت اليها نفسه حالة مرضية هى أيضاً •

لم يبق فى الحمارة فى تلك الساعة الا عدد قليل من الناس • فبعد السكرانين اللذين التقى بهما على السلم خرجت من الحمارة ، دفعة واحدة ، عصابة تتألف من خمسة شبان يجرون فتاة ومعهم أكورديون • فما ان انصرفوا حتى عاد الهدوء الى الحمارة ، فأصبح المرء يحس بحرية أكبر • لم يبق فى القاعة الا شخص ثمل بعض الثمل ، جالس أمام مائدته ، أغلب الظن أنه بائع ، ومعه رفيقه وهو رجل طويل سمين له لحية شائبة كان قد بلغ السكر منه كل مبلغ ، فهو غاف فوق دكة ، وهو يأخذ يصفق بأصابعه من حين الى حين كأنه يخرج من نومه على حين بقة ، ويأخذ يباعد ذراعيه ، ويرجّح القسم الأسفل من جسمه ، دون ان ينهض عن الدكة ، مدممماً بكلام سخيف ، محاولاً أن يتذكر ابياتاً من الشعر من هذا النوع :

لاعبت زوجتى طوال السنة

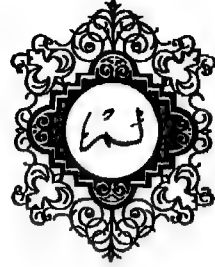
لا لعبت زوجتى طوا ٠٠ ل السنة

أو قائلاً بعد أن يستيقظ من جديد :

حين مررت بشوارع بودياتشكاي \*  
التقيت بصديقتي القديمة الطيبة

ولكن لم يكن يشاركه أحد سعادته • حتى لقد كان رفيقه الصموت  
يرد على هذه الانفجارات باتخاذ وضع عدائي ريثاب • وكان هنالك رجل  
ثالث يدل مظهره على أنه موظف صغير محال على التقاعد • كان هذا  
الرجل منزوياً أمام كأسه يشرب من حين إلى حين ، ويطوف ببصره على  
ما حوله ، وكان يبدو عليه أنه يعاني هو أيضاً حالة عصبية •

## الفصل الثاني



يكن راسكولينكوف معتاداً صحبة الناس ، وكان  
كما سبق أن قلنا يتحاشى كل مجتمع ، ولا سيما  
منذ فترة من الوقت • غير أن شيئاً كان يجذب به  
الآن الى البشر على حين فجأة ، فكأن انقلاباً قد  
حدث في نفسه ؛ وكان يشعر في الوقت ذاته بشيء من الظلم إلى عقد  
الصلوات بينه وبين أقرانه • ان ذلك الشهر الذي قضاه في قلق محموم  
وغم ثقيل واهتياج كالح قد بلغ من استفاد قواه أنه يتوق الآن الى  
استرداد أنفاسه ولو لحظة من الزمن ، في عالم آخر ، في أى عالم  
آخر • لذلك شعر من بقائه الآن في الحماراة بلذة كبيرة رغم رداءة  
المكان •

وكان صاحب الحماراة يجلس في غرفة مجاورة ، ولكنه يظهر  
في القاعة الرئيسية مرة بعد مرة • وكان يصل الى هذه القاعة هابطاً بضلع  
درجات ، فكان الجالس في هذه القاعة يرى ، أول ما يرى ، جزمته  
الملمعتين اللتين لهما حافتان مقلوبتان حمراوان • وكان لا يضع رباط  
عنق ، ولكن رذنجوته يسفر عن صديرة سوداء من قماش الساتان قد  
بلغت من الاتساع حداً رهيباً • أما وجهه فكان يلتصق من الدهن التماع  
قفل مزيت • ووراء البسطة كان يجلس صبي في نحو الرابعة عشرة من  
العمر • وكان هنالك صبي آخر أصغر سناً ، يخدم الزبائن • وعلى

البسطة كانت تُعرض دوائر خيار ، وبسكويت أسود ، ونرائح سمك ، وكان ذلك كله ينشر رائحة كريهة • الجو خاني لا يكاد يُطاق ، والهواء يبلغ من التشبع برائحة الحمرة أنه يكفي أن يمكث المرء فيه خمس دقائق حتى يسكر •

يتفق للمرء أحياناً أن يلقي أناساً لا يعرفهم ابنته فاذا هو يأخذ يهتم بهم منذ أول نظرة قبل أن يبادلهم كلمة واحدة • ذلك كان هو الاحساس الذي أحدثه في راسكولنيكوف الزبون المتزوي الذي يدل مظهره على أنه موظف متقاعد • تذكر الفتى مراراً كثيرة ، فيما بعد ، ذلك الاحساس الأول ، حتى لقد عزاه الى نوع من النبوءة • كان راسكولنيكوف لا يحوّل بصره عن الموظف ، ولعل مرد ذلك أيضاً الى أن هذا الموظف كان يلح في النظر الى راسكولنيكوف ، وكأنه راغب رغبة قوية في عقد حديث معه • أما الأشخاص الحاضرون الآخر ، ومنهم صاحب الحمار ، فقد كان الموظف ينظر اليهم نظرة جليس من جلساء الحمار المزمين ، مع ضجر منهم ومع شيء من الاحتقار لهم والتعالي عليهم في الوقت نفسه ، كأنه يعدهم أدنى كثيراً منه ، سواء من ناحية منزلتهم الاجتماعية أو من ناحية ثقافتهم وأدبهم ، فليس عليه أن يكلمهم . هو رجل تجاوز الخمسين من عمره ، متوسط القامة قوى البنية ، على راسه الأصلع قليل من شعر أبيض ، له وجه أصفر أو قل ضارب الى خضرة ، قد ورّقه الشراب ، تسطح فيه تحت جفنين متفتحين عينان صغيرتان محمرتان حادتان • ومع ذلك كان في هذا الوجه شيء غريب جداً • ان نظراته تلتصق بنوع من الحماسة لا تخلو خلواً مطلقاً من ذكاء وفكر ؛ ولكن تلم بها ومضات جنون في بعض الأحيان • وكان يرتدى «فراكاً» عتيقاً رثاً قد سقطت ازرارته ، الا زراً واحداً ما يزال في مكانه مهلهلاً يوشك أن يسقط ، ولكن الرجل قد أدخله في العروة حتى لا يجافى آداب

اللياقة • ومن صديرتة المصنوعة من جوخ أصفر كانت تخرج حافة قميص  
مجدّدة متسخة ملطخة • وكان حليق الذقن ، كما يليق بموظف ، ولكن  
كان واضحاً أنه لم يكرر حلاقة ذقنه منذ مدة طويلة ، فشرها القاسى قد  
أخذ يزرقّ خديه • هذا عدا أن وضعه يكشف عن شيء من وقار هو  
ما يتميز به موظف من الموظفين • ولكنه كان يظهر قلقاً شديداً ، وينفش  
شعره ، ويضغط رأسه يديه حزناً يائساً ، واضعاً كوعى كميّه المنقوين  
على المائدة الرطبة اللزجة • وفي النهاية نظر الى راسكولنيكوف محدقاً  
فى عينيه ، وقال يخاطبه بصوت عال ثابت :

– هل أجرو ، أيها السيد العزيز ، أن أوجه اليك بضع كلمات  
ياحترام ؟ فان تجربتي تكشف فيك ، رغم مظهرك البسيط المتواضع ،  
عن انسان حسنت ثقافته ، ولم يألف أن يشرب • لقد كنت طوال حياتي  
احترم الثقافة حين تقترن بعواطف القلب • وأنا عدا ذلك أحمل لقب  
مستشار • اسمى مارمیلادوف ، ولقبى مستشار \* • أأجرو أن أسألك  
هل أنت موظف ؟

أجابه الفتى وقد أدهشته هذه اللهجة المتنفخة فى كلام الرجل ،  
وأدهشه أن يخاطب عن عمد على هذا النحو :

– بل أنا أتابع دراستى •

وشعر راسكولنيكوف ، رغم ما أحسّه مند قليل من رغبة فى صحبة  
أى انسان ، شعر فجأة منذ الكلمات الأولى التى خاطبه بها الرجل ، بذلك  
النفور الأليم الذى كان يشعر به كلما قاربه انسان مجهول أو حاول أن  
يقاربه •

– أنت اذن طالب ، أو طالب سابق ... ذلك ما قدّرتّه ! هى  
التجربة يا سيدى العزيز ، تجربة طويلة متصلة !

ومن أجل أن يعبر عن احترامه لعاذ بصيرته وسداد حكمه ،  
وضع اصبعاً على جبهته •

وأردف يقول :

- لقد كنت طالباً ، الا أن تكون قد حضرت عدداً محدوداً من  
الدروس فحسب ••• ولكن اسمح لي •••

ونهض مترجماً ، فتناول زجاجته وقدحه وجاء يجلس قرب  
راسكولنيكوف موارباً قليلاً • لقد كان سكران • ولكنه يتكلم بوضوح  
وثقة • كل ما هنالك أنه يرتبك من حين الى حين ، فيطؤ تدفق كلامه •  
لقد هجم على راسكولنيكوف هجوماً يبلغ من الشراهة أن من يراه يعتقد  
أنه لم يكلم أحداً منذ شهر كامل هو أيضاً •

بدأ يقول بلهجة توشك أن تكون ذات أبهة :

- أيها السيد العزيز ، ليس الفقر رذيلة ؛ ولا الادمان على السكر  
فضيلة ، أنا أعرف ذلك أيضاً • ولكن البؤس رذيلة أيها السيد العزيز ،  
البؤس رذيلة • يستطيع المرء في الفقر أن يظل محافظاً على نبل عواطفه  
الفطرية ، أما في البؤس فلا يستطيع ذلك يوماً ، وما من أحد يستطيعه  
قط • اذا كنت في البؤس فانك لا تطرد من مجتمع البشر ضرباً بالعصا ،  
بل تطرد منه ضرباً بالكنيسة ، بغية اذلالك مزيداً من الاذلال •  
والناس على حق في ذلك ، لأنك في البؤس أول من يريد هذا الذل  
لنفسه بنفسه • وهذا سبب ادمانك على الشراب ! أيها السيد العزيز ، منذ  
شهر ، ضرب السيد ليزياتيكوف زوجتي ، وزوجتي تختلف عنى اختلافاً  
كبيراً ! هل تفهم ؟ اسمح لي أيضاً أن ألقى عليك سؤالاً ، هكذا ، ولو من  
باب الفضول : هل حدث لك أن قضيت الليل في مركب علف على نهر  
نيفا ؟





مارمیلادوف

## أجاب راسكولنيكوف

— لا ... لم يحدث لى هذا ... ماذا تريد أن تقول ؟

— أما أنا فانتى آتٍ من هناك ، من مركب العلف ... وهذه هى الليلة الخامسة .

قال الرجل ذلك وصبَّ قدحاً ثم أفرغه فى جوفه وأخذ يفكر .  
وكان يُرى فعلاً ، هنا وهناك ، على ملابسه ، وحتى على شعره ،  
تبَّينَ ما يزال عالِقاً . أغلب الظن لم يخلع ملابسه ولا غسل وجهه منذ  
خسة أيام . وكانت يدها خاصةً قذرتين وسختين حمراوين طويلة  
أظافرهما .

ويبدو أن كلامه قد ايقظ فى نفوس الحضور اهتماماً عاماً ، وإن  
يكن هذا الاهتمام ممتزجاً بالاهمال . أخذ الصيَّان ، من وراء البسطة ،  
يضحكان . وتزل صاحب الحمار من الطابق الأعلى خصباً ، من أجل  
أن يستمع للرجل « المازح » ، فجلس منزوياً بعض الانزواء ، وأخذ  
يتأهب فى كسل ، ولكن بكثير من الوقار والكبرياء . لا شك  
أن مارمیلادوف معروف هنا منذ زمن طويل . وأغلب الظن من  
جهة أخرى أنه قد اعتاد حب الكلام المزوَّق فى أعقاب أحاديث ألف أن  
يجريها فى الحمار مع أناس لا يعرفهم . ان هذه العادة تغدو حاجة قوية  
لدى بعض السكَّيرين ، ولا سيما لدى أولئك الذين يعاملون فى بيوتهم  
معاملة خشنه . لذلك تراهم يحاولون متى سكرُوا فى صحبة الناس أن  
يدافعوا عن أنفسهم بخطب ، وأن يكسبوا اعتبار الآخرين اذا استطاعوا  
الى ذلك سبيلاً .

قال صاحب الحمار بصوت عالٍ :

— ما أنت الا مازح ! لماذا لا تعمل ؟ ولماذا لا تواظب على عملك  
ما دمت موظفاً ؟

أجاب مارميلادوف يقول مخاطباً راسكولنيكوف وحده ، كأن  
راسكولنيكوف هو الذى ألقى السؤال :

— لماذا لا أواظب على عملي أيها السيد العزيز ؟ لماذا لا أواظب على  
عملي ؟ ولكن هل تظن أن قلبي لا يتألم لمنظر خستي ، هل تظن أن قلبي  
لا يتألم حين أرى أنني امرؤ لا نفع فيه ولا جدوى منه ؟ حين حدث منذ  
شهر أن ضرب السيد ليزياتنيكوف زوجتي ، وكنت أنا راقداً كاليت من  
فرط السكر ، هل تظن أنني لم أتألم ؟ اسمح لي أيها الفتى ، هل اتفق  
لك ... هم ... نعم ... هل اتفق لك مثلاً أن طلبت من أحد أن  
يقرضك مالاً دون أن يكون لديك أمل ؟

— وقع لي هذا ... ولكن ماذا تعنى بقولك : « دون أن يكون  
لديك أمل » ؟ ...

— أعنى دون أن يكون لديك أى أمل ، فأنت تعلم سلفاً أن طلبك  
لن يثمر شيئاً ! ... مثلاً : أنت تعلم سلفاً على وجه اليقين أن هذا المواطن  
مهما يكن صالحاً ومهما تكن نياته حسنة لن يعطيك المال بحال من الأحوال  
... ولماذا عساه يعطيك مالاً ما دام يعرف أنك لن تردّه إليه ؟ أمن باب  
الشفقة ؟ ان السيد ليزياتنيكوف ، وهو مطلع على الأفكار الجديدة  
والآراء الحديثة ، قد شرح فى الآونة الأخيرة أن الشفقة فى أيامنا هذه  
يحظرها العلم ، وأن الأمور تجرى على هذا النحو منذ الآن فى بلاد  
الانجليز التى يسودها الاقتصاد السياسى . فلماذا عساه يعطيك مالاً ؟  
ومع ذلك ، رغم علمك سلفاً بأنه لن يعطيك مالاً ، فانك تمضى إليه ، و...

قال راسكولنيكوف :

— ولماذا تمضي اليه ؟

— كيف لا أمضي اليه اذا لم يكن هناك أحد غيره ، واذا لم يكن هناك مكان آخر أذهب اليه ! لا بد لكل انسان من أن يجد ولو مكاناً يذهب اليه ، لأن الانسان تمر به لحظات لا مناص له فيها من الذهاب الى مكان ما ، الى أى مكان ! حين ذهبت ابنتى الوحيدة ، أول مرة ، للحصول على بطاقتها الصفراء \* ذهبت أنا أيضاً ...

وأضاف مارميلادوف يقول مستطرداً وهو ينظر الى الشاب بشيء من القلق :

— ذلك أن ابنتى لها بطاقة •

وضح الصبيان بالضحك من وراء البسطة ، وابتسم صاحب الحمامة ، فأسرع مارميلادوف يقول فوراً وهو يصطنع الهدوء :

— لا بأس يا سيدى ، لا بأس ... لا بأس ... ان هزّهم روسهم لا يثبت الاضطراب فى نفسى ، لأن الأمر أصبح معروفاً لدى جميع الناس • نعم : كل خبىء مآله الى ظهور \* . وأنا لا أتعامل مع هذه الأشياء باحتقار بل بمذلة • طيب ... طيب ... « هذا هو الانسان ! » ... اسمح لى أيتها الفتى : هل تستطيع ... لا ... يجب أن ألقى عليك هذا السؤال بقوة أكبر ، بطريقة أبلغ دلالة وأصدق تعبيراً ، يجب أن لا أقول « هل تستطيع » ، بل يجب أن أقول « هل تجرؤ أن تؤكد حين تأملنى فى هذه اللحظة ، أنتى لست خنزيراً ؟ »

لم يجب الشاب بكلمة •

وتابع الخطيب كلامه دون اضطراب بل وبمزيد من الرصانة ، بعد أن انتظر انتهاء التفهقات التى أثارها أقواله الأخيرة ، تابع كلامه فقال :



صاحب القمصانة

- طيب ... فلنسلم بأننى أنا خنزير ، ولكنها هى سيدة ! حقاً  
 اننى أشبه «الوحش» \* كل الشبه ، ولكن زوجتى كاترين ايفانوفنا انسانية  
 تملك حظاً عظيماً من الثقافة ، هذا عدا أنها ابنة ضابط كبير . لنسلم ،  
 لنسلم بأننى وغد دنىء ، ولكنها هى ذات نفس كبيرة وروح جميلة ، ولها  
 يحكم تربيتها ونشأتها عواطف نبيلة ومشاعر كريمة . ومع ذلك ...  
 آه ... ليتها تشفق على ! سيدى العزيز ، سيدى العزيز ، لا بد لكل  
 انسان من أن يجد أيضاً ، فى مكان ما على الأقل ، شخصاً يشفق عليه !  
 ولكن كاترين ايفانوفنا ظالمة ، رغم أنها سيدة تفيض نفسها عظمة . ورغم  
 اننى أفهم أنا نفسى ، حين تضربنى ، أنها إنما تضربنى شفقة على ورأفة  
 بى . لست أخجل من أن أكرر أيها الفتى أنها تضربنى ( كذلك أكد  
 مارميلادوف بمزيد من الرصانة حين سمع انفجار القهقهات من جديد ) ،  
 فأننى أتمنى ، يارب ، أن يتفق لها مرة واحدة أن ... ولكن لا ، لا ،  
 هذا كله لا فائدة منه ، ولا طائل تحته ، ولا يستحق أن أتكلم عنه !  
 لا يستحق ! ... ذلك أنهم لم يشفقوا على مرة واحدة ، مرة واحدة .  
 ولكن هذه طبيعتى أيضاً . نعم ، اننى انسان فطر على الغلظة والفظاظة .

- جداً !

كذلك قال صاحب الحماره مثائباً .

فضرب مارميلادوف المائدة بقبضة يده ضربة قوية ، وقال :

- هذه هى طبيعتى ! هل تعلم ، هل تعلم أيها السيد أننى شربت  
 خمرأ حتى بئس جوربيها ؟ لا بئس حذاءيها ، فلو قد شربت خمرأ بئس  
 حذاءيها لكان الأمر طبيعياً بعض الشيء ، ولكننى شربت خمرأ بئس  
 جوربيها ، نعم بئس جوربيها ! حتى وشاحها الصغير المصنوع من شعر

الماعر ، بعته أيضاً وشربت بمنه خمرأ ، وكان قد أهدى إليها «من قبل» ، فهو ملكها ، ملكها هي ، لا ملكي أنا . ونحن نعيش في غرفة باردة ، وقد مرضت في هذا الشتاء ، وأخذت تسعل ، حتى أنها تبصق دماً منذ الآن ... ولنا ثلاثة أولاد ؛ ان كاترين ايفانوفنا تعمل من الصباح الى المساء : تمسح وتغسل ، وتنظف الأولاد ! ذلك أنها معتادة على النظافة منذ صغرها . ان رتيها ضعيفتان ، وانها مهياة للاصابة بمرض السل ، أنا أحس هذا . أنا لا أحس هذا ؟ بالعكس ، كلما شربت مزيداً من الحمرة ، أحسست به مزيداً من الاحساس . نعم ، اذا كنت أشرب ، فانما أنا أشرب سعيأ وراء الشفقة ، وراء العاطفة . أنا أشرب لأتألم ألماً مضاعفاً ...

قال مارميلادوف ذلك ، وأسند رأسه على المائدة وقد عبّر وجهه عن غاية الحزن والكرب . ثم عاد يتصب ليكمل كلامه قائلاً :

- أيها الفتى ، أحسب أنني أقرأ في وجهك حزناً . ولقد قرأت هذا الحزن في وجهك منذ دخولك ، لذلك سارعت أخاطبك . فاذا كنت أقل اليك قصة حياتي ، فأنني لا أفعل ذلك لأحقّر نفسي أمام هؤلاء الكسالى الذين يعرفون منها الكثير على كل حال ، بل لأنني أبحث عن انسان حساس كريم النفس حسن التربية . اعلم أن زوجتي قد تربت في مدرسة داخلية ارستقراطية بالأقاليم ، وأنها حين تخرجها من تلك المدرسة قد رقصت رقصة الشال \* أمام الحاكم وشخصيات أخرى ، وأنها قد نالت على ذلك وساماً ذهبياً \* وشهادة فخرية ... فأما الوسام فقد بعناه أيضاً ... منذ زمن طويل ... هم ... وأما الشهادة الفخرية فهي ترقد حتى الآن في صندوق ، وقد حرصت كاترين ايفانوفنا على أن تريها صاحبة البيت ... نعم ... فرغم أن بينها وبين صاحبة البيت مشاجرات مستمرة ، فقد راودتها الرغبة في أن تعتر أمام شخص ما ، أن تذكر

نخصاً ما بالأيام الجميلة من ماضيها • لست ألومها على ذلك ، لست ألومها ، لأن هذه الذكرى هي كل ما تملكه الآن ، أما الباقي فقد طار كله ! نعم ... ان زوجتى سريعة الغضب ، شديده الكبرياء ، صعبة المراس • انها تغسل أرض الغرفة بيديها ، وتكتفى بخبز أسود ، ولكنها لاتسمح أن ينتقص أحد من احترامها • ذلك هو السبب في أنها لم تشأ أن تسكت للسيد ليزياتيكوف عن فظاظته ، فلما ضربها لذلك ، فانها لم تمرض بسبب الضربات التي كالهال لها بل بسبب الاساءة التي لحقت كرامتها • لقد تزوجتها أرمل ذات أولاد هم جميعاً صغار • كانت قد تزوجت مرة أولى عن حب ، تزوجت ضابط مدفعية هربت معه من منزل أبيها • كانت تحب زوجها حباً عبقاً ، ولكن زوجها اندفع في المقامرة ، وأحيل الى المحاكمة فمات • وكان في المدة الأخيرة بضربها ، ورغم أنها كانت لا تسكت له عن شيء - وهذا ما أعرفه من وثائق مفصلة يُرُكن اليها - فانها ما تزال تبكي حين تتذكره ، وتميّرنى بالمقارنة بينى وبينه • وأنا أبتهج بهذا ، ابتهج به ، فهذه الطريقة تعتقد على الأقل أنها كانت سعيدة في يوم من الأيام ... وبعد موت زوجها بقيت وحيدة مع أولادها الثلاثة في مقاطعة نائية متوحشة كنت أعيش أنا فيها أثناء ذلك الوقت • كانت في بؤس يبلغ من الهول أنني لن أستطيع أن أصفه لك اذا أنا حاولت ذلك ، رغم أنني قد عانيت أنا نفسى أنواعاً كثيرة من البؤس • جميع أفراد أسرتها أداروا لها ظهورهم • وكانت هي شديدة الكبرياء ... وفي ذلك الوقت ، يا سيدى العزيز ، انما طلبت أنا يدها ، وكنت أرمل أيضاً ، لى من امرأتى الأولى بنت فى الرابعة عشرة من عمرها ... طلبت يدها لأننى لم أكن أستطيع أن احتمل عذاباً كذلك العذاب • فى وسعك أن تخيل درجة الحزن الذى لا بد أنها كانت تعانيه حين ارتضت ، هي المرأة المثقفة التى تربت أحسن تربية والتى تنتمى الى





كاترين ايلانوفنا التي تزوجت  
الموظف مارميلادوف

أسرة مرموقة ، حين ارتضت أن تتزوجني ! صحيح أنها وافقت على ذلك  
 بأكيةً متعجة عافقة يديها من الحسرة والحزن ، ولكنها تزوجتني ، لأنها  
 كانت لا تعرف الى أين تذهب ! هل تدرك يا سيدى العزيز ، هل تدرك  
 ما معنى أن لا يعرف الانسان الى أين يذهب ؟ لا ، انك لا تستطيع أن  
 تدرك هذا بعد ... وخلال سنة كاملة ظلمت أقوم بواجبي بشرف وأمانة  
 واخلاص ، دون أن أقارب هذه ( هنا أشار مارميلادوف باصبعه الى  
 الزجاجة ) ، لاني انسان ذو عاطفة . ولكنني بهذا أيضاً لم أستطع أن  
 أفوز برضاها . واذ فقدت أثناء ذلك وظيفتي أيضاً ، دون أن يكون لى  
 فى هذا ذنب على كل حال ، وانما كان فقدى وظيفتي نتيجة لتغيرات  
 فى هيئة الموظفين ، فقد أخذت ألامس هذه ! ... ومنذ سنة ونصف تقريباً  
 انما هبطنا ، بعد ترحال كثير ومصائب لا حصر لها ، انما هبطنا هذه العاصمة  
 الرائعة ذات المباني التاريخية التى لا يحصى عددها . وهنا عثرت على  
 وظيفة . عثرت عليها ثم فقدتها من جديد . هل تفهم ؟ لقد كان الذنب فى  
 فقدما هذه المرة ذنبى أنا ، لأن طبيعتى الحقيقية قد انتصرت ... ونحن نقيم  
 الآن فى ركن من بيت امرأة اسمها آماليا فيودوروفنا ليفكسل ، أما مم  
 تعيش وكيف ندفع أجرة المسكن ، فذلك ما لا أعرف عنه شيئاً ! وفى  
 المسكن يقيم أناس كثيرون غيرنا ... نحن فى سودوم قطيعة ... هم ...  
 نعم ! ... وفى أثناء ذلك كانت بنتى من زواجى الأول تكبر . لن  
 أحدثك عن المعاملة التى تحملتها ابنتى من زوجة أبيها . ان كاترين  
 ايفانوفنا شديدة الغضب ، عنيفة ، سريعة الاندفاع ، رغم أن نفسها  
 تفيض بالمشاعر النبيلة ! ... نعم ! دعنا من هذا على كل حال .  
 ما فائدة تذكر هذه الأمور الآن ! تستطيع أن تتخيل طبعاً أن ابنتى صونيا  
 لم تصب حظاً من تعليم . صحيح أنني حاولت ، منذ أربع سنين ، أن

أعَلَّمَهَا الجغرافيا والتاريخ العالم ، ولكنني لم أكن قوياً في هذا الميدان ، وكانت تعوزني الكتب المناسبة من جهة أخرى ، فان الكتب القليلة التي كنت أملكها ... هم ... أصبحت لا أملكها ... لذلك توقفت دراسة ابنتي ... وصلنا الى الحديث عن سيروس ، ملك الفرس ... وبعد ذلك ، حين بلغت ابنتي سن الرشد ، قرأت بعض الكتب الروائية ، ثم قرأت في الآونة الأخيرة ، بواسطة السيد ليزياتيكوف ، كتاب ليويس \* « الفزيولوجيا » ، هل تعرف هذا الكتاب ؟ قرأته ابنتي بكثير من الاهتمام ، حتى لقد قرأت لنا فقرات منه بصوت عال . ذلك هو كل ما حصلته ابنتي صونيا \* من تعليم . والآن أتوجه اليك ياسيدي العزيز ، فألقى عليك هذا السؤال بصفة شخصية تماماً : هل تستطيع فتاة فقيرة لكنها شريفة ، هل تستطيع في رأيك أن تكسب مالاً كثيراً ؟ انها لن تكسب خمسة عشر كويكاً في اليوم ، اذا هي كانت شريفة واذا هي لم تملك أية هبة خاصة ، وهذا على شرط أن لا تترك العمل دقيقة واحدة أيضاً . ثم ان مستشار الدولة \* كلوبستوك ، ايفان ايفانوفتش كلوبستوك - هل سمعت عنه ؟ - لم يكتف بأن لا يدفع لها أجرها عن خمسة عشر قميصاً خاطتها له من حريرو هولاندي ، بل زاد على ذلك فطردها شرّاً طردة وهو يقرع الأرض بقدمه ويصفها بأبشع النعوت ، بحجة أن احدي الياقات لم تكن على قياس عنقه ، وأنها قصتها مقلوبة . والصفار في أثناء ذلك جاثون .. وكاترين ايفانوفنا في أثناء ذلك تمشي في الغرفة ذاهية آية ، عاقفة يديها ، وقد أخذت البقع الحمراء تظهر على خديها ، كما يحدث ذلك دائماً للمصابين بهذا المرض . قالت كاترين ايفانوفنا لابنتي صوفيا : « كسلانة ، انك لا تزيدين هنا على أن تملئي بطنك طعاماً وشراباً ! » . كأن المسكينة قد أتيح لها أن تأكل وأن تشرب ، مع أنها لم تكن قد وضعت في فمها كسرة خبز منذ ثلاثة أيام ! وكنت أنا راقداً ... نعم ... فعلاً ...

كنت راقداً كاليت من فرط السكر ... وهأنا ذا أسمع ابنتي صونيا تتكلم  
 ( انها عزلاء لا تملك عن نفسها دفاعاً ... ما اعذب صوتها ... هي  
 شفاء كل الشقرة ... ووجهها شديد الشحوب والنحول دائما )  
 قالت : « أحقاً يا كاترين ايفانوفنا ، أحقاً تريدان ان اعد نفسي لمثل هذا  
 الأمر ؟ » والموضوع أن داريا فرانتسوفنا ، وهي امرأة سيئة النيات  
 تعرفها الشرطة جيداً ، كانت قد استعلمت عن صونيا ثلاث مرات بواسطة  
 صاحبة البيت . أجابت كاترين ايفانوفنا وهي تضحك ساخرة : « هه :  
 ألا ان كنتراً كهذا الكنز ليستحق أن تحافظي عليه ! » ولكن لا تتهمها ،  
 لا تتهمها يا سيدى العزيز ، لا تتهمها ! لم تكن تتكلم هادئة النفس مالمكة  
 وعيها ... لقد كانت محطمة الأعصاب مريضة من رؤية صغارها يبكون  
 جوعاً . ثم اتنا لا يجوز لنا أن نفهم أقوالها بمعناها الحقيقي ، وانما يجب  
 أن نفهم هذه الأقوال على أنها اهانة فحسب ... ذلك هو طبع كاترين  
 ايفانوفنا : حين يبكي أولادها ، ولو من الجوع ، فانها تأخذ تضربهم فوراً .  
 وهأنا ذا ، قبل الساعة السادسة بقليل ، أرى صوفيتشكا تنهض فتناول  
 وشاحها وبرنسها وتخرج ، ثم تعود قبل الساعة التاسعة . فلما دخلت مضت  
 الى كاترين ايفانوفنا قدماً فوضعت أمامها على المنضدة ثلاثين قطعة نقدية  
 من فئة الروبل ؟ ثم لم تزد ، حتى دون أن تنظر اليها ، ودون أن نقول كلمة  
 واحدة ، لم تزد على أن تناولت الشال الكبير الأخضر المصنوع من جوخ  
 السيدات ( نعم ، عندنا شال من هذا النوع ، مصنوع من جوخ السيدات \*  
 نستعمله جميعاً ) ، ففطت به رأسها ووجهها تماماً ، ورقدت على السرير  
 متجهة برأسها نحو الحائط ، فكنا لا نرى الا ارتجاف كفيها وارتعاش  
 جسمها ... وكنت ما أزال على حالتى تلك نفسها ... فرأيت عندئذ ،  
 أيها الفتى ، رأيت كاترين ايفانوفنا تنهض ، دون أن نقول كلمة واحدة



صونيا مارمیلادوفا

هى أيضاً ، فقترب من سرير ابنتى صوفيتشكا ، وتظل هنالك طوال  
السهرة راكعةً عند قدميها قبلها ولا تريد أن تنهض . وبعد ذلك ، بعد  
ذلك ، رأيتهما تامان معاً متعاقبتين .... معاً .... كليهما .... وكنت أنا  
راقداً .... فى ركنى .... على حالة السكر تلك ذاتها ....

صمت مارميلادوف كأن صوته قد انقطع ، ثم ملأ كأسه فجأة فأفرغه  
فى جوفه دفعة واحدة ، وذلك حلقه ، وتابع يقول بعد لحظة صمت :

— ومنذ ذلك الحين ياسيدى ، على أثر ظرف تيس وتبيجةً لوشاية  
أشخاص أشرار ، ولا سيما داريا فراتسوفنا ، بحجة أننا لم نراعها ،  
اضطرت ابنتى صونيا سيمونوفنا أن تكون ذات بطاقة وأن تركنا تبعاً  
لذلك ، لأن صاحبة البيت ، آماليا فيودوروفنا ، لم تشأ أن تحتل هذا  
الوضع ( مع أن آماليا كانت قد ساعدتها فى الماضى ) ، وكذلك  
السيد ليزياتيكوف .... وحول موضوع صوفيا هذا انما جرت تلك  
الحكاية بينه وبين كاترين ايفانوفنا . ففى بداية الأمر كان هو نفسه قد  
حاول التقرب من صوفيتشكا والتمس الخطوة بها ، ثم ها هو ذا يتور  
قائلاً : « كيف يمكنى ، أنا الرجل المستير ، أن أعيش فى نفس المسكن  
الذى تعيش فيه هذه الـ .... » ولكن كاترين ايفانوفنا لم تستسلم ،  
بل تدخلت .... فحدث ما حدث . والآن تزورنا صوفيتشكا من حين الى  
حين ( بعد هبوط الليل ) ، فتساعد كاترين ايفانوفنا وتمدها باللازم ....  
انها تقيم فى مسكن الحياط كابرناؤموف\* الذى استأجرت غرفةً عنده .  
وكابرناؤموف ، عدا أنه يعرج ويثأى ، له أولاد كثيرون يثأثون جميعاً  
كذلك . وامرأته ثأثى أيضاً .... انهم يسكنون جميعاً فى حجرة واحدة .  
ولكن صوفيتشكا لها حجرة خاصة بها وراء حاجز .... هم ....  
نعم .... أناس لا يتصور المرء أن يكون فى العالم من هم أفقر منهم ....  
وهم الى ذلك ثأثاؤون .... نعم .... ونهضت فى ذات صباح ، فارتديت



صبي الحمارة  
النا اعترافات مارميلادوف

أسما إلى الباليه ، ورفقت ذراعى نحو السماء مبتهلاً ، ثم ذهبت الى عند صاحب السعادة ايفان آتازيفتش . هل تعرف صاحب السعادة ايفان آتازيفتش ؟ لا تعرفه ؟ اذن فأنت لا تعرف انساناً قلبه لله ، هذا رجل نقى نقاء الشمع ، نقاء شمع بكر امام وجه الرب . . . . والشمع يذوب . . . . وقد ذاب هو دموعاً بعد ان تفضل فاصنى الى كلامى حتى النهاية . فلما فرغت من حديثى قال لى : « اسمع يا مارميلادوف ، لقد خيت ظنى مرة . . . . ولكننى سأوظفك هذه المرة أيضاً ، على مسئوليتى الخاصة - تلك كانت كانت أقواله - فتذكر هذا . والآن فى وسعك أن تنصرف . » قبّلت موطىء قديمه - بالخيال طبعاً ، لأن هذا الموظف الكبير الذى آمن بالأفكار الجديدة التى تم تبنيها رسمياً ما كان له أن يسمح لى بأن أقبل موطىء قديمه بالفعل . وعدت الى مسكنى ، فلما زفت اليهم بشرى أنتى سأعود الى وظيفتى وأنتى سأقضى راتباً . . . . آه . . . . رباه . . . . لا أستطيع أن أصف لك ما حدث . . . .

صمت مارميلادوف من جديد ، مضطرباً أشد الاضطراب . وفى تلك اللحظة دخلت عصابة كبيرة من السكرارى آتية من الشارع ؛ وعلى عتبة الحماره دوّت أصوات أرغن باربارى استؤجر لهذه المناسبة ، كما دوّى صوت نجيل هو صوت طفل فى السابعة من العمر كان يغنى أغنية « القرية الصغيرة » . ضجت القاعة بالصخب . وأسرع صاحب الحماره والحلم يحدقون بالقادمين الجدد ، ولكن مارميلادوف تابع سرد قصته دون أن ينتبه الى أحد . كان يبدو منذ ذلك الحين وكأن الحماره قد حطمته وسحقته ، ولكن كلما ازداد سكره ازداد تدفقه فى الكلام . ان ذكرى النجاح الأخير الذى أصابه مساء قد أنمشه بعض الاناش ، حتى لقد أضفى على وجهه نوعاً من الاشراق والاشعاع . وكان راسكولنيكوف يصغى اليه بانتباه . . . .



— حدث ذلك منذ خمسة أسابيع يا سيدى ... نعم ... فما إن علمت كاترين ايفانوفنا وصونيتشكا بالنبا حتى حدث — يا رياه ! — ما يشبه أن أكون قد انتقلت الى السماء . قبل ذلك كنت ألبث راقداً على الأرض كبهيمة ، يا سيدى الطيب ، وأتلقى الشتائم وأبلغها ! أما الآن فانهما تسيران على رءوس الأصابع ، وتسكتان الأولاد قائلتين : « لقد تعب سيميون زاخارتش اليوم فى مكتبه ، فهو الآن يستريح ... هست ! » وصرت قبل أن أذهب الى عملى ، أوتى بالقهوة وتسحن لى القشدة . صارتا تستطيعان الحصول على قشدة ... حقيقة ... هل تسمع ؟ وأين أمكنهما الحصول على أحد عشر روبلاً وخمسين كوبكاً لتجهزائى تجهيزاً لائقاً ؟ ذلك أمر لم أفهمه فى يوم من الأيام . حذاءان ، بزة رسمية ، قمصان ، ياقات ... ما كان أروع القمصان ! ... لقد اشترتا هذه الأشياء كلها بأحد عشر روبلاً وخمسين كوبكاً ، وجعلتاها حسنة المظهر لائقة . ماذا رأيت عند أول صباح ذهبت فيه الى المكتب ؟ أعدت كاترين ايفانوفنا طبقين ، حساءً ولحمً بقرٍ مملحاً مطبوخاً مع خضار ، وذلك أمر لم يحدث قبل ذلك فى يوم من الأيام . ثم انها لم تكن تملك ما تدثر بها ظهرها ... لم تكن تملك أى شىء يمكن أن يسمى دثاراً للظهر ... فما هى ذى فى ذلك الصباح مرتدية أجمل حلة ، كأنها كانت ذاهبة الى زيارة . نعم ... لقد رأيتها لابسة أجمل هندام ... لا كما اتفق ... انها تستطيع أن تخلق من العدم شيئاً . كانت وقد صفت شعرها تصفيفاً جميلاً ووضعت على رأسها قبعة أنيقة وأحاطت جيدها بياقة صغيرة بيضاء ، وزينت ذراعيها بكمين لطيفين ، قد أصبحت امسانة أخرى تبدو أصغر سناً وأحسن رونقاً وألطف جمالاً ! أما صونيتشكا ، يمامتى الصغيرة ، فقد اكتفت بتقديم المال ، وقالت : « ولكنى أنا لن أستطيع أن أجيء اليكم كثيراً فى هذه الأيام ، فذلك ليس بلائق ، وانما أجيء اليكم عند هبوط

الليل ، حتى لا يراني أحد .. هل تسمع؟ هل تسمع؟ وبعد العشاء مضيت  
أرقد على السرير . فهل تصدّق؟ ان كاترين ايفانوفنا لم تطق صبراً .  
لم يكن قد انقضى على تشاجرها مع آماليا فيدوروفنا الا ثمانية أيام في أكثر  
تقدير ، ومع ذلك دعته الى تناول فنجان من القهوة . وقضتا ساعتين  
كاملتين تتهاوسان دون توقف . قالت لها : « ان سيميون زاخارتش \* له  
الآن وظيفة ، وهو يقبض الآن راتباً . لقد ذهب بنفسه الى صاحب  
السعادة ، وهبّ صاحب السعادة نفسه الى لقائه : جعل جميع الناس  
ينتظرون ، وأمام جميع الناس تناول يد سيميون زاخارتش وقاده الى  
مكتبه ( هل تسمع؟ هل تسمع؟ ) وقال له صاحب السعادة طبعاً : انني  
أذكر خدماتك الطيبة يا سيميون زاخارتش ، ورغم اقيادك لميلك  
الطائش ، فانتى آمل ، ما دمت تعد بأن لا تنقاد بعد اليوم لذلك الميل  
الطائش ، وما دام كل شيء ، من جهة أخرى ، قد جرى هنا أثناء غيابك  
مقلوباً ( هل تسمعين؟ هل تسمعين؟ ) ، فانتى آمل أن تفي الآن بوعده  
وأن لا تخون العهد الذي تقطعه على نفسك . الحق أن هذا كله انما  
اخترعته اختراعاً وارتهلته ارتجلاً - أنا أقول لك الآن ذلك - ولكنها  
لم تعد الى هذا الاختراع والتلفيق انسياقاً مع ميول صيانية ، ولا حباً  
في اظهار قيمتها واعلاء شأنها . بالعكس : لقد صدّقت هي نفسها كل  
ما تخيلته ، وما كان أعظم تلذذاً به ... هيه ، هيه ... يا رب ! وأنا  
لا ألومها ... لا ... أنا لا ألومها على هذا ... وحين أتيتها براتبى  
الأول كاملاً منذ ستة أيام ، نادتنى بقولها : يا حبيبى ... خاطبتنى قائلة  
« ما أجملك يا حبيبى ! » قالت لى هذا وكنا فى خلوة ، هل تفهم؟ يخيّل  
الىّ مع ذلك أننى ... من ناحية حسن الصورة وجمال الهيئة ...  
هه ... وهل أنا زوج على كل حال؟ الخلاصة ... لا ضير ... المهم  
أنها قرصت خدى وقالت لى : « ما أجملك يا حبيبى ! » .

انقطع مارميلادوف عن الكلام ، وأراد أن يتنسم ، ولكن ذقنه ارتبجت فجأة . ومع ذلك كبح جماح نفسه . وها هي ذى الحمار ، وسقوط هذا الرجل ، وجهه المريض لامرأته وأسرته كلها ، والليالي الخمس التي قضها على العوامات ناقلات العلف ، ومنظر الزجاجة ، ها هي ذى تلك الأمور كلها تغرق راسكولنيكوف فى ذهول . كان يريد أن يصغى بأكبر انتباه ممكن ، ولكنه أحس بضيق وانزعاج . ولام نفسه على أنه جاء الى هذا المكان .

صاح مارميلادوف يقول وهو ينتصب قائماً :

— أيها السيد العزيز ، أيها السيد العزيز ، ربما كانت هذه القصة تبعث على الضحك كسائر ماعداها ، ولعلنى لا أزيد على أن أضيقك بهذا العرض النبى الأبله الأحمق لتفاصيل تافهة من تفاصيل حياتى المنزلية . ولكن هذا كله لا يضحكنى أنا ، لا يضحكنى أنا ، لا يضحكنى أنا . . . لأن هذا كله انما أحسه أنا بكل جوارحى . لقد قضيت ذلك النهار كله وتلك السهرة كلها وأنا فى مثل الجنة أطير على أجنحة أحلامى . كنت أفكر فى الطريقة التى سأدير بها الأمور : كيف سأكسو هؤلاء الأولاد ، كيف سأهين لها هي الهدوء والسكينة والطمأنينة ، كيف سأنتزع ابتنى الوحيدة من وهدة العار وأردها الى أحضان الأسرة . . . وكنت أحلم بأشياء أخرى أيضاً ، بأشياء كثيرة جداً . ذلك حق لى ياسيدى . فما الذى حدث أيها السيد العزيز ؟ ( هنا ارتعش مارميلادوف فجأة ، ونصب رأسه وحدث الى محدثه ) ما الذى حدث ؟ حدث فى الغداة ، بعد جميع تلك الأحلام الجميلة ، أى منذ خمسة أيام على وجه الدقة ، أنتى عمدت الى أنواع الحيل والأكاذيب ، فسرقت من كاترين ايفانوفنا مفتاح صندوقها ، كلص الليل\* ، فأخذت ما كان قد بقى من أجرى الذى أعطيتها أياه . . . لا أدري كم كان المبلغ تماماً . . . نعم ، ذلك ما حدث . . . وأنظر أين أنا

الآن ... انظروا الى أتم جميعاً !... لقد تركت البيت منذ خمسة أيام .  
 وهم هناك يبحثون عني . ولقد فقدت وظيفتي ، وبقيت بزتي الرسمية  
 مرهونة في خزانة ، على مقربة من « جسر مصر » \* ... وانظروا الى  
 هذه الثياب الرثة التي أعطونيها بدلاً من بزتي الرسمية !... ان لكل  
 شيء نهاية .

لطم مارميلادوف جبهته بقبضة يده ، وكزَّ أسنانه ، ثم أغمض  
 عينيه واستند بكوعه الى المائدة استناداً قوياً . ولكن وجهه تنهد بعد دقيقة  
 تغيراً مفاجئاً مباغتاً ، فاذا هو بنوع من المكر والوقاحة انما ينظر الآن الى  
 راسكولنيكوف . ثم أخذ يضحك وقال :

– واليوم ذهبت الى صونيا أطلب منها مالا... لأقطع عن السكر  
 ... ها ها ها ! ...

صاح يسأله أحد القادمين الجدد وهو يضحك ملء حلقه :

– وهل أعطتك مالا ؟

قال مارميلادوف متجهاً بكلامه الى راسكولنيكوف وحده :

– بما أعطيتيه من مال انما اشتريت نصف الزجاجة هذه ، لقد  
 جاءني صونيا بثلاثين كوبكاً قدمتها الى يديها نفسها . وكان هذا المبلغ  
 كلَّ ما بقي لها ... رأيت ذلك بنفسى . لم تقل شيئاً ، اكنفت بأن نظرت  
 الى صامته ... نظرت الى لا كما يكون النظر فى هذه الحياة الدنيا ، بل  
 فى الحياة الآخرة ، فى السماء ، حيث لا يوقظ الأشقياء فى القلوب الا  
 عاطفة الشفقة ، حيث يبكي الناس على هؤلاء الأشقياء دون أن يوجهوا  
 اليهم كلمة تقريع ! وحين لا يقرّ عك أحد ، فانك تشعر بألم أشد وعذاب  
 أقوى ! نعم ! تشعر بألم أشد وعذاب أقوى ! ثلاثون كوبكاً ... نعم ...  
 ولكنها كانت فى حاجة الى هذه الثلاثين كوبكاً . أليس عليها الآن ،  
 يا سيدى ، أن تقسى بنفسها ، وأن تهتم بنظافتها . والنظافة ، تلك النظافة،

تكلف نفقات كثيرة ، هل تفهم ؟ هل تفهم ؟ هناك دهنون يجب أن تشتريها  
لتطيب بها ... يستحيل عليها أن لا تفعل ذلك ! وهناك التورنات  
المتصلبة ، والآخذية الأنيقة انتى تسمح باظهار القدم الصغيرة عند تجاوز  
بركة ماء بخطوة كبيرة ! هل تفهم يا سيدى ماذا تعنى نظافة كتلك  
النظافة ؟ وهأنا ذا ، أنا أبوها ، اختلس الثلاثين كوبكاً التى تملكها لأشرب  
بها خمراً • ولقد انفقت ذلك المبلغ فعلاً فى الشراب !... فمن ذا الذى  
يستطيع أن يرثى لحال رجل مثلى ؟ هل ترثى لحالى أنت الآن يا سيدى؟ هل  
ترثى لحالى ؟ تكلم يا سيدى ، تكلم : أترثى لحالى أم لا ؟ هىء هىء  
هىء هىء !...

قال مارميلادوف ذلك وأراد أن يصب فى كأسه خمراً ، ولكن  
الخمر كان قد نفذ ... كانت الزجاجاة فارغة !

وكان صاحب الحمارة قد اقترب مرة أخرى ، فهتف يسأله :

— فيم عسى يرثى الناس لحالك ؟

وسُمت ضحكات وشتائم • كان يطلق الضحكات والشتائم أولئك  
الذين سمعوا القصة كلها وأولئك الذين لم يسمعوا شيئاً البتة ولكنهم  
ينظرون الى رأس الرجل الذى كان موظفاً •

زأر مارميلادوف فجأةً ، وهو ينهض عن مقعده ، ماداً ذراعيه الى  
أمام ، وقد وافاه الهام حقيقى ، كأنه لم يسمع الا تلك الكلمات ، زأر  
يقول :

— لماذا عسى يرثى لحالى ؟ أهذا ما تقوله ؟ نعم ، نيس هناك ما يدعو  
الى الرثاء لحالى ! وانما ينبغى أن أُصلب ، أن أصلب على صليب ، لا أن  
يرثى لحالى ! ولكن اصلبه ، أيها القاضى ، ثم ارث لحاله بعد أن  
تصلبه • وعندئذ سأمضى اليك بنفسى ، أواجه العذاب مواجهة ، لأن

ظمئى ليس الى فرح ، بل الى حزن ودموع ! أترك تظن أيها البائع أن نصف الزجاجة الذى استيرته منك قد جاءنى بالفرح وحمل الى المسرة ؟ ألا ان الألم ، ألا ان الألم هو ما كنت أشده فى قرارة تلك الزجاجة ... نعم ... الألم والدموع ! ... ولقد ذقت فيها الألم ، لقد وجدت فيها ما كنت أشده ! ولكن الله الذى يشفق على جميع الناس ويرأف بجميع الناس ، سيشفق علينا ، وسيرأف بنا ... لأنه يدرك كل شئ . انه هو الواحد الأحد . انه هو القاضى الأعلى . سيظهر فى يوم الحساب فيسأل : « أين هى تلك الفتاة المسكينة التى ضحت بنفسها فى سبيل امرأة أبيها الشريرة المصدورة ، فى سبيل أولاد امرأة أخرى ؟ أين هى تلك الفتاة المسكينة التى أشقت على أبيها الأرضى ، السكير الذى لا يبرء له ، دون أن تدع لنفسها أن تشمئز من حيوانيته ؟ » وسوف يقول لها : « تعالى ! لقد سبق أن غفرت لك مرة ... سبق أن غفرت لك مرة ... والآن أعفو عن جميع خطاياك ، لأنك أحيت كيراً » ... وسيغفر لها ، سيغفر لابتى العزيزة صونيا ... أنا أعلم أنه قد غفر لها ... شعر قلبى بهذا حين كنت عندها منذ قليل ... وسوف يحكم عليهم جميعاً . سيغفر للأخيار والأشرار ، سيغفر للحكام والباطل على السواء . حتى اذا فرغ من الجميع ، خاطبنا نحن أيضاً فقال : « تعالوا ، تعالوا أتم أيضاً أيها السكّيون ، تعالوا أيها الضعفاء ، تعالوا أيها الفاسقون ! » وسنقترب منه جميعاً ، دون شعور بالحزى والعار ، وسنقف أمامه ، وسيقول لنا : « أتم خنازير ! قد خلّقتكم على صورة الوحش ، ودُمغتم بخاتمته ! ومع ذلك اقربوا ! » . وسيقول الحكماء عندئذ ، سيقول العقلاء : « كيف يارب ؟ كيف تستقبلهم هم أيضاً ؟ » فيجيبهم : أنا أستقبلهم أيها الحكماء ، أنا أستقبلهم أيها العقلاء ، لأن أحداً منهم لم يحسب أنه جدير بأن يُستقبل ! » . وسوف يفتح لنا ذراعيه ، وسوف

نرتمي بين ذراعيه ... وسوف نبكي ... وسوف ندرك كل شيء ...  
سوف ندرك عندئذ كل شيء! ... وسوف يدرك جميع الناس عندئذ كل  
شيء ... وسوف تفهم كاترين ايفانوفنا هي نفسها ... فليأت ملكوتك  
أيها الرب ! ..

انهارت قوى مارميلادوف ، فتهاوى على الدكة ، دون أن ينظر الى  
أحد ، كأنه قد غرق في أحلام عميقة فنى كل ما كان يحيط به .  
وأحدثت كلماته أثراً . فساد الصمت خلال دقيقة . ولكن القهقهات  
والشتائم لم تلبث أن عادت تدوي .

- هكذا يكون الكلام !

- هو يثرثر !

- بوروقراطى !

النج ، النج ...

وقال مارميلادوف فجأة وهو يرفع رأسه مخاطباً راسكولنيكوف :

- هيا بنا يا سيدى . رافقنى الى عمارة كوزيل ... لقد آن الأوان  
... خذنى الى كاترين ايفانوفنا !

كان راسكولنيكوف يتمنى منذ مدة طويلة أن ينصرف . وخطر  
بباله من تلقاء نفسه أن يساعد مارميلادوف . وقد ظهر مارميلادوف أشد  
وهناً وأضعف قياماً على ساقيه مما كان يمكن أن يتصور المرء بعد سماع  
خطابه . اتكأ مارميلادوف اتكاء ثقيلاً على الشاب . وكان ينبغى قطع  
مسافة مائتى خطوة أو ثلاثمائة خطوة . ان القلق والخوف يجتاحان السكير  
بمزيد من القوة والعنف على قدر اقترابه من منزله .

ودمدم يقول منفعلًا :

- ليس خوفي من كاترين ايفانوفنا • لست خائفاً لانها ستشدني من  
 سعري • ما فيه شعري ؟... ستشدني من سعري • انا أقول لك ذلك  
 ... والأفضل ان تشدني من شعري ... لا ... ليس هذا ما يخيفني ..  
 انما أنا أخاف عينيها ... نعم ... انا أخاف عينيها ... وأخاف أيضاً  
 تنفسها !... والبقع الحمراء في خديها ... أخاف منها أيضاً ... هل  
 لاحظت كيف يتنفس المصابون بذلك المرض حين تنور نائرتهم ؟ وأنا  
 أخاف كذلك من الأولاد ، حين يكون • ذلك أن من الجائز أن لا تكون  
 صونيا قد أعطتهم ما يأكلون ... لست أدري ... لست أدري الآن ...  
 أما الضربات فلا أخافها ... اعلم أيها السيد أن هذه الضربات لا تقتصر  
 على أنها لا تخيفني ، وانما هي تهيب لي لذة في بعض الأحيان ... لأنني  
 لا أستطيع الاستغناء عنها . ذلك أفضل ! ألا فلتضربي !... ألا فلتخفف  
 عن نفسي !... هذه هي العمارة ، عمارة كوزيل ... هو فقّال ، فقّال  
 ألماني غني جداً • أدخل معي !

اجتازا الفناء ، وصعدا الى الطابق الثالث • وكان ظلام السلم يزداد  
 حلكة كلما تقدما في الصعود •

الساعة أوشكت على الحادية عشرة ، ورغم أن مدينة بطرسبرج  
 ليس لها ليل حقيقي في مثل هذه الفترة من العام ، فقد كانت الظلمة  
 حالكة في آخر السلم •

في أعلى السلم كان باب صغير مدخّن مفتوحاً • وكان هنالك بقية  
 شمعة تضيء أفقر غرفة في المسكن ، طولها عشر أقدام • ان المرء يرى  
 الغرفة كلها من فسحة السلم • ان قوضى قصوى تسودها ، وان أشياء  
 لا حصر لأنواعها ملقاة على أرضها ، ولا سيما أسمال أطفال • وفي ركن  
 من الغرفة هو آخرها تقريباً ، قد شدّت ستارة ليل وراها سريراً •  
 ولم يكن في الغرفة نفسها الا كرسيان ، وأريكة خاسفة منجدة بقماش



شمع بال رث ، أمامها مائدة مطبخ عتيقة من خشب الصنوبر ليست مدهونة ، لا وليس عليها غطاء . وفى آخر المائدة كانت بقية شمعة توشك أن تندوب كلها ، قد غرست فى شمعدان من حديد . ان جميع المظاهر تشير الى أن مارمیلادوف لا يحتل فى هذا المسكن مكاناً من أركانه ، بل غرفة مستقلة هى فى الواقع ممر أو دهليز . وكان الباب الذى يفضى الى الغرف الاخرى ، أو قل الى العلب الأخرى التى يتألف منها بيت آماليا لبيفسكل ، كان الباب مشقوقاً ، وكانت تصل منه جلبة وصيحات . كان الموجودون هناك يضحكون مقهقهين . يبدو أنهم يلعبون بالورق وهم يحسبون الشاى . وكان يستطيع المرء أحياناً أن يلتقط وسط الصخب ألفاظاً ليس فيها كثير تأدب .

لم يلبث راسكولنيكوف أن تعرّف كاترين ايفانوفنا . هى امرأة نحيلة نحولاً رهيباً ، دقيقة القسامات ، طويلة القامة ، حسنة الهيئة . وما يزال لها شعر كستناوى اللون رائع ؛ وكان على خديها بقعتان حمراوان فعلاً . انها تسير فى الغرفة طويلاً وعرضاً ، وقد شدّت يديها الى صدرها تضغطه بهما ؛ وكانت أنفاسها قصيرة مقطّعة ، وكانت عيناها تسطعان ببريق محموم ، ولكن نظرتها حادة ثابتة . ان هذه الوجه الذى التهمه مرض السل يحدث مرآه على ضوء الشمعة الصغيرة الذائبة أثراً فى النفس أليماً .

قدّر راسكولنيكوف أنها فى الثلاثين من العمر . ما هى فى الحق بالمرأة التى تصلح زوجة للسكير مارمیلادوف .

لم تتبه الى وصولهما ، ولا سمعت وقع خطواتهما . كانت غارقة فى نوع من الخيال ، فهمى لا ترى شيئاً ولا تسمع شيئاً . ان حراً خافقاً يسود جو الغرفة . ومع ذلك لم تكن المرأة قد فتحت النافذة . ومن أدنى السلم كانت تتصاعد رائحة موبوءة ، ومع ذلك لم تغلق الباب المطل على

السلم • ومن خلال الباب الآخر كانت تصل سحب من دخان التبغ ،  
ومع ذلك لم تغلق هذا الباب الثاني أيضاً •

وكانت صفري البنات ، وهى طفلة فى السادسة من عمرها ، كانت  
نائمة على الأرض قموذاً ، وقد تكيبت على نفسها وأسندت رأسها الى  
الأريكة • وكان الصبى الصغير ، وهو أكبر منها بسنة واحدة ، يرتعش  
ويبكى فى ركن من الأركان : لا شك أنه قد ضرب منذ قليل • أما البنت  
الكبرى ، وهى طفلة فى نحو التاسعة من العمر ، طويلة نحيلة كمود  
تقاب ، فكان كل ما يكسوها قميصاً رديئاً قد تمزق وتخرق فى كل  
ناحية ، هو رداء عتيق من جوخ السيدات قد ألقى على كتفيها العاريتين ،  
ولعله كان يناسب حجم جسمها منذ ستين ، أما الآن فهو لا يكاد يصل  
من قامتها الى الركبتين • وكانت البنت واقفة فى الركن تضم اليها أخاها  
الصغير ، وتحيط عنقه بذراعا الطويلة النحيلة • يبدو أنها كانت تحاول  
أن تسرّى عنه ، فهى تكلمه بصوت خافت جداً ، رجاء أن لا يستأنف  
بكاءه ، ولكنها كانت فى الوقت نفسه تتابع أمها وقد امتلأت رعباً ، تتابعها  
بعينها الواسعتين القاتمتين اللتين تبدوان واسعتين مزيداً من السعة فى هذا  
الوجه الهزيل المرتاع •

لم يدخل مارميلادوف الغرفة ، بل ركم على العتبة ، ودفع  
راسكولنيكوف الى أمام • فلما رأت المرأة هذا الشاب المجهول ، وقفت  
أمامه ذاهلة ، ثم خرجت من تأملاتها لحظة ، ربما لتحاول أن تفسر لنفسها  
سبب مجيئه • ولكن لا بد أنها لم تلبث أن اعتقدت أنه ذاهب الى سكان  
آخريين من سكان البيت ، لأن الغرفة ممر الى الغرف الأخرى • فلما  
وصلت الى هذه النتيجة ، اتجهت نحو باب الدهليز تريد أن تغلقه ، فإذا  
هى تصرخ على حين فجأة ، لأنها اكتشفت زوجها الراكع على الأرض •  
صاحت تقول وقد بلغت ذروة الغضب :

– آ ... هانت ذا عدت ! يا لص ، يا شيطان ، يا مسخ ! أين المال ؟ ماذا فى جييك ؟ أرني !... وهذا اللباس الذى ترتديه ليس لباسك ، فأين رداؤك اذن ؟ أين المال ؟ تكلم !

قالت ذلك وهجمت عليه لتبش جيوبه . فسرعان ماباعد مارميلادوف ذراعيه خاضعاً طيعاً بغية أن يسهّل عليها تفتيش جيوبه .  
ولم يكن فى جيوب مارميلادوف كوبك واحد .  
هتفت تقول :

– أين المال ؟ أين المال ؟ آه ... يا رب !... هل يمكن أن يكون قد شرب خمراً بالمال كله ؟ كان ما يزال فى الصندوق اثنا عشر روبلاً مع ذلك ...

وأثت بها سورة مسعورة من الغضب على حين فجأة ، فأمسكت بشعره ، وجرّته الى الغرفة . وسهّل هو عليها هذه المهمة ، فكان يزحف على ركبتيه وراءها طائعاً ذليلاً .

صاح يقول لى بينما كان يُجرّ من شعره حتى لتضطرم جبهته بأرض الغرفة :

– هذه فرحة بالنسبة الىّ يا سيدى ، ليس هذا ألاماً يا سيدى العزيز !...

واستيقظت البنية التى كانت نائمة على الأرض ، وأجهشت تبكى . ولم يتمالك الصبى الصغير نفسه فأخذ يرتعش ويصرخ وهرع نحو أخته . مروّعاً تكاد تجتاحه نوبة عصبية . وكانت البنت ترتجف كورقة فى مهب الريح .

صاحت المرأة المسكينة تقول :

– شرب بالمال كله ، شرب بالمال كله • حتى رداؤه ليس رداءه !  
انهم يتضورون جوعاً ، يتضورون جوعاً •

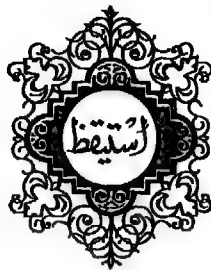
قالت ذلك وهى تلوى يديها وتشير الى الأولاد ، ثم أردفت :  
– لعن الله هذه الحياة ، لعن الله هذه الحياة !  
وزارت مخاطب راسكولنيكوف وهى ترمي عليه فجأة :  
– وأنت أيضاً خارج من الحمامة ! شربت معه ، أليس كذلك ؟  
أنت أيضاً ... شربت معه ... اخرج من هنا ! ...

فأسرع الشاب يخرج دون أن يقول كلمة واحدة • وفى أثناء ذلك  
كان الباب قد فُتِح على كل سعة ، وظهر فى فرجته عدد من المستطلعين •  
كانوا يمدون رؤوسهم الوقحة الضاحكة ، وقد وضعوا عليها طاقاتهم ،  
وراحوا يدخنون سجائر أو غلايين • وكانت تُرى قامت ترتدى معطف  
المنازل أو ملابس صيفية ليس فيها شيء من احتشام • وكان بين المستطلعين  
أناس يحملون بأيديهم ورقاً من ورق اللعب ، وقد ضحكوا خاصة حين  
جُرَّ مارمیلادوف من شعره ، فصرخ يقول ان هذه فرحة له • حتى لقد  
دخلوا الغرفة وسُمت أخيراً وعوعة غاضبة حانقة : انها آماليا ليفكسل  
بنفسها قد شقت ممراً بين الجمهور لتعيد الهدوء ، بطريقتها الخاصة ،  
ولتهدئ المرأة المسكينة ببلاغها رسمياً ، للمرة المائة ، أمراً بأن عليها  
إخلاء المسكن منذ الغد • اتسع وقت راسكولنيكوف ، قبل أن ينصرف ،  
لأن يدس يده فى جيبيه فيخرج منها جميع النقود النحاسية التى بقيت له  
من الروبل الذى صرفه فى الحمامة ، وأن يضع هذه النقود خفية على  
حافة النافذة • فلما صار فى السلم ، عدل عن رأيه ، وأراد أن يرجع  
أدراجه • قال يحدث نفسه : « حماقة ما فعلت ! ... هم لهم صوتنا ،  
وأنا فى حاجة الى مال » • ولكنه رأى أن من المستحيل عليه أن يسترد  
الصدقة التى أعطاه ، وأنه لن يستردها ولو لم يكن استردادها مستحيلاً ،

فرع كفيه واتجه نحو مسكنه • وتابع حديثه مع نفسه أثناء سيره في الشارع وهو يتسم ابتسامة غريبة : « حقاً ان على صونيا أن تشتري أطياباً تدهن بها ••• انها تكلف ثمناً باهظاً ، تلك النظافة ••• هم ••• ولكن من الجائز جداً أن يصيبها اليوم أفلاس ••• ان هذه المهنة معرضة لمخاطر كثيرة ، كصيد الوحوش الكاسرة والبحث عن مناجم الذهب سواء بسواء ••• فبدون هذا المال الذي نفحتهم اياه يمكن أن يتضوروا في الغد جوعاً وأن يشدوا الأحزمة على بطونهم • آه ••• نعم يا صونيا !••• يا لك من منجم اكتشفوه ! ويا لها من فوائد يجنونها منه !••• ذلك أنهم يجنون من هذا المنجم فوائد ! لقد اعتادوا أن يستفيدوا منه وأن يتفخوا به ! بكوا في أول الأمر ، ثم ألفوا وتعودوا • ان الانسان يعتاد كل شيء • يا له من حقير ! » •

ثم فكّر • فاذا هو يصبح قائلاً رغم ارادته على حين فجأة : « ماذا لو كنت على ضلال ! ماذا لو لم يكن الانسان في حقيقة الأمر حقيراً ••• أعنى الانسان عامة ، أعنى النوع الانساني ••• سيكون معنى ذلك أن الباقي « كله » ليس الا أوهاماً ، ليس الا مخاوف خيالية باطلة ، وأنه ليس هنالك أى حد ينبغى الوقوف عنده • نعم ، ذلك ما يجب » •

## الفصل الثالث



في العداة متأخراً ، بعد نوم مضطرب لم يجلب له أية راحة . وشعر حين استيقظ بأنه معتكز المزاج سريع الاحتياج خيبت النفس ، ونظر الى غرفته نظرة كره ومقت . ان هذه الغرفة أشبه بقفص صغير طوله ست خطوات ، يدل مظهرها على أشد الفقر والفاقة ، قد غطيت جدرانها بورق مصفر تراكم عليه الغبار وانتزع في جميع الجهات . وهي تبلغ من انخفاض سقفها أن رجلاً له قامة تكاد تفوق متوسط القامات ، لا بد أن يشعر فيها بأنه مكبوس ، ولا بد أن يخشى اصطدام رأسه بالسقف . وأثاث الغرفة يناسبها حقارة ورائحة : كان فيها ثلاثة كراسي عتيقة تعرج قليلاً ؛ وكان في ركن من أركانها مائدة مدهونة عليها دفاتر وبضعة كتب ( يكفى المرء أن يرى طبقة الغبار التي تغطي هذه الكتب حتى يدرك أنها منذ مدة طويلة لم تمتد إليها يد ) ؛ وكان فيها أخيراً ديوان كبير بشع يشغل كل طول الحجرة ويشغل نصف عرضها تقريباً ، ديوان كان في الماضي منجداً بقماش هندي ولكن القماش قد أصبح الآن خرقاً رثة ومزقاً بالية . ان هذا الديوان هو سرير راسكولنيكوف . وكثيراً ما كان يتفق لراسكولنيكوف أن يرقد عليه مرتدياً جميع ثيابه بلا غطاء ، غير ملتحف الا بمعطفه العتيق ، معطف الطالب ، واضعاً رأسه على مخدة صغيرة كان يُعليها بأن يدس تحتها جميع

ما عنده من ملابس نظيفة ومتسخة • وأمام الديوان توجد منضدة صغيرة •

انه لمن الصعب أن يهمل المرء نفسه اهمالاً أشد من هذا الاهمال • ولكن منظر مسكنه هذا ، وهو فيما هو فيه من حالة نفسية خاصة ، كان يفضي الى حدّ أن يولّد له شيئاً من لذة • كان قد انفصل عن العالم انفصلاً حاسماً ، وكان يعيش كالسلحفاة المحبوسة في قوقعتها • وحتى منظر الخادمة ، التي كانت تظهر في الصباح أحياناً لترى ماذا يجري ، كان يبعث في نفسه كرهاً محمومًا • هكذا شأن بعض الموسوسين الذين تحاصرهم فكرة واحدة ، ويسرف ذهنهم في التركيز على نقطة بعينها • لقد كفّت صاحبة البيت منذ مدة طويلة عن أن تبعث اليه بوجبات طعامه ، ورغم أنه أصبح مضطراً للصيام عن الطعام ، فانه لمّا يخطر بباله بعد أن يذهب اليها لينافسها في الأمر • وكانت ناستاسيا ، الطباخة ، وهي الخادمة الوحيدة لدى صاحبة البيت ، كانت ، بمعنى من المعاني ، غير مستاءة من الحالة النفسية التي كان عليها المستأجر ، وكانت قد انقطعت عن خدمة غرفه انقطاعاً كاملاً ، اللهم الا من حين الى حين ، مرةً في الأسبوع ، وكانت في هذه المرة تكتفي بأن تكس العرقة كسّاً سريعاً كيفما اتفق •

وهي التي أيقظته الآن • صرخت تقول له وهي تميل عليه :

— انهض • ما بك حتى تمام هذا النوم ؟ لقد دقت الساعة التاسعة •  
هأنا ذا آتيتك بشيء من الشاي ، هل تريد ؟ لسوف تموت جوعاً •

فتح الشاب عينيه ، وارتجف ، وتعرف ناستاسيا •

سألها ببطء :

— هل صاحبة البيت هي التي أرسلت اليّ هذا الشاي ؟

ثم نهض عن ديوانه وقد بدا عليه الألم •

قالت له الخادمة :

— صاحبة البيت ؟ هه !... ..

ووضعت أمامه إبريقها الخاص بها ، إبريقها المتصدع الذى يضم بقية  
قديمة من شاي ، ووضعت قطعتين صغيرتين من سكر مصفر كل الاصفرار  
قال لها بعد أن نبش جيبه ( كان قد نام لابساً ثيابه ) ، فأخرج منها  
قطعة نقدية :

— خذى يا ناستاسيا ، خذى هذا ، أرجوك ... .. واذهبى فاشتري  
لى رغيفاً صغيراً من الخبز ، واشترى لى كذلك من عند البقال سجقاً ،  
سجقاً بخس الثمن ... ..

— سأتيك بالرغيف حالاً • ولكن ألا تريد ، بدلاً من السجق ،  
أن تصيب شيئاً من حساء بالكرنب ؟ هو حساء بالكرنب صنعاه أمس ،  
وادخرته لك مساء ، لكنك رجعت الى البيت متأخراً • هو حساء بالكرنب  
طيب •

وحين جاءته ناستاسيا بحساء الكرنب ، فأخذ يأكل ، جلست الى  
جانبه على الديوان ، وأخذت تترنر • انها فتاة قروية مكثارة مهذرة •  
قالت له :

— ان براسكوفيا بافلوفنا تريد أن تشكوك الى الشرطة •  
فأريد وجهه وسألها :

— تشكونى الى الشرطة ؟ ماذا تريد منى ؟

— أنت لا تدفع أجر الغرفة ، لا ولا تجلو عنها ! ذلك ماتريده منك!  
جمعهم يقول وهو يجلس :





نامتاسيا

- لم يكن ينقصنى الا هذا ! حقاً ان ذلك يقع فى اسوأ حين ...  
فى اسوأ أوان !... أفى هذه اللحظة ؟...

ثم أضاف يقول بصوت عالٍ :  
- يا للحمقاء ! سأمرُّ بها اليوم فأكلّمها •  
قالت :

- أما أنها حمقاء فهي حمقاء حقاً ، مثلك أنت تماماً ... ولكن ...  
ما بالك أنت ، وأنت ذكى هذا الذكاء كله ، تبقى راقداً طول الوقت  
كصُرّة ؟ لا يستطيع أحدٌ أن يحملك على شيء أو أن يستمد منك  
شيئاً ! تقول انك كنت فى الماضى تعطى الأولاد دروساً خاصة ، فلماذا  
أصبحت لا تقوم الآن بأى عمل ؟...

- بل أقوم ...  
كذلك نطق راسكولنيكوف رغم ارادته ، بلهجةٍ جافة •  
سألته :

- ما الذى تقوم به ؟

- أقوم بعمل ...

- أى عمل ؟

أجابها جاداً بعد صمت :

- أفكر ...

اتابت ناستاسيا نوبةً ضحك • انها متأهبةٌ دائماً لأن تنفجر ضاحكة.  
ويكفى أن تُمازح أقلّ مَمازحة حتى تأخذ فى الضحك ، ولكن ضحكها  
صامت ، فهي لا تزيد على أن تحرك وترجع جسمها كله ، الى أن يصيبها  
من ذلك غيَان !...•

وأفلمت في أن تنطق أخيراً فقالت له :

- وهل جنيت من التفكير مالاَ كثيراً ؟

قال :

- كيف يستطيع المرء أن يمضي لاعطاء دروس حين لا يملك

حذاءين ؟ على أنني لا أكثر بهذا كله !... ..

- لا تكثرت ؟ انك اذن لمخطيء .

- ماذا يجنى المرء من تعليم الأطفال ، ماذا يستطيع ان يفعل ببضعة

كوبكات ؟

كذلك تابع يقول بلهجة حزينة كالحلة ، كأنه يجيب عما يدور

في رأسه هو من خواطر وافكار .

سأله قائلة :

- ماذا ؟ أترك تريد الحصول على ثروة طائلة دفعةً واحدة ؟

نظر اليها نظرة غريبة ثم أجابها بصوت جازم بعد صمتٍ قصير :

- نعم ، ثروة طائلة ... ..

- هيه ... .. رفقاَ رفقاَ ! انك تخيفنى : أأمضى لشراء الرغيف

الصغير ؟

- أفعلى ما تشائين .

قالت فجأةً :

- ها ... .. نسيت ... .. معى رسالة لك وصلت أثناء غيابك .

- رسالة ؟ لى ؟ ممن ؟

- لا ادرى ممن . وقد نقدت ساعى البريد ثلاثة كوبكات من

جيبى . ستردها الىّ ، اليس كذلك ؟

صرخ راسكولنيكوف يقول وقد بلغ ذروة الاضطراب :

— هاتي الرسالة ! هاتيها ناشدتك الله ... آه ... يا رب ! ...

بعد دقيقة جاءت الرسالة • صدق ما كان يقدّره : ان الرسالة آتية من امه التي تقيم فى اقليم ر ...

اصفر وجهه وهو يتناول الرسالة • لقد أصبح لا يتلقى أية رسالة منذ مدة طويلة • ولكن شيئاً آخر يقبض الآن قلبه ويحجم على صدره •  
قال :

— ناستاسيا ، اذهبي ... ناشدتك الله ... انصرفي ... اليك كوكباتك الثلاثة ... اخرجي بسرعة ... ناشدتك الله ! •

كانت الرسالة ترتعش بين يديه • لم يشأ أن يفوضها امام الخادمة • كان يحرص على ان يبقى « وحيداً » مع هذه الرسالة • فما ان خرجت ناستاسيا حتى رفع الرسالة الى شقيقه بحركة سريعة ، وقبلها • ثم لبث مدة يُنعم النظر فى العنوان ، ويتأمل الخط العزيز الغالى الذى يعرفه حقّ المعرفة ، الخط الصغير المائل بعض الميل ، خطّ امه التى علمته القراءة والكتابة فى الماضى منذ زمن بعيد • أحجم عن فض الرسالة بعض الوقت ، حتى لكأنه يخشى شيئاً ما • ثم فضّها اخيراً • الرسالة طويلة كثيفة ثقيلة الوزن : صحيفتان من ورق تغطيها كتابة مرصوفة وجهاً وقفا • وهذا نص الرسالة :

« عزيزى روديا \* ! انقضى اكر من شهرين دون أن أتحدث اليك كتابة ، وذلك امر عذبنى كثيراً ، حتى لقد حرمنى من النوم ذات ليلة من فرط تفكيرى فيه • ولكننى على يقين من أنك لن تؤاخذنى على هذا

الصمت الطويل الذى لست مسؤولة عنه • انت تعلم كم احبك ! ليس لنا فى هذه الحياة ، أنا ودونيا \* ، سواك • أنت عندنا كل شيء • أنت كل أملنا • أنت كل ايماننا بالمستقبل ! ليتك تعلم الحالة التى صرت انيها حين علمت منذ بضعة اشهر أنك تركت الجامعة لعجزك عن الوفاء بسد حاجاتك ، وأنت فقدت الدروس التى كنت تعطيها ، وفقدت مائر الموارد الأخرى ! كيف كان يمكننى أن اساعدك وانا لا أقبض الا خمسة وعشرين روبلاً فى السنة هى معاش التقاعد ! أنت تعلم ان الخمسة عشر روبلاً التى أرسلتها اليك منذ أربعة أشهر ، انما كنت قد اقترضتها سلفة على معاشى من تاجر فى بلدنا هو فاسيلي ايفانوفتش فاخروشين • انه رجل طيب شهم كان صديق أبيك • ولكننى وقد خوّلته حق قبض المعاش نيابة عنى ، قد اضطررت أن انتظر الى ان ينتهى سداد الدين كاملاً ، وذلك بما لم يتم الا منذ برهة قصيرة • هذا هو السبب فى اننى لم أستطع أن أرسل اليك شيئاً طوال ذلك الوقت • أما الآن فأعتقد أننى سأستطيع ، والله الحمد ، أن أستأنف ارسال شيء من المال اليك • ثم اتا فى وسعنا ، على وجه أعم ، ان نغبط انفسنا على ان الحظ قد وافانا قليلاً ، وذلك ما أسارع الى ذكره لك • هل يمكنك ، أولاً ، يا عزيزى روديا ، أن تحزر أن أحتك تقيم معى منذ شهر ونصف شهر ، وأننا لن نفصل بعد اليوم أبداً ؟ لقد انتهت الآن جميع آلامها بفضل الله ، ولكن ينبغي أن أقص عليك كل شيء مرتباً متسلسلاً ، حتى تعرف كيف جرت الأمور ، وماذا كنمنا عنك الى الآن ! لقد كتبت الى منذ شهرين قائلاً أنك علمت من احد الناس أن اختك دونيا تتألم كثيراً من قسوة المعاملة فى منزل الأسرة التى تعمل عندها ، وهى أسرة سفدريجايلوف ، وسألتنى أن أبعث اليك بشروح دقيقة وتفاصيل وافية عن هذا الأمر • فهل كان فى وسعى أن اجيبك فى ذلك الأوان ؟ لا ••• فلو قد كتبت اليك الحقيقة كاملة لكان

من الجائز ان تترك كل شيء وان تجيء النسا سيرا على الأقدام اذا لزم الأمر ، لأننى أعرف طبعك وأعرف عواطفك ، فما كان لك ان تدع لأحد ان يسىء الى أختك وأن يهين كرامتها . ولقد بلغتُ انا نفسى عندئذ غاية الكرب واليأس . ولكن ما الذى كان يجب ان أفعله ؟ ثم اتى لم اكن اعرف الحقيقة كلها حينذاك . ولقد جاء البلاء أساساً من ان اختك دويتشكا ، حين أخذت تعمل مربيةً عند آل سفيدريجاييلوف \* ، فى السنة الماضية ، قد قبضت منهم سلفة مقدارها مائة روبل يقطعونها من أجورها شهراً شهراً . لذلك كان من المستحيل عليها ان تترك وظيفتها قبل ان تكون قد سددت ما لهم عليها من دين . وذلك المبلغ الذى قبضته ( أستطيع الآن ان اعترف لك بذلك يا بنى العزيز ) انما أخذته خاصة لترسل اليك الستين روبلاً التى كنت حيثئذ فى حاجة ماسة اليها والتى تلقيتها منا فى السنة الماضية . لقد خدعناك كلتانا حين كتبنا اليك عندئذ ان ذلك المال هو حصيلة مدخرات قديمة جمعتها دويتشكا ؟ ولم يكن الأمر كذلك . وانما أنا أقول لك الحقيقة كلها الآن لأن الله قد أراد ان يبدل كل شيء وان نصير الى حال أفضل ، ولأن من الواجب أن تعلم مدى ماتحملة لك دنيا من حب ، وأن تعرف ما يتصف به قلبها من نبيل لا يضارع ! خلاصة المسألة ان السيد سفيدريجاييلوف كان فى أول الأمر يعاملها معاملة شديدة الغلظة والفظاظة وكان يوجه اليها اثناء الجلوس الى المائدة أنواعاً شتى من الكلمات القارصة والأقوال الساخرة ... على أننى لا أريد أن أفيض فى الكلام على هذه التفاصيل الأليمة ، حتى لا أعذبك فى غير طائل ، بعد أن انتهى هذا كله الآن ! المهم ان وضع دويتشكا كان شاقاً جداً رغم ان مارتا بتروفنا ، زوجة السيد سفيدريجاييلوف وسائر أهل المنزل قد عاملوها معاملة فيها كثير من الرعاية والمدارة واللفظ . وكان وضعها يزداد مشقة حين يصبح السيد سفيدريجاييلوف تحت سيطرة



سفریچایلو

باخوس\* على ما ألف من عادة ترسخت فيه مند كان في الجيش . ولكن ما الذي حدث بعد ذلك ؟ تصور ان هذا الرجل المأفون كان منذ مدة طويلة يهيم بأختك دونيا هياماً يخفيه تحت ستار موقفٍ من الفظاظة والاحتقار يصطنعه اصطناعاً . ولعله كان يشعر بالخزى والعار في نفسه ، أو لعله كان يحس بارتياح حين يرى أنه في هذه السن ، هو رب الأسرة ، تراوده آمال تبلغ هذا المبلغ من الحماقة والطيش ، فاذا هو يحقق على دونيا رغم ارادته ، ويحمل لها الضئيلة والسخيمة في قرارة قلبه ، أو لعله بفظاظة موقفه وغلظة سخرياته انما كان يريد ان يخفي الحقيقة عن الآخرين لا أكثر . المهم أنه أصبح في نهاية الأمر لا يطبق صبراً ، فاذا هو يتجراً ويتجاسر فيعرض على دونيا عروضاً صريحة حقيرة ، باذلاً لها وعوداً بفوائد شتى ومنافع كثيرة ، مقترحاً عليها فوق ذلك كله ان يترك كل شيء ليسافر معها الى قرية أخرى من القرى التي يملكها أو الى الخارج اذا هي أرادت ! في وسعك ان تتخيل الآلام التي قاستها أختك: كان عليها ان لا تفكر في ترك وظيفتها فوراً ، لا بسبب ما عليها من دين فحسب ، بل ايضاً من باب المراعاة والمداراة لمارتا بتروفا التي كان يمكن ان تساورها شكوك كثيرة على حين فجأة فيحدث في الأسرة شقاق يمزقها شراً ممزقاً . ذلك عدا أن تركها لوظيفتها فوراً يمكن أن يكون لها فضيحة كبرى لا يمكن تجاهلها . وهناك أسباب أخرى كثيرة كانت تجعل دونيا عاجزة عجزاً مطلقاً عن ترك تلك الأسرة قبل انقضاء ستة أسابيع . لا شك في انك تعرف دونيا وتعرف ما تتصف به من تعقل ومن ارادة قوية . ان دونيتسكا تستطيع أن تتحمل أشياء كثيرة ، وأن تجد في نفسها ، مهما تكن الظروف حرجة ، قدراً كافياً من رفعة الروح ونبيل القلب حتى لا تفقد رباطة جأشها وثبات جناها ، لذلك لم تكتب الى أنا نفسي شيئاً عن هذا



كله ، حتى لا تؤلنى وتعذبنى ، مع أننا كنا نراسل كثيراً • وقد حدثت خاتمة القصة على نحو لم يكن فى الحسبان :

ان مارتا بتروفا سمعت زوجها فى الحديقة ، مصادفةً ، يتوسل الى دونيتشكا ضارعاً مبتهلاً ، فظنت ان دونيتشكا سبب كل شئ ، فاذا بمشهد رهيب يحدث عندئذ فى الحديقة نفسها : لم تشا مارتا بتروفا ان تسمع أى قول ، حتى لقد ضربت دونيا ، وظلت تصرخ ساعة بكاملها ، ثم اصدرت امرها بنقلها الى فى المدينة على عربة حقيرة من عربات الفلاحين ، رُميت فيها جميع اشياء دونيا من ملابس وأثواب ، رُميت فوضى بغير نظام ، حتى دون أن تُربط او تُحزم • وقد اخذ المطر يهطل عندئذ هطولاً غزيراً ، فاضطرت اختك دونيا ان تقطع مع الفلاح فى عربته المكشوفة مسافة عشرة فراسخ على تلك الحال من المذلة والهوان • انك لترى الآن أننى لم أكن استطيع ان اجيبك بشئ على الرسالة التى بعثت بها الى منذ شهرين : عمّ كان يمكننى ان احدثك وفيه كنت استطيع ان اكلمك ؟ لقد كنت انا نفسى فى غاية الكرب وذروة الكمد • لم أكن اجرؤ أن اكتب لك الحقيقة • فلو فعلت ذلك لشقيت انت شقاء كبيراً ولشعرت بنفص شديد واضطراب كبير •

وما الذى كان فى وسعك ان تفعل ؟ لا شئ الا ان تنافق آلامك وتزيد عذابك ! ثم ان دونيا قد حظرت على أن أقبل • وأما ان املاً رسالتى اليك بثرهات وسفاسف ، بينا انا مثقلة القلب بالحزن والكمد ، فذلك ما شعرت اننى لا أقوى عليه • وفى اثناء شهر كامل جرت فى المدينة عن تلك القصة شائعات وأقاويل ونمائم ، حتى لقد بلغت الأمور حداً أصبحت لا أستطيع معه ان اصحب دونيا الى الكنيسة بسبب نظرات الاحتقار والازدراء التى يلقيها علينا الناس وبسبب الهمسات الكثيرة التى يتبادلونها عند مرورنا ، حتى انهم كانوا لا يتخرجون من ابداء ملاحظات

خيشة بصوت عال فى حضورنا . وأصبح جميع من يعرفونا يديرون لنا ظهورهم ويشيحون عنا بوجوههم ، بل لقد كفوا عن تحيتنا . وعرفت من مصدر مطلع أن عدداً من مستخدمي الدكاكين وصغار موظفى المكاتب أرادوا ان يرتكبوا فى حقنا وقاحة سافلة ، هى ان يلطخوا باب منزلنا بالقطران ، فأخذ اصحاب البيت الذى نسكنه يطالبونا باخلائه . وكانت مارتا بتروفا سبب ذلك كله ، فقد اتسع وقتها لأن تذهب الى جميع البيوت تنهم دونيا وتوسخ سمعتها . انها تعرف جميع الناس فى بلدتنا . واذ أنها أميل الى الثروة ، واذ أنها تحب ان تقص شئونها المنزلية على كل قادم ، وأن تشكو زوجها خاصة ، وذلك أمر ليس بالجميل كثيراً ، فقد نشرت القصة خلال برهة وجيزة من الزمن ، لا فى المدينة وحدها ، بل فى المقاطعة كلها . وقد مرضت أنا من ذلك . ولكن دونيتشكا كانت أقوى منى عوداً ، وأصلب شكيمة ، وأشد بأساً . ليتك رأيت كيف استطاعت ان تحتمل هذا كله بجأش رابط وجنان ثابت حتى لقد كانت هى التى تعزىنى وتواسىنى ، وتقوى عزيمتى ، وتشد أزرى ! انها ملاك ! ولكن رحمة الله اختصرت عذابنا . فان السيد سفيدريجايوف قد عدل عن رأيه ، وندم على ما بدر منه ، ولعله شعر بشقيقه نحو دونيا ، فقدّم لامرأته مارتا بتروفا الدليل القاطع والحجة الدامغة على براءة دونيا : كان هذا الدليل القاطع رسالة كانت دونيا ، قبل ان تفاجئها مارتا بتروفا فى الحديقة بزمان طويل ، قد اضطرت أن تكتبها وان تعطىها السيد سفيدريجايوف لترفض جميع شروحه وعروضه ، ولترفض جميع المواعيد السرية التى كان يضرع اليها ان تضربها له . وقد بقيت هذه الرسالة بين يدى السيد سفيدريجايوف بعد رحيل دونيا . وفى هذه الرسالة كانت دونيا تعيب عليه بلهجة عنيفة نائرة عارمة ما يتصف به سلوكه نحو مارتا بتروفا من جور وظلم وعسف ، وتذكره بأنه زوج ، وبأنه أب لأسرة ، وتصور

له مدى ما يشتمل عليه سلوكه من خسة اذ هو يعذب ويُسقى فتاة فقيرة عزلاء لا تحتاج الى مزيد من العذاب والشقاء • الخلاصة يا بنى العزيز روديا ، ان تلك الرسالة تبلغ من رفعة النبل وشدة التأثير أننى أجهشت باكية منتجة حين قراتها ؛ وما أزال حتى الآن لا أعيد قراءتها الا وترقرق فى عينيَّ الدموع • وجاءت شهادات الخدم تبريء دونيا مزيداً من التبرئة! والخدم كما يحدث دائماً فى مثل هذه الحالات قد عرفوا من الأمر ورأوا من المشاهد اكثر كثيراً مما ظن السيد سفيدريجاييلوف •

• دُهِلت مارتا بتزوفنا أشدَّ الذهول ، بل صعقت تماماً كما اعترفت لنا هى نفسها بذلك • ولكن لم يبق فى نفسها أى شك فى أن دونيتشكا بريئة كل البراءة • لهذا بادرت منذ الغد ، وكان يومَ أحد ، فذهبت رأساً الى الكنيسة حيث جثت على ركبتها باكية وضرعت الى السيدة العذراء ان تهب لها من القوة ما يكفيها لاحتمال هذا الامتحان الجديد وما يمكنها من القيام بواجبها على خير وجه • ثم جاءت من الكنيسة قدماً الى منزلنا ، دون ان تمرَّج على احد ، فقصت علينا كل شيء ، وسكبت دموعاً حارة ، وعانقت دونيا زاحرة النفس بالندم ، مبتهلةً اليها أن تغفر لها وأن تعفو عنها • ومن منزلنا ذهبنا رأساً دون ان تضع لحظة واحدة ، ذهبنا الى جميع بيوت المدينة ، فكانت تسكب سيولاً من الدموع ، وتكيل الثناء لآبتي ، دونيا ، وتشهد ببراءتها ، وتطرى نبل عواطفها ، وتشيد بحسن سلوكها • وأرادت ان تفعل ما هو خير من ذلك أيضاً ، فظهرت جميع الناس على الرسالة التى كتبتها دونيا الى السيد سفيدريجاييلوف بخط يدها ، حتى لقد قرأت عليهم تلك الرسالة بصوت عال ، بل وأذنت لهم بأن ينسخوها ( وذلك أمر يبدو لى ان فيه شيئاً من الغلو ) • وقد اضطرت ان تقضى عدة ايام متتالية تزور جميع من تعرفهم من الناس فى المدينة ، لأن بعضهم شكوا من اهمالها زيارتهم ، وساءهم ان تؤثر عليهم غيرهم •

على هذا النحو تالت زياراتها متعاقبة متلاحقة ، حتى اصبح الناس ينتظرونها فى كل منزل ، وحتى أصبح يعرف أن مارتا بتروفا ستقرأ الرسالة يوم كذا فى مكان كذا ، فكان يحضر قراءة الرسالة فى كل مرة حتى أولئك الذين سبق لهم ان سمعوها مرارا سواء فى بيوتهم هم أو فى بيوت اناس آخرين يعرفونهم . فى رأى ان ذلك كان فيه مغالاة ، كان فيه كثير من المغالاة ، ولكن هذا طبع مارتا بتروفا ! مهما يكن من امر ، فان مارتا بتروفا قد ردت الى دونيتشكا اعتبارها كاملاً ، فاذا بعار هذه القضية يرتد الى زوجها بخزى لا يمحي ولا يندثر ، ويجعله المجرم الأول حتى اخذتنى به شفقة . لقد أسرفوا فى القسوة على ذلك المأفون المسكين . بعد ذلك اسرعت أسرٌ كثيرة تعرض على دونيا ان تعطى أولادها دروساً ، ولكن دونيا رفضت جميع هذه العروض . ونستطيع ان نقول بوجه عام ان جميع الناس قد صاروا يولونها احتراماً خاصاً على حين فجأة . وذلك كله قد سهل تسهلاً كبيراً حدوث الحادث الذى لم يكن فى الحسبان ، والذى استطيع ان اقول ان مصيرنا قد تبدل بفضلته بدلاً تاماً وتغير تغيراً كاملاً . اعلم يا بنى العزيز روديا ان خطيباً قد تقدم لاختك دونيا ، وأنها قد اعلنت له موافقتها ، وذلك ما أسارع فأنقله اليك الآن . أغلب الظن أنك لن تؤاخذنا ، لا أنا ولا أختك ، على ان الأمر قد تم دون الحصول على موافقتك ، فلسوف ترى بنفسك انه كان يستحيل علينا أن نتظر ، وان نرجى اتخاذ القرار الى حين وصول ردك الينا . هذا عدا أنه ما كان لك أن تستطيع ، من بعد ، ان تحكم فى الامر حكم العارف المطلع . واليك تفصيل ما حدث : الرجل مستشار قضائى\*، اسمه بطرس بتروفيتش لوجين . وهو يمت بقربى بعيدة الى مارتا بتروفا التى شاركت فى الامر مشاركة كبيرة . لقد بدأ الرجل بأن أظهر لمارتا بتروفا رغبته فى التعرف الينا ، فاستقبلناه كما ينبغى ان يُستقبل ، فشرب عندنا

القهوة ، فما ان جاء الغد حتى بعث الينا برسالة يعرض فيها طلبه بكثير من الكياسة ، ويلتمس رداً سريعاً قاطعاً . انه رجل من رجل الاعمال ، مشغول جداً ؟ ولما كان عليه ان يسافر الى بطرسبورج قريباً ، فان لكل دقيقة قيمتها عنده . طبعى أننا ذُهلنا فى أول الامر : لقد حدث ذلك كله على نحو مباغت مفاجيء ، بطريقة لم تكن فى الحسبان ! بعد ذلك لبثنا معاً طوال النهار نفكر فى الامر ونزن الاشياء . هو رجل يحتل مركزاً مرموقاً : يشغل وظيفتين فى آن واحد ويملك منذ الآن رأس مال له . الحق أنه يبلغ الخامسة والاربعين من العمر ، لكن مظهره لطيف ، وما يزال يستطيع ان يرضى النساء . وهو عدا ذلك رجل رصين لائق جداً . كل ما هنالك انه متجههم المزاج قليلاً ، متعال بعض التعالى ، ولكن قد لا يكون ذلك الا شعوراً أول ساورنا حين رأيناه ؟ ولهذا أحذرك يا بنى العزيز روديا من ان تحكم عليه بسرعة مسرفة واندفاع عنيف حين ستلقاه فى بطرسبرج قريباً ( على عادتك فى سرعة الحكم وعنف الاندفاع ) اذا انت رأيت فيه عند الوهلة الاولى شيئاً يصدم شعورك . أقول لك هذا من باب الاحتياط لكل مصادفة ، رغم يقينى من انه سيحدث فى نفسك اجل الأثر . أضف الى ذلك ان على المرء ، اذا هو اراد ان يصل الى معرفة انسان من الناس ، أيا كان هذا الانسان ، أن يتصرف ازاءه تصرفاً فيه كثير من التروى والتعقل والحكمة والحذر ، والا فقد يقع فى الخطأ ، وقد ينجرى الى التحيز ، فيصعب عليه كثيراً بعد ذلك ان يصحح ذلك الخطأ وان يزيل ذلك التحيز . ومهما يكن من امر فان قرائن كثيرة تحمل على الاعتقاد بأن بطرس بترفيتش رجل جدير بالاحترام . لقد اعلن لنا منذ اول زيارة أنه رجل وضعى عملى ، ولكنه فى كثير من الامور يشارك « أجيالنا الجديدة آراءها » على حد تعبيره ، وأنه عدو لجميع الاوهام الاجتماعية، ولقد قال أموراً اخرى كثيرة ، فهو اذا صدقت المظاهر رجلٌ

لا يخلو من شيء من الفرور ، وهو يحب كثيراً أن يصفي الناس الى كلامه وان يسمعوا لحديثه . ولكن هل تلك آفة كبيرة حقاً ؟ هل ذلك عيب خطير فعلاً ؟ أنا لم أفهم من حديثه أشياء كثيرة بطبيعة الحال ، ولكن دونيا شرحت لي أنه على نقص ثقافته انسان ذكي ، وانه طيب فيما يبدو . انك تعرف طبع اختك ، يا بنى العزيز روديا . هي فتاة ثابتة صلبة عاقلة متابرة كريمة ، رغم أن لها قلباً حاراً وشعوراً متقدماً ، وذلك أمر استطعت ان أدركه فيها . طبعاً ، لا مجال للحديث عن حب حقيقي ، لا من جانبها هي ولا من جانبها هو . ولكن دونيا ، عدا أنها فتاة ذكية ، هي في الوقت نفسه نبيلة كملاك . ولا بد ان تلزم نفسها باسعاد زوجها الذى لن يسعه الا ان يسعدها هو أيضاً . فحول هذه النقطة الاخيرة ليس لدينا حتى الآن أى سبب جدى يدعو الى الشك ، رغم ان الامر قد تم بشيء من السرعة ، كما ينبغي ان نعترف بذلك . يضاف الى هذا ان الرجل انسان حصيف الفكر شديد الرأى ، فلا شك فى أنه سيرى بنفسه ان سعادته الزوجية نفسها ستكون مضمونة مزيداً من الضمان اذا سعدت دونيا بفضلها مزيداً من السعادة . أما عما هنالك من بعض الاختلافات فى المزاج والعادات القديمة وحتى من بعض الاختلافات فى الآراء ( وذلك ما لا يمكن تجاهه حتى فى اكثر حالات الزواج توفيقاً ) فان دونيا كما قالت لي ذلك سوف تأخذ على عاتقها هذا الامر . انها تؤكد أنه لا داعى الى القلق ، وانها تستطيع احتمال اشياء كثيرة شريطة ان تبقى علاقتهما على الدوام شريفة صادقة عادلة قائمة على المساواة والانصاف . يجب ان اقول لك ان الرجل بدا لي انا أيضاً مسرفاً فى الصرامة بمض الاسراف . ولكن ذلك قد يكون ناشئاً عن أنه امرؤ صريح ، بل ان الأمر لكذلك حتماً . مثال : انه أثناء زيارته الثانية ، بعد حصوله على الموافقة ، قد اعلن أثناء الحديث انه حتى قبل ان يعرف دونيا كان قد قرر ان لا يتزوج الا فتاة شريفة لا تملك

مهرا ، فتاة سبق أن عرفت تجربة الفقر وعانت مرارة البؤس ، لان الزوج يجب ان لا يشعر بأن لزوجته عليه فضلاً ، وانما يجب ان تشعر المرأة ان زوجها هو المحسن اليها وصاحب الفضل عليها . يجب أن أذكر أنه قد عبّر عن رأيه هذا تعبيراً أكثر دقة ولطافة ، وأقرب الى المودة والمحبة من الكلمات التي كتبها أنا الآن ، لأنني نسيت الالفاظ التي استخدمها ، وأصبحت لا أتذكر الا الفكرة التي افصح عنها . ثم انه لم يكن قد هيماً اقواله وحضر عباراته ، فلا شك أن ذلك الكلام قد أفلت منه افلاتاً . لذلك حاول بعدئذ ان يتدارك الامر ، وأن يلطف الأثر الذي أحدثته كلماته . ومع ذلك استقلت كلامه قليلاً ثم فاتحت دونيا في هذا ، فأجبتى دونيا ، وفي نفسها شيء من الغضب والحزن ، بان الأقوال لا تطابق الأفعال دائماً ، وواضح ان كلام دونيا صادق . يجدر ان اذكر ان دونيا ، قبل اتخاذ قرارها ، لم يغمض لها جفن طوال الليل ، وأنها حين ظنت انني غفوت قد نهضت عن فراشها وأخذت تمشي في الغرفة طولاً وعرضاً الى ان طلع الصبح ، ثم ركعت على ركبتيها ، ولبثت جاثية امام الأيقونة تصلي مدة طويلة بكثير من الحرارة والخشوع ، حتى اذا طلع النهار اعلنت أنها قد اتخذت قرارها .

« سبق ان قلت ان بطرس بتروفيتش سيسافر الآن الى بطرسبورج . ان له هنالك اعمالاً مستعجلة ملحة : انه يريد ان يفتح مكتباً للمحاماة . هو يعنى بهذا النوع من الاعمال منذ زمن طويل . وقد اتصر في دعوى هامة في الآونة الاخيرة . وينبغي له ان يسافر الى بطرسبورج حتماً لسبب آخر هو أنه سيترافع هنالك امام مجلس الشيوخ\* في قضية خطيرة . وهكذا ترى يا بنى العزيز روديا ، أنه سيكون في وسعه ان يفيدك كثيراً . لقد رأينا انا ودونيا انك ستستطيع منذ اليوم ان تبدأ مهنتك ، وأن تعد مستقبلك مضموناً ضمناً نهائياً . آه ألا ليت ذلك يتحقق ! ما أجمل ان

يتحقق ذلك ! سيكون علينا عندئذ ان نمد هذا اثرا من اثار نعمة الله علينا .  
 ان دونيا اصبحت لا تفكر الا في هذا . ولقد جازفنا انا ودونيا ،  
 فاسمعتنا بطرس بتروفتش كلمة حول هذا الموضوع ، فتكلم عندئذ  
 بشيء من التروى والتعلل فاعلن انه ، بطبيعة الحال ، ما دام لا يستطيع ان  
 يستغنى عن سكرتير ، سيفضل ان يدفع أجورا لمضو من أعضاء الاسرة  
 على ان يدفع هذه الاجور لشخص غريب ، شريطه أن يبرهن القريب  
 على انه قادر على القيام بهذه الوظيفة وعلى أداء هذه المهمة ( كأنك انت  
 عاجز عن ذلك ! ) . ولكنه لم يلبث ان ساوره شك أقصحه عنه فقال انه  
 يخشى أن لا تدع لك دراستك في الجامعة متسعا من الوقت للعمل معه .  
 وقد وقف حديثنا عند هذا الحد ولكن دونيا لا يشغل بالها الآن أمر غير  
 هذا الأمر ، وهى منذ بضعة ايام فريسة حوى حقيقية ، حتى لقد بنت  
 لمستقبلك في خيالها مشروعا ضخما : انها تقدّر انك ستستطيع في المستقبل  
 ان تصبح مساعداً بل وشريكاً لبطرس بتروفتش في أعمال المرافقات التى  
 يقوم بها ، لا سيما وانك تدرس القانون . أما أنا ، يا روديا ، فانى متفقة  
 معها كل الاتفاق ، أشاركها آراءها واشاطرها آمالها ، وأرى ان ذلك ليس  
 بالمستحيل قط . ورغم ما يظهر الآن على بطرس بتروفتش من تحفظ ،  
 وهو تحفظ يمكن فهمه جداً ( لأنه لا يعرفك حتى الآن ) ، فان دونيا  
 مقتنعة اقتناعاً جازماً بانها ستصل الى تحقيق اهدافها بفضل التأثير الطيب  
 الذى تعرف كيف تستطيع ان تحدثه فى نفس زوجها . نعم ! انها من  
 ذلك على اقتناع كامل . لقد تحاشينا طبعاً ان نكشف امام بطرس  
 بتروفتش ، ولو بكلمة واحدة ، عن احلامنا البعيدة ، ولا سيما عن حلم  
 ان نراك شريكاً له فى المستقبل . انه رجل وضعى عملى ، فقد يسيء  
 النظرة الى هذا الأمر ، لأنه لن يرى فيه الا أحلاماً . كذلك لم نشر ،  
 لا أنا ولا دونيا ، لم نشر اية اشارة الى أن نراه يساعدنا فى أن نرسل



إليك ما أنت في حاجة إليه من مال أثناء دراستك بالجامعة • اتنا لم نتكلم في هذا الامر ، أولاً لأنه سيتحقق من تلقاء نفسه في المستقبل ، ولأن بطرس بتروفيتش سيعرض عليك هذه المساعدة حتماً بدون اقوال زائدة ( لن ينقصنا الا أن يأبى هذا على دنيا ! ) لا سيما وأنك تستطيع أن تصبح ساعده الأيمن في المكتب ، وأن الأمر لن يكون اذن أمر نجدة أو هبة بل أمر أجر تحصل عليه بجهدك • على هذا النحو انما تريد دونيتشكا أن ترتب الأمور • وأنا متفقة معها في هذا كل الاتفاق • وثانياً : نحن لم نتكلم في ذلك لأننى حرصت خاصة على أن أضحك في موقف المساواة معه منذ لقائكما القادم • فحين كلمته دنيا عنك بحماسة أجاب بأن على المرء اذا هو أراد أن يحكم على رجل من الرجال أن يراه من قرب ، وقال انه يحتفظ لنفسه بحق تكوين رأى عنك بعد أن يتعرف اليك •

« هل تعرف يا روديا ، يا كنزى ، ما هو شعورى الآن ؟ يخيّل الىّ ، استناداً الى بعض الحواطر التى تساورنى ( وهى لا تتعلق ببطرس بتروفيتش ، ولا تزيد على أن تكون أهواء امرأة عجوز ) ، يخيّل الىّ أننى سوف احسن صنعا اذا أنا لم أعش معهما بعد زواجهما اننى واثقة مطلقه بأنه يملك من الكرم واللطف مايكفى لأن يدعونى من تلقاء نفسه ، ولأن يقترح علىّ أن لا أنفصل عن ابنتى. واذا كان قد سكت عن هذا الأمر حتى الآن ، فلأنه أمر بديهى لا حاجة الى الكلام فيه • ولكننى سأرفض • لقد أمكننى أن ألاحظ اكثر من مرة خلال حياتى أن الأصهار لا يحبون حواتهم كثيراً • وأنا لا أكره أن أحدث أى ازعاج لأى انسان فحسب ، وانما أريد كذلك أن أحتفظ بحريتى كاملة ما ملكت ولو لقمة من خبز ، وما بقى لى أولاد مثلك ومثل دونيتشكا • سأسكن غير بعيد عنكما اذا أمكن ذلك • هاأنا احتفظت لنهاية رسالتى بأجمل شىء يمكن أن أرفه اليك يا روديا • اعلم يا بنى الحبيب أننا ربما اجتمع شملنا كلنا ثانية في القريب ،

وأنا قد تعانق نحن الثلاثة بعد هذا الفراق الذى دام قرابة ثلاثة أعوام .  
 نعم لقد أصبح « يقيناً » منذ الآن أننا سنسافر أنا ودونيا الى بطرسبورج .  
 أما متى نسافر فلست أدري ، ولكننا سنسافر قريباً جداً ، ربما بعد  
 أسبوع . ان كل شيء رهن بالاستعدادات التى سيتخذها بطرس  
 بتروفيتش ، وسوف يبلغنا هذه الاستعدادات فور استقراره ببطرسبورج .  
 انه يحصر لأسباب معينة أن يتم الزفاف باقصى سرعة ويتمنى لو يتم  
 الاحتفال به فى غضون شهر اذا أمكن ، أو فى أقرب موعد على أكثر  
 تقدير ، أى بعد عيد الصوم الكبير فوراً . آه ! ما أعظم الفرح الذى  
 سأشعر به حين سأشذك الى قلبى ! ان دونيا تضطرب أشد الاضطراب  
 حين تتصور أنها ستسعد بقلائك . حتى لقد قالت مرة من باب المزاح انها  
 مستعدة لأن تتزوج بطرس بتروفيتش لا لشيء الا هذا ! انها ملاك ، ملاك  
 حقاً ! لن تضيف دونيا الى رسالتى هذه شيئاً ، ولكنها ترجونى أن أقول  
 لك ان هناك أموراً كثيرة تريد أن تحدثك فيها ، أشياء تبلغ من الكثرة  
 أنها لا تستطيع أن تعزم أمرها على تناول القلم ، لأن المرء لا يمكنه أن  
 يقول ببضعة أسطر شيئاً ، فلو حاول أن يكتب لما زاد على أن يثير أعصابه .  
 وهى تكلفنى كذلك بأن أضحك الى صدرى ضحاً قوياً ، أن أعانقك عناقاً  
 شديداً ، وأن أبعث اليك بقبلات لا حصر لها ولا عد .

« ولكن رغم أننا سنلتقى قريباً فان ذلك لن يمنعنى من أن أرسل  
 اليك بعض المال فى الأيام القريبة . سوف أرسل اليك ما أستطيع ارساله .  
 فالآن وقد علم جميع الناس أن دونيتشكا ستزوج بطرس بتروفيتش قريباً  
 أصبح فى وسعى فجة أن استدين مبالغ أكبر من المبالغ التى كنت أستطيع  
 أن أستدينها من قبل ، ولقد علمت من مصدر مطلع أن آتاناى ايفانوفيتش  
 سوف يثق بى فيقرضنى سلفة على معاشى تبلغ ستين روبلاً ، فقد أستطيع  
 أن أرسل اليك اذن خمسة وعشرين روبلاً بل ثلاثين . كان يمكن أن

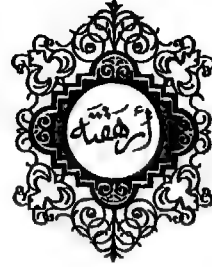
أبعث اليك بمبلغ أكبر لولا أنني أخشى نفقات الطريق بعض الحشية  
 فرغم أن بطرس بتروفيتش رجل طيب وأنه سيتحمل جزءاً من النفقات  
 التي سيقضيها سفرنا الى العاصمة ، أى رغم أنه عرض علينا أن يتولى  
 الاتفاق على شحن أمتعتنا وصندوقنا الكبير ( بفضل ما له من علاقات ) فإن  
 علينا أن نحسب حساب وصولنا الى بطرسبورج ، فليس يستطيع المرء أن  
 يجرى الى هذه المدينة بلا قرش في جيبه ، ولا سيما في الأيام الأولى . على  
 كل حال ، لقد أجرينا أنا ودونيا حساباتنا بأكثر دقة ممكنة ، فظهر لنا أن  
 رحلتنا لن تكلف نفقات باهظة . ان المسافة بين بلدتنا وبين محطة السكة  
 الحديدية لا تزيد على تسعين فرسخاً \* ، وقد اتفقنا منذ الآن مع فلاح  
 نعرفه على أن نقطع هذه المسافة بعريته كراء . ومن هناك ، سنسافر سرفاً  
 مريحاً جداً في الدرجة الثالثة من القطار . هكذا ترى أنني قد استطعت أن  
 أرسل اليك لا خمسة وعشرين روبلاً بل ثلاثين . . . . ثلاثين حقاً .

« ولكن حسبي هذا الآن ! لقد سودت ورقتين كبيرتين وجهاً وبقاً ،  
 ولم يبق فيهما متسع لمزيد من الكلام . ثم انك قد عرفت الآن قصتنا  
 كلها . . . . الله يعلم كم جرى لنا من أحداث ! والآن يا روديا ، يا كنزى  
 الحبيب . . . . أقبلك بانتظار لقائنا القريب ، وأبعث اليك برضاى عنك  
 وبركتى لك ! أحب أختك دونيا ، يا روديا . . . . أحبها كما تحبك . . . .  
 واعلم علم اليقين أنها تحبك حباً لا نهاية له ، أنها تحبك أكثر كثيراً  
 مما تحب نفسها ! هى ملاك يا روديا ! . . . . وأنت كل شيء عندنا يا روديا  
 . . . . أنت أملنا كله ، وأنت مستقبلنا كله ! حسبنا أن تسعد أنت حتى  
 نسعد نحن أيضاً ! هل تصلى لله دائماً كما كنت تصلى له يا روديا ؟  
 أما زلت تؤمن برحمة خالقنا وفادينا ؟ اننى أخشى فى قرارة قلبى أن تكون  
 الزندقة الرائجة فى هذا الزمان قد سرت عداواها اليك ! فإذا كان الامر  
 كذلك ، فانتى اصلى من أجلك ، واستغفر الله لك . تذكر يا بنى الحبيب

كيف كنت في طفولتك اثناء حياة ابيك، تذكر كيف كنت تتمتع صلواتك  
جالسا على ركبتك ، وتذكر كم كنا سعداء في تلك الايام !...  
استودعك الله يا روديا ، بل « الى اللقاء » ! اننى أشدك الى شدا قويا ،  
أحضنك بذراعى ، أعانك ، وأطبع على وجهك فلات لا حصر لها ...  
لك حتى الممات  
« بولشيريا راسكولنيكوف »

منذ بدأ راسكولنيكوف قراءة الرسالة الى أن أنهما ، لم تقطع  
الدموع عن الجريان على خديه . ولكنه حين فرغ من قراءتها ارتعش  
وجبه الذى اصفر على حين فجأة ، وطافت به ابتسامة أليمة حائقة خيثة  
شجبت شفتيه . وهاوى برأسه على وسادته الهزيلة القنطرة ، وراح  
يفكر ... راح يفكر ملياً ... كان قلبه يخفق خفقاناً قوياً ، وكانت  
افكاره مضطربة أشد الاضطراب . وأحس أخيراً باختناق في هذه الحجرة  
الصفراء التى تشبه أن تكون خزانة أو صندوقاً . ان نظراته وأفكاره  
تحتاج الى فضاء واسع . فتناول قبعته وخرج ... خرج دون أن يخشى  
في هذه المرة ان يلتقى بأحد على السلم ... أصبح لا يفكر في هذا الأمر .  
ومضى في اتجاه جزيرة فاسيلفسكى سالكاً شارع ف ... ، كأن أمراً  
ملحاً مستعجلاً كان يناديه الى هناك . ولكنه كان ، على عادته ، يسير دون  
أن يلاحظ أى شئ أثناء الطريق ، وكان يدمدم بكلام بينه وبين نفسه ،  
بل كان يتكلم أيضاً بصوت عال ، فيثير بذلك دهشة المارة ، حتى لقد  
حسبه كثير من الناس سكران .

## الفصل الرابع



رسالة أمه ارهاقاً شديداً • ولكنه فيما يتعلق بالنقطة الجوهرية الأساسية لم يساوره الشك لحظة واحدة حتى عند القراءة الأولى • كان قد اتخذ في جوهر القضية قراراً لا رجعه عنه • لن يتم هذا الزواج ماحيت. فليذهب السيد لوجين الى الشيطان! »

كان يجمعهم قائلاً وهو يتنسم ويتلذذ منذ الآن تلذذاً خيئاً بانتصار فراره : « الأمر واضح لا لبس فيه • لا يا أماء ، لا يا دونيا ، لن تستطيعا أن تخدعاني ••• وهي تعتذر أيضاً عن أنها لم تستشرني وعن أنها ربت الأمر دون علمي ودون ارادتي ! وماذا أيضاً ؟ هما تتخيلان اذن أنه لم يبق سبيل الى فسخ الخطوبة • طيب ! سوف نرى أهنالك سبيل الى ذلك أم لا ! ويا لها من حجة غريبة : انه رجل مشغول جداً ، بطرس بتروفيش هذا ••• يبلغ وقته من الازدحام بالاعمال أنه لا يستطيع أن يتزوج الا على جناح السرعة ، حتى لكأنه يتمنى أن يتم الزواج في عربة ان لم يكن في القطار ! لا ، لا يا دونيتشكا ••• واني لأعلم ما هي الأشياء « الكثيرة » التي تريدن أن تحدثني عنها ••• واني لأعلم أيضاً ما الذي فكرت فيه طوال الليل وأنت تذرعين الغرفة جيئة وذهاباً ، وما الذي طلبته في صلواتك امام « عذراء فازان » التي توجد أيقوتتها في غرفة نوم أمنا • ما أشد وعورة طريق الجلجلة !••• هم ••• هكذا

اذن ... كل شيء قد تقرر نهائياً ... تحسين أن من الخير يا أدفوتيا رومانوفا أن تتزوجى رجلاً من رجال الأعمال ، رجلاً وضعياً عملياً ، يملك رأس مال له ( أو فلنقل يملك « منذ الآن » رأس مال له ، فذلك أقرب الى الجدد والى فرض المهابة والاحترام ) رجلاً هو « فيما يبدو » طيب ( كما تلاحظ دونيا نفسها ) • ما أبلغ هذا التعبير : « فيما يبدو » ! ان دونيتسكا هذه نفسها هى التى ستزوج ذلك الرجل ، الطيب « فيما يبدو » ! رائع ! رائع ! ...

« ... على أتى يهمنى أن أعرف لماذا حدثتى أُمى فى رسالتها عن الأجيال الجديدة ، ؟ تُرى أُمى فعلت ذلك من اجل ان تصف لى طبع الرجل فحسب أم فعلته لغاية أبعد من ذلك هى أن تهينى لان أحكم على السيد لوجين حكماً حسناً وأن أرى فيه رأياً جيداً ؟ أه ... يا للماكرتين ! وانه ليهمنى أيضاً ان اعرف الحقيقة فيما يتعلق بالنقطة التالية : الى أى حد كانت كل منهما صريحة مع الأخرى فى ذلك اليوم وفى تلك الليلة وفى سائر الوقت ؟ هل نُطقت جميع « الكلمات » حقاً ، أم ان كلاهما قد فهمت ما يدور فى قلب الأخرى وما يعجرى فى فكرها ، فكان كل كلام زيادة لا طائل تحتها ولا داعى اليها ؟ لعل الأمر كان كذلك ، فى جلته على الأقل ... هذا ما يدركه المرء حق الادراك من الرسالة نفسها : فالرجل قد بدا لأمى « مسرفاً فى الصرامة بعض الاسراف » ، ولا بد أن تكون أُمى بساذجتها المعهودة فيها قد أسمعت دونيا ملاحظتها الماعاً وتلميحاتها ، ولا بد أن تكون الأخرى قد اغتاضت طبعاً فكان فى جوابها شيء من « الغضب والحزن » • ذلك طبعى ! من ذا الذى يمكن أن لا يغضب حين يكون الأمر واضحاً بقاءً العنين ، وحين لا يكون ثمة حاجة الى أية ملاحظة تقال ، وحين يكون كل شيء قد تقرر فلا داعى الى كلام ؟ ولماذا تكتب لى أُمى قائلة : « أحب دونيا ... فهى تحبك اكثر من نفسها ؟ » •

أليس مرد هذا الى عذاب الضمير الذى يبرحها خفية ، لأنها ضحّت  
 فى سيل ابنها بابتها ؟ « انت املنا كله • انت عندنا كل شيء » آه يا أماء !  
 ان غضباً ما ينفك يشتد ويقوى كان يتجمع فى نفسه ويتراكم ،  
 فلو لقي السيد لوجين فى تلك اللحظة ، اذن لقتله فى اغلب الظن •  
 واصل يقول متابعاً اعصار أفكاره الذى كان يعصف فى رأسه :  
 « هم ••• هذا حق ••• هذا حق ••• من أراد أن يعرف أحداً فعليه  
 « أن يتصرف ازاءه تصرفاً فيه كثير من التروى والتقل والحكمة  
 والحد ••• ولكن السيد لوجين واضح شفاف • هو قبل كل شيء • رجل  
 من رجال الأعمال • وهو « طيب فيما يبدو » • ألا نرى أنه يتولى شحن  
 أمتعهما وصندوقهما الكبير على نفقته ؟ فكيف لا يكون اذن طيباً ؟ والخطية  
 والأم كلتاهما تستأجران فلاحاً يملك عربة ذات مظلة ( أنا أعرف ما هذا  
 فقد بلوته ، وقطعت هذه المسافة بتلك الطريقة ) • أى ضمير ؟ ان المسافة  
 لا تزيد على ٩٠ فرسخاً ، • ومن هالك مسافر سافراً مريحاً جداً فى الدرجة  
 الثالثة من القطار • • الف فرسخ فى الدرجة الثالثة ! معقول جداً : ان  
 كل انسان ينفق ما تسمح له موارده بانفاقه ! ولكن ما رأيك انت يا سيد  
 لوجين ؟ ما رأيك أنت ؟ الفتاة خطيئك ••• ولا بد أنك تعلم أن الأم  
 ستقرض سلفة على معاشها لتستطيع سدّاد نفقات الرحلة ! عقلك عقل  
 تجارى محض طبعاً ••• انت تنظر الى الأمر نظرتك الى مشروع تجارى  
 يشترك فيه طرفان يقسمان ارباحه نصيبين متساويين ، فلا بد أن يسهم  
 كلا منهما فى نفقاته بنصيبه كاملاً • لسان حالك يقول ما يقوله المثل  
 السائر « الحبز والملح لى ولك ، أما التبغ فلكل تبغه الخاص به » • ولكن  
 رجل الاعمال قد غشهما وغبنهما فى هذه النقطة أيضاً : نفقات شحن الأمتعة  
 اقل من نفقات السفر ، وقد يستطيع رجل الاعمال هذا ان يشحن الأمتعة  
 بالمجان • أهما لا تريان هذا أم هما لا تريدان أن ترياه ؟ والعجيب أنهما

راضيتان ، راضيتان ! وما هذه الا الازهار أما الثمار فستأتي بعد ذلك !  
وأخطر ما في الامر ليس هو البخل ، ليس هو الشح ، وانما هو هذا  
« الطابع » العام الذى يطبع الامر كله مؤذنا بما ستصير اليه الاحوال بعد  
الزواج . . . . . وأمى : ما بالها تريد ارتكاب حماقات ؟ بماذا ستصل الى  
بطرسبرج ؟ بثلاثة روبلات فى جيبتها ، أو « بورقتين صغيرتين » \* كما  
تتصور العجوز المسكينة ؟ هم . . . . . وعلى أى شئ تعول من أجل أن  
تعيش بعد ذلك فى بطرسبرج ؟ ولقد استطاعت مع ذلك ، كما تدل بعض  
القرائن ، أن تدرك أنه سيستحيل عليها أن تعيش مع دونيا حتى اثناء  
الآونة الأولى من الزواج . لا شك أن الرجل العزيز قد كشف القناع  
عن نفسه بطريقة أو أخرى ، لا شك أنه قد أفهمهما الأمر ، رغم أن أمى  
تستبعد هذا الافتراض بكلتا يديها قائلة : « أنا سأرفض » . فعلى أى شئ  
تعول اذن ؟ أمى تعول على معاشها الذى يبلغ مائة وعشرين روبلا  
سيقتطع منها الدين المقرض من آتاناى ايفانوفتش ؟ انها تقضى الشتاء كله  
فى حياكة مناديل وتطريز أكمام ، فترهق بذلك عينها المتعبتين . ولكن  
حياكة المناديل وتطريز الأكمام لا يضيفان الى المائة وعشرين روبلا فى  
السنة الا عشرين أخرى . أنا اعلم ذلك ! هى اذن تعتمد رغم كل شئ  
على كرم القلب ونبيل النفس لدى السيد لوجين : « سيرض على من تلقاه  
نفسه أن يساعدني ، وسيلج<sup>2</sup> . . . . » . لقد اخطأ ظننا فلن نتال ما تمنناه !  
هكذا حال النفوس الرومانسية دائماً : تظل حتى آخر لحظة تزيتن الناس  
بريش الطاووس ، تظل حتى آخر لحظة تفترض الخير لا الشر ؟ ورغم  
تصورها وجود الشر فانها لا يمكن أن تعترف بذلك لنفسها بحال من  
الأحوال : ان تصور هذا وحده يصددها ويهزها هزاً قوياً . فهى يديها  
تحتجب وجهها حتى لا ترى الحقيقة ، الى أن يأتي الاسمان الذى زيتته  
بريش ملون من خيالها فيصفع وجهها ويدهم أنفها بيده نفسها . ليتنى



أعرف هل يحمل السيد لوجين أوسمة • اننى أراهن على أنه يملك وسام  
« القديسة حنة » \* وأنه يزين به عروته حين يذهب الى حفلة عشاء  
يقيمها أحد من المقاولين أو كبار التجار • ولن ينسى أن يفعل ذلك أيضاً  
يوم زفافه ! على كل حال ••• شيطان يأخذه !•••

« ووالله ... انى لأسامح أمى ، فهى كما هى ، كان الله فى عونها !..  
ولكن ماذا أقول عن دونيا ؟ اننى اعرفك يا عزيزتى دونيتشكا ! كنت قد  
بلغت العشرين من عمرك حين التقينا آخر مرة • وقد ادركت طبعك  
وفهمت خصالك منذ تلك اللحظة • أمى تقول « ان دونيتشكا تستطيع  
احتمال أشياء كثيرة » ••• نعم ••• هذا أمر اعرفه ، اعرفه منذ سنتين  
ونصف سنة ••• وانا منذ سنتين ونصف سنة ، لا أفكر الا فى « هذا » ،  
لا أفكر الا فى « هذا » نفسه ••• وهو أن دونيتشكا « تستطيع احتمال  
أشياء كثيرة » • لئن استطاعت أن تحتل السيد سفديريجايلوف ، وأن  
تحتل كل العواقب التى ترتبت على سلوكه ، فهذا دليل على أنها تستطيع  
فعلاً أن تحتل أشياء كثيرة !••• وها هما الآن ، هى وأمى ، قد تخيلنا  
أن فى الأماكن احتمال رجل مثل لوجين ، لا يتخرج من شرح مزاي  
زواج الرجل بامرأة فقيرة لتشعر بفضلها عليه ، ولا يتخرج من شرح  
هذه النظرية منذ أول لقاء ! طيب ••• لنسلم بأن ذلك قد « أفلت » من  
لسانه على غير ارادة منه ، رغم أنه رجل وضعى عملى ( فمن الجائز أن  
شيئاً لم يفلت من لسانه افلاتا وانما هو أراد عامداً أن يوضح الأمور دون  
أن يضيع وقتاً ) • ولكن ماذا أقول فى دونيا ؟ ماذا أقول فى دونيا ؟  
لا شك أنها قد كشفت الرجل وأزاحت القناع عن وجهه وعرفه على  
حقيقته ، ثم هى تقبل أن تعيش معه ! اننى اعرفها : انها تؤثر أن لا تأكل  
الا خبزاً وأن لا تشرب الا ماءً ، على أن تباع روحها !••• انها لا يمكن  
فى سبيل الحصول على الرخاء والدعة أن تباع روحها وأن تفقد حريتها !

انها تأبى أن تتنازل عن هذه الحرية في سبيل دوقية شلفسفيج هولشتاين\*  
 كلها ، فكيف تتنازل عنها في سبيل السيد لوجين ؟ ... لا ! ان دونيا التي  
 أعرفها لم تكن هكذا ... ولا يمكن أن تكون قد تبدلت هذا التبدل كله  
 ... ذلك مستحيل ! ... فماذا أقول ؟ صحيح أنه أمر شاق عليها أن  
 تحتمل أمثال آل سفديريجايلوف ، وأن تظل طوال حياتها تمضي من اقليم  
 الى اقليم لتعمل مربية في سبيل أن تجني مائتي روبل . ولكني أعلم أن  
 اختي تؤثر أن تساء معاملتها كما يسيء مزارع معاملة زنجي أو كما يسيء  
 الماني من مقاطعات البلطيق معاملة رجل ليتواني \* ، على أن تدنس روحها  
 وأن تفسد حسنها الأخلاقي بالارتباط الى الأبد برجل لا تحبه ولا يجمعها  
 به شيء ! ولا بد أن ترفض أن تصبح خلية شرعية للسيد لوجين ولو  
 كان السيد لوجين ذهباً كله أو ماساً كله ! فلماذا تقبل هذا الزواج الآن؟  
 ما هو مفتاح السر ؟ الأمر واضح ! لو كانت تنشئ مصلحتها هي ورعاها  
 هي ، لرفضت أن تبيع نفسها ولو لتجنب الموت . اما في سبيل شخص  
 آخر فانها مستعدة لأن تبيع نفسها ! نعم انها في سبيل شخص محبوب ،  
 في سبيل شخص محبوب ، مستعدة لأن تبيع نفسها ! ذلك هو مفتاح اللغز :  
 انها في سبيل أخيها وفي سبيل أمها قادرة على أن تبيع نفسها ، على أن  
 تبيع كل شيء ! آه ... نعم اننا نستطيع عند اللزوم ان نخلق حتى احساسنا  
 الاخلاقي ! اننا نستطيع عند اللزوم أن نحمل الى السوق كل شيء فنيعه  
 فيها : الحرية ، الطمأنينة ، وحتى راحة الضمير ! ألا فلتحطم حياتنا اذا  
 كان في ذلك سعادة لأولئك الذين نحبهم ! واكثر من ذلك أننا نلحق  
 لأنفسنا عندئذ سفسطة خاصة نتعلمها من اليسوعيين فريخ ضمائرنا الى  
 حين ، مسوِّعين أعمالنا قائلين لأنفسنا : ان ما فعلناه هو ما كان ينبغي لنا  
 ان نفعله ما دما نعمل في سبيل هدف نبيل وغاية شريفة ! نحن جميعاً  
 هكذا . كل شيء واضح الآن وضوح النهار . لا شك أن روديون

رومانوفيتش راسكولنيكوف ، ولا أحد سواه ، قد احتل المقام الأول من الاعتبار فى هذه القصة . كيف لا ؟ ان من الواجب ان نعمل لتوفير السعادة له ، وأن نعيّله ما ظل فى الجامعة ، وأن نجعله فى المستقبل شريكاً لرجل من رجال الاعمال ، أى أن نضمن له مستقبله ، فيصبح غنياً محترماً مرموقاً ، حتى لقد يصل فى أواخر أيامه الى المجد . والأم ؟ ما قولنا فى الأم ؟ كيف تضجى بابتها هذه التضحية ؟ ولكن الأمر هنا امر ولدها الأول ، أمر ابنها روديا ، أمر ابنها الغالى روديا ! فكيف لا تضجى فى سبيل مثل هذا الولد الأول بمثل هذه البنت ؟ يا لظلمك أيتها القلوب العزيزة ! أتجهلين اذن أن المرء قد تدفعه نية كهذه النية أن يشاطر صونيا مصيرها ؟ نعم صونيا ، صونيتشكا مارملادوفا ، صونيتشكا الخالدة ، الخالدة خلود العالم ! ولكن هل تصورتما كلكما مدى هذه التضحية ؟ هل هذه التضحية هى حقاً ما تفكران فيه ؟ هل تملكان القدرة على القيام بهذه التضحية ؟ وهل هذه التضحية مفيدة حقاً ؟ هل تعلمين يا دونيتشكا ان مصير صونيا ليس أظلم من مصير امرأة قضى عليها أن تعيش مع السيد لوجين ؟ ان امى تقول : « لا مجال للكلام عن حب حقيقى » ولكن ماعسى يحدث ، بصرف النظر عن قضية الحب هذه كلها ، اذا لم يكن هنالك أيضاً شئ من الاعتبار والاحترام ، بل كان هنالك منذ الآن نفور واحتقار واشمئزاز ؟ ما عسى يحدث حينذاك ؟ سيكون من الواجب عندئذ مرة أخرى « مراعاة النظافة » . أليس الأمر كذلك ؟ هل تفهمان ، هل تفهمان حق الفهم ماذا تعنيه هذه « النظافة » ؟ هل تدركان ان هذه النظافة لا تختلف فى نظر رجل مثل لوجين عن نظافة صونيتشكا ، بل من الممكن أن تكون أحقر منها وأدنى وأسفل ، لأنك يا دونيتشكا تستهدين مؤيداً من الرخاء ، أما هنالك فالأمر لا يزيد على الرغبة فى تحاشي الموت جوعاً . انها تكلف ثمناً باهظاً ، باهظاً جداً يا دونيتشكا ، تلك النظافة ! وماذا

إذا أصبح الحمل في المستقبل أثقل من أن تطيقه ، فاستبدت بك الندامة ؟  
 ما أشد ما ستشعرين به عندئذ من حزن ومن كرب ، وما أكثر ما سيلحق  
 ضميرك عندئذ من لعن ، وما أغزر ما ستدرفين عندئذ من دموع تخفيها  
 عن أعين الناس ، لأنك لست امرأة مثل مارتا بتروفنا على كل حال ؟  
 وما عسى تصير إليه انا حينذاك ؟ انها منذ الآن قلقة معذبة ، فكيف تكون  
 حالها في المستقبل حين ترى كل شيء رؤية واضحة ؟ وأنا ؟ .. ما الذي  
 تظنيه فيّ اذن ؟ اننى لا أريد هذه التضحية يا دويتشكا ! اننى لا أريدها  
 يا أماء ! لا ، لن يتم هذا الأمر ما حيت ، لن يتم ، لن يتم ! اننى  
 أرفضه ! .. ، \*

هنا تاب راسكولنيكوف الى رشده فجأة ، فتوقف عن السير ، ثم  
 واصل يخاطب نفسه : « لن يتم هذا الزواج ؟ ولكن ما عساك تفعل حتى  
 تحول دونه ؟ أتمنعهما ؟ ولكن بأى حق تمنعهما ؟ ما الذى تستطيع أن  
 تبدعهما به فى مقابل ممارسة مثل هذا الحق ؟ ان تقف عليهما حياتك كلها  
 ومستقبلك كله متى أنهيت دراستك ووجدت عملاً ؟ أغنية معروفة ! ..  
 ذلك كله هو المستقبل ، فماذا فى الحاضر ؟ يجب عليك اذن أن تعمل شيئاً  
 منذ الآن ، هل تفهم ؟ فماذا تفعل انت الآن ؟ انك تعيش عائلة عليهما •  
 والمال الذى تنفقانه عليك انما تقترضانه سلفةً على معاش التقاعد وعلى  
 أجور من أمثال سفديرجايلوف ! وكيف عساك تحميها من امثال  
 سفديرجايلوف وأمثال آتانازى ايفانوفيتش فاخروشين ؟ انت يا مليونير  
 المستقبل ، انت يا اله الأولب الذى تتحكم بمصيرها ، أبعد عشر سنين  
 تفعل لهما شيئاً ؟ ولكن امك ستكون بعد عشر سنين قد فقدت بصرها  
 من فرط اكبابها على حياكة المناديل ، وربما من فرط ذرفها للدموع ،  
 وسيكون تكرر الصيام عن الطعام والحرمان من الغذاء قد انتصر عليها  
 فهدم جسمها ! .. أما اجثك .. فهياً تخيل قليلاً ما ستصير إليه بعد

عشر سنين ، هيّا تخيل قليلاً ما ستؤول اليه حالها بعد عشر سنين ! • • •  
هكذا ، بهذه الأسئلة ، انما كان راسكولنيكوف يعذب نفسه ،  
فكان الاحتياج الذى يحسّه من ذلك يستحيل الى نوع من تلذذ • على ان  
هذه الأسئلة ليس فيها شيء غير متوقع • انها غير جديدة عليه ، بل هي  
قديمة جداً ، وهى تعذبه منذ زمن طويل • نعم ، لقد كانت هذه الأسئلة  
تعذبه وترهقه وتمزق قلبه منذ زمن طويل • لقد كان هذا القلق يشب  
فى نفسه وينمو ويتراكم منذ زمن طويل • ونضج هذا القلق فى الآونة  
الأخيرة ، وتركز وتكتف ، فاذا هو يتخذ صورة سؤال رهيب ، سؤال  
وحشى عجيب مسعور ، يضنى قلبه وفكره ، ويطلب جواباً لا مسيل الى  
تحاشيه • وما هي ذى رسالة أمه تنقض عليه فجأة كما تنقض الصاعقة •  
أصبح واضحاً أن الواجب الذى يقع على عاتقه الآن ليس هو أن يتشكى  
وأن يتألم قاعداً لا يعمل ، وانما ينبغى له الآن أن يفعل شيئاً بأقصى سرعة  
ممكنة ، بل وينبغى له أن يفعل شيئاً على الفور • ان من واجبه أن يتخذ  
قراراً مهما كلف الأمر ، أيا كان هذا القرار ، أو أن • • •

ثم صاح يقول فجأة بصوت عال وقد خرج عن طوره : • • • أو  
أن أستغنى عن الحياة ، فأقبل مصيرى صاغراً الى الأبد ، وأخفق فى نفسى  
كل شيء ، وأتنازل عن حقى فى أن أعمل ، وأن أحيا ، وأن أحب ! • •

وتذكر السؤال الذى ألقاه عليه بالأمس مارمیلادوف ، فقدم  
يردّده : « هل تدرك يا سيدى العزيز ما معنى أن لا يعرف الانسان الى  
أين يذهب ؟ ذلك أنه لا بد لكل انسان أن يستطيع الذهاب الى مكان ما » • •

وارتتش راسكولنيكوف على حين فجأة • ان فكرة آتية من الليلة  
البارحة هي أيضاً قد ومضت فى ذهنه مرة أخرى • ولكن لئن ارتتش ،  
فانه لم يرتتش لأن هذه الفكرة قد ومضت فى ذهنه • لقد كان يعلم ،

كان يوجس أن هذه الفكرة لا بد أن تعاوده ، فكان يتوقعها وينتظرها •  
غير أن هذه الفكرة ليست الآن ما كانت في الليلة البارحة ، والفرق بينها  
وبين فكرة الليلة البارحة أنها لم تكن منذ شهر ، ولا في الليلة البارحة ،  
الا حلماً ، أما الآن ... أما الآن فهي لا تعرض لفكره في صورة حلم ،  
بل هي تعرض له في صورة جديدة ، في صورة رهيبه مخيفه ، لا عهد  
له بها من قبل ... لقد أدرك ذلك على حين بغتة ... فأخذ الدم يدق  
في صدغيه ، واسودَّ كل شيء أمام عينيه •

ألقي على ما حوله نظرة سريعة • كان يبحث عن شيء ما • كان  
يريد أن يجلس ، فهو يبحث عن دكة يقعد عليها • انه الآن في شارع  
ك ... وعلى مسافة مائة خطوة توجد دكة •

اتجه راسكولنيكوف نحو الدكة بأقصى سرعة يستطيعها ، غير أن  
حادثاً صغيراً وقع له أثناء الطريق ، فشدد انتباهه كله خلال بضعة دقائق •

لقد لمح ، وهو يبحث بنظره عن الدكة ، لمح امرأة كانت تسير أمامه ،  
على بعد عشرين خطوة تقريباً • غير أنه في أول الأمر لم يولها أى انتباه ،  
كما لم ينتبه الى كل ما كان قد صادفه حتى الآن • لقد اتفق له ، مراراً  
كثيرة ، أن رجع الى منزله دون أن يتذكر الطريق الذى سلكه • تلك  
عادة أصبحت راسخة فيه • ولكن المرأة التى تسير أمامه الآن فيها شيء  
يبلغ من الغرابة والشذوذ ومن القدرة على لفت النظر وخطف البصر ،  
أن انتباهه قد تركز عليها شيئاً بعد شيء ، رغم ارادته وعلى ما يشبه المضض  
في أول الأمر ، ثم بقوة ما تنفك تزداد بعد ذلك • واستبدت به رغبة  
مفاجئة في أن يعرف ما هو الشيء الذى يبلغ في هذه المرأة ذلك المبلغ كله  
من الغرابة • وسرعان ما أدرك أنها لا بد أن تكون فتاة في ريعان الشباب •  
كانت الفتاة ، رغم الحر الشديد ، تسير حاسرة الرأس بلا مظلة

ولا قفازين ، مرجحة يديها بحركات غريبة مضحكة . وكانت ترتدى ثوباً صغيراً من حرير خفيف ، لكن فيه شيئاً من الغرابة والشنوذ هو أيضاً ، فلا يكاد يضم طرفيه ابريم ، وقد انشق من الحلف عند الحصر ، وتمزق جزء كبير من أسفله فتهدل . وكانت تضع حول عنقها العاري منديلاً قد لُفَّ مقلوباً . وكانت الفتاة ، فوق ذلك ، تمشي مشية مضطربة ، فهي تتعثر وتترنح ذات اليمين وذات الشمال . ان هذا اللقاء أثار كل اهتمام راسكولنيكوف آخر الأمر . وقد أدركها لحظة كانت تقترب من الدكة ، ولكن الفتاة ما ان وصلت الى الدكة حتى تهالكت تجلس على أحد طرفيها ، وتقلب رأسها الى وراء فتسند الى ظهرها ، وتغمض عينيها وقد ظهر عليها أنها محطمة من فرط التعب . فلما تأملها لم يلبث أن لاحظ أنها ثملة قد أخذ السكر منها كل مأخذ . وكان ظهورها على هذا النحو يبلغ من الغرابة والشنوذ أن راسكولنيكوف تساءل هل تصدقه عيناه . كان أمامه وجه بائس في ميعه الصبا ، وجه لا يزيد عمره على ستة عشر عاماً ، وقد لا يزيد على خمسة عشر عاماً ، دقيق نحيل يحف به شعر أشقر ، جميل ولكنه محتقن حتى وكأنه متنفخ متورم . وكان يبدو أن الفتاة لا تعي شيئاً . لقد وضعت ساقاً فوق ساق ، فأنكشف من ساقها ما لا يليق أن ينكشف ، وأغلب الظن أنها كانت لا تكاد تدرك أنها في الشارع .

لم يجلس راسكولنيكوف ، ولكنه لم يشأ أيضاً أن ينصرف ، فبقى واقفاً أمامها وقد أستولت عليه الحيرة واستبد به الاضطراب . كان الشارع شبه خال : ففي الساعة الواحدة بعد الظهر من ذلك اليوم ، أثناء ذلك الحر الشديد ، لم يكد يمر في الشارع أحد . ومع ذلك فلي بعد خمس عشرة خطوة ، كان قد وقف سيد عند حافة الشارع يبدو واضحاً أنه يريد هو أيضاً أن يقترب من الفتاة لغاية واضحة . لا شك أنه كان هو

أيضاً قد لمحها من بعيد فبعها • ولكن راسكولنيكوف يضايقه الآن  
 ويزعجه • ألقى السيد على راسكولنيكوف نظرات فيها كره وبنفس ،  
 محاولاً مع ذلك أن لا يظهر من هذا شيئاً ، وأخذ ينتظر ، بفارغ صبر ،  
 انصراف هذا المتشرد الذى جاء فى غير أوانه ليحتل مكانه • كان الأمر  
 اذن واضحاً • والسيد رجل فى نحو الثلاثين من عمره ، بدين الجسم ،  
 سمين ، نضر الوجه ، يعلو شفتيه شاربان صغيران ، ويرتدى ثياباً أنيقة  
 كل الأناقة • غضب راسكولنيكوف غضباً رهيباً ، واستبدت به على حين  
 فجأة رغبة جامحة فى أن يهين هذا السيد المتجمل المتأنق بطريقة أو  
 بأخرى ، فترك الفتاة لحظةً ، واقرب من السيد ، وصاح يقول وهو يشد  
 قبضتى يديه ضاحكاً مزُبدًا :

– هيه ! أنت ! سفديرجايلوف !

فسأله الرجل بلهجة قاسية متعالية متكبرة وقد قطب حاجبيه وظهرت  
 الدهشة فى وجهه :

– ما معنى هذا الذى تقول ؟

– معناه اغرب عن وجهى ! هذا معناه !...•••

– كيف تجرؤ أن تقول هذا الكلام أيها الوغد الحقير ؟

قال الرجل ذلك وشهر سوطه يلوّح به • فما كان من  
 راسكولنيكوف الا أن هجم عليه قابضاً كفيه ، حتى دون أن يقول لنفسه  
 ان هذا السيد السمين يستطيع بسهولة أن يجهز على شخصين من قَدّه •  
 ولكن أحداً قد أمسكه من خلف فى تلك اللحظة نفسها امسكاً  
 قوياً : انه رجل من رجال الشرطة يتدخل فى المشاجرة •

– هيه ! ما بالكما أيها السيدان ؟ هلاًّ امتعتما عن الاقتال فى الطريق

العام ؟



ثم قال يسأل راسكولنيكوف بلهجة قاسية بعد أن تفحص أسماله  
البالية :

- ماذا تريد ؟ من أنت ؟

تفرس فيه راسكولنيكوف باتباه • ان للرجل وجه جندى شجاع  
طيب ، مع شاربين ولحيتين على العارضين قد وخط شعرهما الشيب ، وان  
له نظرة تفيض تعبيراً عن الحس السليم والعقل الراجح •

صرخ راسكولنيكوف يقول وهو يمسك ذراع الشرطى :

- أنت أنت من احتاج اليه !

والتفت يخاطب السيد بقوله :

- اسمى راسكولنيكوف ••• اذا كنت تريد أن تعرف اسمى !•••

وعاد يخاطب الشرطى فقال :

- تعال معى ! سأريك شيئاً !

وقاد الشرطى من يده الى الدكة ، وأخذ يتدفق فى الكلام قائلاً له :

- انظر ! انها سكرى تماماً ••• كانت مارة فى الشارع منذ قليل  
••• لا يدرى أحد من أين خرجت ••• ولكن لا يبدو عليها أنها محترقة  
••• أغلب الظن أنهم اسكروها فى مكان ما ، ثم عبثوا بها ، لأول مرة  
فى حياتها ••• هل تفهم ؟ ثم رموها فى الشارع ••• انظر الى ثوبها كيف  
تمزق ••• انظر اليه كيف لبس ••• انها لم تلبس ثيابها بنفسها ، بل  
ألبسها اياها ثيابها ••• ألبيتها ثيابها أيد غير خيرة ، ألبيتها ثيابها أيدي  
رجال ••• ذلك واضح ! ثم انظر الآن هناك : انظر الى ذلك الرجل  
المتأنق الذى يحسب نفسه جميلاً ، والذى أردت أنا أن أضربه منذ لحظة  
••• أنسى لا أعرفه ••• ما رأيته فى حياتى قبل اليوم ! لكنه لاحظها هو

أيضاً فى الطريق ، فأدرك أنها سكرى ، وأنها فاقدة شعورها كله . وهو الآن تحرقه رهية فى أن يقترب منها وأن يقودها الى مكان ما وهى على هذه الحالة ... ذلك هو ما يريده حتماً ... صدق أننى غير مخطئ ... لقد رأيت بنفسى كيف رصدها وتبعها ... ولكن وصولى أفسد عليه خطته ، فكان ينتظر أن أنصرف ، وما يزال ينتظر أن أنصرف ... انظر اليه ... لقد ابتعد قليلاً ... وها هو ذا يقف متظاهراً بأنه يلف سيجارة ... كيف نفعل حتى لا ندع له أن يستولى عليها ؟ ليتنا نستطيع أن نقودها الى منزلها ... ما رأيك ؟

سرعان ما أدرك الشرطى الموقف . ان حالة السيد السمين واضحة لا سبيل الى الشك فيها . بقى أن تُعرف حالة الفتاة . مال الشرطى الطيب عليها ليراها من قرب ، فارتسمت على قسماط وجهه عاطفة شفقة صادقة . ودمدم يقول وهو يهز رأسه :

— يا للمسكينة ! ما تزال طفلة حقاً ! لا شك انهم عبثوا بها !

ثم أضاف يناديها :

— اسمعى يا آمنة ! اين تسكنين ؟

فتحت الفتاة عينها المكدودتين المضطربتين الزائشتين ، وألقت نظرة مشدوثة على الرجلين المزعجين ، وأجرت يدها بحركة كأنها تريد أن تطردهما .

قال راسكولنيكوف وهو ينبش جييبه فيخرج منه عشرين كوبكاً كانت ما تزال فيه :

— اسمع ! خذ هذه النقود ، وناد حوذاً ، ومُرّه أن يقودها الى

بيتها . ليتنا نستطيع ان نعرف عنوانها ! ...

عاد الشرطى يقول وهو يتناول النقود :

- يا آمنة ! هيه ! يا آمنة ! سأنادى عربة على الفور فأعود بك الى منزلك بنفسى ! الى اين يجب أن أقودك ؟ قولى ! اين تسكنين ؟

فجمجمت الفتاة تقول وهى تجرى يدها بتلك الحركة نفسها :

- دعونى وشأنى ! لا تشبهنوا بى !

- آم ! ليس هذا بالمستحسن يا آمنة ! هذا عيب • هذا عيب حقاً • وهز رأسه من جديد ، معبراً عن الحرج والشفقة والاستكار فى آن واحد ، ثم تابع كلامه يخاطب راسكولنيكوف وهو يروزه مرة أخرى من أخص القدمين الى قمة الرأس ( كان يستغرب أن يهب المرء نقوداً ثم هو يرتدى مثل هذه الأسمال الرثة البالية ) :

- نعم ••• العنوان ••• تلك هى المسألة !•••

وأضاف يسأله :

- هل التقيت بها فى مكان بعيد عن هنا ؟

- سبق أن قلت لك : كانت تسير أمامى مترنحة ، هناك ، فى الشارع ، فما ان وصلت الى الدكة حتى تهاوت عليها !

- آم ! ما أكثر العار الذى سقط على العالم يا رب ! أطفلةٌ وسكرى ؟ لا شك أنهم قد عبثوا بها ! ذلك واضح ••• انظر الى ثوبها كيف تمزق كل التمزق ••• هه ••• ان الدعارة تحقق تقدماً كبيراً فى هذا الزمان !••• ومن يدرى ؟ لعلها من أسرة طيبة جار عليها الدهر فأصابها بالدمار ••• أمثال هذه الحالات كثيرة فى هذه الأيام ••• ان المرء حين يراها لطيفةً هذا اللطف كله مرهفةً هذه الرهافة كلها ، يمكن أن يحسبها آمنة •

قال الشرطى ذلك ومال عليها من جديد • لعل له هو أيضاً بنات

« تبلغ من اللطف والرهافة أن المرء يمكن أن يحسبهن آنسات »  
يصطنعن آداب الفتيات الراقيات •

قال راسكولنيكوف :

— الأمر الأساسى هو ألا تتركها لهذا الوغد الدنيء ! ان من الممكن  
أن يلحق بها اىذاءات جديدة • نياته واضحة وضوح النهار ! يا للوغد  
القذر ! انه لا ينصرف •

كان راسكولنيكوف يتكلم بقوة وهو يومئ الى السيد باصرار  
عنيد • سمعه الرجل فأوشك أن يغضب من جديد ، ولكنه لم يلبث أن  
عدل عن ذلك واكتفى بأن ألقى عليه نظرة احتقار ، ثم ابتعد ببطء مسافة  
عشر خطوات ، وتوقف مرة أخرى •

أجاب الشرطى العجوز واجماً مفكراً يقول :

— أن لا ندعها له فذلك يكون أمراً سهلاً اذا نحن عرفنا المكان  
الذى ينبغي أن تقودها اليه ، ولكن ...

قال الشرطى ذلك ومال على الفتاة مرة أخرى وأخذ يناديها :

— يا آنسة ! هيه ! يا آنسة ! يا آنسة !

فتحت الفتاة عندئذ عينيها محمقة ، ونظرت بانتباه كأنما هى فهمت  
شيئاً ما ، ثم نهضت عن الدكة واستأنفت سيرها فى الاتجاه الذى كانت آتية  
منه • وججمت تقول وهى تجرى يدها بتلك الحركة نفسها كأنما  
لتخلص من الرجلين : « آه ! انهم لا يخرجون ولا ينفكون يشبثون » •

كانت تمشى بسرعة ، ولكنها تترنح فى مشيتها كترنحها منذ قليل •  
تبعها السيد الأبق دون أن يحوّل بصره عنها ، سائراً فى ذلك الطريق  
نفسه •

وأسرع الشرطى ذو الشاربين الكبيرين يمشى وراءهما قائلاً  
راسكولنيكوف بلهجة جازمة :

- لا تخف ، لن أتركها !

وكرر يقول متهدأ :

- رياه ! ما هذا الفسق الذى نراه فى هذا الزمان !

فى تلك اللحظة نفسها أحس راسكولنيكوف فى داخله بما يشبه  
أن يكون وخزة ، فإذا بكل شيء فى نفسه ينقلب رأساً على عقب ، وإذا هو  
ينادى الشرطى صائحاً :

- هيه ! اسمع !

التفت الشرطى فقال له راسكولنيكوف :

- دعهما ! أى أذى يمكن ان يلحقك أنت من هذا ؟ دع الأمور  
تجرى على أعتها ! دع الرجل يتسلى ! ( قال ذلك وهو يشير يده الى  
السيد الأنيق ) • ما شأنك انت وهذا كله ؟

لم يفهم الشرطى شيئاً وحملق متعجباً • وأخذ راسكولنيكوف  
يضطك • قال ممثل الأمن العام وهو يحرك يده :

- ايه ! ايه !

وعاد يلاحق السيد الأنيق والفتاة الصغيرة • اغلب الظن أنه كان  
يعد راسكولنيكوف مجنوناً أو شراً من ذلك •

فلما أصبح راسكولنيكوف وحيداً ، دمدم يقول فى خبث : « أخذ  
منى أنا عشرين كوبكاً ، وسوف ينفضحه السيد الأنيق مبلغاً صغيراً آخر  
فيترك له البنية • نعم ••• هكذا ستنتهى الأمور ••• لماذا أفحمت نفسى

فيما لا يعني؟ لماذا تدخلت في سبيل أن أحميها؟ هل عليّ أنا أن أفرض نفسي حامياً؟ هل من حقّي أن أحمي أحداً أياً كان؟ ألا فليتهم بعضهم بعضاً أحياناً... ما شأنني أنا وهذا؟ وكيف تجرأت أن أهب تلك الكوبكات العشرين؟ أهى ملكي؟ ، ،

ورغم هذه الأقوال الغريبة ، كان راسكولنيكوف يحس بقلبه ثقيلًا ثقيلًا • جلس على الدكة المهجورة وشردت افكاره... كان يصعب عليه في تلك اللحظة أن يفكر في أي شيء • ودّ لو يغيب عنه وعيه... ودّ لو ينسى كل شيء، فما يشعر بشيء... ثم يستيقظ بعد ذلك فيستأنف حياة جديدة •

قال لنفسه وهو ينظر الى طرف الدكة الذي أصبح الآن خالياً :  
• يا للصغيرة المسكينة ! سوف تصحو فتبكي ، وسوف تعلم أمها بكل شيء •  
... فتضربها أولاً ، ثم تجلدها الى أن تتفجر من جسمها الدماء...  
ستجلدها جلداً فيه أبلغ الازلال وأعرق الاهانة... وقد تطردها من البيت... وهبها لم تطردها ، فلا بد أن تعلم بالأمر امرأة من أمثال داريا فراتسوفنا... وستأخذ الفتاة تجرى هنا وهناك ، ستأخذ تتدحرج من هنا الى هناك... ثم سرعان ما تُنقل الى المستشفى ( تلك دائما حال البنات اللواتي يعشن مع امهات شريفات جداً ويتعاطين الفحش خفية... )  
ثم تُنقل الى المستشفى من جديد... شراب وحانات ثم المستشفى دائماً... وما ان تقضى سنتان أو ثلاث حتى تصبح خطاماً... ما ان تبلغ الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة حتى تنتهي!... ألم أرَ فيات كثيرات في مثل حالتها؟ كيف كنَّ يصلن الى ذلك المصير؟ بهذه الطريقة نفسها! آه... لا خير! يقال ان الأمور يجب أن تجري هذا المجرى... يقال ان هناك نسبة مئوية لا بد أن بُضحّي بها كلَّ عام... للشیطان في أغلب الظن... وذلك في سبيل ضمانة راحة الأخريات...

نسبة مئوية ! ان لهم تعبيرات فيها كثير من الجمال حقاً ... وهى فوق ذلك تعبيرات مطمئنة جداً ، علمية جداً ! ما داموا يتحدثون عن نسبة مئوية ، فلا داعى الى أن يصدّع المرء رأسه ... آ ... لو قد استعملوا كلمةً أخرى ، فمن الجائز ... عندئذ ... أن يكون الأمر أدعى الى التقلق ... هكذا ! ... وماذا لو كان على دونيا أن تدخل فى النسبة المئوية ، بطريقة أو بأخرى ... فان لم تدخل فى هذه النسبة دخلت فى تلك على الأقل ؟ »

وتساءل راسكولنيكوف فجأة : « ولكن الى أين أنا ذاهب ؟ ألا انه لأمر غريب ! لقد كان لى هدف حين خرجت الى الشارع . فما ان فرغت من قراءة الرسالة حتى نزلت أريد الذهاب الى عند رازوميخين ، فى جزيرة فاسيلفسكى ... نعم ، ذلك هو المكان الذى كنت ذاهباً اليه ... الآن تذكرت . ولكن لماذا أذهب الى رازوميخين ؟ لماذا خطر ببالي أن أذهب الى رازوميخين لا الى غيره ، فى تلك اللحظة لا فى غيرها ؟ شىء عجيب ! »

دُهِش هو نفسه من قراراته . ان رازوميخين هو أحد رفاقه القدامى فى الجامعة . الغريب أن راسكولنيكوف ، فى أيام الدراسة بالجامعة ، لم يكن له أصدقاء تقريباً ، وكان لا يعاشر أحداً من زملائه ، لا يزور أحداً منهم ولا يستقبل أحداً . ثم ان جميع رفاقه كانوا قد تحولوا عنه بسرعة . كان لا يشارك لا فى الاجتماعات ، ولا فى المناقشات ، ولا فى المتع والمباهج ، ولا فى أى شىء آخر . وكان يعمل بجهد واجتهاد ، دون أن يراعى نفسه ، وبذلك استطاع أن يحصل على احترام جميع رفاقه . ومع ذلك لم يكن يحبه أحد منهم . وكان راسكولنيكوف فقيراً كل الفقر ، ولكنه كان مبتعداً قليل الكلام ، حتى لكأنه كان يريد أن يخفى شيئاً فى نفسه . وقد رأى بعض رفاقه أنه ينظر اليهم من

عل ، كما ينظر المرء الى الأطفال قريبا ، وكما لو كان يفوقهم ذكاء  
ونضجاً وفكراً وثقافة ورأياً . كانت اقتناعاتهم واهتماماتهم تبدو له دون  
مستواه كثيراً .

ومع ذلك ربطته صداقةٌ برفيقه رازوميخين ، مهما يكن سبب هذه  
الصداقة . على الأقل ، كان مع رازوميخين أقل امتناعاً عن الكلام ، وأكثر  
صراحةً مما كان كذلك مع أى رفيق آخر . وكان من المستحيل  
على كل حال أن يتصرف المرء مع رازوميخين غير هذا التصرف . كان  
رازوميخين فتى شديد المرح حلو المعاشرة ، وكان عدا ذلك طيب القلب  
الى حد السذاجة ، ولكنها سذاجة تخفى وراءها عمقاً صادقاً وكرامة  
لا سبيل الى جحودها ، وكان خير رفاقه يعترفون له بذلك ويجوبونه .  
ولم يكن رازوميخين بالغى ، رغم أنه كان يبدو فى بعض الأحيان بسيطاً  
بعض البساطة . وكان مظهره "يخطف الانتباه : كان طويلاً ، نحيلاً ،  
أسود الشعر ، قليل العناية بحلقته دائماً . وكان يتفق له أن يحدث  
شغباً ، وكان يُعدُّ أشبه بهرقل ، بعض الشيء . وفى ذات ليلة ، أثناء  
جولة مع رفاقه ، قلب رجلاً من رجال الأمن طوله ستة أقدام . وكان  
يستطيع أن يشرب دون قصد ولا اعتدال ، ولكنه كان يستطيع كذلك أن  
لا يشرب البتة . وكان فى بعض الأحيان يدبر لغيره المكائد ، ولكنه كان  
يعرف كيف يحمى نفسه منها . وكان رازوميخين يتصف أيضاً بهذه  
الصفة البارزة : ما من خيبة يمكن أن تثبط عزيمته وتقل شجاعته قط ،  
وما من ظرف سىء من الظروف يمكن أن يحمله على الانهيار . وكان  
يستطيع أن يسكن فى أى مكان ، ولو تحت السقوف ، وأن يتحمل آلام  
الجوع وأهوال البرد . كان فقيراً جداً ، فكان ينفق على نفسه بنفسه ،  
حاصلاً على المال من تعاطى شتى أنواع الأعمال الصغيرة . كان يعلم أن  
فى وسع المرء دائماً أن يتدبر أمره فيفى بحاجاته ، على شرط أن يعمل

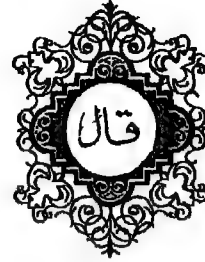


طبعاً \*\*\* وقد اتفق له أن قضى شتاء بكامله دون أن يدفع غرقه ، حتى  
لقد أكد أن لعدم التدفئة فوائد ومزايا ، لأن المرء ينام في الجو البارد نوماً  
أفضل •

وقد اضطر رازوميخين ، في ذلك الأوان ، أن يترك الجامعة هو  
أيضاً \*\*\* ولكن الى حين ، فيما كان يعتقد • فكان يحاول ، بكل ما يملك  
من قوة ، أن يصلح الحال بغية أن يستطيع مواصلة دراسته •

ان راسكولنيكوف لم يذهب اليه منذ أربعة أشهر • وكان رازوميخين  
يجهل حتى عنوان راسكولنيكوف • مرة واحدة ، منذ شهرين ، التقيا  
في الشارع مصادفةً ، ولكن راسكولنيكوف أشاح بوجهه ، حتى لقد  
انتقل الى الرصيف من أجل أن لا يرى • أما رازوميخين فانه مضى في  
طريقه رغم أنه لمح راسكولنيكوف ، وذلك لأنه لا يريد أن يزعب  
« صديقه » •

## الفصل الخامس



راسكولنيكوف يحدث نفسه : « فعلاً ، لقد كنت منذ مدة وجيزة أريد أن أطلب من رازوميخين أن يجد لي عملاً ، أن يهيئ لي دروساً ، أو أى شئ آخر ... ولكن فيم يمكن أن يفيدني الآن ؟ هبه وجد لي دروساً ، بل هبه قاسمني آخر كوبك معه ، اذا كان ما يزال يملك كوبكاً ، بحيث أستطيع أن أشتري حذاءين وأن أصلح ملابسى ، فأتمكن من اعطاء دروس ... هم ... عظيم ... ولكن ماذا بعد ذلك ؟ ما عساني صانعاً بقروش قليلة ؟ أهذا ما أنا في حاجة اليه الآن؟ حقاً انها لفكرة سخيفة مضحكة أن أذهب الى رازوميخين ... »

لماذا يذهب الآن الى رازوميخين ؟ ذلك سؤال أصبح يقلقه أكثر مما كان يترأى له أنه يقلقه . كان يتساءل بكثير من الهم والنم ومن الخوف والقلق ما هو المعنى الغيبي الشرير الذى يكمن وراء هذه الخطوة التى أراد القيام بها ، والتى تبدو مع ذلك بسيطة عادية تافهة ! ...

« هل يمكن حقاً أن لا أكون قد أردت الا أن أدبّر جميع الأمور وأرتب جميع الأشياء بفضل رازوميخين وحده ، وأن لا أكون قد اهتمت الى حل الا الاستعانة برازوميخين ؟ ، كذلك كان يتساءل مدهوشاً .

وكان يفكر ويفكر ، ويحكُ جبينه ، فاذا بفكرة غريبة تومض

في ذهنه فجأة ، بما يشبه المصادفة • أمر عجيب ! قال بفتة بلهجة هادئة كل الهدوء ، كانما هو قد اتخذ في تلك اللحظة قراراً حاسماً : « الى رازوميخين ! نعم ، سأذهب الى رازوميخين حتماً ... ولكنني لن أذهب اليه الآن ... » وانما اذهب اليه في يوم آخر ، بعد أن أكون قد أتممت القيام بذلك « الأمر » ، بعد أن يكون ذلك « الأمر » قد انتهى ، بعد أن يبدأ كل شيء على أسس جديدة » •

ثم تاب الى رشده على حين فجأة ، فقال صائحاً وهو ينتزع نفسه من الدكة اتزاعاً : « بعد أن يكون « الأمر » قد انتهى ؟ ولكن هل سيتحقق ذلك « الأمر » ؟ هل من الممكن أن يتحقق ذلك « الأمر » ؟

وابتعد عن الدكة ، وانصرف مسرعاً كأنه يركض ركضاً • ود لو يعود أدراجه ، ويرجع الى مسكنه ، ولكنه حين تصور نفسه راجعاً الى البيت ، شعر بنفور شديد : فهناك ، في ذلك المكان نفسه ، في ركنه ذاك ، في تلك الحجرة الكريهة الرهيبة ، انما نضجت فكرة ذلك « الأمر » ، منذ أكثر من شهر •

ومضى راسكولنيكوف يمشى قدماً لا يلوى على شيء • لقد تحول اضطرابه العصبى الى ارتعاشات حتمية ، حتى لقد أحس أنه يرتجف من البرد • انه يشعر ببرد أثناء ذلك القبط الشديد •

وأخذ راسكولنيكوف يتفحص جميع الأشياء التي يلقاها في طريقه ، باذلاً في ذلك جهداً كبيراً ، ولكن على غير شعور منه تقريباً ، مدفوعاً الى هذا بضرورة داخلية • لكأنه يحاول بأية وسيلة من الوسائل أن يسلو ، ولكن سعيه هذا الى السلوى لم ينجح كثيراً ، فهو ما يلبث في كل لحظة أن يعود الى الاسترسال في أحلامه ؛ فاذا هزته رعشة جديدة فرفع رأسه ونظر فيما حوله ، نسي على الفور ما كان يفكر فيه ، بل ونسي الطريق

الذى كان قد سلكه • على هذا النحو انما قطع جزيرة فاسيلفسكى كلياً ،  
 ووصل الى نهر «نيقا الصغير» \* ، فعبر الجسر واستدار الى جهة الجزر .  
 ان الحضرة وطراوة الهواء قد أراحا في أول الأمر عينيهِ المكدودتين اللتين  
 ألفتا غبار المدينة ، والكلس ، والمباني الضخمة المرهقة • هنا لا اختناق ،  
 ولا عفونة ، ولا خمارات • ولكن هذه الاحساسات الجديدة الممتعة سرعان  
 ما صارت هي أيضاً مرضية تثير الأعصاب • كان في بعض الأحيان يقف أمام  
 «فيللا» مدفونة في الحضرة فينظر من خلال السياج ، فيرى من بعيد ، على  
 الشرفات ، نساءً ترتدى أجمل الحلل ، ويرى أولاداً تركض • وكانت  
 الأزهار تجذبها خاصة ، فكان يلبث أمامها ويأخذ يتأملها • وكان يلتقي  
 بين الفينة والفينة بعربات أنيقة ويبصر رجالاً يتطون صهوات الخيول ونساءً  
 على ظهور الأفراس ترتدى سراويل الأمازون ، فكان يتبعهم نظراته ،  
 ولكنه ما يلبث أن ينسأهم حتى قبل أن يغيبوا • وفي ذات مرة توقف ليعد  
 نقوده ، فصرف أنه لم يكن قد بقي معه الا نحو ثلاثين كوبكاً • قال  
 لنفسه : « أعطيت الشرطي عشرين كوبكاً ، وأعطيت ناستاسيا ثلاثة  
 كوبكات مكافأة لها على أنها جاءتني برسالة أُمى ؛ معنى ذلك اذن أنتي  
 أعطيت أسرة مارميلادوف سبعة وأربعين أو خمسين » • لا شك أن هناك  
 شيئاً يدفعه الى أن يحصى ما معه من نقود على هذا النحو ، ولكنه سرعان  
 ما نسي هذا الأمر ، حتى لقد نسي أنه أخرج النقود وعدّها • ثم تذكر  
 النقود حين مرّ أمام مطعم حقير • لقد أحسّ عندئذ أنه جائع ، فدخل  
 المطعم ، فشرّب قدحاً من الفودكا ، وأخذ فطيرة محشوة ، فبدأ أكلها  
 في المطعم ثم أنهاه في الشارع • انه لم يشرب فودكا منذ زمن بعيد جداً •  
 لذلك أثرت فيه الفودكا فوراً رغم أنه لم يشرب الا كأساً صغيرة •  
 وتراخت ساقاه وتقلتا على حين فجأة ، وأحس برغبة قوية في النوم • فاد  
 يتجه نحو بيته ، ولكنه ما ان وصل الى جزيرة بتروففسكى حتى توقف

خائر القوى تماماً ، فترك الطريق ، ودخل في الأدغال وتهاوى على  
العشب ، فسرعان ما نام .

في حالات المرض ، تتميز الأحلام ببروز قوى وشدة خارقة ،  
وتتميز كذلك بتشابه كبير مع الواقع . قد يكون مجموع اللوحة عجيبيّاً  
شاذّاً ، ولكن الاطار ومجمل تسلسل التصور يكونان في الوقت نفسه  
على درجة عالية من العقلية ، ويشتملان على تفاصيل مرهفة جداً ،  
تفاصيل غير متوقعة ، تبلغ من حسن المساهمة في كمال المجموع أن الحالم  
لا يستطيع أن يتكرها في حالة اليقظة ولو كان فناناً كبيراً مثل بوشكين أو  
تورجنيف . وهذه الأحلام ، أعني الأحلام المرضية ، تخلف دائماً ذكرى  
باقية ، وتحدث أثراً قوياً في الجسم المضعف المهتر المختل .

كان حلماً مرعباً ، ذلك الحلم الذي رآه راسكولنيكوف . لقد حلم  
بطفولته ، هناك ، في مدينتهم الصغيرة . ان عمره سبع سنين . وها هو ذا ،  
في يوم عيد ، يتنزه مع أبيه في ظاهر المدينة . الجو دافئ ، والهواء خافق ،  
والمكان هو المكان الذي انطبعت ذكراه في خياله تماماً ، ولكنه يبدو  
في الحلم أشد وضوحاً وأكثر تميزاً مما هو في الذاكرة . المدينة الصغيرة  
تمتد مكشوفة كأنها مبسوطة على راحة الكف ؛ فليست تُرى حوايلها حتى  
صفصافة بيضاء واحدة ؛ وفي مكانٍ ما ، مكان بعيد جداً ، عند آخر  
الأفق ، تلوح بقعة سوداء هي غابة صغيرة . وعلى مسافة بضعة خطوات من  
آخر بستان من بساتين الخضار التي تحيط بالمدينة ، توجد حانة كبيرة  
كانت دائماً تحدث في نفسه أثراً أليماً ، حتى لتخيفه حين يمر بها متزهاً  
مع أبيه . كان في هذه الحانة دائماً جمهور كبير ، وضحك مجلجل ؛  
والناس يشاتمون هنالك ، ويغنون بأصوات جشَاء أغاني قبيحة بذئبة ،  
وهم خاصة يشاجرون ويقتلون في كثير من الأحيان ؛ وحول الحانة  
يتجول دائماً أفراد مخمورون لهم وجوه مرعبة ، ما ان يصادقهم الطفل

فى طريقه حتى يلتصق بأبيه ويشدّ جسمه اليه وقد أخذت أعضاؤه كلها ترتعش ... وفى مكان غير بعيد من الحانة توجد طريق أو قل يوجد زقاق عرضاني أسودٌ كثير الغبار ، يستمر متعرجاً متلوياً ، وينعطف يمناً بعد ثلاثمائة متر فيحيط بمقبرة المدينة . وفى وسط المقبرة تنصب كنيسة مبنية بالحجر ، لها قبة خضراء ، كان الطفل يذهب اليها للصلاة مع أبيه وأمه مرة أو مرتين فى السنة ، وذلك حين إقامة قداس على روح جدته التى ماتت منذ مدة بعيدة ولم يعرفها فى يوم من الأيام . وكانوا فى تلك المناسبة يحملون الحلوى التقليدية على طبق أبيض موضوع فوق منشفة : انها حلوى من الرز والسكر والزبيب المجفف المغروس فى الرز على شكل صليب . كان الصبى يحب تلك الكنيسة ، ويحب أيقوناتها التى يخلو أكثرها من الزينة ، ويحب أيضاً ذلك الكاهن الشيخ الذى كان يرتعش رأسه . وإلى جانب قبر جدته الذى تغطيه بلاطة كبيرة ، كان يوجد قبر أخيه الأصغر الذى مات فى الشهر السادس من عمره والذى لم يعرفه أيضاً فلا يستطيع اذن أن يتذكره ؛ غير أن أهله قد ذكروا له أنه كان له أخ صغير ، فكان كلما زار المقبرة يرسم على نفسه اشارة الصليب فى كثير من التقى والخشوع ، وينحني أمام القبر ويقبّله . واليكم الآن الحلم الذى رآه : رأى نفسه يسير مع أبيه فى الطريق المؤدية الى المقبرة ، فيمران أمام الحانة . انه ممسك أباه من يده ، ينظر الى الحانة مذعوراً . ان هنالك أمراً خاصاً يجذب انتباهه ! لكأن ثمة عيداً شعبياً كبيراً يحتفل به الناس : انهم عدد كبير من صغار البرجوازيين بلباس العيد ، وفلاحات مع أزواجهن ، وخليط كبير من البشر . هم جميعا سكارى وهم جميعا يغنون ؛ وامام باب الحانة ترابط عربية ، ولكنها عربية عجيبة غريبة هى عربية من تلك العربيات التى تجرها فى العادة خيول قوية ، والتى تنقل أنواعاً كثيرة من البضائع وبراميل الحمرة . كان الصبى دائماً ينظر بكثير

من اللذة والمسرة الى تلك الحيل الضخمة ذات الأعرف الطويلة والسيقان القوية ، التي تسير بخطى هادئة موزونة جارةً وراءها حملاً كأنه الجبل ضخمة ، دون أن يبدو عليها أنها تشعر بوجود هذا الحمل ، حتى لكأن الحمل يجعل سيرها أسهل وأيسر . أما الآن فإن الشيء الغريب هو أن هذه العربة الكبيرة قد قرّنت بها فرس ضعيفة واهنة هزيلة شبيهة بتلك الأفراس التي كثيراً ما رآها تضيّ بجر حمل من الحشب أو العلف على طرق متحفرة تغوص فيها عجلاتها الى المحاور ، ويضربها الفلاحون بسياطهم على 'خطمها بل وعلى أعينها ضرباً قوياً مبرحاً' . لقد كان قلبه ينقبض انقباضاً شديداً حين يرى تلك الأفراس على تلك الحال من الشقاء ، حتى ليكاد يبكي حزناً وألماً . وكانت أمه تضطر عندئذ الى اقصائه عن النافذة . وها هي ذى جلبة كبيرة تملو : ان عدداً من الفلاحين الأقوياء السكارى يخرجون من الحانة صارخين ، مغنين ، عازفين على البالالايكا ، مرتدين قمصاناً حمراء وزرقاء ، رامين أردتهم على أكافهم . وهذا واحد منهم ، وهو رجل ما يزال في شرخ الشباب سميكة الرقبة ، سمين الوجه ، أحمر اللون كجزرة ، يصرخ قائلاً لهم : « اركبوا ، اركبوا جميعاً ! سأقل الجميع ، هيا اصعدوا ! » فرعان ما تحييه قهقهات وصيحات تقول :

- أيفرس ضعيف كهذه الفرس تقودنا جميعاً ؟

- هه ! ماذا دهالك يا ميكولكا ؟ \* أتقرن دابة صغيرة هذا الصخر

بعربة ضخمة هذه الضخامة ؟

- يميناً ان الدابة تبلغ من العمر عشرين عاماً يا أخى !

- اجلسوا ! سأقل جميع الناس !

كذلك صرخ يقول ميكولكا من جديد ، وهو يشب الى العربة أول

الواثين ، فيمسك بزمام الفرس ، وينتصب في الأمام بقامته كلها ، ثم يردف قائلاً وهو في العربية :

– لقد سافر الكميث منذ هنيهة مع ماتفاى • وهذه الفرس يا اخوتي تغيطني كثيراً ، وتحطم قلبي تحطيماً • اننى مستعد لأن أقتلها • انها لا تصلح لغير انتزاع لقمة الحبز من فمى • اقول لكم : اركبوا ! اجلسوا ! سأجعلها تعدو ولسوف تعدو !

وأمسك بسوطه وهو يتلذذ سلفاً بالمتعة التي سيدوقها حين يأخذ يضربها •

قال بعضهم ضاحكاً :

– طيب ! اصعدوا ألم تسمعوا ؟ سوف تعدو الفرس •

– انها لم تعرف العدو منذ عشر سنين !

– لسوف تعدو !

– لا تأخذنكم شفقة أيها الاخوة ! فليتناول كل منكم سوطاً وليتها !

– هيا بنا ! هلموا ! اضربوا !

ركب الجميع عربية ميكولكا مقهقهين مازحين • ركب ستة رجال وما يزال في المكان متسع • أركبوا معهم امرأة سمينة حمراء الوجه • انها ترتدى صدره من قماش هندي أحمر ، وتنتعل حذاءين ساقاهما طويلتان ، وتضع على رأسها قلنسوة مزدانة بلآلىء ، وتقضم حبات بندق وتنفجر ضاحكة من حين الى حين ، والجمهور من حولها يضحك كذلك • وكيف لا يضحكون ؟ كيف تستطيع فرس ضعيفة ضامرة هزيلة أن تنجرت مثل هذا الحمل عَدْوَ ؟ وسرعان ما تناول صبيان في العربية سوطاً لمساعدة ميكولكا • ودوّت في الجو صيحات تهيب بالفرس أن تسير • أخذت



الفرس تبذل كل ما تستطيع من جهد لتسير • ولكن أنى لها أن تعدو •  
انها لا تكاد تقوى على التحرك من مكانها • فهي تراوح وتئن وتئن تحت  
ضربات سياط ثلاثة تهوى عليها • تضاعفت الضحكات في العربة وفي  
الجمهور • ولكن ميكولكا غضب • وها هو ذا من شدة حنقه وغيطه يجلد  
الفرس بمزيد من القوة كأنما هو يعتقد حقاً بأن في وسع دابته أن تجري  
عدواً •

صاح شاب صغير من بين الجمهور وقد فتنه هذا المشهد :

— هل تسمحون لي بأن أجيء معكم ؟

فصرخ ميكولكا يجيبه بقوله :

— اركب ! اركبوا جميعاً ! سوف أعرف كيف أجعل الفرس تعدو !

وأخذ يضرب ويضرب وقد استبد به حنق بلغ من الشدة أنه لم  
يلبث أن أصبح لا يعرف بماذا يضرب •

صاح الطفل يسأل أباه :

— أبت ! أبت ! ماذا يفعلون ؟ أبت ! لماذا يضربون الفرس  
المسكين ؟

قال الأب :

— تعال ، تعال ، انهم سكارى يرتكبون حماقات • تعال !  
لا تنظر اليهم ؟

وأراد الأب أن يقتاد الابن ، ولكن الطفل آفلت من يديه ، ثم لم  
يطق صبراً فركض نحو الفرس الشقية • كانت الفرس المسكين قد ساءت

حالتها وخارت قواها • انها تلهت وتتوقف لحظة ثم تستأنف بذل ما تستطيع  
يذله من جهد لتجر العربية ، فترنج وتكاد تسقط •

صرخ ميكولكا يقول :

اجلدوها الى أن تفسس ! انتظر قليلاً ! سوف ترى !  
هتف شيخ من بين الجمهور يسأله :

— ما هذا ؟ أأنت مسيحي ؟ يا لك من متوحش !

وأضاف آخر يقول :

— هل رأى احد فى حياته دابة هزيلة كهذه الدابة تجر حملاً  
ثقيلاً كهذا الحمل ؟

وصاح ثالث يقول :

— سوف تقتلون الدابة أخيراً !

قال ميكولكا :

— ما تدخلك أنت ؟ الدابة دابتي ! ما أريده أفعله ! اركبوا جميعاً !  
أريد حتماً أن تجرى الفرس عدواً •

وفجأةً ، انفجر ضحك عريض غطى كل شيء • لم تستطع الفرس  
أن تحتمل الضربات المتكررة ، فاذا هى تأخذ ترفس وتلبط • حتى  
الشيخ نفسه لم يستطع أن يمتنع عن التبسم • حقاً ان هنالك ما يبعث على  
الضحك : كيف ترفس وتلبط فرس ضعيفة مسكينة لا تكاد تقوى على  
الوقوف •

خرج من الجمهور شابان فتناولا سوطين ، وركضا نحو الفرس  
ليجلداها من الجهتين •  
قال ميكولكا :

- على الخطم ، على العينين ، على العينين !

وهتف أحد ركاب العرب :

- أغنيةً أيها الاخوة !

فأخذ الجميع في العربى يغنون بصوت واحد • هى أغنية مسعورة  
تصدق بها الخناجر ، وتصاحبها قرعات طبل ، ويتخللها صفير عند تكرار  
اللازمة • والمرأة السمينة تقضم البندق وتتفجر ضاحكة •

ركض الطفل نحو الحصان ، وأسرع الى أمام • رأى كيف كانت  
الدابة تجلد على عينيها ، على عينيها تماماً ! • • • فأخذ يبكي • انقبض قلبه  
وسالت دموعه • لامس واحد من الضاربين وجهه بسوط • ولكنه لم  
يشعر بشئ • • • لوى يديه ألماً • صرخ • اندفع نحو الشيخ ذى اللحية  
الشيء الذى كان يهز رأسه مستكراً هذا كله • أمسكت يده فلاحه ،  
وأرادت أن تبعده • لكنه تملص منها ، وركض نحو الفرس من جديد •  
لقد انهارت قوى الفرس ، ومع ذلك حاولت أن ترفس وأن تلبط مرة  
اخرى • •

صاح ميكولكا يقول وقد استولى عليه خفق شديد :

- شيطان يأخذك !

ورمى سوطه ، وانحنى الى تحت ، فتناول من قاع العربى خشبة  
طويلة ثقيلة ، فقبض على طرفها يديه ، وأشهرها فوق رأس الفرس بجهد

صاح ميكولكا يقول :

- سوف يقتل الفرس !

- سوف يهشمها !

صرخ ميكولكا :

- هى ملكى ، ولا شأن لأحد بها !

وهوى بالحشبة على الفرس بكل ما أوتى من قوة ، فدوَّى فى الجو  
صوت أصم •

صرخ بعضهم :

- اجلدوا الفرس ! اجلدوها ! مالكم توقفتن عن جلدها ؟

فاشتعلت حماسة ميكولكا مزيداً من الاشتعال ، وهوى على ظهر  
الفرس الضعيفة بضربة قوية جديدة • تهاوت الفرس عند مؤخرتها ،  
ولكنها ما لبثت أن انتصبت ، وحاولت أن تجر بكل ما تملك من قوة •  
أخذت تجر فى كل اتجاه من الاتجاهات عسى أن تتحرك العربية • غير  
أن ستة سياط هاجمتها من جميع الجهات ، وارتفعت الحشبة من جديد  
فهوت عليها بضربة ثالثة ثم بضربة رابعة ، وتالت الضربات قوية مطردة •  
لقد اشتد حنق ميكولكا لأنه لم يقتل الفرس بضربة واحدة •

صرخ بعضهم :

- عمرها طويل !

فصاح واحد فى الجمهور :

- لم يعد عمرها طويلاً أيها الاخوة ! لم يبق لها من حياتها الا  
دقائق معدودة !

وصرخ ثالث :

- فلتضرب بساطور ! فلينته منها دفعة واحدة !

قال ميكولكا مرغياً مزيداً والنيظ يخنقه خنقاً :

- نعم فليذهب الى الشيطان ! أبعدوا !

ورمى الحشبة ، ثم انحنى مرة أخرى الى تحت ، فتناول من قاع  
العربة قضيباً من حديد ، وصرخ يقول مخاطباً الفرس :

- تستحقين ! ثم هوى بقضيب الحديد على الفرس المسكينة ، بكل  
ما أوتى من قوة ، فصرحت الدابة من شدة الضربة ، وتهالكت ، وحاولت  
ان تجرّ العربة مرة أخرى ، ولكن قضيب الحديد هوى على ظهرها من  
جديد ، فسقطت على الأرض كأن قوائمها الأربع قد قُطعت قطعاً !

صاح ميكولكا يقول :

- أجهزتُ عليها !

ونفذ صبره ، فوثب من العربة الى الأرض • وها هم أولاء فتيان  
حمر سكارى يمسكون بكل ما يقع تحت أيديهم من سياط أو عصي أو  
أخشاب ، ويهرعون نحو الفرس المحتضرة • وقف ميكولكا الى جانب  
الدابة ، وأخذ يضربها بقضيب الحديد على ظهرها • فمدّت الفرس  
خطمها ، وزفرت زفرة عميقة ، وماتت •

صاح الجمهور يقول :

- فطست !

- لماذا لم تشأ أن تعدو ؟

قال ميكولكا صارخاً محتقن العينين بالدم ، ممسكاً قضيب الحديد

بيديه :

- هي ملكي !

وكان واقفاً منتصب القامة كأنه يأسف على أنه اصبح لا يعرف

من ذا يضرب !

هتفت عدة أصوات في الجمهور تقول :

— طيب ! اصبحنا الآن على يقين من انك لست مسيحياً !

ولكن الطفل أصبح لا يسيطر على نفسه ، وها هو ذا يشق لنفسه طريقاً بين الجمهور وهو يصرخ صراخاً شديداً ، حتى اذا وصل الى الدابة أحاط بذراعيه خطمها الميت الدامي ، وأخذ يقبلها على عينيها وعلى شفيتها ... ثم اجتاحه خنق قوى ، فهجم على ميكولكا قابضاً أصابعه الصغيرة . ولكن أباه الذي كان يلاحقه منذ مدة ، أدركه في تلك اللحظة ، فأمسك به ، وجرّه الى خارج الجمهور قائلاً له :

— تعال ! تعال ! فلنعد الى البيت .

دمدم الطفل يقول بين شهقتين سائلاً أباه :

— أبت ... لماذا ... الحصان المسكين ... فعلوا به ؟ ...

ولكن أنفاسه تقطعت ، وكانت الكلمات تتدفق من صدره المختنق مع صرخات !  
قال الأب :

— هم سكارى يرتكبون حماقات . ليس هذا شأننا . تعال !

أحاط الطفل أباه بذراعيه ، ولكن كان صدره ما يزال مختنقاً ... ما يزال مختنقاً اختناقاً شديداً ... وحاول الطفل أن يسترد أنفاسه ، وأطلق صرخة قوية ... واستيقظ راسكولنيكوف من النوم ...  
استيقظ من النوم مبتلاً بالعرق مخضلاً الشعر لاهتاً . ونهض مذعوراً .

قال وهو يجلس تحت الشجرة ويتنفس ملء رئيته : « الحمد لله على أن هذا لم يكن الاحلام ! ولكن ماذا حدث ؟ أ يكون هذا بداية حمى ؟ يا للحلم العجيب . . »

كان جسمه كله كاللحطم ، وكانت نفسه لا تضمُّ الا ظلمات واضطراباً وابهاماً • وضع كوعيه على ركبتيه وتناول رأسه بيديه ، وهتف يقول مخاطباً نفسه : « رياه ! هل من الممكن ، هل من الممكن حقاً أن أتناول ساطوراً فأضرب به رأسها وأحطم جمجمتها ؟ ... أغرق في الدم اللذج البارد ... اكسر القفل ... أسرق ... أرتعش ... احتبىء ملطخاً بالدم ؟ ... ضربات ساطور ! ... رياه ، أهذا ممكن ؟ » . وكان راسكولنيكوف يرتعش كورقة في مهب الريح حين كان يخاطب نفسه بهذا الكلام •

وتابع يقول محدثاً نفسه كأنما قد استبد به خور عميق : « ولكن ماذا دهاني ؟ لقد كنت أعلم حق العلم أنني لن أطيق ذلك ، فلماذا عذبت نفسي هذا التعذيب كله حتى الآن ؟ بالأمس ، بالأمس ... حين مضيت إليها ، « لأتمرّن » على فعلتي ، أدركت حق الادراك أنني لن أطيق ذلك ... فلماذا أعود الى الامر الآن ؟ بالأمس ، حين كنت أهبط السلم ، قلت لنفسي انها فعلة حقيرة ، دثئة ، خسيصة ، خسيصة جداً ... ولم أكن نائماً ... كان يكفي ان تساورني تلك الفكرة حتى ينقبض صدرى وحتى أشعر بنعر شديد ... لا ، لن أطيق هذا الفعل ، لن أطيقه ، ولو لم يكن هناك أى شك ، ولو كانت حساباتي كلها صحيحة ، ولو كان ما عزمت عليه في هذا الشهر واضحاً وضوح النهار دقيقتاً دقة الرياضيات ... فأنى لن أقدم عليه مع ذلك ، لن أطيقه ، لن أطيقه ... فما بالى حتى الآن ... » •

ونفض راسكولنيكوف ذاهلاً ، ونظر حواليه • كان يبدو عليه أنه مندهش من وجوده في هذا المكان • واتجه نحو جسر « ت ... » • كان شاحب الوجه ، وكانت عيناه تحترقان ، وكان يشعر بالتعب في جميع أعضائه ، ولكنه لم يلبث أن أخذ يتنفس تنفساً حراً طليقاً على حين فجأة •

شعر انه ازاح الحمل الرهيب الذي كان يسحقه منذ مدة طويلة ، فتخففت نفسه واطمأنت روحه ، وعادت اليه السكينة بقتة • قال يدعو الله مبتهلاً : « أرني طريقى يا رب فأعدل عن تلك ... الفكرة اللعينة •• عن تلك الفكرة اللعينة ... » •

وفيما كان يعبر الجسر ، نظر صامتاً هادئاً الى نهر نيفا ، والى حمرة الشمس الغاربة • فاذا هو ، رغم ضعفه ، قد اصبح لا يحس بالتعب • فكأن الدم الذي نضج في قلبه خلال شهر بأكمله قد انفق الآن على حين فجأة • الحرية ! الحرية ! لقد تخلص الآن من السحر ، تحرر من الرقية ، انتق من الفتنة •

في المستقبل ، حين سينذكر راسكولنيكوف هذه الفترة ، وحين سيستعرض كل ما وقع له في تلك الأيام دقيقة دقيقة ونقطة نقطة ، فان ظرفاً معيناً سيظل يجتذب انتباهه ، ويأمر اهتمامه ، ويكتسب في نظره معنى خرافياً • ان ذلك الظرف رغم أنه لا يشتمل في ذاته على أى شئ خارق ، سيصبح في نظر راسكولنيكوف في المستقبل نوعاً من نبوءة تصوّر مصيره وتحدد قدره •

اليكم الأمر : لم يستطع راسكولنيكوف أن يعلل لنفسه قط لماذا عاد أدراجه في ذلك اليوم الى « سوق العلف » دون أى سبب يحضه على الذهاب الى هناك ، ورغم أنه ، هو المتعب المكدود المرهق المشعث ، كان في حاجة الى أن يسلك للعودة الى بيته أقصر طريق بلا تعرج ولا التواء • صحيح أن الدورة التي دارها لم تكن طويلة ، ولكن من الواضح انه لا داعي اليها ولا فائدة منها البتة • وصحيح أنه اتفق له عشرات المرات ان يرجع الى مسكنه دون ان يتذكر الشوارع التي سلكها • ولكن راسكولنيكوف ظل يتساءل دائماً : لماذا وقع له ذلك اللقاء في ميدان « سوق العلف » ( الذي لم يكن هناك أى داع يحضه على الذهاب



اليه ) لماذا وقع له ذلك اللقاء الذى يبلغ ذلك المبلغ كله من خطورة الشأن والذى كان له ذلك التأثير الحاسم كله فى حياته ، وكان فى الوقت نفسه عرضاً طارئاً ، لماذا وقع له ذلك اللقاء فى تلك اللحظة نفسها ، فى تلك الدقيقة ذاتها من حياته ، فى تلك الدقيقة ذاتها التى كان لا يمكن ، بسبب حالته النفسية وبسبب الظروف ، الا أن تؤثر فى مصيره ذلك التأثير الحاسم الذى لا مناص منه ولا راد له ؟ ، سوف يبدو له أن ذلك اللقاء الذى وقع له انما كان كميناً يترص به شراً .

كانت الساعة قريبة من التاسعة حين اجتاز راسكولنيكوف « سوق العلف » . كان جميع التجار والباعة المتجولين وأصحاب الدكاكين يفلقون محالهم ، ويرتبون بضائعهم ، ليعودوا الى منازلهم ، وكذلك كان يفعل زبائنهم . وحول المطاعم الحفيرة ، وفى الأقيع ، وفى الأبنية انقذرة المنتشة من منازل « سوق العلف » كانت تتكاثر أنواع شتى من فقراء الناس وصغار المتكسبين . كان راسكولنيكوف يجب ارتياد هذه الأماكن كثيراً كما يجب ارتياد جميع الأزقة المجاورة حين كان يخرج من بيته لغير هدف محدد . فهناك كانت أسماله البائسة لا تلفت الانتباه ولا تثير الاستهجان . ان المرء يستطيع أن يسير فى هذه الأماكن مرتدياً ملابس مضحكة على ما يشاء له هواه ، دون أن يتعرض لاستهزاء أحد به .

فلما وصل راسكولنيكوف الى ناصية شارع ك . . . ، رأى بائعاً وامرأته يبعان ، كل على بسطة خاصة به ، خيوطاً وأشرطة ومناديل من قطن وما الى ذلك . كان الزوجان يستعدان هما ايضاً للعودة الى منزلهما ، ولكنهما ما يزالان يثرنان مع امرأة يعرفانها كانت قد اقتربت منهما . ان هذه المرأة هى اليزابت ايفانوفنا أو قل باختصار هى « اليزابت » كما كان يسميها جميع الناس . انها الأخت الصغرى لتلك العجوز نفسها آليونا ايفانوفنا ، أرملة الموظف المرابية ، التى ذهب اليها راسكولنيكوف أمس

ليرهن عندها ساعته و « يَتمرَن » على فعلته ... كان راسكولنيكوف يعرف منذ مدة طويلة أموراً كثيرة عن اليزابت هذه التي كانت تعرفه هي أيضاً بعض المعرفة . انها بنت في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها ، طويلة القامة خرقاء السلوك ، خجول الطبع ، متواضعة رقيقة ، يعدها الناس شبه بلهاء ، قد استعبدتها احتها استعباداً كاملاً ، فهي تعمل لها ليلاً نهاراً ، وترتجف أمامها خوفاً ، حتى لتحتمل منها أن تضربها أحياناً . كانت اليزابت في تلك اللحظة قد وقفت مترددة قلقةً أمام البائع وامرأته ، وفي يدها صرّة ، وكانت تصنئ اليهما باتتباء شديد . ان الرجل وامرأته يقصان عليها أمراً من الأمور بكثير من الحرارة والحماسة . فلما لمحها راسكولنيكوف على حين فجأة اجتاحه احساس غريب هو نوع من الانشداه رغم أن اللقاء لا يشتمل في ذاته على أى شىء يدعو الى الدهول .

قال لها البائع بصوت عال :

— ستعزمين أمرك بنفسك يا اليزابت ايفانوفنا . تعالى غداً ، في نحو الساعة السابعة . سيحضررون هم أيضاً .

— غداً ؟

كذلك قالت اليزابت بصوت بطيء ، وكانت واجمةً مفكرة ، كأنها لا تستطيع أن تعزم أمرها .

قالت لها زوجة البائع بلهجة طليقة صريحة :

— انها لتخيفك كثيراً ، آليونا ايفانوفنا هذه ! حين يراك المرء ويسمعك ، يحسبك طفلة صغيرة . هذا مع أن آليونا ليست أختاً وانما هي نصف أخت ، ولكنها ميطرة عليك مستبدة بك ...

قاطع الرجل زوجته قائلاً لاليزابت :

— ليس عليك الا أن لا تذكرى لآليونا ايفانوفنا هذه المرة شيئاً .



اليزابت

ذلك ما أنصحك به ! تعالى الينا دون أن تستأذنيها ! الصفقة رابحة •  
وستدرك أختك ذلك فيما بعد •

— حقاً ... يجب على أن ...

— نعم ... غداً ... في نحو الساعة السابعة • وسيحضر أحد من  
عندهم أيضاً • ستعزمين أمرك بنفسك •

وأضافت زوجة الرجل تقول :

— وسنضع السماور •

قالت اليزابت وهي ما تزال مترددة :

— طيب ، سأتى ...

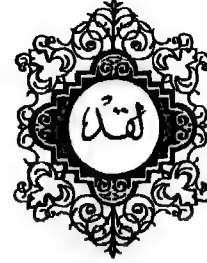
وانصرفت بخطىً بطيئة •

ان راسكولنيكوف الذى مرَّ فى تلك اللحظة لم يسمع اكثر من  
ذلك • لقد مرَّ صامتاً ساكناً دون أن يلفت اليه الانتباه ، ولكنه حاول ألا  
تفوته من الحديث كلمة واحدة • وشيئاً فشيئاً ، حل الذعر فى نفسه  
محلَّ الانشدهاء ، وأحس بقشعريرة باردة تسرى فى ظهره • لقد علم  
فجأةً ، على نحو لم يكن فى الحسبان ، أن اليزابت ، أختَ العجوز ورفيقتها  
الوحيدة فى دارها ، ستغيب عن البيت غداً فى الساعة السابعة تماماً ،  
وأن العجوز ستكون اذن فى الساعة السابعة تماماً « وحيدة فى مسكنها » •

لم يكن قد بقى عليه الا أن يسير بضع خطوات حتى يبلغ منزله •  
عاد كائنسان حُكم عليه بالموت • لقد اصبح لا يفكر ، بل اصبح عاجزاً عن  
التفكير ، ولكنه كان يحس ، بكل كيانه ، أنه اصبح محروماً من حرية  
الرأى مجرداً من الارادة ، وأن كل شىء قد تقرر فجأةً على نحو حاسم  
لا رجعة عنه •

يقيناً ، لو كان عليه في سبيل انفاذ مشروعه أن ينتظر سنين طويلة ،  
لما كان في وسعه أن يعوّل على ظرف يناسب نجاح مشروعه أكثر من هذا  
الظرف الذي يعرض له الآن ، وما كان ليسهل عليه في كل حال أن يعلم  
علم اليقين ، بمثل تلك الدقة ، وبدون مخاطر يشتمل عليها اضطراره  
الى السؤال والتقصي ، أن المعجوز التي كان قد قرّر أن يقتلها ستكون ،  
في الغداة ، وحيدة بمسكنها ، وحيدة تماماً ...

## الفصل السادس



أتبع لراسكولنيكوف فيما بعد أن يعرف السبب  
الذى حمل البائع وزوجه على أن يدعوا الزبائن  
ابفانوفنا الى منزلهما ان الأمر عادى بسيط تافه  
لا يشتمل على أى شىء خاص : هناك أسرة

وفدت من الأقاليم منذ مدة قصيرة ، فأصبحت فى حالة عوز شديد ، فأخذت  
تبيع بعض ما تملك من ملابس النساء . ولما كان عرض هذه الملابس للبيع  
فى السوق يؤدى الى خسارة كبيرة ، فقد سأل هؤلاء الناس عن امرأة  
تكون وسيطة بينهم وبين الراغبين فى الشراء . وكانت الزبائن تقوم بمثل  
هذه الأعمال ، وكان لها زبائن كثيرون لأنها امرأة مستقيمة ، فهى تحدد  
السعر العادل دائماً ، ولا تدع مجالاً للمساومة فيه مهما يكن ، فما على  
المشتري الا أن يأخذ أو أن يدع . وكانت قليلة الكلام عامة ، وكانت  
تبدو ، كما سبقت الاشارة الى ذلك ، متواضعة فى جميع الأحيان .

ولكن راسكولنيكوف كان قد أصبح فى الآونة الأخيرة يؤمن  
بالخرافات ويتأثر بالأوهام ، وقد خلّف هذا الوهم فى نفسه آثاراً لم  
تمح خلال مدة طويلة . ثم انه ظل يميل دائماً الى أن يرى فى هذا  
الأمر كله شيئاً غريباً سرّياً ، وسلسلة من المؤثرات والمصادفات العجيبة  
الخاصة .

كان طالبٌ من معارفه اسمه بوكوريف ، قد اعطاه في الشتاء الماضي  
أثناء حديث عارض جرى بينهما قيل سفره الى خاركوف ، عنوان  
العجوز آليونا ايفانوفنا ، ليلجأ اليها اذا هو احتاج الى اقراض مبلغ من  
المال على رهن .

وخلال مدة طويلة لم يذهب راسكولنيكوف الى العجوز ، لأنه كان  
في ذلك الوقت يعطى دروساً ، وكان يدبر أموره بطريقة أو بأخرى .  
ثم تذكر العنوان بعد شهر ونصف شهر . كان يملك شيئين يمكن  
رهنهما لاقتراض مبلغ من المال : الساعة الفضية القديمة التي ورثها عن  
ابيه ، وخاتماً ذهبياً صغيراً يزدان بثلاثة أحجار حمراء كانت أخته قد  
أعطته اياه تذكيراً حين افترقا . قرر راسكولنيكوف أن يرهن الخاتم ،  
فما ان رأى العجوز حتى شعر نحوها من أول نظرة ، ودون أن يعرف  
أى شيء خاص عنها ، بكره لا سبيل الى التغلب عليه . وتلقى منها  
« ورقتين نقديتين صغيرتين » . وبينما كان راجعاً الى بيته دخل في الطريق  
حانة صغيرة حقيرة ، فطلب شاياً ، وجلس ، واسترسل في احلام عميقة .  
ان فكرة غريبة كانت تحاول أن تنقف في رأسه كما ينقف الفرخ  
في اليضة ، وكانت تشغل باله كثيراً جداً . . . .

على مقربة منه ، الى جانبه تقريباً ، كان يجلس حول مائدة أخرى،  
ضابط شاب وطالب لم يكن يعرفه ولا يتذكر أنه رآه في حياته . كان  
الشابان قد لعبا البلياردو قليلاً ، فهما الآن يحتسيان الشاي . وها هو ذا  
راسكولنيكوف يسمع الطالب محدثاً الضابط عن مرابطة اسمها آليونا  
ايفانوفنا هي أرملة أحد الموظفين ، ثم يذكر له عنوانها آخر الأمر . ان  
هذه الحادثة وحدها قد بدت لراسكولنيكوف غريبة بعض الغرابة : لقد  
كان عند العجوز منذ هنية ، وها هو ذا يسمع شخصين يتحدثان عنها  
هي نفسها . لا شك أن الأمر مصادفة ، ولكن فيما كان راسكولنيكوف

يحاول قبل سماع الحديث أن يتخلص من شعور يمكن ان نعدّه على وجه الاجمال عادياً تافهاً ، اذا بشخص يأخذ يعزز في نفسه هذا الشعور كأنما على عمد : لقد أخذ الطالب يذكر لرفيقه ، فجأة ، بعض التفاصيل عن آليونا ايفانوفنا • قال :

— هي عظيمة ... يستطيع المرء في كل لحظة أن يحصل منها على مال ... غنية كيهودي ! قادرة على أن تقرض خمسة آلاف روبل دفعة واحدة ، ولكنها لا تحقر رهنًا قيمته روبل واحد • كثيرون منا مروا بها • ولكنها جيفة حقًا •

وطفق الطالب يتكلم عن العجوز • وصفها بأنها شريرة خبيثة ، وقال انها صاحبة نزوات : يكفي أن يتأخر المدين عن سداد الدين في الموعد المضروب يوماً واحداً حتى يفقد الرهن • لا تقرض من المال الا مبلغاً يساوى ربع قيمة الرهن • تتقاضى فائدة شهرية مقدارها خمسة في المائة بل وسبعة ، النخ النخ ...

كان الطالب يتدفق في الكلام على هذا الموضوع ويفيض فيه افاضة لا ينضب معينها • وقد أضاف أن للعجوز أختاً اسمها اليزابت ، تضربها العجوز في كل مناسبة ، رغم أن العجوز ضئيلة هزيلة هي نفسها ؛ والعجوز تستعبد اليزابت استعباداً تاماً ، كطفلة صغيرة ، رغم أن اليزابت لا يقل طولها عن ستة أقدام بل يزيد •

وصاح الطالب يقول مقهقها :

— وهذه أيضاً امرأة عجيبة !

جرى الحديث عندئذ على اليزابت • كان الطالب يشعر من الكلام عنها بلذّة خاصة فهو لا يكف عن الضحك • أما الضابط فكان يصنى الى رفيقه بكثير من الاهتمام ، حتى لقد طلب منه أن يرسل اليه اليزابت ،



لترقّع له غسيله • لم يفوّت راسكولنيكوف كلمة واحدة من هذه المحادثة • عرف كل شيء دفعة واحدة : عرف أنّ اليزابت هي الأخت الصغرى لآليونافونا ايفانوفنا ، ولكنها ليست شقيقتها وانما هي اختها من أم أخرى ، وعرف أنها قد بلغت الخامسة والثلاثين من عمرها • عرف أنها تعمل في سبيل اختها نهاراً وليلاً ، تنهض في منزلها بأعباء الطباخة والغسالة ، وتقوم في الوقت نفسه بأعمال الحياطة ، حتى لقد تولى مسح الأرض في المنازل مأجورة • وعرف أنّ كل ما تجنيه من مال انما يذهب الى اختها ، وأنها لا تجرّو على قبول أى تكليف أو القيام بأى عمل ، دون استئذان العجوز • وكانت العجوز قد كتبت وصيتها ، وكانت اليزابت تعرف أنّ هذه الوصية تنص نصاً صريحاً على أنها لن تترك شيئاً ، اللهم الا عدداً من قطع الأثاث والكراسى وما الى ذلك • أما المال كله فموقوف على دير بمقاطعة ن • • • ، سيصلّى فيه الرهبان على روح آليونافونا ايفانوفنا • ان اليزابت تنتمى الى البرجوازية الصغيرة لا الى طبقة الموظفين وهي بشعة القوام جداً ، يزيد طولها على متوسط الطول كثيراً ، لها قدمان كبيرتان تبدوان معقوفتين وتتملان دائماً حذاءين متشين • ولكنها تعنى بنظافتها اكبر العناية •

والأمر الذى كان يدهش الطالب ويفجّر ضحكه خاصة هو ، أنّ اليزابت حبلى دائماً •

قال الضابط :

– ولكن ألم تقل انها مشوهة ؟

أجابته الطالب :

– نعم ••• ان لها بشرة مسودة دائماً ، حتى لكأنها جدى متكرّر ، ولكنها ليست مشوهة البتة ! ••• ان وجهها مليح جداً ، وان عينيها خاصة

طيتان حلوتان ! الدليل على ذلك أنها تعجب كثيراً من الناس ، وهي هادئة مسالمة وديعة مستعدة لأن تقنع بأى شيء . وان لها ابتسامة يمكن أن توصف حتى بأنها ... فاتنة !

سأل الضابط ضاحكاً :

— أهى اذن تعجبك ايضاً ؟

قال الطالب :

— نعم ، لأن فيها غرابة ! واسمع الآن ما سأقوله لك : يميناً انى مستعد لأن أقتل أختها ، تلك العجوز اللعينة ، وأن أسرق مالها طامعاً مختاراً ، مرتاح البال هادىء الضمير !...

ذلك ما أضافه الطالب متكلماً بحماسة وعنف .

انفجر الضابط يضحك ضحكاً ارتعش له راسكولنيكوف .  
ما أغرب هذا ؟

قال الطالب وقد ازدادت حرارته :

— اذا أذنت فسألقى عليك سؤالاً جاداً : أنا انما قلت ذلك كله . من باب المزاح طبعاً ولكن فكر قليلاً : هناك من جهة أولى امرأة عجوز غنية مخيفة شريرة خبيثة مريضة لا قيمة لها ولا فائدة منها لأحد بل هى ضارة لجميع الناس ، لا تعرف حتى لماذا تعيش ، وستموت فى القريب ميتها الطبيعية . هل تفهم ؟ هل تفهم ؟

أجاب الضابط وهو يحدق باتباه شديد الى رفيقه الذى كانت حماسه ما تنفك تتأجج :

— طبعاً أفهم !

واصل الطالب كلامه فقال :

— فاسمع التهمة اذن : هناك تلك المرأة من جهة أولى ، وهناك من

جهة ثانية قوى قتيه سابه نضرة ، تضع لأنها محرومة من المساعدة ، وتعد بالآلوف ، في كل مكان . ان ثمة مائة أو ألف عمل خير أو مبادرة رائمة يمكن التحريض عليها أو اصلاح حالها بمال العجوز ، بهذا المال الموقوف على دير ! ! ان ثمة مئات وربما ألوفاً من الافراد الذين يمكن وضعهم بهذا المال على الطريق القويم . ان ثمة عشرات من الأسر يمكن انقاذها بهذا المال من الفقر المدقع ، والتحلل الأخلاقي ، والدمار والفساد ، ومستشفيات الأمراض التناسلية ! فماذا لو قُتِلَت هذه العجوز ، وأُخذ مالها ثم وقِفَ على خدمة الانسانية بأسرها ، على خدمة قضية جميع البشر ؟ ماذا ؟ ألا تعتقد أن جريمة طفيفة كهذه الجريمة ستمحوها ألوف الأعمال الحيرة ؟! أننا بقتل فرد واحد نستطيع أن ننقذ حياة ألوف غيره من العفن والفساد والتحلل ! يموت واحد يعيش مئات . مسألة حساية ! وأى وزن في ميزان الحياة العام يمكن أن يكون لتلك العجوز الشقية المصدورة الغيبة الشريرة ؟ ألا انها ليس لها من الوزن أكثر مما لقملة أو خنفساء . لا بل ان وزنها دون ذلك ، لأن هذه العجوز ضارة . انها تمتص حياة الآخرين . انها شريرة . منذ مدة قصيرة عضّت اختها اليزابت في اصبعها ، فلو قد شدت أسنانها قليلاً ، لاضطروا الى قطع الاصبع .

قال الضابط :

— ما هي جديرة بالحياة طبعاً ، ولكن هذا نظام الطبيعة ...

قال الطالب :

— نظام الطبيعة ، يا أخى ، يمكن تقويمه وتوجيهه ، والا غرقنا في الأوهام والأباطيل . ثم انه بدون ذلك لا يكون ثمة انسان عظيم واحد . يقولون : « الواجب ، الضمير » — وأنا لا اعترض بشيء على الواجب

والضمير ، ولكن يجب أولاً أن تتفق على معاني الألفاظ • اسمع :  
سألقى سؤالاً آخر ، هل تصنى الى ؟

قال الضابط :

— بل أنا الذى سألقى عليك سؤالاً ، أصغ الى !

— هيه !...•••

— أنت الآن تتكلم وتحدث ، ولكن قل لى : أأنت مستعد لأن تقتل  
العجوز « بنفسك » •

— لا ، طبعاً !...••• فانما أنا أتكلم من وجهة نظر العدالة ، ولست  
أتحدث عن نفسى •

— فى رأى أنه ليس هناك ظل من عدالة ، ما دمت غير مستعد لأن  
تقرر تنفيذ هذا الفعل « بنفسك » • والآن هلم بنا نلعب البلياردو !...•••

كان راسكولنيكوف مضطرباً أشد الاضطراب • ان الأحاديث التى  
سمعها لم تكن الا أحاديث عادية كثيراً ما سمع شباباً يتبادلونها فى صور  
مختلفة بعض الاختلاف بصدد موضوعات شتى • ولكن لماذا وقع له أن  
يسمع هذه المناقشة وأن يسمع هذه الآراء فى عين اللحظة التى كانت  
هذه الآراء نفسها تثبت فى ذهنه هو ؟ لماذا وقع له أن يسمع ، فى نفس  
اللحظة التى تلبث فيها فكره على العجوز ، حديثاً عن تلك العجوز  
نفسها ؟ لقد ظلت هذه المصادفة تبدو له غريبة • وكان لهذه الثثرة  
العابرة التافهة التى يجرى أمثالها بين الناس فى الحانات ، تأثير عميق  
على تمة الأحداث ، فكأن ذلك كان نذيراً بقدر محتوم •••

عاد راسكولنيكوف من « سوق العلف » الى بيته ، فارتمى على  
أريكته ، ولبت ساعة بأكملها لا يتحرك • هبط الظلام أثناء ذلك • ولم

يكن عنده شمعة ولا خطر بباله أن يشعل شمعة على كل حال • لم يستطع راسكولنيكوف في يوم من الأيام أن يعرف هل فكّر في شيء من الأشياء أثناء ذلك الوقت • وأخيراً أحس بقشعريرة الحمى تلك نفسها التي أحسها في النهار ، وسرّة أن يعرف أن في مكانه أن يرقد على الأريكة • وسرعان ما استبد به نعاس ثقيل كالرصاص ، فنام •

نام راسكولنيكوف أكثر مما اعتاد أن ينام ، نام بغير أحلام • وحين دخلت عليه ناستاسيا في الساعة العاشرة من صباح الغد ، بذلت كثيراً من الجهد ولقيت كثيراً من العناء في سبيل إيقاظه • كانت تحمل إليه شاياً وخبزاً • وكان الشاي في هذه المرة أيضاً بقية شاي ، وفي هذه المرة أيضاً كان الابريق ابريقها هي •

هتفت ناستاسيا تقول مقناظة :

— ما أكثر ما يستطيع أن ينام ! نعم انه لا يقطع عن النوم ! • •  
نهض راسكولنيكوف بجهد كبير • كان يشعر بصداق في رأسه • وقف متصبّاً ومسار بضع خطوات ، ثم لم يلبث أن تهالك على الأريكة من جديد •

هتفت ناستاسيا :

— ماذا ؟ أتريد أن تنام أيضاً ؟ أترك مريضاً ؟

لم يجب راسكولنيكوف •

— هل تريد شاياً ؟

قال بجهد وهو يغمض عينيه من جديد ويستدير نحو الحائط :

— فيما بعد •

لبث ناستاسيا مائلة عليه لحظة ثم قالت :

- ربما كان مريضاً !

واستدارت وخرجت •

وعادت اليه في الساعة الثانية تحمل حساءً • كان ما يزال راقداً ،  
حتى انه لم يكن قد مسَّ الشاي •  
اغتاظت ناستاسيا ، فهزَّته غاضبةً ونهرته قائلة له وهي تنظر اليه  
باشمئزاز :

- ما بالك تبقى غافياً على هذه الحال ؟

فنهض وجلس ، ولكنه لم يجب بشيء ، وكان يحدِّق الى الأرض •  
سألته ناستاسيا :

- أأنت مريض ؟

ولكنها في هذه المرة أيضاً لم تحصل على جواب • استأنفت تقول  
بعد صمت :

- حقاً ان عليك أن تخرج قليلاً الى الشارع ! سينفك الهواء  
الطلق ! أصب شيئاً من الطعام على الأقل !...•••

قال لها بصوت ضعيف واهن :

- فيما بعد ••• اذهبي الآن •••

قال لها ذلك وصرفها بحركة من يده •

بقيت لحظة قصيرة أخرى تتأمله في شفقة ثم خرجت •

وبعد بضعة دقائق ، رفع عينيه ، ونظر الى الشاي والحساء ملياً ،  
ثم تناول الحبز والملقعة وأخذ يأكل •

بلع ثلاث ملاعق أو أربعاً دون شهوة ، بطريقة آلية تقريباً • قلَّ  
صداع رأسه • حتى اذا فرغ من الطعام استلقى على الأريكة من جديد ،

لكنه لم يستطع أن ينام مرة أخرى • لبث جامداً ، مضطجعا على بطنه ،  
دافئاً وجهه في الوسادة • وبدأت تغزوه الأحلام • كانت جميع أحلامه  
غريبة جداً ، ها هو ذا يرى نفسه في مكان ما بأفريقيا ، في مكان ما بمصر ،  
في واحة من الواحات • القافلة تستريح • الجمال راقدة بهدوء وسكون •  
ومن حوله حلقة من أشجار النخيل • جميع الناس يأكلون • اما هو  
فلا يريد على أن يشرب ماءً من جدول يجري هناك على مقربة منه  
مصطخباً • ما أعظم الاتعاش الذي يشعر به المرء حين يشرب هذا الماء  
الأزرق البارد العجيب انذى يسيل بين الحصى المتعدد الألوان فوق الرمل  
اللمتّع المذهب !... ولكن ها هو ذا يسمع على حين فجأة دقات ساعة  
حائط ، واضحة متميزة • ارتعش راسكولنيكوف وثاب الى نفسه ، فلتنا  
رفع رأسه ، ونظر من النافذة ، عرف الساعة التي لعله فيها ، فاذا هو  
يشب عن أريكته ، صاحى الدهن كل الصحو ، ثم يتجه نحو الباب ،  
سائراً على رعوس أصابعه ، فيفتح الباب برفق ، ويصيح بسمعه الى  
الضجبات الآتية من السلم • كان قلبه يخفق خفقاناً شديداً • ولكن كل  
شيء كان في السلم هادئاً ، حتى لكأن جميع الناس قد ناموا ... بدا له  
أمراً عجيباً وأمرأ شاذاً في الوقت نفسه أن يكون قد استطاع أن ينام على  
هذا النحو منذ البارحة ، وأن يكون قد لبث على هذه الحال من الحذر ،  
بينما هناك أشياء كثيرة يجب عليه أن يعملها ، أن يهيئها • لعل الساعة التي  
سمع رنينها منذ هنية قد دقت السادسة ... وهذا تعجل خارق  
محموم مضطرب يستولى عليه بعد النوم والحذر والتواني • على أن  
الاستعدادات ليست كثيرة • جهد راسكولنيكوف أن يتبأ بكل شيء وأن  
لا ينسى شيئاً • الا أن قلبه قد بلغ من شدة الخفقان أنه كان يتنفس في كثير  
من العناء • كان عليه قبل كل شيء أن يصنع ابزيماً وأن يخطط ابزيم  
الى المعطف : ذلك عمل يستغرق بضع دقائق • نبش صرة الملابس التي

توجد تحت وسادته ، فسلَّ منها قميصاً عتيقاً ، قذراً ، مهترئاً كل  
 الاهتراء ، غير صالح للاستعمال ، فانتزع من خرقه عصابة عرضتها بوصه  
 وطولها ثمانى بوصات • حتى اذا ثنى العصابة تيتين ، خلع معطفه الواسع  
 المصنوع من نسيج قطنى سميك متين ( وهو الرداء الوحيد الذى كان  
 يرتديه فوق ثيابه ) وأخذ يخطط اليه طرفى العصابة من الداخل تحت  
 الابطال الأسير • كانت يدها ترتجفان وهو يخطط العصابة الى المعطف •  
 ولكنه قد أحسن القيام بهذه المهمة على خير وجه ، فلما عاد يرتدى معطفه  
 كان الابرزيم لا يظهر من الخارج • ان راسكولنيكوف قد أعدَّ الابرز  
 والخطط منذ مدة طويلة : لفَّهما بورق وأودعهما درج منضدته الصغيرة •  
 أما الابرزيم فكان اختراعاً بارعاً جداً ابتكره خياله هو : كان على الابرزيم  
 أن يحمل الساطور • ان من المستحيل على راسكولنيكوف أن يتجول  
 فى الشارع وهو يحمل بيده ساطوراً • ولو قد أخفى الساطور تحت  
 المعطف لكان مضطراً مع ذلك الى ان يسنده ، وهذا أمر لا بد أن يلفت  
 اليه انتباه الناس • أما الآن فليس عليه الا أن يدخل نصل الساطور  
 فى الابرزيم ، فيبقى الساطور طوال الطريق معلقاً بالابرزيم فى داخل المعطف  
 بهدوء ؛ عدا أن فى وسع راسكولنيكوف ، حين يغمد يده فى جيب المعطف  
 من خارج ، أن يسند طرف المقبض ليمنع الساطور من التارجج •  
 ولما كان المعطف واسعاً جداً حتى لكأنه كيس ، فلن يستطيع الناظر أن  
 يلاحظ من الخارج أن راسكولنيكوف يسند شيئاً من خلال جيبيه • ان  
 فكرة صنع هذا الابرزيم قد وافت ذهن راسكولنيكوف منذ خمسة عشر  
 يوماً •

فلما انتهى راسكولنيكوف من عمله هذا دسَّ أصابعه فى الفراغ  
 الضيق الذى يفصل الأريكة « التركية » عن أرض الحجرة ، وأخذ يتلمس  
 الزاوية اليسرى من هذا المكان ، فأخرج « الرهن » الذى كان قد هبأه



وخباه هناك منذ مدة طويلة • الحق أن هذا الرهن لم يكن رهنا ، وانما هو شريحة ملاء من خشب ، بحجم علبة فضية للسجائر • كان راسكولنيكوف قد عنر على هذه الشريحة الخشبية عَرَضاً أثناء إحدى جولاته ، وذلك في فناء منزل كانت تشغل أحد أجنحته ورشة نجارة • وقد ضمَّ الى الشريحة فيما بعد صفيحة من حديد ، رقيقة ملاء ، انتقطها من الشارع أيضاً • حتى اذا شدَّ هذين الشيئين المتفاوتين سمكاً ، أحدهما الى الآخر ، عُنِيَ بربطهما بخيط متصالب ، ثم لَقَّهما لفاً أنيقاً بورقة بيضاء نظيفة جداً ، ثم عقد الخيط على اللفة عقداً محكماً يجعل فكَّها أمراً صعباً ، وذلك بغية أن يحوّل انتباه العجوز برهة من الزمن — لأن العجوز ستتهمك في حل العقد — فيختار هو اللحظة المواتية • ولقد كان هدفه من اضافة الصفيحة الحديدية هو أن يزيد وزن اللغة فيضع العجوز من أن تكتشف ، في الوهلة الأولى على الأقل ، أن « الشيء » ليس الا قطعة من خشب • وكانت اللغة مخبأة تحت الأريكة منذ مدة •

فما ان وضع راسكولنيكوف يده على « الرهن » حتى سمع صياحاً في الفناء يقول :

— دقت الساعة السادسة منذ مدة طويلة !

فقال راسكولنيكوف يخاطب نفسه :

— منذ مدة طويلة ! رباه ! •••

واندفع نحو الباب ، وأصاخ بسمعه ، ثم تناول قبعته ، وأخذ يهبط درجات السلم الثلاث عشرة ، محاذراً صامتاً كقطعة • ما يزال عليه أن يفعل أهم شيء : أن يسرق الساطور من المطبخ • فلما أن عليه أن يستعمل ساطوراً فذلك أمر كان قد قرره منذ مدة طويلة • وكان راسكولنيكوف يملك كذلك نوعاً من مقصٍ يُستعمل مِقْرَضاً في الحدائق

ولكنه كان غير واثق بالمقص ، وكان غير واثق بقواه خاصة . لذلك وقع اختياره على الساطور . ولذا ذكر في هذه المناسبة صفةً تميزت بها جميع القرارات التي اتخذها راسكولنيكوف لانفاذ خطته : لقد كانت هذه القرارات تبدو له عجيبة شاذة مستحيلة بمقدار ما كانت تصيح حاسمة قاطعة . ان راسكولنيكوف ، رغم الصراع المقلق الذي كان يشب في نفسه دقيقة بعد دقيقة ، لم يستطع قط أن يصدق أن مشاريعه يمكن أن توضع موضع التنفيذ في يوم من الأيام . ولو قد اتفق له أن توصل يوماً الى أن يحسم جميع تلك المسائل ، فيدّ جميع الشكوك ويمهد جميع العقبات لكان من المحتمل أن يعدل فوراً عن مشروعه ذاك ، عدوله عن شيء مستحيل عجيب سخيف ! ولكن الواقع أنه كان ما يزال هنالك عدد كبير من المسائل التي يجب حلها ومن الشكوك التي يجب تبديدها .

أما طريقة الحصول على ساطور ، فذلك أمر تفصيلي تافه لا يشغل باله كثيراً ، اذ لا شيء أسهل منه . ذلك أن ناستاسيا كانت تنيب كثيراً عن البيت ، ولا سيما في المساء : فهي تذهب الى الجيران تارة وتمضي الى الدكاكين تارة أخرى ، وترك الباب مفتوحاً أثناء ذلك ؛ وهذا بعينه هو السبب فيما كان يقع بينها وبين مولاتها من تشاجر . كان يكفي اذن أن يدخل راسكولنيكوف المطبخ بهدوء ورفق ، وأن يأخذ الساطور متى أوف الوقت ، ثم أن يرجع بعد ساعة ( متى أنهى كل شيء ) ، فيعيد الساطور الى مكانه . غير أن شكوكاً كثيرة كانت تنبجس في ذهن راسكولنيكوف: ماذا لو رجع بعد ساعة ليردّ الساطور الى مكانه فكانت ناستاسيا قد عادت الى البيت مصادفةً أثناء غيابه ! سيكون عليه طبعاً أن يستمر في طريقه ، وأن ينتظر خروجها من جديد . فماذا لو احتاجت أثناء ذلك الى الساطور فأخذت تبحث عنه ، وأخذت تصيح وتصرخ ؟ ان ذلك سيولد شبهةً أو هو سيولد فرصةً لشبهة في أقل تقدير .

على أن هذه الأمور كلها تفاصيل لم يكن راسكولنيكوف قد فكر فيها فعلاً بعد . لقد كان راسكولنيكوف يفكر في الشيء الأساسي ، ويرجئ التفكير في التفاصيل الى اللحظة « التي يكتمل فيها اقتناعه » . ولكن كان يلوح له أن هذه اللحظة لن تجيء قط ، أو ذلك ما كان يعتقد به راسكولنيكوف في قرارة نفسه . كان لا يتخيل مثلاً أنه في لحظة معينة سوف يكف عن التفكير ، وسوف ينهض ، وسوف يذهب الى هناك ، بكل بساطة !... فحتى زيارته الأخيرة للعجوز ( وهى الزيارة التي استهدف منها دراسة المكان وقام بها على سبيل « التمرين » ) ، حتى هذه الزيارة لم تكن فى الواقع الا محاولة ، ولم يكن فيها جد . كل ما هنالك أنه قال لنفسه : « والله ... سأذهب ، وسأحاول ، ما دام الأمر لا يعدو أن يكون حلماً » ، ثم لم يسعه بعد ذلك فوراً الا أن يبصق ويولى هارباً وقد امتلأ اشمئزازاً أمام نفسه . ولكن كان يبدو أنه قد أوغل فى التحليل الى النهاية ، وأنه حلَّ المشكلة الأخلاقية التي تطرحها هذه القضية . لقد كان منطقاً حاداً قاطعاً كسكين مسنونة ، ولم يبق لفكره أى اعتراض واعٍ يمكن أن يقدمه . غير أنه لم يكن واثقاً بنفسه فكان يلتمس اعتراضات من الخارج ، على نحو غامض عنيد ، كأن شخصاً يدفعه الى ذلك ويجبره عليه . وهذا يومُ الأمس الذي جرت أحداثه جريئاً ليس فى الحسبان وكان يوماً حاسماً ، قد أثر فيه تأثيراً يشبه أن يكون آلياً : لكأن شخصاً قد أمسكه من يده وأخذ يجبره ، معصوب العينين ، بقوة خارقة ، جراً لا فكاك له منه ، ولا سبيل له الى الاعتراض عليه ! أو كأن آلة قد التقطت طرف توبه فدارت به عجلاتها ، وأخذت تجذبه اليها جذباً لا حيلة له فى دفعه !

فى أول الأمر ( منذ مدة طويلة ) كان هنالك سؤال يشغل باله كثيراً ، وهو : لماذا تنكشف جميع الجرائم ويُقتضح أمر جميع المجرمين

بسهولة ويسر ؟ لماذا يُعتر على آثار جميع المجرمين تقريباً في غير عناء ؟  
وقد توصل راسكولنيكوف شيئاً فشيئاً الى نتائج متنوعة شائقة • قال لنفسه  
ان السبب الأساسي في ذلك لا يرجع الى استحالة اخفاء الجريمة  
استحالة مادية بقدر ما يرجع الى المجرم نفسه • فجميع المجرمين انما  
يشعرون ، لحظة تنفيذهم جريمتهم ، بنوع من انهيار الارادة وسوء  
الرأى ، فاذا بالارادة والرأى يحل محلّهما طيشٌ صياني تماماً ،  
في الوقت الذي يكون فيه المرء أحوج ما يكون الى العقل والحكمة  
والخذر • كان راسكولنيكوف مقتنعاً بأن غياب الرأى السديد وانهيار  
الارادة الصلبة يستوليان على الانسان كما يستولى عليه مرضٌ من  
الأمراض وينموان مزيداً من النمو شيئاً بعد شيء ثم يلبغان ذروتها  
قيل تنفيذ الجريمة • وكان مقتنعاً بأنهما يلبسان على هذه المرحلة عند  
ارتكاب الجريمة ، ويلبسان عليها بعد ارتكاب الجريمة بزمن يختلف طوله  
 باختلاف الأفراد ، ثم يزولان كما تزول جميع الأمراض • أما هذا  
التساؤل : « هل المرض هو الذي يولد الجريمة ، أم أن الجريمة يصاحبها  
دائماً ، بحكم طبيعتها ان صح التعبير ، شيءٌ من مرض ؟ » فذلك مسألة  
لم يشعر راسكولنيكوف أنه قادر على حلّها •

فلما انتهى الى هذه النتائج ارتأى أن امثال هذه الاضطرابات  
المرضية لا يمكن أن تعتر به هو ، واعتقد بأنه سيظل محافظاً على سلامة  
الرأى وقوة الارادة طوال فترة تنفيذ خطته ، وذلك لسبب بسيط هو  
أن ما ينوى القيام به « ليس جريمة » •••

لندع جانباً طريقة وصوله الى هذه النتيجة ، فلقد استبقنا منذ الآن  
أشياء كثيرة •

وحسبنا أن نضيف الى ما ذكرناه أن المصاعب الواقعية والعقبات  
المادية لم يكن لها في ذهنه الا دور ثانوى • كان يقول لنفسه : سوف

يكفينى أن أظل مسيطراً على ارادتى وعلى فكرى حتى تذلل جميع هذه الصعاب متى أزف الوقت فأصبح على أن أدقق فى أيسر تفاصيل القضية ، • ولكن القضية لم تبدأ ، فكان اقتناع راسكولنيكوف بأن قراراته حاسمة يضعف شيئاً بعد شيء • حتى اذا أزفت الساعة ، جرت جميع الأمور على غير ما تنبأ به ، حتى لكأنه لم يتنبأ بشيء فى يوم من الأيام •••

هناك ظرف من أبسط الظروف أذهله حتى قبل أن يهبط السلم : انه حين وصل الى فسحة المطبخ الذى كان بابه مفتوحاً كما يكون كذلك دائماً ، قد ألقى على الباب نظرة محاذرة مواربة ليتأكد من أن صاحبة البيت ليست فى المطبخ أثناء غياب ناستاسيا ، أو ليتأكد من أن باب غرفتها مغلق تماماً بحيث لا تستطيع أن تلمحه حين يدخل الى المطبخ لأخذ الساطور • فما كان أشد ذهوله حين رأى أن ناستاسيا لم تكن حاضرة فحسب بل كانت مشغولة كذلك ، فهى تخرج الفسيل من سلة وتشره على حبال • فلما رآته قطعت عملها والتفت نحوه ثم لم تحوّل بصرها عنه الى أن غاب • وقد أشاح راسكولنيكوف عينيه وابتعد كأنه لم يلاحظ شيئاً ، ولكن مهمته كانت قد أخفقت : ما من ساطور ! وأسودّت الدنيا فى عينيه •

قال يحدث نفسه وهو يجتاز باب المنزل : « من أين جئت بهذه الفكرة وهى أن ناستاسيا لا بد أن تكون فى هذه اللحظة غائبة حتماً ؟ لماذا اتخذت هذا القرار موقفاً هذا اليقين كله ؟ » وشعر بأنه مسحوق مذل • كان من شدة غضبه يشتهى أن يسخر من نفسه • ان حقاً غيباً حيوانياً أخذ يغلى فى أعماقه •

توقف تحت باب المنزل حائراً متردداً • انه يكره أن يمضى الى الشارع هكذا ، تقيداً بالشكل ، ولكنه يكره اكثر من ذلك أيضاً أن

يعود الى غرفته • جعجج يقول على نحو آلى : « يا لها من فرصة أضعتها ،  
أضعتها الى الأبد ! » قال ذلك وهو تحت قبة المدخل ، ولكن ها هو ذا  
الآن أمام حجرة البواب الصغيرة التي كان بابها مفتوحاً أيضاً • ارتعش  
راسكولنيكوف فجأة • لقد لمح فى هذه الحجرة ، على بعد خطوتين منه ،  
تحت دكة ، فى اليمين ، شيئاً يسطع ! نظر حواليه : لم ير أحداً •  
اقرب من الحجرة سائراً على رؤوس أصابع قدميه ، وهبط درجتين ،  
ونادى البواب بصوت ضعيف • لم يجبه أحد • قال يحدث نفسه :  
« نعم ! البواب غائب • لا بد أن يكون غائباً ! على كل حال ، أغلب  
الظن أنه فى مكان ما بالقضاء ما دام الباب مفتوحاً • واندفع نحو الساطور  
بوثة واحدة ( ان الشيء الذى يسطع كان ساطوراً ) • سحب الساطور  
من تحت الدكة حيث كان موضوعاً بين حطبتين ؟ وقبل أن يغادر الحجرة  
أسرع يضع الساطور فى الابزيم داخل المعطف ، ودس يده فى جيبه  
وخرج • لم يره أحد • قال يحدث نفسه وهو يتسهم ابتسامة غريبة :  
« لأنك محروم من العقل عاونك الشيطان ! » وشجته هذه المصادفة  
كثيراً •

سار فى الشارع بهدوء ووقار ورصانة دون أن يتعجل ، وذلك  
حتى لا يوقظ حوله شبهات • كان لا يكاد ينظر الى المارة ، حتى لقد  
كان يجهد أن لا يرفع عينيه ، بنية أن لا يراه أحد إطلاقاً • وتذكر  
عندئذ قبضته فقال يحدث نفسه : « ما أغبانى ! كان معى مال أول  
أمس ، ثم لم أشتري قبعة ! » وأفلتت منه شتمة ...

وألقى نظرة على داخل احد الدكاكين عرضاً فلمح ساعة معلقة  
فى الجدار تشير الى الساعة • كان عليه أن يغذ الخطى ، ولكن كان عليه  
كذلك أن لا يمضى الى منزل العجوز رأساً ، وانما ينبغي له أن يدور  
دورة • ان من الأفضل أن يدخل المنزل من الباب الآخر فى الجهة الثانية.

فى الماضى ، حين كان يتفق له أن يتصور هذا كله ، كان يقدرَ أحياناً أنه سيشعر بخوف شديد • ولكنه الآن لا يشعر بهذا الخوف الشديد بل لا يشعر بخوف البتة • الآن تشغله أفكار ليس لها أى شأن بالموضوع ، وما أكثر تبدلها وتغيرها ! فحين اجتاز حديقة يوسوبوف مثلاً ابتقت فى ذهنه فكرة توقف عليها ملياً ، هى أن من الواجب وضع نوافير مياه من شأنها أن ترطب الهواء ترطيباً لذيذاً فى الميادين العامة • وشيئاً فشيئاً انتهت الى الاعتقاد بأنه اذا وسّعت « حديقة الصيف » بحيث تشمل كل « ساحة مارس » ، واذا ضُمَّت هذه الحديقة الى حديقة « قصر ميشيل » ، فسيكون ذلك تجديداً فى المدينة ممتعاً ومفيداً فى آن • وهذا سؤال آخر يشده اليه بقوة :- تساءل راسكولنيكوف : لماذا يجب الانسان فى المدن الكبرى ، لا بحكم الضرورة بل بدافع الميل ، أن يمكث خاصةً فى الأحياء التى ليس فيها حدائق ولا نوافير مياه ، ولا يسودها الا الحما والعفن ؟ وتذكر عندئذ جولاته خلال « سوق العلف » ، فارتدَّ لحظة الى الشعور بالوضع الذى هو فيه ، فقال يحدث نفسه : « يا للسخف ! ان من الأفضل أن لا افكر البتة ! » •

وومضت فى ذهنه هذه الفكرة : « لا شك أن الذين يقادون الى المقصلة يشبث فكرهم هذا التشبث بجميع الأشياء التى يصادفونها فى طريقهم » • ولكن هذه الفكرة التى ومضت فى ذهنه بسرعة كسرعة البرق ، لم تلبث أن اختفت بسرعة كسرعة البرق أيضاً • لقد استطاع هو نفسه أن يحملها على الاختفاء ••• ولكن ها هو ذا قد اقترب ••• هذا هو المنزل ••• هذا هو مدخل العبارة ! وفى مكان ما ، رنّت ساعة حائط على حين فجأة • قال راسكولنيكوف متسائلاً : « ماذا ؟ أتكون هى السابعة والنصف ؟ أهذا ممكن ؟ مستحيل ••• لا شك أن هذه الساعة متقدمة ! ••• » • وابتسم له الحظ مرة أخرى حين اجتاز المدخل.

ان عربةً ضخمة محملة بالعلف كانت تدخل ، فى تلك اللحظة نفسها ، أمامه تماماً ، فتخفيه اخفاءً كاملاً طوال مدة مروره . فما ان نفذت العربة الى الفناء حتى كان هو قد استطاع أن يتسلل يمينه . وسمع عدة أصوات آتية من الجهة الأخرى وراء العربة . كان هناك أناس يصرخون ويتشاجرون . ولكن أحداً لم يلاحظه ، ولم يلتق بأحد البتة . وكانت نوافذ كثيرة مغلقة على الفناء المربع الواسع مفتوحة فى تلك اللحظة . ولكن راسكولنيكوف لم يرفع رأسه . لقد كان لا يملك من القوة ما يمكنه من رفع رأسه . والسلم الذى يفضى الى بيت العجوز يقع على اليمين قرب المدخل ، فسرعان ما كان راسكولنيكوف على ذلك السلم . . . .

حبس راسكولنيكوف أنفاسه ، وضغط باحدى يديه خفقات قلبه ، بينما كانت الأخرى تتلمس الساطور وتعديل وضعه . وأخذ يصعد متحاذراً صامتاً مصيحاً بسمعه فى كل لحظة . ولكن السلم كان خالياً كل الخلو هو أيضاً . ان جميع الأبواب مغلقة . لم يلتق راسكولنيكوف بأحد . صحيح أن باب شقة غير مسكونة ، فى الطابق الأول ، كان مفتوحاً . ان عدداً من الدهانين يعملون فى تلك الشقة ، ولكنهم لم يلاحظوه . توقف راسكولنيكوف لحظةً ، وفكّر ، ثم تابع الطريق وهو يحدث نفسه قائلاً : طبعاً . . . من الأفضل أن لا يوجدوا هنا . . . ولكن . . . ما يزال ثمة طابقان ! . . . .

هذا هو الطابق الثالث أخيراً . . . هذا هو الباب . . . هذا هو المسكن المقابل . . . انه ما يزال خالياً . . . وأغلب الظن ان المسكن الذى يقع تحت مسكن العجوز فى الطابق الثانى خال أيضاً . ان البطاقة المسمّرة على الباب قد زالت . . . معنى ذلك أن سكانه قد رحلوا . . . كان راسكولنيكوف يشعر باختناق . وومضت فى ذهنه فكرة سريعة سرعة البرق : « ماذا لو انصرفت ؟ » . ولكنه لم يجب عن هذا



السؤال ، وأنصت يصغى الى ما يجرى فى بيت العجوز : لا شئ الا الصمت ... صمت كصمت الموت . واستدار مرة أخرى نحو السلم ، وتسمع مدة طويلة بانتباه شديد ! ... وبعد ذلك ، ألقى على ما حوله نظرة أخيرة ، وجمع شتات أفكاره ، وتهاى ، وعدل مقبض الساطور فى الازيم مرة أخرى . تساءل بينه وبين نفسه : « ألسن مسرفاً فى الشحوب ، مسرفاً فى توتر الأعصاب ؟ انها شكاًكة ربابة ... أفلا ينبغى لى والحالة هذه أن أنتظر ... الى أن يهدأ قلبى ويسكن روعى ؟ » .

ولكن قلبه لم يهدأ . بالعكس : كان قلبه ، كأنما على عمد ، يدقّ دقا قوياً ، قوياً ، قوياً ... لم يطق صبراً ، فمد يده ببطء الى جبل الجرس ، وشده ، وبعد نصف دقيقة قرع الجرس مرة أخرى بقوة أكبر .

ما من جواب . فمّ قرع الجرس بغير طائل ؟ ثم ان هذا ليس بالمستحسن . لا شك أن العجوز فى منزلها ، ولكنها لكونها الآن وحيدة لا بد أن تكون اكثر شكاً وحذراً . لقد كان راسكولنيكوف يعرف بعض عاداتها ... وما هو ذا يضع أذنه على الباب مرة أخرى . أكانت حواسه مشحوزة شحذاً قوياً الى هذا الحد - وذلك ما يصعب أن يسلم به الناس عامة - أم أن الضجة كانت مسموعة حقاً ؟ المهم أنه قد ميّز ، على حين فجأة ، خشخشة يد محاذرة على الباب وحفيف ثوب يلامسه . لا شك أن أحداً يختبئ وراء هذا الباب ، ويصيح بسمعه من الداخل ، مثلما يصيح هو بسمعه من الخارج ، حابساً أنفاسه مثله ، واضعاً أذنه على الباب مثله أيضاً ...

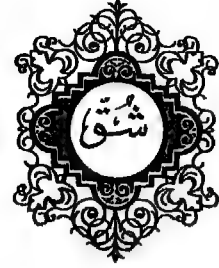
تعمد راسكولنيكوف أن يتحرك ، ودمدم بصوت عالٍ بغية أن

لا تحس العجز أنه يختبئ ، ثم قرع الجرس مرة ثالثة ، ولكنه قرعه  
فى هذه المرة برفق وهدوء ورصانة ورزاقنة ، بغير تعجل يدل على نفاذ  
الصبر •

ان ذكرى هذه اللحظة ستعاوده فى المستقبل واضحة مضيئة ،  
لأنها قد انطبعت فى ذهنه الى الأبد • ان راسكولنيكوف لم يستطع أن  
يفهم فى يوم من الأيام بعد ذلك ، من أين جاء ذلك المكر كله ، لاسيما  
أن فكره كان قد أظلم ، وأنه أصبح لا يكاد يشعر بجسمه •••

وبعد لحظة سمع صوت المزلاج يُسحب لفتح الباب •

## الفصل السابع



الباب قليلاً كما حدث في المرة الماضية ،  
وحدثت إلى راسكولنيكوف من قرارة الظلام  
عينان حادتان ريبأتان • هنا فقد راسكولنيكوف  
هدوء أعصابه فارتكب خطيئة أوشكت أن تفسد عليه كل شيء •

لقد خشي راسكولنيكوف أن تخاف العجوز من وجودها وحيدة  
معه ، وكان لا يأمل أن يرد إليها مظهره طمأنينتها ، فأسك الباب وشدّه  
إليه ، حتى لا يخطر ببالها أن تغلقه من جديد ؛ فلما رأت العجوز ذلك لم  
تشدّ الباب إلى جهتها ، ولكنها لم تترك قبضته أيضاً ، فأوشكت أن تجرّ  
إلى فسحة السلم • وحين رآها راسكولنيكوف ما تزال واقفة في العتبة  
لتسد الطريق ، مشى إليها قدماً ، فاذا بذعر شديد يستولى عليها ، وإذا  
هي تنهقر إلى الورا بوثبة واحدة ، وتحاول أن تقول شيئاً فلا تستطيع ،  
وتشخص إليه بكل عينيها •

قال لها وهو يصطنع هيئة طلاقة بقدر ما يستطيع ذلك :

— نهارك سعيد يا آليونا ايفانوفنا •

ولكن صوته لم يطعه ، فقد كان متقطعاً مرتجفاً • وتابع كلامه  
يقول لها :

— جئت بالرهن ••• ولكن فلنمض إلى هناك حيث الضوء أكثر ••

ولم ينتظر ان تدعوه الى الدخول بل نفذ الى الغرفة بخطى  
حازمة •

جرت العجوز وراءه • وانحلت عقدة لسانها فقالت :

— رباه ! ما هذا ؟ من أنت ؟ ماذا تريد ؟

— عجيب يا آليونا ايفانوفنا •• أنا راسكولنيكوف ••• انك تعرفيني  
منذ مدة طويلة ••• خذى ••• لقد جئتك بالرهن الذى وعدتك به آخر  
مرة •••

قال لها ذلك ومد اليها الرهن •

أخذت العجوز تتفحص الرهن ، ولكن سرعان ما عادت عيناها  
تحدقان الى عيني الرجل الغريب • كانت تنفرس فيه باتباه وخيف  
وخشية • انقضت دقيقة ، حتى لقد خيل الى راسكولنيكوف أنه يرى  
فى عينيها نوعاً من السخرية ، كأنما هى قد أدركت كل شيء • شعر  
راسكولنيكوف بأنه يفقد سيطرته على نفسه ، وأن خوفاً شديداً يمزوه ،  
خوفاً يبلغ من الشدة أنه سوف يولى هارباً اذا هى ظلت تحدق اليه هذا  
التحديق نصف دقيقة أخرى دون أن تقول كلمة واحدة •

قال فجأة ، بخبث أيضاً :

— ما بالك تنظرين الىّ هكذا كأنك لم تعرفينى ؟ خذى الرهن اذا  
شئت ••• والا لجأت الى غيرك ! ليس فى وقتى متسع •••

ان راسكولنيكوف لم يشأ أن ينطق بهذه الأقوال ، ولكنها أفلتت منه  
من تلقاء نفسها فجأة •

استردت العجوز هدوءها • ان اللهجة الجازمة فى كلام الرجل  
الغريب قد اعادت اليها الثقة •

سألته وهى تنظر الى الرهن :

- ولكن ، يا صديقى ، لماذا تفاجئنى هكذا ؟ ... وما هو هذا الشيء الذى تريد أن ترهنه ؟

قال راسكولنيكوف :

- هو علبة سجائر مصنوعة من الفضة • تعرفين ذلك حق المعرفة • حدثتك عنها فى المرة الماضية •

مدت العجوز يدها وقالت :

- ولكن ما أشد شحوبك ! ويداك ما بالهما ترتجفان ! مريض ، هه ؟

أجابها بصوت متقطع :

- نعم ... بى حمى ! ...

ثم أضاف يقول بمشقة كبيرة :

- وحين لا يملك المرء ما يأكله فلا بد أن يشحب لونه ! ...

لقد بارحته قواه من جديد • ولكن جوابه كان معقولا • تناولت العجوز الرهن •

سألت العجوز راسكولنيكوف ، وهى تنفّس فيه مرة أخرى ، وتروز الرهن بيدها :

- ما هذا ؟

- علبة سجائر ... من فضة ... أنظرى •

- لا يبدو أنها من فضة ! ... لكنك لفتتها لفاً أنيقاً جميلاً •

قالت ذلك وأخذت تحاول حل عقدة الحيط مقتربةً من النافذة ( كانت جميع النوافذ فى بيتها مغلقة رغم الحرارة الحاققة ) • تركت راسكولنيكوف اذن بضغ لحظات ، وأدارت له ظهرها • فكَّ راسكولنيكوف أزرار معطفه وسلَّ الساطور من الازيم ، ولكنه لم يخرجها اخراجاً تاماً ، فهو ما يزال يمسكه بيده اليمى تحت المعطف • لقد اعترى ذراعيه ضعفٌ شديد ، وهو يحس أنهما تزدادان تخدراً وثقلًا لحظةً بعد لحظة ، وتصبحان أشبه بقطعتين من خشب • خشى أن يرخى الساطور وأن يتركة يسقط ••• وأخذ رأسه يدور فجأةً ••• هتفت العجوز تقول بحدة وهى تتقدم خطوةً نحوه :

— من ذا يخطر بباله حقاً أن يربط صرةً هذا الربط ؟

لم يبق فى وقت راسكولنيكوف متسع للحظة يضيعها • وها هو ذا يخرج الساطور ، ويشهره بكلتا يديه ، ويسقطه على رأس العجوز وهو لا يكاد يعى ماذا يعمل ، ولا يكاد يبذل جهداً ، حتى لتوشك أن تكون الحركة التى قام بها حركةً آليّة • لقد نمت هذه الحركة من تلقاء نفسها دون أن تتدخل فيها قواه ، ولكنه ما ان أسقط الساطور حتى عادت إليه قواه • كانت العجوز عارية الرأس على عادتها • وكان شعرها الشائب ، المتناثر ، المدهين ، المزيت كثيراً ، المصفور على صورة ذيل فأرة ، المشدود ببقية مشط ، كان يبرز ناثلاً على قفا رقبتها • ولأن قامتها قصيرة فإن ضربة الساطور قد سقطت على قمة جمجمتها • أطلقت العجوز صرخةً ، ولكنها صرخة ضعيفة جداً • وكانت العجوز ما تزال تمسك الرهن باحدى يديها • هوى راسكولنيكوف على رأسها بضربة جديدة ، ثم بضربة أخرى ، باذلاً كل ما يملك من قوة ، وذلك بظهر الساطور أيضاً ، وعلى قمة الجمجمة كذلك • انبجس الدم من الرأس كأنه ينسكب من كأس ، وتهاوى الجسم الى وراء • تقهقر راسكولنيكوف ليخلى لها

مكانا ؛ ثم أسرع يميل على وجهها : كانت العجوز قد ماتت • لكأن عينيها المحملقتين تريدان أن تخرجا من حجابيهما • والوجه كله ، ولا سيما الجبين ، تبدو عليه علامات الانقباض والتشنج التي تصاحب الاحتضار •

وضع راسكولنيكوف الساطور على أرض الحجرة قرب الميثة ، وأسرع يمس يده في جيبيها متحاشياً أن تسيخ يدها بملامسة الدم • دس يده في ذلك الجيب نفسه الذي أخرجت منه العجوز مفاتيحها في المرة الماضية • كان راسكولنيكوف محتفظاً بصحو ذهنه ، كان لا يشعر بخور في عزمته أو بدوار في رأسه • ان يديه وحدهما ما تزالان ترتجفان • سوف يتذكر راسكولنيكوف في المستقبل أنه كان في تلك اللحظة شديد الالتباه كثير الحذر ، وأنه قد عرف كيف يتحاشى أن يلمس يديه بالدم • سرعان ما أخرج راسكولنيكوف المفاتيح • كانت المفاتيح ، كما في المرة الماضية ، مجمعة في حزمة واحدة تضمها بعضها الى بعض حلقة من فولاذ • حمل راسكولنيكوف المفاتيح بيديه وهروا مسرعاً الى غرفة النوم لا يضع لحظة واحدة • انها غرفة صغيرة جداً تنتصب فيها أيقونات في داخل خزانة كبيرة ذات زجاج • وعند الحائط المقابل يوجد سرير كبير ، نظيف جداً ، له غطاء من حرير ، مبطن بالقطن ومصنوع من عدة أقمشة مجمعة • وعند الجدار الثالث توجد الخزانة ذات الأدراج • شيء غريب : ما ان أخذ راسكولنيكوف يدخل أحد المفاتيح في قفل الخزانة ، وما ان سمع صريف المفاتيح ، حتى سرى في كيانه كله نوع من قشعريرة أو رعدة • وتنبى فجأة أن يدع كل شيء وأن ينصرف • ولكن ذلك لم يدم الا لحظة • لقد فات أوان الانصراف • وسخر راسكولنيكوف من نفسه حين وافته فكرة أخرى تنبئه الى الخطر • لقد خيل اليه بغتة أن العجوز ربما كانت ما تزال حية وربما تصحو من

غيبوتها • فاذا هو يترك المفاتيح والحزاة ، ويعود الى الجثمان رابضاً ، ويتناول الساطور ويشهره فوق العجوز مرة أخرى ، ولكنه لا يسقطه عليها • لقد كانت العجوز ميتة • لم يبق مجال للشك في هذا • وحين مال راسكولنيكوف عليها ليدقق النظر فيها من قرب ، رأى رؤية واضحة أن الجمجمة كانت قد انكسرت وأن قمتها كانت قد انحرفت قليلاً • اشتهى أن يضع هنالك اصبعه ، ولكنه منع نفسه عن ذلك : يكفيه ان يرى • وكان الدم قد شكّل على أرض الغرفة أثناء ذلك بركة كبيرة • ولح راسكولنيكوف ، على حين فجأة ، حبلاً صغيراً في عنق العجوز ، فشده ، ولكن الجبل كان متيناً فلم ينقطع ، وكان الى ذلك مشرباً بالدم • حاول راسكولنيكوف أن ينزع الجبل • ولكن شيئاً ما كان يشبه • ثارت نائرة راسكولنيكوف ، فشهر الساطور من جديد ، عازماً على أن يقطع الجبل فوق جسم العجوز ، لكنه لم يجزؤ أن يفعل ؟ واستطاع ، بعد دقيقتين من الجهد ، أن يقطع الجبل دون أن يحزّ الجثمان ، ملطخاً بالدم يديه والساطور معاً ثم سحب الجبل • لم يخطئ ظنه : هي صرّة مال • لقد علّق بالجبل صليبان ، أحدهما من خشب السرو ، والثاني من نحاس ، وعلّق به وسام مطلي بالميناء ، وحافظة نقود من جلد الوعل ، متسخة كل الاتساخ ، ولها قفل من فولاذ • كانت حافظة النقود تبدو محشوة • وضعها راسكولنيكوف في جيبه دون أن يدقق فيها • ثم ألقى الصليبين على صدر العجوز • وركض الى غرفة النوم من جديد ، حاملاً الساطور في هذه المرة •

وبسرعة محمومة ، أمسك المفاتيح ، وعاد ينهمك في معالجتها ، ولكن دون أن يفلح أيضاً ، فما من مفتاح من هذه المفاتيح كان يبدو أنه ملائم للقفل • ليس يرجع ذلك الى أن يديه كانتا ترتجفان ، وإنما يرجع الى أنه كان يخطئ في كل مرة • كان يدرك مثلاً أن هذا المفتاح من



المفاتيح ليس هو المفتاح المطلوب ، وأنه لا يدخل فى القفل ، ومع ذلك كان يستمر على محاولة ادخاله . وفجأة تذكر وفهم أن المفتاح المسنن الذى يتأرجح الآن بين سائر المفاتيح ، لا يناسب الخزانة ذات الأدراج حتماً ( وذلك ما سبق أن قاله لنفسه فى المرة الماضية ) ، بل يناسب صندوقاً ما ، وأن كل شيء ربما كان مودعاً مخبئاً فى ذلك الصندوق . ترك راسكولنيكوف الخزانة ذات الأدراج ، وأسرع يندس تحت السرير ، لعلمه بأن من عادة النساء العجائز أن يخفين صندوقهن فى هذا المكان . وكان يوجد تحت السرير فعلاً صندوق كبير ، يبلغ طوله أرسيناً ، وله غطاء محدودب منجد بجلد أحمر تزيينه مسامير صغيرة من فولاذ . انطبق المفتاح المسنن على القفل انطباقاً تاماً ، وفتح الصندوق . هذا معطف من جلد الأرنب مبطن بقماش أحمر ، يعلو سائر الأشياء التى يضمها الصندوق ، ويحميه غطاء أبيض ثم شال . وفى قرارة الصندوق لا يبدو أنه يوجد الا خرق . أخذ راسكولنيكوف يسبح بالبطانة الحمراء يديه الملطختين بالدم ، قائلاً لنفسه : « هى حمراء ، والدم لا يرى على قماش أحمر كما يرى على غيره » ، ولكنه سرعان ما عدل عن ذلك ، وتساءل مذعوراً : « رباه ! أنا بسبيل أن أصبح مجنوناً ؟ » .

غير أنه ما كاد يحرك الحرق الموجودة فى قرارة الصندوق حتى انزلقت من تحت المعطف ، على حين فجأة ، ساعة معصم . فقلب راسكولنيكوف عندئذ كل ما يضمه الصندوق . كان بين الحرق ، فعلاً ، أنواع شتى من أشياء ذهبية ( لعلها أشياء رهنها أصحابها عند آيونا ايفانوفنا ثم لم يستردوها ) : فهناك أساور وأقراط ودبابيس لرباط العنق وغير ذلك . ان بعض هذه الأشياء موضوع فى علب ، وبعضها ملفوف بورق جرائد لا أكثر ، ولكن ورقة الجريدة مزدوجة ومربوطة بخطه .

أسرع راسكولنيكوف يحشو بهذه الأشياء جيوب سرواله ومعطفه،  
مهماً حتى أن يفض الصرر ويفتح العلب . ولكن وقته لم يتسع لأخذ  
مقدار كبير من هذه الأشياء .

ذلك أنه سمع على حين فجأة أصوات وقع أقدام في الغرفة التي  
يرقد فيها جثمان العجوز . تجمّد وانشلّ من الذعر حتى وكأنه ميت .  
ولكن السكون لم يلبث أن عاد يخيم . فظن أنه كان ألعوبة وهم من  
أوهام الخيال . وما هي الا برهة وجيزة حتى سمع صرخة ضعيفة تنطلق  
على حين بفتة ، ثم عاد الصمت يخيم من جديد . ان صمتاً كصمت الموت  
قد ساد الجوّ خلال دقيقة أو دقيقتين . كان راسكولنيكوف جاثياً قرب  
الصندوق ينتظر ، وهو لا يتنفس الا بكثير من العناء . ثم نهض بوثبة  
واحدة ، فأمسك الساطور ، واندفع يخرج من غرفة النوم .

في وسط الغرفة كانت اليزابت واقفة وفي يدها سلة كبيرة .  
انها تنظر الى أختها الميتة مذعورة مصعوقة . كان وجهها شاحباً شحوباً  
شديداً ، وكانت كأنها لا تملك من القوة ما يمكنها من أن تصرخ . فلما  
رأت راسكولنيكوف أخذت ترتعش كورقة في مهب الريح . وسرت في جسمها  
كله رعدة قصيرة متقطعة . وتقبّض وجهها بتشنجات . رفعت ذراعيها ،  
وفتحت فمها ، دون أن تصرخ مع ذلك ، وأخذت تتقهقر الى الوراء  
بخطى بطيئة أمام راسكولنيكوف ، محاولة أن تلتو في ركن من  
الأركان . وكانت أثناء ذلك تحديق اليه وتفرس فيه ، ولكنها ما تزال  
خرساء لا تنطق ، كأنما انقطعت أنفاسها . هجم راسكولنيكوف عليها  
مسلياً بساطوره . تقلصت شفتا اليزابت من الألم ، وكأنها طفل من  
أولئك الأطفال الصغار جداً الذين اذا رأوا الشيء الذي يخيفهم ، هموا  
أن يصرخوا . مسكينة اليزابت ! كانت تبلغ من ضعف العقل ومن فرط

ما عاتته من اضطهاد فى حياتها أنها لم ترفع حتى ذراعها لتحمى وجهها ، مع أن هذه الحركة هى الحركة الطبيعية فى مثل تلك اللحظة ، لأن الساطور انما كان مصوباً الى رأسها • اكتفت اليزابت بأن رفعت قليلاً يدها اليسرى التى لا تحمل شيئاً ، فمدتها ببطء نحو راسكولنيكوف كأنما لتدفعه عنها • هوى راسكولنيكوف عليها بحدّ الساطور ، فأصابت الضربة جمجمتها ، وشقت أعلى جبينها حتى النافوخ تقريباً • سقطت اليزابت على الأرض كتلة واحدة ، فتناول راسكولنيكوف سلّتها ، وقد طار صوابه كله ، فرماه وأسرع راكضاً الى حجرة المدخل •

كان الذعر يستولى عليه بمزيد من القوة شيئاً بعد شيء ، ولا سيما بعد جريمة القتل الثانية هذه التى لم تكن فى الحسبان قط • انه الآن يتعجل مفادرة المكان بأقصى سرعة • ولو كان عندئذ فى حالة تمكنه من أن يرى رؤية أوضح وأن يفكر تفكيراً أسلم ؛ لو استطاع أن يدرك صعوبة وضعه الذى يتصف بأنه يائس عجيب مستحيل ؛ لو استطاع أن يتصور ، عدا ذلك ، العقبات الكثيرة التى ما يزال عليه أن يجتازها ، وربما الجرائم الكثيرة التى سيرتكبها لاتتزعج نفسه من هذا البيت والعودة الى مسكنه ، اذن لكان من الجائز جداً أن يترك كل شيء ، وأن يسادر فوراً الى تسليم نفسه ، لا عن خوف ، بل عن شعور بالهول والاشمئزاز مما فعل • لقد كان الاشمئزاز ، خاصةً ، يزداد دقيقةً بعد دقيقة • ما كان له الآن ، بحال من الأحوال ، أن يقترب من الصندوق ، أو حتى من الغرفة •

ولكن نوعاً من الذهول ، بل ومن الحلم ، قد استولى عليه شيئاً بعد شيء ؛ حتى لكأنه فى بعض اللحظات قد نسي نفسه ، أو قل نسي الأمر الأساسى وتشبّث بالتفاصيل وحدها • ثم انه حين ألقى نظرة على المطبخ لمح قادوساً موضوعاً على دكة • وممثلثاً نصفه بالماء • فارتأى أن يغسل

فيه يديه والساطور . كانت يدها الملطختين بالدم لزجتين . أغطس حدّ  
الساطور في الماء ، وتناول من على حافة النافذة قطعة صغيرة من صابون  
كانت موضوعة في صحن مثلث ، وأخذ يفسل يديه داخل القادوس .  
فلما انتهى من غسلهما ، سحب الساطور ، فظنّف نصله ، ثم لبث ثلاث  
دقائق كاملة يدلك مقبضه في المواضع الملوّخة بالدم ، حتى لقد استعمل  
في تنظيفه الصابون . وبعد ذلك مسح الساطور كله بخرقة كانت تجف  
على مقربة منه فوق حبل مشدود في المطبخ . ثم اقترب من النافذة ، وراح  
يفحص الساطور باتباه شديد . لم يبق على الساطور أى أثر ، ولكن  
مقبضه ما يزال رطباً . دسّ راسكولنيكوف الساطور في الابزيم الذى  
خاطه في داخل معطفه ، ثم أخذ يفحص المعطف والسروال والخدّين ،  
بالتدبر الذى أتاحه له النور الضعيف . لا شيء ، من النظرة الأولى ،  
يبدو على مظهره من خارج . على الخدّين وحدهما كان يمكن أن يرى  
الناظر بضع بقع . بلّل راسكولنيكوف خرقة ومسح الخدّين . على أنه  
كان يعرف أنه لا يرى رؤية واضحة ، وأنه ربما كان هنالك شيء يخطف  
الأبصار ولكنه لا يلاحظه . وقف في وسط الغرفة حائراً مضطرباً .  
وهذه فكرة مظلمة قائمة تنزوه ، وهى أنه يتصرف تصف مجنون ، وأنه  
لا يملك في هذه اللحظة لا القدرة على التفكير ولا القدرة على الدفاع  
عن نفسه ، وأن ما يجب عليه أن يفعله قد يكون غير هذا تماماً . دمدم  
يقول : « رباه ! ان على أن أهرب ، أن أهرب ، أن أهرب ! » . واندفع  
نحو حجرة المدخل . ولكن هناك انما كان ينتظره رعب لم يشعر بمثله  
فى حياته !...

لبث راسكولنيكوف جامداً لا يتحرك ، وأخذ ينظر فلا يصدق  
عينه : ان الباب الذى يفضى الى فسيحة السلم ، هذا الباب الذى قرع  
جرسه ودخل منه منذ قليل ، هو الآن مفتوح ، مفتوح تماماً . لا مفتاح

ولا مزلاج اذن ، طوال الوقت الذى انقضى ! ان المعجوز لم تغلق الباب اذن بعد دخوله ، ربما من باب الاحتياط والحذر ! ولكن ما هذه الحواطر ؟ ألم يرَ اليزابت بعد ذلك ؟ فكيف لا يخطر بباله أنها لا بد أن تكون قد دخلت من مكانٍ ما ؟ انها لم تخترق الجدران على كل حال !! ••

• وأسرع راسكولنيكوف الى الباب فأوصد المزلاج •

ثم سرعان ما قال يحدث نفسه : « لا ، لا ، ليس هذا ما يجب على أن أفعله • ينبغي أن أنصرف ، أن أنصرف ! » •

وسحب المزلاج ، وفتح الباب ، وأخذ ينصت الى ضججات السلم متجسساً •

لبث يتجسس هذا التجسس مدةً طويلة • هناك ، فى بعيد ، ربما عند باب العمارة ، أصوات رجلين صارخين معولين ، يتشاجران ويتشاتمان • تسأل راسكولنيكوف : « ما بالهما ؟ » • وانتظر صابراً • وصمت كل شيء فى آخر الأمر دفعةً واحدة : افترق الرجلان • استعد راسكولنيكوف للخروج ، فإذا بباب فى الطابق الأسفل يُفتح على حين فجأة صاحباً ، فيخرج منه أحدٌ ويأخذ يهبط درجات السلم وهو يدندن لحناً من الألحان • قال راسكولنيكوف يحدث نفسه : « ولكن ما بالهم يحدثون مثل هذه الضجة جميعاً ؟ » وعاد يغلّق الباب عليه من جديد ، وانتظر • وأخيراً انقطعت كل ضجة ، فما من حركة ومن من نائمة • خرج راسكولنيكوف • ولكنه ما ان وضع قدمه على أول درجة من درجات السلم حتى سمع مرةً أخرى أصوات وقع أقدام • ان أصوات وقع الأقدام هذه آتية من بعيد ، من أسفل السلم ، ولكن راسكولنيكوف تذكر فيما بعد ، تذكر تذكرأ واضحاً جداً ، أنه منذ سمع صدى أول خطوة ، أوجس فوراً أن « ذلك آت الى هنا ، حتماً ، الى الطابق الثالث ،

الى مسكن المعجوز • ماذا كان فى تلك الضجة من شىء خاص ذى دلالة الى هذا الحد ؟ كانت الخطوات ثقيلة، موزونة ، أميل الى البطء • ها هو ذا « القادم » يجتاز الطابق الأرضى ، ها « هو » ذا يستمر فى الصعود ، ان صوت وقع خطاه يزداد قوة ، وما ينفك يزداد قوة ! ان راسكولنيكوف يسمع الآن لهاته • ها هو ذا يبلغ الطابق الثانى • أحس راسكولنيكوف بتجمد فى جسمه • ان الأمور تجري كما تجري فى الأحلام تماماً ، حين يرى النائم نفسه ملاحقاً مطارداً ، فيحرق به خصمه ، ويصبح هو مهدداً بالموت ، فيظل مسرراً فى مكانه ان صح التعبير ، عاجزاً عن تحريك ذراعيه •

ولم يشب راسكولنيكوف الى رشده الا حين أخذ القادم يعبر الى الطابق الثالث • فاستطاع عندئذ أن يرجع الى البيت مسرعاً محاذراً ، وأغلق على نفسه الباب ، ثم أمسك المزلج فدفعه دفعاً رقيقاً بلا ضجة ، تقوده فى ذلك غريزته ، ثم التصق بالباب حابساً أنفاسه • وكان القادم المجهول قريباً من الباب هو أيضاً • ان كلا من الرجلين يقف الآن امام الآخر على نحو ما كان يقف راسكولنيكوف والمعجوز منذ قليل ، حين لم يكن يفصل بينهما الا سمك الباب ، وحين كان راسكولنيكوف مصغفاً سمعه يتصنت •

تنفس الزائر عدة مرات بمشقة كبيرة • قال راسكولنيكوف يحدث نفسه وقد تقلصت يده على الساطور : « لا بد أنه طويل وضخم » • حقاً ان ذلك كله يشبه الأحلام شبيهاً كبيراً • أمسك الزائر جبل الجرس ، وشدّه شداً قوياً •

فما ان دوى رنين الجرس حتى أحسّ الزائر المجهول بأنه يسمع ضجة خفيفة فى العنقة كأن أحداً قد تحرك ؟ حتى لقد أنصت جاداً

خلال بضع نوان ؛ وقرع الزائر المجهول الجرس مرة اخرى وانتظر  
ثم اذا هو يثور على حين فجأة ويأخذ يهز قبضة الباب بكل ما أوتى من  
قوة . فكان راسكولنيكوف ينظر مذعوراً الى المزلاج الذى أخذ يتهزز  
فى الرزة . ان راسكولنيكوف يتوقع ، وقد شلَّه الرعب ، أن يرى المزلاج  
ينخلع من لحظة الى أخرى . والحق أن انخلاع المزلاج لم يكن  
مستحيلاً . فلقد كان الرجل يهز الباب هزاً قوياً يمكن أن يخلع  
المزلاج . خطر ببال راسكولنيكوف فى لحظة من اللحظات أن يسند  
المزلاج بيده . ولكنه أمسك عن ذلك ، لأن الرجل كان سيلاحظ هذه  
الحركة . أخذ راسكولنيكوف يشعر بدوار ، وقال يحدث نفسه : « ها أنا  
ذا أوشتك أن أقم ، . ولكن الزائر المجهول أخذ يتكلم ، فسرعان ما تاب  
راسكولنيكوف الى رشده .

صاح الرجل المجهول يقول بصوت أجش :

— هيه ! ماذا ؟ هل الجيفتان نائمتان هناك أم أن أحداً ذبيهما ؟  
هيه ! أنت يا آليونا ايفانوفنا ! يا عجوز النحس ! وأنت يا اليزابت  
ايفانوفنا ، يا جمالاً لا يضارع ! افتح الباب ! آه . . . يا للجيفتين !  
أهما نائمتان حقاً ؟

وجنَّ من الغضب مرة أخرى فشدَّ حبل الجرس بكل قواه عشر  
مرات متتالية . لا شك أنه رجل خطير الشأن ، وأنه فوق ذلك من رواد  
هذا المنزل الذين ألفوا التردد اليه .

وفى تلك اللحظة نفسها سمع صوت وقع خطوات صغيرة متعجلة  
قرب السلم .

كان شخص آخر يقترب . ولم سمع راسكولنيكوف ضجة بجيئه  
فى أول الأمر .

صاح القادم الجديد يقول بصوت رنان مرح مخاطباً الزائر الأول  
الذى كان لا يزال يشد الحبل :

- هل يمكن أن لا يكون فى البيت أحد ؟ نهارك سعيد يا كوخ !  
قال راسكولنيكوف يحدث نفسه : « صوته يدلُّ على أنه شاب فى  
ريعان الشباب » ،

أجاب كوخ :

- لا يعلم الا الشيطان ماذا جرى !  
لقد أوشكتُ أن اكسر القفل • ولكن كيف تعرفنى أنت ؟  
- ما هذا الكلام ؟ ألم أغلبك أمس الأول ثلاث مرات متتالية فى  
البلياردو بمقهى جامبرينوس ؟  
- آ • • •

- أليستا اذن فى البيت ؟ هذا شيء غريب ! وهو فوق ذلك شيء  
مزعج ! أين عساها ذهبت ، هذه العجوز ؟ لقد كنت آتياً اليها لأعمال • • •  
- أنا أيضاً آتٍ اليها لأعمال ، يا صديقى ! • • •  
صاح الشاب يقول :

- ماذا تفعل اذن ؟ يا لسوء الحظ ! كنت احسب أنتى سأحصل  
على بعض المال •

- طبعاً لم يبق لنا الا أن ننصرف ، ولكن لماذا حددتْ لى موعداً ؟  
بالعجوز الشمطاء ! هى التى حددتْ لى هذا الموعد ! ثم انتى قد اضطرتت  
من أجل الوصول أن أدور دورة طويلة • أين عساها ذهبت ؟ انتى  
لا أفهم ! انها تقبع فى بيتها طول العام ، هذه العجوز الشمطاء • • •



وتعفن في مكانها لا تبارحه ... لأنها تشكو من أوجاع في ساقيها  
فما بالها تمضي تتجول الآن على حين فجأة ؟ ...

- ما رأيك الآن في أن نسأل البواب ؟

- نسأله عماذا ؟

- نسأله عن المكان الذي ذهبت إليه، وعن الوقت الذي ستعود فيه!

- هم ... نسأل ؟ ولكن كيف نسأل عن المكان الذي ذهبت

إليه وهي لا تذهب الى أى مكان في يوم من الأيام ؟

قال الرجل ذلك وشدة قبضة الباب مرة أخرى ، ثم أضاف :

- لا فائدة ! لم يبق الا أن نتصرف !

صرخ الشاب على حين فجأة قائلاً :

- انتظر ! أنظر ... ان الباب يتحرك حين يُهزُّ .

- على أى شيء يدل هذا ؟

- يدل على أن الباب ليس مقفلاً بالمفتاح ، وانما هو موصد

بالمزلاج وحده . ألا تسمع صرير المزلاج ؟

- وعلى أى شيء يدل هذا ؟

- كيف لا تفهم ؟ هذا يدل على أن احدهما ، في أقل تقدير ،

موجودة في البيت ؟ فلو انهما خرجتا كلتاهما لأغلقتا الباب بالمفتاح من

خارج ، لا بالمزلاج من داخل . انك تسمع صرير المزلاج ... ألا

تسمعه ؟ ومن أجل اغلاق الباب بالمزلاج من الداخل لا بد أن يكون

في البيت أحد . هل فهمت ؟ هما اذن في بيتهما ، ولكنهما لا تريدان

أن تفتحا .

صاح كوخ يقول مدهوشاً :

- حقاً ... حقاً ! تُرى ماذا تصنعان ؟
- وراح يهز الباب غاضباً من جديد •
- هتف الشاب يقول مرة أخرى :
- انتظر ! كفاك هزاً للباب ! ان في الأمر سرّاً ! لقد قرعت  
الجرس وهزرت الباب فلم تفتحا !... معنى هذا : اما أنهما مغشّى  
عليهما ، واما أنهما ...
- واما أنهما ماذا ؟
- هلم نستدعي البواب • الأفضل أن يتولى هو إيقاظهما !
- موافق •
- وأخذ الرجلان يهبطان على السلم • ولكن الشاب ما لبث أن قال :
- انتظر ! ابق هنا ، وأنا استدعي البواب •
- أبقى هنا ؟ لماذا ؟
- لا يدرى أحد ماذا يمكن أن يحدث •
- لك ما تشاء •
- قال الشاب بلهجة صارمة :
- أرايت ؟ اننى أهىء نفسى لوظيفة قاضى تحقيق ! الأمر واضح ،  
وا... ضح ! لا شك أن هناك سرّاً •
- واندفع الشاب راكضاً على السلم •
- فلما أصبح كوخ وحيداً شَدَّ حبل الجرس برفق ، فرن الجرس  
رنه واحدة ، ثم هزَّ قبضة الباب مرة أخرى ببطء ، كمن يفكر أو  
يحاذر ، فهو يشدها اليه ويرخيها ليتأكد من أن الباب ليس موصداً الا  
بالزلاج • ثم زفر زفرة قوية ، ومال الى تحت ، ونظر من ثقب القفل ،

ولكن المفتاح كان مدسوساً في القفل من الداخل ، فلا يمكن أن يرى شيء .

لبث راسكولنيكوف ساكناً جامداً ، قابضاً على ساطوره . كان في حالة قريبة من الهذيان . حتى لقد كان يتهاً لأن يقاتلها متى دخلا . ولقد خطر بباله مراراً حين كانا يقرعان ويتشاوران أن يحسم الأمر دفعةً واحدة فيناديهما من خلال الباب . وامشبت به في بعض اللحظات رغبة مجنونة رغاء في أن يسخر منهما ، وان يستهزئ بهما ، وأن يطرهما بوابل من الشتائم قبل أن يفتح الباب . لقد ومضت في ذهنه بمثل سرعة البرق هذه الفكرة : « يجب أن أحسم الأمر بأقصى سرعة » . وكان الوقت ينقضي . مضت دقيقة ، ومضت دقيقة أخرى . . . . دون أن يرجع أحد . أخذ كوخ يضطرب .

وها هو ذا يهتف فجأة :

— ما شأنى أنا !

ونفذ صبره ، فترك مكانه ، وهبط بسرعة هو أيضاً . ان أصوات وقع حذاءيه تدوى على السلم . ثم انقطعت هذه الأصوات .

— ما العمل يا رب ؟

قال راسكولنيكوف ذلك ثم سحب المزلاج وشق الباب . لم يسمع أية نائمة . وبدون أن يفكر مزيداً من التفكير ، خرج وأغلق الباب وراءه برفق ، واندفع يهبط السلم .

حتى اذا اجتاز طابقين تقريباً سمع صخباً يدوى تحت . أين يختبئ ؟ لم يعرف أين يستطيع أن يختبئ . حتى لقد تهاً لأن يقفل راجعاً وأن يعود الى بيت العجوز ركضاً .

— هيه ، لعنة الله عليه ! يا للشيطان ! أوقفوه !

ان الشخص الذى أطلق هذه الصرخات قد وثب من شقة  
فى أسفل ، وأخذ يصعد السلم تدرجاً ان صح التعبير ، صائحاً بأعلى  
صوته :

- ميتكا ! ميتكا ! ميتكا ! \* شيطان يقشر جلدك ! باللمحزون !  
وانتهى الصراخ بعويل حاد ، فكانت اصداؤه تترجع فى فناء  
المنزل ثم صمت كل شيء . ولكن فى تلك اللحظة نفسها أخذ عدة  
رجال يصعدون السلم محدثين ضجة كبيرة وهم يتكلمون كثيراً بصوت  
عالٍ . لعل عددهم ثلاثة أو أربعة . ويميز راسكولنيكوف ذلك الصوت  
الرنان ، صوت الشاب الذى كان يربط على الباب مع كوخ منذ قليله  
قال لنفسه : « انهم هم » .

شعر راسكولنيكوف بيأس مطلق فمضى الى لقائهم قُدماً قائلاً  
لنفسه : « ليكن ما يكون ! » . لقد ضاع كل شيء : اذا استوقفوه فقد  
ضاع كل شيء ، واذا تركوه يمر فقد ضاع كل شيء أيضاً لأنهم  
سيذكرونه ...

أوشكوا أن يلتقوا . ليس يفصلهم الآن الا طابق واحد ! ولكن  
ها هو ذا راسكولنيكوف ينجو فجأة ! فبعد بضع درجات ، على اليمين ،  
كان هناك بيت خال مفتوح بابيه ، هو ذلك البيت نفسه الذى يقع  
فى الطابق الاول والذى كان يعمل فيه الدهانون . لقد غادره الدهانون  
منذ قليل ، بمصادفة تشبه أن تكون عمداً . لا شك أنهم هم الذين خرجوا  
منذ قليل محدثين ضجاً شديداً . ان خشب الأرض فى هذا البيت ما يزال  
طلاؤه غضاً . وفى وسط الغرفة الأولى طشت ووعاء مملوء دهاناً  
وفرشاة كبيرة . تسلل راسكولنيكوف الى البيت من الباب المفتوح  
فى مثل لمح البصر سرعة ، ولطا على الحائط . وفى ذلك الوقت نفسه

كان الرجال قد وصلوا الى فسحة السلم ، فداروا وصعدوا الى الطابق الثالث ، وهم ما يزالون يتكلمون بصوت عال . انتظر راسكولنيكوف بضع لحظات ثم خرج سائراً على رءوس الأصابع وأخذ يهبط السلم راكضاً .

ما من أحد كان على السلم ! وما من أحد كان تحت قبة مدخل العمارة ! اجتاز العتبة مسرعاً ، حتى اذا سار في الشارع ، التفت يسرة . كان يعلم حق العلم ، كان يعلم علم اليقين أنهم في هذه اللحظة نفسها موجودون في بيت العجوز ، وأنهم قد دهشوا أشد الدهشة حين رأوا الباب مفتوحاً بعد أن كان مغلقاً منذ قليل ، وأنهم ينظرون الى الجنتين ، وأنهم لن يحتاجوا الى اكثر من دقيقة واحدة من أجل أن يدركوا حق الادراك أن القاتل قد بارح المكان منذ برهة وجيزة ، وأنه أفلح في الاختباء بمكان ما ، وأنه قد تسلل من بين أصابعهم ان صح التعبير . ولعلهم قدروا أيضاً أن هذا القاتل قد اعتصم بالبيت الخالي بينما كانوا يصعدون السلم .

ومع ذلك لم يجرؤ راسكولنيكوف ان يعجّل سيره ، رغم أنه ما يزال هناك مائة خطوة عليه أن يقطعها حتى يصل الى المنعطف التالي . تسام : « ماذا لو تسللت فاخترت تحت أحد الأبواب ؟ ماذا لو انتظرت الأحداث في سلم منزل مجهول ؟ » ثم أجاب عن سؤاله بقوله : « لا ، هذا رأى فاسد ! » وتسام ايضاً : « ماذا لو رميت الساطور في مكان ما ؟ ماذا لو ركبت عربة ؟ » ثم أجاب عن سؤاله بقوله : « لا ، هذا رأى فاسد ، رأى فاسد ! » .

كانت أفكاره مضطربة مختلطة . وها هو ذا يصل أخيراً الى شارع صغير ، فيدخل فيه وهو أقرب الى الموت منه الى الحياة . انه في هذا

الشارع لا يثير حوله الشبهات كما يمكن أن يثيرها هناك • ثم ان الناس يذهبون ويجيئون هنا كثيراً •

ضاع راسكولنيكوف في الجمهور كحبة رمل ، ولكن تلك المحن كلها كانت قد هدّت قواه ، فهو لا يكاد يستطيع أن يسير • كان العرق يسيل منه ، وكانت عنقه مبتلة مخضلة ، حتى ان أحد المارة صرخ يقول حين وصل راسكولنيكوف الى القناة : « يا للسكران ! » •

أصبح راسكولنيكوف لا يعي نفسه كثيراً ، وكانت حاله تزداد سوءاً عند كل خطوة جديدة • ان اللحظة الوحيدة التي بقيت في ذاكرته هي اللحظة التي وصل فيها الى رصيف القناة ، فأرعبه أن يرى أن الناس هناك قليل ، فمن الممكن أن يلاحظ • فأوشك عندئذ أن يعود أدراجه الى الشارع الصغير • ومع ذلك ، ورغم أنه قد بلغ من الضعف أنه لا يكاد يستطيع الوقوف على قدميه ، فقد دار دورة طويلة ، ورجع الى بيته من جهة أخرى تماماً •

وحين اجتاز مدخل العمارة التي فيها بيته ، لم يكن قد استرد صحو ذهنه بعد • ومهما يكن من أمر فانه لم يتذكر الساطور الا حين صار في السلم ، مع أن هذه المسألة هي من أخطر المسائل التي كان عليه أن يحلها • لقد كان عليه أن يعيد الساطور الى مكانه مهما كلّف الأمر ، وذلك على أخفى نحو ممكن • يجب أن نذكر أنه كان بطبيعة الحال عاجزاً حتى أن يتصور أن من الأفضل له ، بدلاً من اعادة الساطور الى مكانه ، أن يرميه ، ولو بعد مدة ، في أي مكان ، في فناء عمارة من العمارات •

جرى كل شيء على خير وجه • كان باب غرفة البواب مغلقاً ، ولكنه ليس مقفلاً بالفتاح • معنى ذلك أن البواب لا بد أن يكون

فى غرفته • ولكن راسكولنيكوف كان قد بلغ من العجز عن التفسير فى أى شىء أنه أقبل على غرفة البواب بخطى حازمة ، وفتح الباب • ولو قد سأله البواب عندئذ : « ماذا تريد ؟ » اذن لكان من الممكن أن لا يزيد على أن يمد اليه الساطور • ولكن البواب كان غائبا فى هذه المرة أيضاً ، واتسع وقت راسكولنيكوف لأن يعيد الساطور الى مكانه تحت الدكة ، حتى انه لم يفته أن يضع فوقه الحطبة التى كانت موضوعة عليه حين أخذه • واستطاع بعد ذلك أن يبلغ غرفته دون أن يصادف فى طريقه أى مخلوق • وكان باب صاحبة البيت مغلقاً •

حين دخل راسكولنيكوف حجراته ارتعى على الأريكة دون أن يخلع ملابسه • ولم ينم ، لكنه ظل مكباً على وجهه وهو فى حالة تشبه التخذر ، فلو قد دخل عليه أحد فى ذلك الوقت ، لأسرع يشب عن سريره واقفاً ، ولأخذ يصرخ • ان شذرات من أفكار تتصادم فى رأسه ، ولكنه ، رغم الجهود التى بذلها ، لم يستطع أن يقبض على أية فكرة من تلك الأفكار ، ولم يستطع أن يتلبث على واحدة منها •

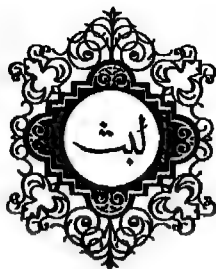




الجزء الثاني



## الفصل الثامن



راسكولنيكوف رافداً هذا الرقاد زمناً طويلاً •  
وكان يتفق له أن يستيقظ نصف استيقاظ ، فكان  
يلاحظ أثناء تلك الدقائق القليلة أن الليل يتقدم ،  
ولكن لم يخطر باله قط أن ينهض . ورأى أخيراً

أن النور قد انتشر فكأنه النهار •

كان مستلقياً على ظهره ، وهو ما يزال على تلك الحال من التخدر •  
ومن الشارع ، كانت تصل إليه أصوات عويل رهيبية ، وهى أصوات  
كان يسمعها كل ليلة تحت نافذته فى الساعة الثانية من الصباح ، وكانت  
هى التى توقظه من نومه • قال راسكولنيكوف لنفسه : « آ • • • ها هم  
السكرارى يخرجون من خمّاراتهم • لا شك أنها الساعة الثانية ! » •  
وبوثة واحدة ، نهض عن الأريكة وقال يخاطب نفسه : « ماذا ؟ أتكون  
هى الساعة الثانية ؟ » • ثم عاد يجلس على الأريكة ، وسرعان ما عاد الى  
ذهنه كل شيء ، فإذا هو يتذكر كل ما حدث ، دفعةً واحدة فى لحظة  
قصيرة •

اعتقد فى أول الأمر أنه فقد عقله • وها هى ذى رعدة باردة  
تسرى فى جسمه • ولكن هذه الرعدة ناشئة أيضاً عن الحمى التى اتابته  
منذ مدة بينما كان نائماً ؛ وهى تهزه الآن هزاً يبلغ من القوة أن أسنانه  
تصطك • فتح الباب وأصاح بسمعه : كان كل شيء فى المنزل ينام نوماً

عميقاً • دُهِشَ ، وألقى نظرة على نفسه وعلى ما حوله • لم يستطع أن يفهم كيف أمكنه ، فى الليلة البارحة ، حين دخل غرفته ، أن لا يوصدها بالكلاّبة ، وأن يرتقى على أريكته دون أن يخلع ملابسه ، بل ودون أن يخلع قبّعته • كانت القبعة قد تدرجّت على الأرض ففى ترقّد الآن قرب الوسادة • تساءل راسكولنيكوف : « لو دخل علىّ أحد ، فماذا كان يمكن أن يظن ؟ أكان يمكن أن يظن أنّى سكران ، ولكن ... • • • • • وهرع نحو النافذة • كان الضوء منتشرًا • وأسرع يتفحص نفسه من القدمين الى الرأس ليرى ألا يزال على ثيابه آثار • ولكنه لم يلبث أن قال لنفسه ان هذه الطريقة ليست هى الطريقة التى يجب عليه أن يتبعها ، ثم نضا عنه ثيابه وأخذ يفتشها وهو يرتجف من الحمى ارتجافاً شديداً • قلب ثيابه ثم قلبها ، منقباً فى كل درزة • ثم لم يثق بحسن ملاحظته ، فأعاد فحصها ثلاث مرات • ولكن لم يكن ثمة شيء • كان يبدو فعلاً أنه لم يبق أى أثر ، الا بضعة قطرات من دم متخثر فى أسفل سرواله المتهرىء المتسَلّ •

تأول مقرضاً كبيراً فقصّ به حاشيتى السروال • كان يبدو حقاً أنه ليس ثمة آثار غير هذه الآثار • وتذكر فجأة أن حافظة النقود والأشياء التى أخرجها من صندوق العجوز ما تزال حتى الآن فى جيبه • لم يكن قد خطر بباله أن يخرجها من الجيب وأن يخبئها ، لا ولا فكرّ فيها منذ قليل ، حين كان يفتش ثيابه • ما معنى هذا ؟ وما هو ذا قد أخذ يسلّتها من الجيوب بمثل لمح البصر سرعة ، ثم يرميها على المضدة • حتى اذا فرغ من اخراج كل شيء ، ثم قلب الجيوب ليتأكد مزيداً من التأكد أنه لم يبق فى الجيوب شيء ، مضى يضعها جميعاً فى أحد الأركان • ففى ذلك الركن يوجد ثقب تحت الورق الذى يغطى الجدار والذى كان منزوعاً ممزقاً • فما هى الا لحظات حتى دسّ جميع الأشياء فى الثقب

تحت الورق ، وقال يحدث نفسه : « حسن ! دخل كل شيء ! لا أحد رأى ولا أحد عرف ! حتى حافظة النقود اختفت ! » . قال ذلك فرحاً وهو ينهض عن الأرض وينظر مدهوشاً الى الركن الذي أصبح ورق الحائط فيه منتفخاً مزيداً من الانتفاخ . ولكنه لم يلبث أن ارتعش من الرعب على حين فجأة ، ودمدم يقول يائساً : « رياه ! ماذا فعلت ؟ أهكذا يخبأ شيء من الأشياء ؟ » .

الحق أن راسكولنيكوف لم يكن يقدر أنه سيأخذ من عند العجوز أشياء ، وإنما كان يتصور أن لا يجد الا مالاً ، لذلك لم يهيئ مخبأ يخفى فيه ما قد يأخذ من أشياء . قال يسأل نفسه : « ولكن هل هناك الآن ما يدعو الى الابتهاج ؟ أهكذا يخبأ شيء من الأشياء ؟ حقاً لقد ذهب عقلى ! » . وتهالك على الأريكة مهدود القوى خائر العزم ، وسرعان ما عادت اليه تلك الرعدة التي لا تطاق . وها هو ذا يشد اليه ، على نحو آلى ، معطفه القديم الذي كان يرتديه طالباً ، والذي يوجد الآن على كرسى ، وهو معطف شتوي دافئ ، لكنه قد أصبح منذ الآن أشبه بخرقة بالية . شدّ راسكولنيكوف المعطف ، وغطى به جسمه . فاستولى عليه النوم والهديان من جديد ، وغاب عنه شعوره .

فما ان انقضت خمس دقائق حتى وثب عن أريكته مرة أخرى ، وعاد يسرع الى ثيابه سائلاً نفسه : « كيف أمكنتى أن أنام بينما أنا لم أفعل شيئاً بعد ؟ نعم ، اننى لم أفعل شيئاً بعد ! حتى الابرزيم لم أنزعه من تحت الابط حتى الآن ! كيف أمكنتى أن أنسى أمراً هاماً كهذا الأمر ، كيف أمكنتى أن أنسى قرينة خطيرة كهذه القرينة ؟ » . وانتزع الابرزيم ، ثم أسرع يقطعه قطعاً صغيرة يرميها واحدة بعد واحدة تحت الوسادة بين الغسيل : « ان قطعاً ممزقة من قماش لا يمكن أن تثير الشبهات بحال من الأحوال ، أو هذا ما يخيّل الى » . . . . ذلك ما كان يردده

راسكولنيكوف واقفاً في وسط الغرفة • ثم أخذ يتجول بصره حواليه ، على أرض الغرفة ، في جميع الجهات ، ليرى هل أغفل شيئاً من الأشياء • فعل ذلك وهو يشعر بتوتر نفسي أليم • لقد كان على يقين من أن كل شيء يبارحه ، حتى ذاكرته ، وحتى أية قدرة على التفكير ، فكان ذلك يعذبه عذاباً لا طاقة له به • قال يسأل نفسه : « ماذا ؟ أأكون «الأمر» قد بدأ منذ الآن ؟ أأكون هذا هو العقاب ؟ » • • • نعم ، نعم ، هذا هو العقاب !

وعثر فعلاً على بقايا من قصاصات السروال كانت ملقاةً على الأرض يستطيع أن يراها أول قادم • فصرخ يقول وقد تاه عقله من جديد : « ماذا فعلت ؟ » •

هنا راودته فكرة غريبة : ربما كانت ثيابه نفسها مغطاة بالدم ، ربما كان ثمة بقع كثيرة ولكنه لا يراها ولا يلاحظها لأن رأيه قد فسد ولأن فكره قد أظلم ! • • • وتذكر فجأة أن حافظة النقود أيضاً قد تلطخت بالدم فقال لنفسه : « معنى هذا أنه لا بد أن يكون في الجيب دم ، لأنني دمست حافظة النقود في الجيب رطبةً مخضلةً » • وقلب جيبيه في مثل لمح البصر مرعةً ، فتحقق من صدق ظنه : كان في بطانة الجيب بقع دم فعلاً • قال لنفسه : « اذن لم يذهب عقلي ذهاباً تاماً ، اذن ما زلت احتفظ بفكري وذاكرتي • • • ولولا ذلك لما استأنفت التقيب ، ولما كنت قادراً على استنتاج تلك النتيجة ! » قال ذلك وهو يشعر بالانتصار ، حتى لقد أفلتت من صدره تهيدة فرح • وأردف يخاطب نفسه : « لم يكن ذلك اذن الا ضعفاً عابراً ، لم يكن الا وهناً ناشئاً عن الحمى ! » • واتزعج من سرواله كل بطانة الجيب الأيسر • وفي تلك اللحظة نفسها سقط شعاع شمس على حذائه الأيسر فأثاره ، فرأى راسكولنيكوف على الجورب الذي كان خارجاً من الحذاء ، رأى آثار دم • نعم ، هي آثار دم • ان

كل طرف الجيوب مرتوي بالدم ! أغلب الظن أنه لم يحاذر قمشي على  
بركة الدم ، وكان حذاءه مثقوبين . . . . . تساءل راسكولنيكوف : « ولكن  
ما العمل بهذا ، الآن ؟ أين أضع هذا الجيوب ، وقصاصات حافة السروال  
وبطانة الجيب ؟ » .

لم كل شيء ، وأمسكه بيده ، ولبت وافقاً جامداً في وسط الغرفة .  
قال يحدث نفسه : أأرميه في المدفأة ؟ لا . . . . . فانهم سيفتشون المدفأة  
قبل أن يفتشوا أى مكان آخر ! أأحرقه ؟ ولكن بماذا أحرقه ؟ ليس عندي  
عيدان كبريت . خير من ذلك أن أخرج فأمضي أرمي هذا كله في مكان ما !  
نعم ، الأفضل أن أرمي هذا كله ! « ذلك ما ردده راسكولنيكوف وهو  
يجلس على الأريكة من جديد . وأضاف : « ويجب أن أرميه فوراً ، يجب  
أن لا أضيع وقتاً ، يجب أن أرميه في هذه الدقيقة نفسها . . . . . ولكن  
رأسه هوى على الوسادة من جديد ؟ ومن جديد عاودته الرعدة الباردة  
التي لا تطاق ؟ ومن جديد شدّ اليه معطفه يغطي به جسمه . وقد ظلت  
هذه الفكرة الواخزة توافيه مدةً طويلة ، خلال ساعات عدة ، وهي  
« أن عليه فوراً ، بلا إبطاء ، أن يخرج فيرمى هذا كله في مكان ما ،  
حتى لا يراه أحد ، وأن عليه أن يفعل ذلك بسرعة ، بسرعة كبيرة ،  
بأقصى سرعة ممكنة ! » . وحاول عدة مرات أن ينهض عن الديوان .  
ولكنه أصبح الآن لا يقوى على النهوض . وهذه ضربة شديدة على الباب  
ترددت اليه شعوره .

— هلاً فتحت الباب أخيراً ! أأنت حي أم لا ؟ انه لا يفعل شيئاً  
غير أن ينام . نعم ، انه ينام أياماً بكاملها ، مثل كلب . يا له من كلب !  
افتح ! هلاً فتحت ! لقد دقت الساعة العاشرة !

كذلك كانت تصيح ناستاسيا وهي تفرع الباب بقبضة يدها .

قال صوت رجل :

- قد لا يكون فى غرفته !

قال راسكولنيكوف لنفسه : « هذا صوت الباب • ماذا يريد منى ؟ »  
واتفرض واثباً ، وجلس على الأريكة • كان قلبه يدق دقاً قوياً الى حد  
الألم •

قالت ناستاسيا ترد على الرجل :

- لولا أنه فى غرفته فمن عسى يوصد الباب بالكُلاّبة ؟ عجيب !  
هو الآن يجلس نفسه ! أهو يخاف أن يُخطف ؟ افتح يا نوّام ! استيقظ  
يا كسلان !

قال راسكولنيكوف يحدث نفسه : « ماذا يريدان منى ؟ لماذا يجيئ  
البواب ؟ لقد اكتشف اذن كل شيء ! أأقاوم أم أفتح ؟ ... » •  
وأنهض جسمه ، ومال الى أمام ، وسحب الكُلاّبة دون أن يغادر  
ممريره •

صدق ظنه : كان البواب وناستاسيا واقفين على عتبة الباب •  
ألقت عليه ناستاسيا نظرة غريبة ، وشخص هو بصره الى الحفير  
وقد بدا عليه التحدى واليأس • مدّ اليه الحفير ورقة سمراء مطوية  
مختومة بالشمع ، وقال له وهو يناوله الورقة :

- استدعاء من المكتب !

- أى مكتب ؟

- الشرطة تستدعيك الى المكتب ... ما من أحد يجهل ما هو

المكتب ! ...

- الشرطة ؟ ... لماذا ؟ ...

- أنا أعلم ؟ هم يستدعونك ، فاذهب اليهم !



قال الحفير ذلك ، وتفرس في وجه راسكولنيكوف ، وألقى نظرة حوالية ، ثم استدار لينصرف .

كانت ناستاسيا تنظر الى راسكولنيكوف ، ولا تحوّل بصرها عنه .  
وما هي ذى تسأله الآن :

— أحسب أنك مريض جداً ، أليس كذلك ؟

التفت الحفير . وأضافت ناستاسيا قولها :

— ان بك حمى منذ أمس !... .

لم يجيبها راسكولنيكوف . وما يزال يمسك الورقة التي لم يفضّها بعد .

واصلت ناستاسيا كلامها مشفقةً عليه حين رآته يهم أن ينزل عن السرير :

— لا ... لا تنهض ! أنت مريض ! لا تذهب الى الشرطة اليوم!...  
ما من أمر خطير يدعو الى الاسراع . ما هذا فى يدك ؟

نظر راسكولنيكوف الى يده . كان لا يزال ممسكاً قصاصات حافة السروال ، والجورب ، وبطانة الجيب المنزوعة . لقد نام وهو ممسك بهذا كله . سوف يتذكر فى المستقبل ، حين سيفكر فى هذا الأمر ، أنه استيقظ نصف استيقاظ أثناء نوبة الحمى ، فضغط على هذه الأشياء بيده ضغطاً قوياً ، وعاد ينام وهو على هذه الحال .

— عجيب أمره ! لمّ هذه الحرق من الأرض ، ثم هو ينام معها كأنها كثر ثمين ...

قالت ناستاسيا ذلك وانفجرت تضحك ضحكها العصية الكبيرة .  
أسرع راسكولنيكوف يمسّ الأشياء كلها تحت معطفه ، وحدّق

الى الخادمة بنظرة نافذة ، فشرع ، رغم أنه لم يكن في تلك اللحظة قادراً  
على أن يحكم على الأمور حكماً صحيحاً دقيقاً ، شعر أن من سيُقبض  
عليه ويُعتقل لا يُعامل هذه المعاملة . ومع ذلك تساءل : ولكن لماذا  
تستدعيني الشرطة ؟ »  
قالت له ناستاسيا :

- عليك أن تشرب شيئاً من الشاي على الأقل . هل تريد ؟  
في وسعي أن أجيئك بشاي . ما يزال عندنا بقية !  
دمدم راسكولنيكوف مجيئاً وهو يقف :  
- لا بل سأذهب الى الشرطة ... سأذهب الى الشرطة فوراً .  
قالت ناستاسيا :

- لن تقوى حتى على هبوط السلم !  
- سأذهب !  
- افعل ما تشاء !

قالت ناستاسيا ذلك وانصرفت في اثر الحفير . فلم يلبث  
راسكولنيكوف أن أسرع يفحص الجيوب وحافة السروال في الضوء ، ثم  
قال لنفسه : « هناك بقع ، لكنها لا تكاد ترى ، فكل شيء متسخ متآكل  
محمو . فمن لا يعرف شيئاً لن يرى شيئاً . الحمد لله على أن ناستاسيا لم  
تستطيع أن تلاحظ شيئاً البتة » قال راسكولنيكوف لنفسه ذلك ثم فُضَّ  
الورقة وهو يرتش ارتعاشاً شديداً وأخذ يقرأ . لبث يقرأ مدة طويلة ،  
مدة طويلة ، ثم فهم أخيراً أنه استدعاء عادي من قسم الشرطة بالحى ،  
يُطلب منه فيه أن يحضر الى مكتب مفوض الشرطة في الساعة التاسعة  
من هذا اليوم نفسه .

تساءل راسكولنيكوف وهو يعاني حيرة أليمة : « هل رأى أحد

شيئاً ؟ أنا لا شأن لى بالشرطة شخصياً ! ولماذا فى هذا اليوم ذاته ؟ ربه !  
ألا فليته هذا كله بأقصى سرعه ! » .

قال ذلك وهم ان يركع ليصلى ، ولكنه لم يلبث ان عدل عن رايه  
وقهقه ساخرا ، لا ساخرا من الصلاة بل من نفسه . واخذ يرتدى ثيابه  
مسرعا ، قائلا لنفسه : « ان كنت قد هلكت فلاهلك ! يستوى عندى كل  
نئى ! ولكن يجب أن ألبس الجورب ( هذا ما خطر بباله فجأة ) .  
سوف يتسخ بالتراب مزيدا من الاتساخ ، فيختفى ما بقى عليه من آثار  
الدم . . . » ولكنه ما ان لبس الجورب حتى انتزعه على الفور مشمئزا  
مذعورا . ثم تذكر أنه لا يملك جوارب أخرى ، فالتقطه من الأرض ،  
وعاد يلبسه . ومرة أخرى - مرة أخرى - انفجر يضحك مقهقهأ .  
« ما هذا كله الا مواضع اجتماعية ، مواضع شكلية ! كل شئ  
نسبى ! » ، قال لنفسه ذلك وهو يفكر بجزء من عقله ، ولكنه يرتعش  
بكل جسمه ، وأردف يقول لنفسه : « لقد لبست الجورب مع ذلك !  
لبسته أخيراً مع ذلك ! » . وحين قال هذا الكلام ، كان ضحكه يتحول الى  
يأس . وأضاف يقول : « لا ، ان هذا فوق طاقة قوى . كانت ساقاه  
تصطكان . فدمدم قائلاً : « هو الخوف ! » وألمّ به دوار وأخذ يشعر  
بصداع من شدة الحر . تابع كلامه يقول وهو يتجه نحو السلم :  
« هذه حيلة ! انهم يريدون استدراجى الى هناك بالحيلة ، ليواجهونى  
بعد ذلك بالوقائع كلها . والمصيبة أنتنى فى حالة تشبه الهذيان فقد تفلت  
منى حماقة ما . . . » .

وفىما كان يهبط السلم تذكر أنه ترك جميع الأشياء فى الثقب وراء  
ورق الجدار فتسائل : « ماذا لو فتشوا الغرفة أثناء غيابى ؟ » . وتوقف  
عن السير . ولكن اليأس والاستهتار - ان صح التعبير - اللذين كانا  
يستوليان عليه حين يتصور أنه هالك قد بلغا من القوة أنه لم يزد عندئذ

على أن حرّك يده بإشارة تدل على قلة الاكتراث وتابع سيره قائلاً  
لنفسه : « انما المهم أن أتمهى من هذا الأمر بأقصى سرعة ممكنة ! » .

كان الحر في الخارج شديداً لا يطاق . ما من قطرة مطر هطلت  
منذ أيام . هو جوُّ القبار والآجر والكلس مرةً أخرى ؛ هو جو المطاعم  
العفنة والحمازات الكريهة من جديد . وها هم أولاء السكارى والخوذيون  
المكدودون يطالعونه عند كل خطوة يخطوها . وانبهرت عيناه من أشعة  
الشمس حتى أوجعته . وآخذ يحس بدوار في رأسه ، كما يحدث هذا  
كثيراً للمرء حين يخرج أثناء الحمى فجأة في يوم شديد القيث .

فلما بلغ منعطف شارع « الليلة البارحة » ، نظر الى « تلك »  
العمارة ، ثم لم يلبث أن حوّل عنها عينيه فوراً . وحين اقترب من قسم  
الشرطة قال لنفسه : « اذا استجوبت فقد اعترف ! » .

ان قسم الشرطة يقع على بعد مائتين وخمسين متراً من بيته تقريباً .  
لقد نُقل قسم الشرطة هذا منذ مدة وجيزة الى مقر جديد يقع في الطابق  
الثالث من عمارة بُنيت حديثاً . كان راسكولنيكوف قد ذهب مرةً الى  
المقر القديم ، ولكن هذا حدث منذ مدة طويلة جداً . حين اجتاز مدخل  
العمارة لمح على اليمين سلماً كان يهبطه رجل يحمل بيده سبجلاً فقال  
لنفسه : « لا بد أنه بواب » ، ولا بد اذن أن يكون قسم الشرطة في هذه  
الجهة . + وصعد السلم على غير هدى . كان لا يريد أن يسأل أحداً  
عن شيء .

وقال لنفسه وهو يصعد الى الطابق الثالث : « سأدخل فأجزو على  
ركبتى وأروى كل شيء » . السلم ضيق ، وعمره ، مليء بالقاذورات .  
مطابخ جميع المساكن تطل على هذا السلم ، وأبوابها تظل مفتوحة طول  
النهار تقريباً . لذلك يكون الجو في السلم خانقاً . بوابون يحملون

سجلات تحت الابط ، ورجال شرطة ، واشخاص كثيرون من الجنسين يصعدون وينزلون بغير انقطاع . باب المكتب مفتوح على مصراعيه هو أيضاً .

دخل راسكولنيكوف ، ووقف في حجرة المدخل . الحجرة مزدحمة بأناس من سواد الشعب ينتظرون « دورهم » . الحر خائف هنا أيضاً . تضاف الى ذلك رائحة الدهان ( لقد أعيد دهن الغرف وما يزال الدهان طرياً ) التي تبعث في النفس شعوراً بالنسيان .

انتظر راسكولنيكوف لحظة ثم قرر أن يمضي الى المكتب التالي . ان جميع الغرف صغيرة ، واطيء سقفها جداً .

كان راسكولنيكوف نافذ الصبر الى درجة رهية وكان نفاد صبره هذا يدفعه الى أن يوغل مزيداً من الايغال !... لم يلاحظه أحد . في المكتب التالي كان يكتب كتاب لا يكادون يرتدون ثياباً خيراً من ثيابه ، ولا يوصف مظهرهم الا بأنه مظهر غريب عجيب في أقل تقدير . اتجه راسكولنيكوف الى أحدهم . سأله هذا :

— ماذا تريد ؟

فأراه راسكولنيكوف الاستدعاء الذي تلقاه من مكتب الشرطة .

قال الموظف بعد أن ألقى نظرة على الورقة :

— آ... هل أنت طالب ؟

فأجابه راسكولنيكوف :

— نعم ، طالب سابقاً .

تفرس فيه الموظف ، ولكن بدون أى فضول . هو رجل « مشعث

الشعر » توحى نظرتيه بأن هناك فكرة ثابتة تحاصر ذهنه .

قال راسكولنيكوف يحدث نفسه : « من هذا الرجل لن أعرف شيئاً  
ان جميع الأمور عنده سواء . . . »

قال الموظف وهو يشير باصبعه الى الباب الثانى :  
- اسأل السكرتير !

دخل راسكولنيكوف الغرفة التى دله عليها الرجل ( وهى الثالثة  
فى صف الغرف ) . انها صغيرة جداً كذلك ، تزدهم باناس ثيابهم خير  
قليلاً من ثياب الجالسين فى المكتب السابق . وبينهم سيدتان . فأما الأولى  
وهى ترتدى ملابس حداد فقيرة ، فقد كانت جالسة امام منضدة قبالة  
سكرتير يُملئ عليها فكتب . وأما الثانية فهى امرأة ضخمة الجسم حمراء  
الوجه ، صارخة الزينة ، مترفة التبرج ، تضع على صدرها حلقة كبيرة  
كأنها صحن . وكانت هذه المرأة الثانية واقفة ، منتحبة بعض التحنى ،  
يبدو عليها أنها تنتظر شيئاً . مدّ راسكولنيكوف ورقه الى السكرتير ،  
فألقى عليها السكرتير نظرة سريعة وقال له : « انتظر » وواصل اهتمامه  
بالسيدة التى ترتدى ثياب الحداد .

تهد راسكولنيكوف متخففاً من قلقه وقال يحدث نفسه : « لم  
يستدعونى اذن من أجل « ذلك » الأمر » . وأخذ يسترد شجاعته ،  
ويحاول أن يستعيد هدوءه وطمأنينته . قال لنفسه : « أن أيسر حماقة  
ارتكبتها وأبسط زلة أقع فيها يمكن أن تفضحنى فضحاً تاماً » . ثم  
أضاف : « هم !! » خسارة أنه لا هواء هنا . . . ان رأسى يدور . . .  
وفكرى أيضاً . . . » شعر راسكولنيكوف باضطراب غريب يفزو كيانه  
كله . خشى أن لا يستطيع السيطرة على نفسه . حاول أن يتشبث بأى  
شئ لا علاقة له بهوموم ، ولكنه لم يفلح . كان السكرتير يشغل باله  
كثيراً : ان راسكولنيكوف ما بنفك يحاول أن يقرأ فى وجهه شيئاً ،  
أن يوحس فى وجهه شيئاً .

هو شاب في نحو الثانية والعشرين من عمره ، له وجه مسمرٌ كثير الحركة ، يوهم مظهره بأنه أكبر من سنه ، شديد العناية بهندامه ، يحترم «الموضة» احتراماً واضحاً ، مدهن الشعر ، له فرق يهبط حتى النقرة ، في أصابعه البيضاء المؤنقة تسطع عدة خواتم ، وصدرته تزدان بسلاسل من ذهب ... حتى لقد خاطب أجنبياً كان هناك ، بوضع عبارات بالفرنسية ، فكان كلامه بالفرنسية حسناً .

قال الشاب للمرأة السمينة ذات الوجه الأحمر والهندام الصارخ التي كانت ما تزال واقفة كأنها لا تجرؤ أن تجلس من تلقاء ذاتها رغم أن كرسيها كان يوجد الى جانبها ، قال لها :

– اجلسي يا لويزا! ايفانوفنا !

فأجابته السيدة قائلة باللغة الألمانية :

– شكراً .

وجلست ، فخشخش حرير . ان ثوبها الأزرق كزرق السماء ، المزدان بتخاريم بيضاء ، المتفخ كمنطاد ، قد انشر حول الكرسي ، فشغل نصف الغرفة تقريباً ، وانتشرت منه روائح عطر ، ولكن السيدة أظهرت انزعاجها من احتلال كل هذا المكان ، ومن نشر كل هذا العطر ، فكان في نظرتها التي ظاهرها الوقاحة كثير من القلق .

اتتهت المرأة التي ترتدى ثياب الحداد ، فنهضت أخيراً . فاذا بضابط يدخل على حين فجأة ، ضابط متعظم يصطنع القوة والبسالة ويرنح كفيه كلما خطا خطوة .

ألقي الضابط على المنضدة فلنسوته المزدانة بشريط معقود ، وجلس على مقعد . ووثبت السيدة ذات الثوب المخشخش عن كرسيها منذ لحته ،

واضحت تحية تحية عميقة بنوع من الافتتان ، ولكن الضابط لم يولها أىّ انتباه • ومع ذلك لم تجرؤ أن تعود الى الجلوس بحضوره •

ولم يكن هذا الضابط الا مساعد مفوض الشرطة • ان له شارين أحمرين مدينين يستويان أفقياً على جانبي وجهه ، وهو وجه لا تعبر قسماته الدقيقة عن شيء ، الا أن تعبرا عن الغطرسة • ألقى الضابط على راسكولنيكوف نظرة شزاء فيها استياء : ذلك أن ملابس راسكولنيكوف كانت زرية حقاً ، وكان وجهه ، رغم حالة الانهيار التى هو فيها ، لا يتفق وهذه الملابس ، حتى لقد تجرأ فرشق الضابط بنظرة طويلة بعض الطول ، مدققة بعض التدقيق ، فشعر الضابط بانزعاج شديد ، وصاح يسأل راسكولنيكوف :

- وأنت ، ماذا تريد ؟

لا شك أنه قد أدهشه أن لا يخطر ببال شخص يرتدى مثل هذه الأسمال الرثة أن يفض طرفه ويطرق أمام نظراته الكاسرة • أجابه راسكولنيكوف مضطرباً :

- استدعيت الى هنا ؟ هو استدعاء ...

فأسرع السكرتير يتدخل تاركاً أوراقه :

- بشأن المطالبة بدفع مال • هذا هو « الطالب » !

قال السكرتير ذلك ودفع الى راسكولنيكوف دفترآ وهو يشير له الى موضع منه ، وأضاف يقول :

- اقرأ !

تساءل راسكولنيكوف : « بشأن المطالبة بدفع مال ؟ أى مال ؟ اذن ليس الأمر « ذلك » الأمر ... » • وارتعش من الفرح • شعر فجأة بتخفف كبير لا يوصف • ان حملاً ثقيلاً قد سقط عن كفيه •



صرخ الليوتان يسأله :

- قيل لك أن تحضر في أية ساعة أيها السيد ؟ لقد ورد في ورقة استدعائك أن تحضر في الساعة التاسعة ، والساعة الآن هي الحادية عشرة ، أليس كذلك ؟

لا يدرى الا الله لماذا كان هذا الضابط يشعر بمزيد من الاستياء شيئاً بعد شيء .

أجابه راسكولنيكوف بصوت عالٍ ، ومن فوق كتفه :

- لم أستلم ورقة الاستدعاء الا منذ ربع ساعة . أحسب أنني يكفيني أن أجيء رغم الحمى ...

ان راسكولنيكوف أيضاً قد اعتراه غضب مفاجيء لم يكن في الحسبان ، ولكنه يجد في هذا الغضب لذةً ومثمة .

- لا تصرخ ، أرجوك !

- لست أصرخ . بالعكس : أنا أتكلم بكثير من الرصانة والرزانة ، وأنت تصرخ . ولما كنت طالباً ، فأنتى لا أسمع بأن ...

بلغ غضب مساعد مفوض الشرطة من الشدة أنه لبث دقيقة بكاملها لا يستطيع أن ينطق كلمة واحدة ، فلم يزد على أن يرغب ويزبد . ثم اذا به ينهض بوثبة واحدة كمن وُخز ، ويصيح قائلاً لراسكولنيكوف :  
- اسكت . أنت هنا في جلسة محاكمة . لا تكن فظاً أيها السيد !

فصرخ راسكولنيكوف :

- وأنت أيضاً في جلسة محاكمة ، ومع ذلك تصرخ ، بل وتدخن سيجارة ، وهذا دليل على أنك لا تولينا جميعاً أى اعتبار !

وشعر راسكولنيكوف ، حين قال هذه الكلمات ، بلذة لا تقاوم ولا تغلب .

وكان السكرتير ينظر اليهما مبتسماً . واضح أن الليوتانتان الذى كان يغلى ويفور قد أٌفحم .

وأخيراً صرخ الضابط يقول بصوت يبلغ من علو أنه كان لا يبدو طبيعياً :

— ليس هذا شأنك . تفضل بالادلاء بالأفادة المطلوبة منك . آره الشكوى يا الكسندر جريجورييفتش . أنت مطالب بمال تهرب من دفعه . يا للمحتال !... .

ولكن راسكولنيكوف كان قد انقطع عن الاصغاء اليه : أمسك الورقة بشراهة ، محاولاً أن يكتشف اللفز بأقصى سرعة . قرأ الورقة مرة أولى ، ثم قرأها مرة ثانية ، ولكنه ظل لا يفهم شيئاً . فقال للسكرتير يسأله :

— ما هو الموضوع ؟

— أنت مدين بمال عليك أن تدفعه . هناك سند تتعهد فيه بسداد الدين عند المطالبة به . وعليك الآن اما أن تدفع كل شيء ، بما فى ذلك النفقات والغرامات ، الخ ؛ واما أن تحدّد ، كتابةً ، الموعد الذى ستكون فيه قادراً على دفع المال ، وأن تتعهد بأن لا تغادر العاصمة ، وبأن لا تباع أمتعتك وأن لا تخفيها قبل سداد الدين . أما الدائن فى وسعه أن يبيع أمتعتك ، وأن يلاحقك وفقاً للقانون .

— ولكن ... ولكننى لست مديناً لأحدٍ بشيء !

— ذلك أمر ليس من شأننا . لقد تلقينا سنداً مستحق الدفع وفقاً للقانون ، كنت أنت قد وقعته باسم السيدة زاربتسين ، أرملة أحد

الموظفين ، ثم انتهى هذا السند الى يدى المستشار تشيياروف ، ومن أجل هذا انما استدعيناك ، وعليك الآن أن تدلى بأفادتك •

– ولكن هذه السيدة هي صاحبة البيت الذى أقيم فيه ...

– هل يغير هذا من الأمر شيئاً ؟

كان السكرتير ينظر اليه وهو يتسهم ابتسامة تسامح توشك أن تشتمل على عطف وشفقة ، ولكنها تشتمل كذلك على شعور بالانتصار مردّه الى أن أمامه شاباً غراً يتولى هو تعليمه • وسأله : « هيه ! كيف صحتك الآن ؟ » • سأله هذا السؤال ، كما لو كان راسكولنيكوف قادراً على أن يهتم أى اهتمام بالسند أو تحصيله ! حقاً ان هذا لا يستحق ، « الآن » ، أقل قلق ، ولا يستحق أيسر انتباه ! لبث راسكولنيكوف واقفاً يقرأ أو يصغى أو يجيب أو حتى يسأل ، ولكنه يفعل ذلك كله على نحو آلى • ان فرحه الناشئ عن شعوره أخيراً بأنه فى أمان ، وبأنه قد نجا من الخطر الرهيب الذى كان يترصد به ، هو ما كان يملأ كل كيانه فى هذه اللحظة • فأى مكان يمكن أن يبقى فى نفسه للتبصر ، والتحليل ، والاحتياطات الواجب اتخاذها فى المستقبل ، والافتراضات ، والشكوك ، والاستجابات ؟ هذه دقيقة فرح ملىء ، فرح مباشر ، فرح غريزى صرف • ولكن فى تلك الدقيقة نفسها دوى فى المكتب ما يشبه أن يكون رعداً وصاعقة • ان الليوتان الذى كان ما يزال يغلى ويفور من الاهانة التى ألحقت به منذ قليل ، قد انفجر انفجار الرعد والصاعقة على السيدة ذات الثوب المخشخش التى كانت تأمله منذ دخل ، وعلى شفتيها ابتسامة بلهاء •

صرخ يقول لها فجأة بصوت عال ، وكانت السيدة التى تلبس ثياب الحداد قد خرجت :

- آآآ هأت ذى أخيراً يا آآآ ماذا جرى عندك فى الليلة الماضية ، هه ؟ لقد عدت تلمحقين العار بالحى ، وتعرضين دعاراتك فى عرض الشارع ! عدت تخلقين المشاجرات وتشجعين السكر ! أترك تحلمين بأن تقضى أيامك فى سجن من السجون ؟ لقد سبق أن قلت لك ، سبق أن نبهتك عشر مرات الى أنتى سأكون فى المرة الحادية عشرة بغير رحمة ولا رأفة ولا شفقة ، وهأت ذى تستأنفين .. تستأنفين .. يا آآآ .. يا آآآ ..

كادت الورقة التى يحملها راسكولنيكوف أن تسقط من يديه . نظر مبهوراً الى السيدة المخشخشة التى تعامل بمثل هذه الفظاظلة . ولكنه سرعان ما فهم الموضوع ، وسرعان ما أخذت القصة تسليّه ، فكان يصغى متلذذاً ، حتى لقد أحس برغبة فى أن يضحك ، فى أن يضحك مقهقهاً ، فالى هذا الحد كانت أعصابه مهتزة !

بدأ السكرتير يتكلم فقال بلهجة تفيض توسلاً :

- ايليا بتروفش آآآ

ولكنه انقطع عن الكلام ، لأنه رأى أن من الأفضل أن ينتظر لحظة مناسبة أكثر من هذه اللحظة ، لأنه كان يعرف بالتجربة أن من المستحيل كبح جماح الليوتنان العنيف ، اللهم الا باللجوء الى القوة .

أما السيدة المخشخشة فأنها أخذت ترتجف منذ انطلق الرعد ودوت الصاعقة . ولكن الشيء الغريب هو أن تعبير وجهها كان يزداد ترقفاً وتلطفاً ، وأن ابتسامتها لليوتنان الرهيب كانت تزداد حسناً وظرفاً على قدر ما كانت الشتائم الموجهة اليها تزداد كثرة وشدة . كانت تهزرج فى مكانها ، ولا تنى تنحنى احتراماً لليوتنان ، منتظرة مع ذلك ، بصبر نافذ ، أن يتبع لها أن تقول كلمة . وكوفى صبرها فعلاً ، فما ان سكث

الليوتان حتى أسرع تقول بنبرة أثمانية ظاهرة ، رغم أنها تكلمت الروسية بطلاقة :

- لم يحدث في بيتي عريضة ولا مشاجرة ، يا سيدي الكابتن ، ولا حدث فضيحة أو جرسه ، لم تحدث أية فضيحة أو جرسه ! كل ما في الأمر أنهم جاءوا سكارى ... ساقص عليك كل هذا يا سيدي الكابتن ... حقاً أنا لست مذنبه ... ان بيتي بيت لائق يا سيدي الكابتن ، والسلوك فيه سلوك لائق يا سيدي الكابتن ... وأنا نفسي ، أنا نفسي ، لم أسمح بأية فضيحة ، في أى يوم من الأيام ، في أى يوم من الأيام . ولكنهم وصلوا سكارى ، ثم طلبوا ثلاث زجاجات ، ثم رفع أحدهم قدمه في الهواء وأخذ يعزف بها على البيانو ... ذلك أمر لا يستحسن أبداً في بيت لائق . ثم خرّب لى البيانو . قلت له : ماهذه آداب مستحبة ، ما هذه آداب مستحبة ... فتناول عندئذ زجاجة وأخذ يضرب بها جميع الناس على قفاهم ... عندئذ ناديت البواب ... فجاء كارل ... وحين جاء كارل ، ورّم الرجل عين كارل ، وورّم أيضاً عين هنرييت ، وصفعني أنا نفسي ، أنا نفسي ، خمس صفعات ! ليس من الظرف في شيء أن يفعل أحد ذلك في بيت لائق يا سيدي الكابتن . عندئذ صرخت ... ولكنه مضى عندئذ الى النافذة المطلة على القنّاة ففتحها ، وأخذ ينخر ينخر نخير نخير صغير ، وذلك عيب حقاً ... كيف يرضى أن يقف الى النافذة فيأخذ ينخر ينخر نخير نخير صغير ؟ هذا عيب ، عيب ، عيب ! ... شدّه كارل من رداء « الفراك » الذي كان يرتديه ، شدّه ليعده عن النافذة ... وعندئذ يا سيدي الكابتن - أعترف لك بذلك ، نعم أعترف لك بذلك - مزّق له كارل رداءه ... ولكنه أخذ عندئذ يصيح قائلاً انه يطالب بخمسة عشر روبلاً ، تعويضات وفوائد ، لأن رداءه تمزق . فدفعت له ، يا سيدي الكابتن ، دفعت له بنفسى ،

دفعت له خمسة روبلات تعويضاً له عن ردايه • ما هو بالزائر اللائق  
يا سيدى الكابتن • ان الزائر اللائق لا يقوم بفضيحة كهذه الفضيحة •  
وقد قال لى : « سوف ترين ... لأنشرون هجاءً مقنعاً لكم • ان  
لى صلات بجميع الجرائد • وأستطيع أن أقول فيها عنكم ما أشاء ! •  
أهذا كلام يقال لى ؟

- آ ... هو اذن كاتب ؟ .

- نعم يا سيدى الكابتن ، وهو أيضاً زائر غير لائق ، لأنه لم  
يتورع ، فى منزل لائق ، أن ...

- كفى ، كفى ، سبق أن قلت لك وكررت ان ...

عاد السكرتير يتكلم فقال :

- ايليا بتروفش !

ولكن الليوتان رشقه بنظرة سرية ، فكفَّ عن الكلام ، وهز  
رأسه بحركة خفيفة •

وتابع الليوتان كلامه فقال :

- اسمعى أيتها المحترمة لوزا ايفانوفنا ! اليك كلمتى الأخيرة !  
أقول لك آخر مرة : اذا حدثت فى بيتك اللائق ، بعد الآن ، فضيحةٌ  
واحدة ، فسأتولى بنفسى وضعتك فى قفص سلطنة ، كما يقال بالأسلوب  
الرفيع • مفهوم ؟ ها ... اذن هكذا ... أديب ... كاتب ... أخذ  
فى منزلك اللائق خمسة روبلات تعويضاً عن تمزيق ردايه • آ ...  
هؤلاء هم المؤلفون ! ( قال الليوتان ذلك وهو يرمى راسكولنيكوف بنظرة  
احتقار ) • وأمس الأول ، فى حانة من الحانات ، حدثت قصة أخرى :  
تندى واحد من هؤلاء المؤلفين ، ورفض أن يدفع ثمن الوجبة التى  
أصابها ، وقال لصاحب الحانة : « اذا كنت غير راض ، فسأكتب مقالةً

أهجوك فيها هجاء لاذعاً ، • وفي الأسبوع الماضي ، على ظهر سفينة من السفن ، قام كاتب آخر بقذف أسرة مستشار من مستشارى الدولة بأشنع الشتائم ، وتناول بالشتيم امرأته وابنته خاصة • ومؤلف ثالث ، لم يمكن طرده من أحد محال بيع الحلوى الا ركلاً بالارجل ! • • • • • هؤلاء هم الأدباء ، هؤلاء هم الكتاب ، والطلاب ! أف ! • • • • • أما أنت فانصرفى الآن ، ولكن اعلمى أتنى أراقبك ، فايك ثم اياك • • • مفهوم ؟

أخذت لويزا ايفانوفنا ، وقد ازدادت تلطفاً وتودداً عن ذى قبل ، أخذت تتحنى انحاء الاحترام فى جميع الاتجاهات ، وما زالت تتقهقر الى وراء أثناء هذا الانحاء حتى بلغت الباب • ولكنها حين بلغت الباب صدمت بمؤخرتها ضابطاً مهيباً يزدان وجهه النضر المتفتح بلحيتين شقراوين على الوجنتين • انه نيكوديم فومتش ، مفوض الشرطة بذاته • أسرعت لويزا ايفانوفنا تنحنى احتراماً له ، حتى كادت تلامس الأرض من شدة الانحاء ، ثم ولّت هاربة من المكتب بخطوات صغيرة متواثة • قال نيكوديم فومتش يخاطب ايليا بتروفتش ، بلهجة محببة ودود :

— ماذا ؟ أعاد هزيم الرعد ، أعاد قصف الصاعقة ، والعاصفة ، والاعصار ؟ هل أغضبوك مرة أخرى فاستسلمت للغضب ؟ لقد سمعت كل شيء وأنا أصعد السلم !

قال ايليا بتروفتش باهمال نبيل وهو ينتقل من منضدة الى أخرى ، متقلّ الذراعين بأوراق ، مرتحاً عطفيه تريحاً جميلاً ، عند كل خطوة ، على عادته :

— ما حيلتى ؟ انظر الى هذا السيد مثلاً : هو كاتب ، هو طالب أو

طالب سابق ، يرفض أن يدفع ما عليه من ديون ، يوقع سندات ، يرفض اخلاء المكان ؛ ثم هو ، رغم الشكاوى الكثيرة التي أودعت ضده ، ينزعج لأننى أدخّن سيجارة بحضوره . ألا فانظروا قليلاً الى حملة الأقلام هؤلاء . هذا نموذج لهم ، هذه عيّنة تمثلهم بحسنها وروعتها أجمل تمثيل !

قال نيكوديم فومتش :

– ليس الفقر عاراً يا صديقى . ونحن نعلم أنك لا تطيق احتمال أى انزعاج ...

ثم اتجه الى راسكولنيكوف فقال له بكثير من اللطف والمودة :  
– أغلب الظن أنك توهمت أنه أراد الاساءة الى شعورك ، فلم تستطع أن تسيطر على نفسك . ولكنك أخطأت : ثق أن هذا الرجل من أنبل الرجال . ولكننى أعترف لك بأنه غني ، غني كالبارود ، كالبارود ... يشتعل ، يفرق ، ينفجر ، ولكن كل شيء ينتهى بعد ذلك! ولا يبقى الا قلبه الذى هو من ذهب! ... حتى لقد أطلق عليه لقب « الليوتنان بارود » منذ كان ضابطاً فى الكتية .

صاح ايليا بتروفتش يقول وقد أرضت هذه الكلمات غروره ، ولكنه ما يزال غابساً بعض العبوس :

– ويا لها من كنية !

شعر راسكولنيكوف برغبة مفاجئة فى أن يخاطبهم جميعاً بكلام لطيف ودود الى أبعد حدود اللطف والود . فبدأ يقول بلهجة طلاقة ، متجهاً بكلامه الى نيكوديم فومتش :

– انظر يا كابتن ، ضع نفسك فى مكاني ... أنا مستعد لأن أعتذر الى السيد الليوتنان ، اذا كنت قد أخطأت فى حق أى خطأ . أنا



طالب فقير ، مريض ، مرهق ( هذا ما قاله : مرهق ) بالبؤس . أو قل  
اتى كنت طالباً فى الماضى ، ثم أصبحت عاجزاً عن سدّ حاجتى فترك  
الدراسة . ولكننى سألتقى مالاّ بعد قليل . ان أمى وأختى تعيشان  
فى اقليم س . . . ، وسوف ترسلان الىّ مالاّ فأدفع ما علىّ . ان لصاحبة  
البيت الذى أقيم فيه قلباً طيباً كريماً ، ولكنها غضبت كثيراً ، لأننى  
فقدت موردى من اعطاء دروس خاصة ، فأصبحت لا أدفع لها أجر  
مسكنى منذ أربعة أشهر تقريباً ، حتى لقد بلغ الغضب بها أنها أصبحت  
لا تبعث الىّ بوجبات الطعام . لذلك ترانى لا أفهم من أمر هذا السند  
شيئاً . أهى طالبنى بمال مستعينة بهذا السند الذى وقته لها ؟ ولكن  
من أين أجيء بمالٍ أدفعه ؟ احكموا فى الأمر بأنفسكم !

عاد السكرتير يقول من جديد :

— هذا أمر ليس من شأننا !

فاستأنف راسكولنيكوف كلامه مخاطباً نيكوديم فومتش ،  
لا السكرتير ، ومحاولاً أن يخاطب فى الوقت نفسه ايليا بتروفش ،  
رغم أن هذا كان منهمكاً بأوراقه ، وكان يقابله بقلة الاكتراف وبالاحتقار ،  
قال :

— اسمح لى ، اسمح لى ، أنا أوافقك كل الموافقة ، ولكن اسمح  
لى أيضاً أن أشرح ظروفى ؟ اسمح لى أن أذكر لك من جهتى أننى  
أسكن عندها منذ ما يقرب من ثلاث سنين ، منذ وصلت من الأقاليم ،  
وأنتى قبل كل شيء ، قبل كل شيء . . . الأمر . . . نعم ، لماذا لا أعترف  
أنا أيضاً بأننى منذ البداية قد وعدتها بأن أتزوج ابنتها ؟ نعم لقد  
وعدتها بذلك كلاماً . . . وكانت ابنتها فتاة . . . أعجبتنى على كل حال ،  
وان لم أكن قد تولت بحبها ! هو الشباب ، باختصار ! فكانت صاحبة

البيت تمهلنى فى الدفع كئبراً ٠٠٠ وكنت أعيش حياة تتصف بكثير من  
٠٠٠ نعم ، كنت متقلب الهوى ٠٠٠

قاطعہ ايليا بتروفتش بفظاظه ، شاعراً بالانتصار :

- ما من أحد يسألك أن تذكر تفاصيل من هذا النوع عن حياتك  
الخاصة أيها السيد ، ثم ان وقتنا ليس فيه متسع للاصفاء اليك ٠٠٠  
ولكن راسكولنيكوف سارع يقاطعه بعنف ، رغم أنه أصبح يشف  
عليه الى أبعد حدود المشقة أن يقول أى شيء . قال يرد :

- لا ، اسمح لى ، اسمح لى أن أروى لك من جهتى كيف جرت  
الأمر ٠٠٠ وأن أرويها لك مرتبة ، رغم أنني أوافقك على أنه ليس من  
المفيد أن أقص عليكم هذا كله ٠٠٠ اليكم ما حدث : منذ سنة ، ماتت  
تلك الفتاة بمرض التيفوس ، وبقيت أنا مستأجراً للمسكن الذى أقيم  
فيه ، فلما جاءت صاحبة البيت تقيم حيث تقيم الآن قالت لى ( قالت لى  
ذلك بصداقة ومودة ) : انها تثق بى ثقة مطلقة، ولكنها سألتنى ألا أستطيع  
أن أوقع لها سنداً بمبلغ مائة وخمسين روبلاً ، هو المبلغ الذى تعتقد  
أننى مدين لها به ؟ اسمح لى ٠٠٠ لقد قالت لى بالحرف الواحد انها ستظل  
تمهلنى بعد تسليمها هذا السند ، ستظل تمهلنى فى الدفع ما شئت ،  
وانها لن تستخدم بحال من الأحوال ، بحال من الأحوال - هذه أقوالها  
هى - لن تستخدم هذا السند اذا لم أدفع من تلقاء نفسى . وها هى ذى  
الآن ، بعد أن فقدت موردى من الدروس ، وبعد أن أصبحت لا أملك  
ما أقتات به ، تقدم السند للسلطات من أجل تحصيله . فما رأيكم  
فى هذا ؟

قال له ايليا بتروفتش بوقاحة :

- ان هذه التفاصيل المؤثرة لا تعنيا فى شيء، أيها السيد ! عليك أن

توقع الافادة والتعهد ... أما أنك كنت مولهاً بحب القضاة أو أنك لم تكن مولهاً بحبها ، وأما الظروف المحزنة التي أعقبت ذلك ... فهذا كله لا شأن لنا به البتة !

دمدم نيكوديم فوميتش يقول لصاحبه الليوتنان وهو يجلس الى مكتبه ويمضى يوقع بعض الأوراق :

- أحسب أنك تقسو كثيراً !

لقد شعر نيكوديم فوميتش بشيء من الحرج .

قال السكرتير لراسكولنيكوف :

- اكتب !

فسأله راسكولنيكوف بلهجة فظة :

- ماذا اكتب ؟

- سأملئ عليك ...

خيل الى راسكولنيكوف أن السكرتير اصبح يعامله بمزيد من الازدراء والاحتقار بعد تلك الاعترافات التي أوردها . ولكن الشيء الغريب هو أن راسكولنيكوف قد أصبح على حين فجأة لا يبالى بالرأى الذى قد يراه غيره فيه . وقد حدث له هذا الانقلاب بمثل لمح البصر سرعة ، حدث له فى ثانية واحدة ، فلو شاء أن يفكر لحظة واحدة لأدهشه فى أغلب الظن أن يكون قد حدث هؤلاء الموظفين على هذا النحو ، وأن يكون قد أجبرهم على سماع مُسارآته . من أين جاءت هذه الحالة النفسية الجديدة ؟ لو امتلأت الفرقة الآن لا رجال شرطة بل بأصدقاء حميمين لكان عاجزاً عن أن يوجه اليهم كلمة فيها شيء من مودة وصدق ، وذلك من فرط الفراغ الذى أصيب به قلبه . ان احساساً غامضاً بالوحدة ، احساساً مبهماً بعزلة ألمة لا نهاية لها ، قد اجتاحت

شعوره على حين فجأة • لا ، ليس صغار اعترافاته العاطفية امام ايليا بتروفيش لا ولا صغار انتصار الليوتنان عليه هو الذى هز قلبه هزاً يبلغ هذا المبلغ من العمق • آه • انه ليس يعنيه الآن أن يكون فيه صغار ، وأن يكون فى الآخرين صغار ، وليست تغنيه المطامع ، ولا الرجال الذين هم برتبة ليوتنان ، ولا النساء الألمانيات ، ولا تحصيل السندات ، ولا المكاتب ، ولا غير ذلك ! • انه لو حكم عليه بالحرق حياً فى هذه اللحظة ، لما قام بحركة واحدة ، ولما زاد على أن يصفى الى الحكم الذى صدر عليه ، اذا هو أصغى • ان شيئاً جديداً كل الجدة قد تحقق الآن فى كيانه ، شيئاً لم يعرفه حتى ذلك الحين ، شيئاً هو حادث لا يتبأ به ولا سابقة له • ان راسكولنيكوف لم يدرك ذلك الشيء ، ولكنه كان يحس احساساً واضحاً بأنه أصبح لا يستطيع أن يخاطب هؤلاء الناس ، هؤلاء الموظفين فى قسم الشرطة بالحى ، لا يستطيع أن يخاطبهم بأى كلام فضلاً عن الافضاء اليهم بعواطفه الشخصية ومشاعره الحميمة كما فعل منذ قليل • بل لقد أحس راسكولنيكوف أنه أصبح لا يستطيع أن يخاطب أقرب اقربائه بحال من الأحوال ، ولو كانوا اخوة وأخوات • ان راسكولنيكوف لم يكن قد شعر حتى تلك الدقيقة ، فى يوم من الأيام ، باحساس يبلغ هذا المبلغ من الهول • والأمر الذى كان يؤلمه مزيداً من الألم هو أن ما يشعر به كان احساساً ولم يكن فكرة • نعم كان احساساً مباشراً ، كان احساساً أشد ايلاماً من جميع الاحساسات التى شعر بها طوال حياته •

أملى عليه السكرتير صيغة الاقرار المستعملة فى هذه الحالة :  
 « لا أستطيع أن أدفع • أتعهد بالدفع بتاريخ كذا • لن أغادر المدينة •  
 لن أبيع أشياءى ، ولن أتنازل عنها لأحد ، الخ ، »  
 قال له السكرتير وهو ينظر اليه متعجباً :



واسکولنیکوف

- أرى أنك لا تستطيع الكتابة ، وأن القلم يسقط من يدك .  
أنت مريض ؟

- نعم ... اشعر بدوار فى رأسى ... ولكن أكمل مع ذلك .  
- انتهى ! لم يبق عليك الا أن توقع .

وقع راسكولنيكوف الاقرار ، فتناول السكرتير الورقة وانصر  
عنه الى الاهتمام بأشخاص آخرين .

رد راسكولنيكوف الريشة الى مكانها ، ولكنه بدلاً من أن ينهض  
ويذهب ، وضع كوعيه على المنضدة ، وضغط رأسه بين يديه . كان يشـ  
كأن مسماراً قد دُق فى قمة جمجمته . ووافته فكرة غريبة على ر  
فجأة : أن ينهض فوراً فيقترب من نيكوديم فوميتش ويقص عليه  
ما حدث فى الليلة البارحة ، كلَّ ما حدث ، حتى أيسر التفاصيل ، و  
يقوده بعد ذلك الى غرفته ، فيريه الاشياء هناك ، عند الركن ، فى القبر  
وبلغت رغبته فى ذلك من القوة أنه نهض ليضع مشروعه موضع التفـ  
لكنه لم يلبث أن قال لنفسه : « ربما كان علىّ أولاً أن افكر لحظة » ،  
ثم سرعان ما أضاف يقول : « لا بل الأفضل أن لا افكر البتة وأن أتخذ  
من كل شىء دفعة واحدة » . وها هو ذا يتوقف فجأة كمن تسمّر  
مكانه : كان نيكوديم فوميتش يتحدث بحرارة الى ايليا بتروفيتش  
فاستطاع راسكولنيكوف أن يلتقط من حديثهما هذه الجمل :

- لا ، مستحيل ، سوف يخلى سبيلهما كليهما ! أولاً ، هناك تناقض  
احكم فى الأمر بنفسك : لو كانا هما القاتلين فلماذا يستدعيان البواب  
ألفضحا أمرهما وليشيا بنفسيهما ؟ أم تراهما استدعياه من باب المكر  
ألا ان هذا ليكون اسرافاً فى المكر ! ثم ان الطالب بسترباكوف قد ر  
البوابان ورأته امرأة قرب باب العمارة لحظة دخوله . وكان فى صحـ

ثلاثة أصدقاء ودّعهم عند المدخل • وبحضور اصدقائه هؤلاء انما سأل اين يوجد مسكن العجوز • فكّر قليلاً : أكان يلقي هذا السؤال لو أنه جاء لهدف كهذا الهدف ؟ أما كوخ فقد قضى نصف ساعة تحت ، عند بائع الجواهر ، قبل أن يصعد الى بيت العجوز ، وهكذا يكون قد ترك بائع الجواهر وصعد الى بيت العجوز في الساعة الثامنة الا ربماً على وجه التحديد ••• ففكر الآن •••

- اسمح لي ! فكيف نفسّر هذا التناقض الشديد في أقوالهما ؟ هما يؤكّدان أنهما قرعا الباب ، وأن الباب كان مغلقاً ، ثم يؤكّدان أن الباب كان مفتوحاً بعد ثلاث دقائق حين عادا يصعدان في صحبة البواب • فما تفسير هذا التناقض ؟

- هنا انما يكمن سر القضية : لقد كان القاتل في داخل البيت حتماً ، وكان قد أوصد الباب بالملزاج ، ولا بد أننا كنا سنكتشفه لولا أن كوخ قد ارتكب تلك الحماسة فمضى يبحث عن البواب هو أيضاً • ففي تلك الفترة بعينها ، أعنى الفترة التي انقضت بين نزول كوخ وصعود الثلاثة انما تمكّن القاتل من هبوط السلم ، واستطاع أن يتسلل من بين أيديهم بطريقة أو بأخرى • ان كوخ الآن يرسم على نفسه اشارة الصليب بكتفا يديه قائلاً : « لو قد لبثت فوق ، اذن لوئب علىّ وقتلني بساطوره ! » ان كوخ ينوى أن تقام له في الكنيسة صلاة شكر لله على ما خصه به من نعمة النجاة ! هيء هيء •••

- والقاتل ، ألم يره أحد ؟  
- كيف يمكن أن يراه أحد ؟ ان المنزل أشبه بسفينة نوح •  
بهذا عقّب السكرتير الذي كان يصغى الى الحديث من مكانه •  
وكرر نيكوديم فوميتش يقول بحرارة شديدة :

– أقول لكم ان القضية واضحة ، واضحة جداً !

فقال ايليا بتروفتش مرعداً :

– لا ، ليست واضحة البتة !

رفع راسكولنيكوف قبعته ، واتجه نحو الباب ولكنه لم يبلغه ...

فلما أفاق من غيبوته رأى نفسه جالساً على كرسى ، ورأى رجلاً يسنده من يمين ، وآخر يسنده من شمال ، ورأى كأساً مملوءة بماء أصفر ، ورأى نيكوديم فوميتش واقفاً أمامه يحدّق اليه ويتفرس فيه .

نهض راسكولنيكوف عن كرسیه .

فسأله نيكوديم فوميتش بلهجة مباغثة :

– ماذا بك ؟ أنت مريض ؟

فقال السكرتير وهو يرجع الى منضدته ويرتد الى أوراقه :

– انه ، منذ كان يكتب الاقرار ، كان لا يكاد يستطيع تحريك قلمه !

وصاح ايليا بتروفيتش من مكانه وقد عاد يرتب أوراقه هو أيضاً ، صاح يسأله :

– أنت مريض منذ مدة طويلة ؟

كان ايليا بتروفيتش قد لاحظ المريض طبعاً اثناء اغماؤه ، ولكنه ابتعد فوراً منذ رآه يفيق .

لم يزد راسكولنيكوف في الاجابة عن سؤال ايليا بتروفتش على أن دمدم يقول :

– منذ أمس ...



- وهل خرجت أمس ؟
- نعم خرجت •
- مريضاً •
- مريضاً •
- فى أية ساعة ؟
- فى الساعة السابعة من المساء •
- الى أين ذهبت ؟ اسمع لى أن ألقى عليك هذا السؤال •
- الى الشارع !
- جواب مختصر مفيد !
- كان رامكولنيكوف شاحباً شحوباً شديداً • وقد أجاب عن تلك  
الأسئلة بصوت خشن متقطع دون أن يفض عينيه السوداوين المشتعلتين  
أمام نظرات ايليا بتروفيتش •
- هو لا يكاد يستطيع الوقوف على قدميه ، وأنت ...
- فأجابه ايليا بتروفيتش بنبرة غريبة بعض الغرابة :
- لا ... بأ ... س ! ...
- أراد نيكوديم فوميتش أن يضيف شيئاً آخر ، ولكنه أمسك عن  
الكلام حين ألقى نظرة على السكرتير الذى كان يحدق اليه من مكانه •
- وصمت الجميع فجأة • شئ غريب •
- ثم قال ايليا بتروفيتش يختم الحديث :
- طيب ! فى وسعك أن تتصرف •

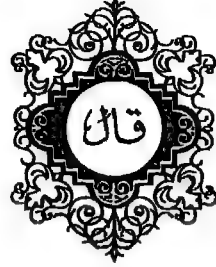
خرج راسكولنيكوف • ولكنه استطاع أثناء خروجه أن يسمع  
استئناف الحديث حاراً محتماً • وبين جميع الأصوات كان صوت نيكوديم  
فوميتش ، التسائل المستفسر ، أكثرها وضوحاً وتميزاً • حتى اذا صار  
راسكولنيكوف في الشارع تاب اليه كل وعيه وعاد اليه كل شعوره •

— تفتيش ! تفتيش ! سيقومون بتفتيش فوراً ! يا للصوص ! انهم  
يشبهون فيّ ! ••••

كذلك كان يردد راسكولنيكوف بينه وبين نفسه مغذاً خطاه للرجوع  
الى بيته •

لقد عاد الخوف يستبد به من أخمص قدميه الى قمة رأسه •

## الفصل الثاني



راسكولنيكوف متسائلاً : « وماذا لو كان التفتيش قد تم ؟ ماذا لو وجدتهم في بيتي ؟ » •

ولكن راسكولنيكوف عاد الى بيته فلم يجد فيه أحداً ، ولا كان أحد قد جاء يفتشه • حتى ناستاسيا لم تلمس شيئاً • ولكن رباه ! كيف أمكنه أن يدع هذه الأشياء في الثقب منذ قليل ؟

أسرع راسكولنيكوف نحو الركن ، ودسَّ يده وراء الورق ، وأخذ يخرج منه الأشياء فيدسّها في جيوبه واحداً تلو آخر • عرف أن مجموع الأشياء ثمانية : علبتان صغيرتان تضمان أقراطاً للأذان أو ما يشبه ذلك ( لم يدقّق كثيراً ) ، ثم أربع علب صغيرة من الجلد ، فيها جواهر ؛ ثم سلسلة كانت ملفوفة بورقة من ورق الجرائد ؛ ثم شيء آخر ملفوف بورقة من ورق الجرائد أيضاً ، وأغلب الظن أنه وسام •••

وزَّع هذه الأشياء على مختلف جيوب معطفه ، ووضع بعضها في الجيب الأيمن من سرواله ، وهو الجيب الوحيد الذي بقي للسروال ؛ وجهد أن يدسّها في هذه الجيوب بحيث لا تمكن رؤية شيء من خارج • وتناول حافظة النقود أيضاً • ثم خرج من الغرفة مسرعاً حتى لقد ترك بابها في هذه المرة مفتوحاً تماماً •

كان يمشى بخطى سريعة ثابتة • ورغم أنه كان محطماً فقد كان

يعنى الحالة التى هو فيها • كان يخشى أن يلاحق ويطارد ، كان يخشى أن يبدأ التحقيق معه بعد نصف ساعة ، وربما بعد ربع ساعة • فلا بد له إذن ، مهما كلف الأمر ، أن يغيب هذه الأشياء التى تثبت ارتكابه جريمة القتل ؛ لا بد له أن يتخلص منها ما ملك بعض قوة ، وبعض تفكير ... ولكن الى أين يذهب ؟

كان قد عزم على هذا الأمر وبثَّ فيه : « أن يرمى جميع الأشياء فى القناة ، فتسقط الإثباتات فى الماء ، وتسقط معها القضية ! » • ذلك ما كان قد عزم عليه فى الليلة السابقة ، أثناء هذيانه ، فى تلك اللحظات التى كانت تعاوده فيها ذاكرته من حين الى حين ، فيحاول أن ينهض وأن يخرج قائلاً لنفسه : « أسرع ، أسرع » ، يتخلص من هذا كله ! •

ولكن التخلص من هذه الأشياء لم يكن سهلاً •

ظل راسكولنيكوف يتجول مدة ربع ساعة على طول قناة كاترين ، ونظر مراراً الى السلام التى تهبط الى الماء ، فكان لا يجوز أن يخطر بباله أن يضع مشروعه موضع التنفيذ ، فاما أن قارباً يوجد عند أسفل الدرجات وعليه نساء يغسلن غسيلهن ، واما أن مراكب قد ربطت هنالك بالأقلام... أى أن جميع الأمكنة تعج بالناس • هذا عدا أن فى الامكان أن يرى وأن يراقب من على أرصفة الشاطئ • أليس أمراً يبعث على الشبهة والريبة أن ينزل رجل الى تحت ، عمداً ، ثم يتوقف ليرمى شيئاً من الأشياء فى الماء ؟ وماذا لو طافت اللعب على سطح الماء بدلاً من أن تنوص الى القاع ؟ لا شك أنها ستطفو ، ولا شك أن جميع الناس سيرونها ! بل ان جميع من لقيهم فى طريقه حتى الآن كانوا يتفرون فيه كأنهم لا همَّ لهم سواء ! قال لنفسه : « لماذا يتفرون فى هذا التفرس ؟ اللهم الا أن يكون هذا وهماً منى لا أكثر ! »

وخطر بباله أخيراً أنه ربما كان الأفضل أن يذهب الى مكان ما على شاطئ نهر نيفا • ان شاطئ نهر نيفا لا يعج بالناس كما يعج بهم شاطئ القناة • فهناك لن يلاحظ كما يلاحظ هنا ، وهناك يكون رمى الأشياء في الماء أسهل منه هنا على كل حال ؟ وهو هناك أبعد عن « المكان » الذي وقعت فيه الحادثة منه هنا ؟ نعم ، هذا خاصة ! وسرعان ما دهنس على حين فجأة : كيف أمكنه أن يظل يطوف مدة نصف ساعة ، قلقاً خائفاً ، في أمكنة خطيرة هذا الخطر كله ، دون أن يدرك هذا الأمر قبل هذه اللحظة ؟ كيف يظل يطوف طول هذه المدة لا لشيء الا أن ينفذ مشروعاً تصوره في نومه أثناء هذيان ؟ اذن لقد أصبح ذاهلاً الى أبعد حدود الذهول ، ولقد أصبح شديد النسيان ! انه يعرف هذه الحقيقة الآن ! لا شك أن عليه أن يسرع • نعم ، ان عليه أن يسرع حتماً !

اتجه نحو نهر نيفا عن طريق شارع « ف • • • » غير أن فكره أخرى وافته أثناء سيره : « لماذا نهر نيفا ؟ لماذا الماء ؟ أليس الأفضل ان أذهب الى مكان بعيد جداً ، ولو الى الجزر مرة أخرى ، فأختار مكاناً في الغابة خالياً من الناس ، فأدفن كل شيء تحت احدى الأشجار ، بعد أن أضع على المكان علامة تهديني اليه في المستقبل ؟ ورغم شعوره بأنه عاجز عن التمتع في هذا كله تمعناً واضحاً ، فان الفكرة قد بدت له سليمة لا اعتراض عليها •

ولكن لم يكتب له أن يبلغ الجزر أيضاً ، وانما جرت الأمور بحري آخر • فما ان خرج من شارع « ف • • • » الى احد الميادين ، حتى رأى على يساره ، فجأة ، مدخل فناء محاط بجدران كبيرة من جميع الجهات ، ورأى على اليمين ، بعد المدخل مباشرة ، سوراً «طويلاً» بغير ملاط ، هو سور عمارة مجاورة ذات ثلاثة طوابق ؟ ورأى على اليسار ؟ حاجزاً من خشب يوازي ذلك السور ، ويقع بعد المدخل مباشرة ، ويبلغ

طوله نحو عشرين قدماً ثم ينعطف • هذه أرض خلاء تتكسب فيها أنواع شتى من مواد متروكة مهجورة • فاذا نظر الناظر الى آخر القناء بعد الحاجز ، رأى ركنَ سقيفة من حجر ، واطئة ، مسودة من الدخان ، لعلها كانت جزءاً من ورشة • فلا بد أن مصنعا للعلجات أو للأففال أو شيئاً من هذا القبيل كان يقوم هنا ، لأن الأرض سوداء من غبار الفحم فى كل مكان تقريباً منذ باب المدخل • قال راسكولنيكوف لنفسه فجأة : « وجدت ضالتي ! أرمى كل شيء هنا ثم أنصرف ! » • واذا لم يَر أحدًا فى القناء ، أسرع بيجتاز الباب ، فاذا هو يلمح ، فى تلك اللحظة نفسها ، مزارباً مثبتاً بالحاجز الخشبي ، بمثابة مبولة ( كما يوضع مثله كثيراً فى المحلات التى من هذا النوع ، حيث يكثر العمال وأصحاب الحرف والحوذون وأشباههم ) : وفوق المزارب كُتبت على السياج ، بالطباشير ، الجملة التى تكتب عادةً من باب المزاح ، بخط ردىء وأخطاء املائية : « ممنوع عن الوقوف هنا » • قال راسكولنيكوف يغبط نفسه : لهذا المكان هذه الميزة على الأقل ، وهى أن أحدًا لن يشتهه فى أنتى دخلته ووقفت فيه • وأضاف : « أرمى هنا كل شيء ، كل شيء ، دفعةً واحدة ، كدسةً واحدة ، ثم أمضى ! » •

وألقى على ما حوله نظرة أخرى ، وفيما كان يدخل يده فى جيبه اذا هو يرى ، حذاء الجدار ، فى المسافة التى تفصل الباب عن المبولة ولا يزيد طولها عن خطوتين ، صخرةً غير منحوتة يمكن أن يكون وزنها نحو عشرة كيلوجرامات • ان الرصيف يقع خلف الجدار فى الشارع • وان وقع أقدام المارة ، وهم كثر دائماً فى هذا المكان ، يُسمع فى الداخل • ولكن أحدًا لا يستطيع أن يراه فى هذه الجهة من الباب الا اذا دخل ، وذلك أمر يمكن أن يحدث ، فلا بد لراسكولنيكوف إذن أن يسرع •

مال راسكولنيكوف على الصخرة فأمسك أعلاها بيديه كليهما  
امسكاً قوياً ، واستجمع قواه كلها ، فزحزح الصخرة من مكانها • ان  
حفرة صغيرة كانت قد تشكلت تحت الصخرة • فسرعان ما أخذ  
راسكولنيكوف يرمى في هذه الحفرة كل ما كان في جيوبه ، وكانت  
حافطة النقود آخر شيء رماه ، فكان مكانها فوق سائر الأشياء الأخرى  
وبقى في الحفرة متسع • ثم أمسك بالصخرة من جديد ، وردها الى  
وضعها الأصلي مرة واحدة ، فلا يكاد يبدو أنها ارتفعت عن وضعها  
الأصلي الا قليلاً • ولكن راسكولنيكوف نبش الأرض ، وكوم قليلاً  
من التراب حول الصخرة حتى أصبح من المستحيل أن يلاحظ أى  
تغير • وبعد ذلك خرج واتجه نحو الميدان ، فاذا هو مرة أخرى ،  
كما حدث له في مكتب الشرطة منذ قليل ، يشعر بفرح قوى جارف  
يستبد به لحظة • قال يحدث نفسه : « ها هي ذى الالبات قد دفنت  
في باطن الأرض ! منذ ذا الذى يخطر على باله أن يبحث عنها تحت هذه  
الصخرة ؟ لعل هذه الصخرة موجودة في هذا المكان منذ وجد المنزل ،  
ومستظل باقية ما بقى ! وهبهم اكتشفوا الأشياء ، فمن ذا الذى يمكن  
أن يشبهه في ؟ انتهى الأمر ! لا براهين بعد الآن ! » وأخذ يضحك •  
سوف يتذكر في المستقبل أنه ضحك ضحكاً عصياً صغيراً أخرس  
متصلاً ، وانه كان ما يزال يضحك حين اجتاز الميدان • ولكنه ما ان  
دخل شارع ك • • • الذى التقى فيه ليلة أمس الأول بالفتاة ، حتى انقطع  
ضحكه فجأة • ان خواطر أخرى توافى ذهنه الآن • بدا له على حين  
فجأة أنه سيشعر باشمئزاز لا سبيل الى التغلب عليه حين يمر قرب الدكة  
التي جلس عليها بعد انصراف الفتاة ، وأنه سيؤله أشد الايلام أن  
يصادف ، من جديد ، الشرطى ذا الشاربين الذى أعطاه حينذاك عشرين  
كوبكاً • ودمدم يقول : « شيطان يأخذه ! » •

كان يسير وهو يرمق ما حوله بنظرة ذاهلة خيثة • ان جميع أفكاره تدور الآن حول نقطة واحدة يحس هو نفسه أنها « النقطة الرئيسية » ، وأنه الآن ، الآن على وجه التحديد ، يقف وجهاً لوجه أمام هذه « النقطة الرئيسية » ، وذلك لأول مرة منذ شهرين • ثم اذا هو يقول لنفسه فجأة وقد اعتراه حلق رهيب : « لا شيطان يأخذ هذه القصة . دعنا ! ما دامت القصة قد بدأت ، ما دامت قد بدأت ، فلتذهب الى الشيطان ... » هي و « الحياة الجديدة » ! ما أغبانى ! ما اكتر ما صنعت اليوم من أكاذيب ! ما اكتر ما ارتكبت اليوم من حقارات ! ما أبشع ما أظهرته من تزلف وصغار ، منذ قليل ، أمام ذلك التافه ايليا بتروفيتش ! ... على كل حال ... لا ضير ... اتى لا أكثر بهم ، لا أكثر بهم ولا بأننى أظهرت لهم تزلفاً وصغاراً ! ليس هذا هو الأمر ... ليس هذا هو الأمر البتة ! ، ،

وتوقف فجأة • ان سؤالاً جديداً لم يكن فى حسبانها فط ، سؤالاً بسيطاً غاية البساطة ، يحيرها الآن ويصعقه صعباً • قال يسأل نفسه : « لو كنت قد نفذت هذا الأمر عن وعى حقاً ، لا على نحو يبلغ هذا المبلغ من البلاء ، لو كانت لك غاية محددة تماماً مرسومة تماماً ، فكيف تفسر أنك الى هذه اللحظة لم تلق نظرة واحدة على ما تحويه حافظة النقود ، وأنت لا تعرف ما الذى أردت أن تجنيه ولا تدرك الهدف الذى ارضيت فى سبيله أن تحتل كل هذا العذاب وارتضيت فى سبيله عامداً أن ترتكب عملاً يبلغ هذا المبلغ من الحقايرة والحسنة والدناءة ؟ ألم تكن تريد منذ لحظة أن ترمى فى الماء حافظة النقود هذه وجميع تلك الجواهر التى لم تكلف نفسك حتى عناء النظر اليها ؟ كيف تفسر هذا كله ؟ ..... »

نعم هذه هى الحقيقة ! هذه هى الحقيقة تماماً ! وكان هو يعلم هذه



الحقيقة منذ مدة • ان هذا السؤال ليس جديداً عليه • انه حين قرر في الليل أن يرمى كل شيء في الماء ، انما قرر هذا القرار بدون أي تردد ، وبدون أية مباحكة ، كما لو كان ينبغي له أن يفعل هذا نفسه لا أي شيء سواء ••• نعم انه يعلم كل هذا ، وانه يتذكر كل هذا ، حتى ليكاد يكون قد اتخذ قراره ذاك منذ البارحة ، لحظة كان ينبغي صندوق العجوز ويُخرج منه العلب ••• اذن ماذا ؟! •••

» اذن أنا مريض جداً ( الى هذه النتيجة وصل راسكولنيكوف جازماً ) • لقد عذبت نفسي ومزقت نفسي وصرت أنا نفسي لا أعرف ماذا أفعل ••• وامس ، وأمس الأول ، وفي جميع تلك الأيام الأخيرة ، كنت امزق نفسي بغير انقطاع • حين سأشفي من مرضي ، فلن ••• لن أمزق نفسي بعد ذلك ••• ولكن ماذا ••• ماذا اذا لم يكتب لي الشفاء يا رب ؟ آه ! ان هذا فوق طاقتي ! ••• » •

كان راسكولنيكوف يسير بلا تردد • كان يرغب رغبة رهيبة في أن يسلمو على أي نحو من الانحاء ، ولكنه لا يعرف ماذا يعمل من أجل أن يسلمو • وهذا احساس جديد لا يستطيع تحديده يحتاج نفسه شيئاً بعد شيء ويشد في كل دقيقة • هو نوع من اشمئزاز لا حد له ، اشمئزاز يشبه أن يكون جسيماً ، اشمئزاز من كل ما يحيط به ومن كل ما يراه في طريقه ، اشمئزاز عنيد ، كاسر ، حاقد ، مبغض • ان جميع المارة الذين يلقاهم كريهون ، كريهة وجوههم ، كريهة حركاتهم ، وحتى مشيتهم كريهة • لو توجه أحد اليه بكلام في هذه اللحظة ، لما زاد على أن يبصق في وجهه ، ولربما عضه •

وتوقف عن السير فجأة ، لحظة صار على رصيف « نيفا الصغير » في جزيرة فاسيلفسكي قرب الجسر • قال لنفسه : « انه يسكن هنا في هذا البيت ! ما معنى هذا ؟ لقد جئت اذن الى رازومихين رغم ارادتي !

ها قد تكرر اليوم عين ما حدث في ذلك اليوم ... ولكن هذا أمر عجيب جداً : أنا جئت الى هنا واعياً عامداً أم أنني مشيت على غير هدى فاذا بي أصل الى هذا المكان مصادفة ؟ ... لا بأس ! كنت أقول ... أمس الأول ... اننى سأذهب اليه غداً قيامي بذلك « العمل » ... طيب ... أى ضير في هذا ؟ سأذهب اليه ! ماذا جرى ؟ لكأني الآن لا أجرو أن أذهب اليه ... » •

• وصعد الى الطابق الرابع حيث يسكن رازوميخين •

كان رازوميخين في بيته ، في غرفته الصغيرة ، يعمل ، يكتب • فتح الباب بنفسه • انهما لم يلتقيا منذ أربعة أشهر • كان رازوميخين يرتدى ثوباً مهترئاً يكاد يكون خرقه بالية ، وكان عارى القدمين الا من بابوچ ؟ ولم يكن قد حلق ذقنه ولا غسل وجهه ، ولا مشط شعره •

عبرت هيته عن الدهشة والاستعراب حين رأى رفيقه داخلاً عليه ، فهتف يقول وهو يتفرس فيه من قمة الرأس الى أخمص القدمين :

— ماذا ؟ أنت ؟

ثم صمت وصفّر ، ثم أردف يقول وهو ينظر الى اسمال راسكولنيكوف الرثة :

— هل من الممكن أن تكون احوالك سيئة الى هذا الحد ؟ اجلس ، اجلس ! لا بد أنك متعب !

وحين تهالك راسكولنيكوف على الأريكة التركية المنجدة بقماش مشمع ، وهى أسوأ حالاً من أريكته ، أدرك رازوميخين فجأة أن رفيقه مريض فقال له :

— هيئتك تدل على انك مريض فعلاً !

وجسّ نبضه ، فسحب راسكولنيكوف يده بفضافة ، وقال له :

— لا داعي الى ذلك • لقد جئت ••• اليك السبب الذي دفعني الى  
المرضى : فقدت جميع الدروس التي كنت أعطيها ••• أود أن احصل ••  
ولو على ••• لكن لا داعي الى ذلك ••• أصبحت في غير حاجة الى  
دروس •••

سأله رازوميخين وهو يتفرس فيه باتباه :

— ولكن قل لي ، أأنت تهذي ؟

— لا ••• لست آهذي !

قال راسكولنيكوف ذلك ونهض عن الأريكة • انه حين صعد الى  
رازوميخين لم يخطر بباله أنه سيكون عليه أن يراه وجهاً لوجه •  
وما هو ذا يلاحظ الآن على حين فجأة أنه لا شيء يضايقه اكثر مما يضايقه  
أن يرى أى انسان من الناس وجهاً لوجه • ان كل ما في نفسه من بغض  
قد ثار الآن • ولقد أونسك أن يختنق غضباً من نفسه منذ أن اجتاز عتبة  
بيت رازوميخين •

قال فجأة :

— وداعاً !

— واتجه نحو الباب •

— ولكن انتظر ! انتظر يا مختل !

فعاد راسكولنيكوف يقول وهو يسحب يده من جديد :

— لا داعي !

سأله رازوميخين :

- فلماذا جئت اذن ؟ أترك جنت ؟ ان فى سلوكك هذا ما يشبه  
 أن يكون اهانة لى • لن أدعك تنصرف وأنت على هذه الحال •  
 - اذن فاسمع ! لقد جئت اليك لأننى لا أعرف أحداً غيرك يمكن  
 أن يساعدنى ••• نعم جئت اليك لأنك أفضل منهم جميعاً ، لانك أذكى  
 منهم جميعاً ، ولأنك حبيب الراى سيد الحكم • ولكننى أرى الآن  
 أنتى لست فى حاجة الى شيء • هل تسمع ؟ لست فى حاجة الى شيء  
 إطلاقاً ••• لا الى خدمات أحد ولا الى عطف أحد ••• سأدبر أمورى  
 ••• بنفسى ، وحدى • نعم ••• يكفى هذا • دعونى وشأنى أتم  
 جميعاً ! •••

- ولكن انتظر لحظة يا سخييف ! أنت مجنون ، مجنون تماماً !  
 لن ترحضخنى عن اعتقادى هذا ! ولكن اسمع قليلاً : أما الدروس فأنا  
 نفسى لا أعطى الآن دروساً ، لا ولا أكثر بالدروس ! غير أن عندى  
 فى السوق صاحب مكتبة اسمه خيروفيموف ، هو فى رأى خير درس ،  
 ولو ساومنى تجاراً على أن أبيع به خمسة دروس لما فعلت ! انه ينشر كتباً  
 عن العلوم الطبيعية ! لا تستطيع أن تتخيل مدى رواج هذا النوع من  
 الكتب • ان الناس يتخاطفونها تخاطفاً ! العناوين وحدها تساوى وزنها  
 ذهباً ! أنت تدعى دائماً أنتى غبى ، فاعلم يا عزيزى أن هنالك أناساً أغبى  
 منى ، أقسم لك على ذلك ! لقد أخذ هو أيضاً يجارى التيار ، ويتبع  
 الاتجاهات الجديدة • انه شخصياً لا يفهم شيئاً البتة ، ولكننى أشجعه  
 طبعاً على السير فى هذه الطريق • أنظر مثلاً الى هاتين الملمزتين الكبيرتين  
 ( أقول ملمزتين ولكن هنالك عدداً كبيراً من الملامز ) المطبوعتين باللغة  
 الألمانية • فى رأى أن الكلام الذى تضمنانه ليس الا دجلاً وشعبه • ان  
 الكاتب يطرح هذا السؤال : هل المرأة انسان أم هي ليست انساناً • وقد  
 انتهى الى أن يبرهن بفخامة وجلال على أن المرأة انسان ••• ان



رازو میخین

خيروفيموف يهيج هذه الأشياء لعلاقها بقضية المرأة التي تناقش كثيراً في هذه الأيام ؟ وأنا أتولى الترجمة ... وسوف نطيل النص الألماني الذي يتألف من ملزمتين ونصف ملزمة فنجعله ست ملازم ، ونجعل له عنواناً فخماً يملأ نصف صفحة ، ثم نحدد ثمن سعر النسخة الواحدة من الكتاب بخمسين كوبكاً . وأنا أتناقش عن ترجمة الملزمة الواحدة ستة روبلات ، أي خمسة عشر روبلاً عن هذا الكتاب . ومنى انتهيها من هذا الكتاب ، فستترجم كتاباً عن الحيتان . وقد اخترنا من كتاب « الاعترافات » عدداً من النماذج التي سترجمها أيضاً . لقد قال أحدهم لخيروفيموف ان روسو يشبه رادتشف \* وأنا أتحاشي طبعاً أن أعارضه .. تيطان يأخذه !... ها نحن اذن نصل الى الأمر الأساسي : هل تريد أن تترجم الملزمة الثانية من كتاب « هل المرأة انسان ؟ » اذا كنت تريد أن تفعل ذلك ، فخذ النص على الفور ، وخذ مع النص أقلاماً وورقاً - كل ذلك على نفقة الناشر - واقبل هذه الروبلات الثلاثة ، فاني قد تقاضيت سلفة عن ترجمة الملزمة الأولى والملزمة الثانية ، فتكون هذه الروبلات الثلاثة من حقت . حتى اذا فرغت من ترجمة ملزمتك ، قبضت ثلاثة روبلات أخرى . وانتي لأرجوك خاصة أن لا تصور أن ما أفعله الآن هو خدمة أقدمها إليك . بالعكس : فاني ما ان رأيتك داخلاً على حتى قلت لنفسي : سوف يفيدني كثيراً . فأنا أولاً ضعيف في الاملاء ، وأنا ثانياً أقرب الى الضعف في اللغة الألمانية ؛ لذلك تراني في أكثر الأحيان ألتق وأخترع ، وأعزّي نفسي قائلاً ان النتيجة تكون بذلك أفضل . ولكن من يدري ؟ قد لا تجيء النتيجة أفضل بل أسوأ ! ... هيه ، أقبل أم لا ؟

تناول راسكولنيكوف النص الألماني صامتاً ، وأخذ الروبلات الثلاثة أيضاً ، ثم خرج وهو ما يزال ساكناً لا ينطق بكلمة واحدة .

وتابعة رازوميخين بنظراته مشدوهاً • ولكن ما ان وصل راسكولنيكوف الى ناصية الشارع الأول حتى قفل راجعاً على حين فجأة ، وصعد ثانية الى بيت رازوميخين ، فبعد أن وضع الملزمة والروبلات الثلاثة على المنضدة ، خرج مرةً أخرى دون أن ينطق بكلمة واحدة أيضاً •

قال رازوميخين وقد ثارت ثائرتة أخيراً :

— لا شك في أنك مصاب بحمى حارة ! ما هذه المهزلة التي تمثلها ؟  
انك تفقدني صوابي • لماذا رجعت ؟

قال راسكولنيكوف وقد أخذ يهبط السلم :

— لست في حاجة الى ••• ترجمة !•••

فصرخ رازوميخين يسأله من أعلى :

— أنت في حاجة الى ماذا اذن ؟

لم يجب راسكولنيكوف •

— اسمع ! أين تسكن الآن ؟

— شيطان يأخذك !

ولكن راسكولنيكوف كان قد صار في الشارع • وعلى جسر  
يقولا \* ، اضطر أن يثوب الى رشده مرةً أخرى ، بسبب حادث مزعج وقع له : لقد هوى حوذى على ظهره بضربة سوط أليمة ، لأن راسكولنيكوف لم ينتبه الى تحذيراته التي كررها ثلاث مرات أو أربعاً فكادت تدوسه خيول العرب • وقد أخرجته هذه الضربة عن طوره ، فغضب غضباً بلغ من الشدة أنه صرف بأسنانه ، ووثب الى الافريز ( لقد كان يمشى في وسط الجسر لا حيث يمشى المشاة ، لا يدرى المرء لماذا ! ) • فانطلقت من حوله الضحكات والتعليقات :

– عظيم !

– لا بد أن يكون مجنوناً !

– حيلة معروفة : يتظاهرون بالسكر ويرتمون عامدين تحت العجلات ليتزوا تعويضاً !

– من هذا يعيشون يا أصدفائي ، هذا مصدر رزقهم !

ولكن في تلك اللحظة التي رأى فيها راسكولنيكوف نفسه قرب الأفریز أخذَ بحكّ ظهره ، متابعاً بنظرته المشدوهة الحائقة ، ابتعاد العربية ، أحسَّ فجأةً بأن أحداً يدسُّ مالاَ في يده . فنظر فرأى أمامه سيدة متقدمة في السن قليلاً – أغلب الظن أنها زوجة تاجر – على رأسها قلنسوة من نسيج ، وقدمها في حذاءين كبيرين ، ومعها فتاة تلبس قبعةً وتحمل بيدها سمسية خضراء ، ولعلها بنتها . قالت له السيدة وهي تدس المال في يده : « خذ هذا يا صاحبي من مال الله . » . أخذ راسكولنيكوف الصدقة ، وتابعت المرأتان طريقهما . وكانت الصدقة قطعة نقد فضية قيمتها عشرون كوبكاً . لا شك أنهما ظنّتا من زيه الغريب ومظهره الزرّي أنه شحاذ محترف . أما العشرون كوبكاً – وهي مبلغ ضخم بالقياس الى صدقة – فأغلب الظن أنهما أنعمتا بها عليه بسبب ضربة السوط التي أثارت شفقتهم .

قبض راسكولنيكوف على قطعة النقد بيده ، وسار عشر خطوات ، ثم التفت يواجه نهر نيفا في اتجاه « القصر » . كانت السماء صافية لا يعكرها سحب ، وكان الماء أزرق اللون تقريباً ، وذلك ما لا يتفق الا في القليل النادر . وكانت قبة الكاتدرائية \* ، التي لا تبرز هذا البروز الا حين يُنظر إليها من هذا المكان من الجسر ، كانت متألقة ساطعة ، وكان



الناظر اليها يستطيع ، بفضل شفافية الهواء ، أن يميّز أدق زخارفها .  
 هدأ ألم راسكولنيكوف ، ونسى ضربة السوط التي هوى بها الحوذي على  
 ظهره . ان فكرةً بقلقة مضطربة تشغل الآن ذهنه كله . حدّق ملياً  
 الى هذه الأماكن التي كانت مألوفة له . لقد حدث له في الماضي ، حين  
 كان ما يزال يتردد الى الجامعة \* ، حدث له مراراً كثيرة قد تُعدُّ بالمئات ،  
 ولا سيما أثناء عودته الى بيته ، أن وقف في هذا المكان نفسه ، فأخذ  
 يتأمل المشهد الرائع ، فكان يُدهش دائماً من الأثر المبهم الذي  
 يحدثه هذا المشهد في نفسه . لقد كان دائماً ، بعد أن يتأمل هذا  
 المشهد ، يشعر بعاطفة برود غريبة . كان هذا المشهد الفخم يبدو له  
 خالياً من الروح ، يبدو له أخرس عقيماً . . . . وكان راسكولنيكوف  
 يُدهش في كل مرة من الاحساس القاتم الملمّز الذي يشعر به ، وكان  
 لشكّه في نفسه يرجئ دائماً شرح أسباب ذلك لنفسه . وقد تذكر الآن  
 فجأةً ، بدقة حادة ، جميع المسائل التي هاجمته وحاصرتها ، فبدأ له أنه  
 لا يتذكر هذا كله مصادفةً . ان مجرد توقفه في هذا المكان نفسه الذي  
 كان يتوقف فيه سابقاً قد بدا له غريباً مضحكاً . أكان يظن حقاً أنه  
 ما يزال يستطيع أن يفكر في نفس الأمور وأن يهتم بنفس المشاهد وأن  
 يعنى بنفس الموضوعات التي كانت تستهويه في الماضي وفي الآونة الأخيرة  
 أيضاً ؟ أوشك راسكولنيكوف أن ينفجر ضاحكاً . ولكن قلبه قد انقبض  
 في الوقت نفسه انقباضاً يبلغ درجة العذاب . بدا له أن ماضيه كله ،  
 وأفكاره كلها ، وجميع المسائل والعواطف التي كان يعالجها في الماضي ،  
 ترقد الآن في أسفل ، تحت قدميه ، في قرارة هوةٍ سحيقة لا نهاية لها  
 . . . . وأن هذا المشهد نفسه ، وأنه هو ذاته ، وأن كل شيء . . . . كل شيء  
 يطير الى مكان ما في الأعلى . كان يبدو له أن كل شيء يختفي ويزول  
 ويغيب . . . . نعم ، كل شيء ! . . . .

وعلى اثر حركة غير ارادية أحسَّ بقطعة النقد الفضية مشدودة بقبضته ، فبسط يده وتأمل قطعة النقد ملياً ، ثم رماها في الماء بحركة سيرة ، ثم استدار على عقبه وعاد يسير في طريق بيته • كان يحس في تلك اللحظة أنه قطع بالمقص كل صلة بينه وبين العالم • ولم يرجع الى بيته الا عند هبوط الليل ؟ أى انه ظل يسير نست ساعات كاملة • ولو سأله عن الطرق التي سلكها لما استطاع أن يجيبك بشيء •

خلع ثيابه وهو يرتجف ارتجاف حصان عاجز ، ثم استلقى على الأريكة ، وغطى نفسه بمعطفه ، فلم يلبث أن غاب عن شعوره • وأفاق في وسط ظلام كامل ، حين أيقظته صرخة كريهة ! ماهذه الصرخة يا رب ! لم يسبق له في يوم من الأيام أن سمع جلبة رهيبة بشعة الى هذا الحد : عويل ، ونشيج ، وصريف أسنان ، وصرخات ، وشتائم لا يتصورها العقل ! ما كان له أن يتخيل همجية كهذه الهمجية ، ووحشية كهذه الوحشية ! انتصب على أريكته مروّعاً مهدود القلب • ولكن التشاجر والصخب والشتائم ما تنفك تقوى وتشتد • وها هو ذا يتعرف صوت صاحبة البيت فجأة ، فيصاب بدهشة كبيرة وذهول شديد • كانت تعول وتئن وتصيح وتتضرع ، وتثشور الألفاظ حتى ليستجبل على المرء أن يدرك جملة واحدة من كلامها • لعلها كانت تبتهل الى من يضربها أن يكف عن ضربها ؟ ذلك أن أحداً كان يضربها على السلم ، نعم ••• ان أحداً يضربها هنالك ضرباً مبرحاً بلا شفقة ولا رحمة • وهذا صوت الرجل الذي يضربها قد بلغ من شدة الغضب والحلق والهول أنه أصبح نوعاً من صراخ أبج • كان هذا الرجل يقول كلاماً ، ولكن كلامه هو أيضاً كان لا يفهم من فرط سرعته واختلافه ! ••• وأخذ راسكولنيكوف يرتجف على حين بقتة : تمرق صوت

الرجل • انه صوت ايليا بتروفش • ماذا ؟ ايليا بتروفش هنا ، يضرب صاحبة البيت ؟ نعم ، انه يضربها بقدمه ، ويطرق برأسها درجة السلم : هذا واضح ، تدل عليه الضججات والصرخات والضربات ، ولا تخطئ في الدلالة عليه • ماذا جرى اذن ؟ هل انقلب العالم عاليه سافله ؟ وهذا راسكولنيكوف يسمع في جميع الطوابق ، من أعلى السلم الى أدناه ، أصوات جمهور من الناس يحتشد صارخاً صائحاً • أناس يصعدون ، وأناس ينزلون ، والجلبة تزداد ، والأبواب تفرقع ••• وأناس آخرون يهرعون مسرعين • « لماذا ؟ لماذا ؟ أهذا ممكن ؟ » • كذلك كان يتساءل راسكولنيكوف وهو يعتقد صادقاً بأنه قد أصبح مجنوناً ، ولكن لا ، انه ما يزال يسمع ذلك كله واضحاً كل الوضوح ••• لا بد اذن أنهم آتون اليه أيضاً ، « لأن ••• نعم ••• لأن كل شيء يرجع ••• الى أنني ••• بالأمس ••• قد ••• رباه ! » • أراد أن يغلّق الباب بالكلاية ، ولكن يده رفضت أن تطيعه ، ولو قد أغلق الباب بالكلاية لما أجده ذلك شيئاً من جهة أخرى • لقد كان الخوف يطوّق نفسه كدرع من جلد ، ويعذبه ويشلّه ••• ولكن ها هي ذى الجلبة كلها تهدأ رويداً رويداً بعد أن دامت ست دقائق طويلة ••• ان صاحبة البيت تن الآن وتتنهد • أما ايليا بتروفش فاستمر يهدّد ويتوعد ويشتم ••• وبدا أخيراً أنه هدأ هو أيضاً ، ثم أصبح صوته لا يُسمع البتة • « أترأه انصرف ؟ يا رب ! » • نعم ، لقد انصرف • وهذه صاحبة البيت تنصرف أيضاً وهي ما تزال تن وتبكي • هذا بابها يُخلق مقرّعاً ••• هؤلاء هم الناس يتفرقون جميعاً فيعود كل منهم الى مسكنه ••• انهم يصيحون ويتناقشون ويستوضحون تارةً بأصوات قوية جداً ( توشك أن تكون صراخاً ) وتارةً بأصوات خافتة جداً ( توشك أن تكون همساً ، ••• لا شك أن عددهم كبير جداً

يكاد يضم جميع سكان المنزل • تسائل راسكولنيكوف : « رباه ! أهدا  
كله ممكن ؟ ولماذا ، لماذا جاء الى هنا ؟ » •

تهالك راسكولنيكوف على أريكته من جديد ، ولكن جفنه لم يعرف  
الى الغمض سيلاً بعد ذلك • ولبت راقداً هذا الرقاد مدة نصف ساعة  
وهو يعاني عذاباً ورعباً أكبر من كل ما عرف في حياته من عذاب  
ورعب • وهذا ضياء شديد ينير غرفته فجأة • لقد دخلت عليه ناستاسيا  
مع شمعة وطبق حساء • فلما نظرت اليه ملياً فعرفت أنه ليس نائمًا ،  
وضعت الشمعة على المنضدة ، وأخذت ترتب على المائدة ما كانت تحمله  
اليه : خبزاً ، وملحاً ، وصحنًا ، وملقعة •

قالت :

— لم يأكل شيئاً منذ أمس ! ظل يتسكع هنا وهناك طوال الليل ،  
وهذه حمى شديدة تتباه الآن !

قال راسكولنيكوف لناستاسيا :

— ناستاسيا ، لماذا ضربوا صاحبة البيت ؟

فأجابته وهي تنظر اليه مبهوتة :

— من ضرب صاحبة البيت ؟

— منذ قليل ، منذ نصف ساعة ••• ضربها ايليا بتروفتش مساعد

مفوض الشرطة ، هنا ، في السلم ••• لماذا ضربها هذا الضرب ؟•••  
ولماذا جاء ؟•••

تفرست فيه ناستاسيا صامتةً مقطبةً مدة طويلة • لقد آلمها هذا ،  
ثم شعرت بخوف •

سألها راسكولنيكوف وجلاً ، بصوت واهن :

— ناستاسيا ، لماذا تصمتين ؟

فقلت تجييه بعد لحظة بصوت خافت كأنها تكلم نفسها :

- هو الدم ؟

- الدم ؟ أى دم ؟

كذلك تمتم وقد اصفر وجهه وأخذ يتقهقر فليتصق بالحائط •  
فأخذت ناستاسيا تنظر اليه صامتةً من جديد • ثم قالت بعد لحظة بلهجة  
قاسية واثقة :

- لم يضرب أحد صاحبة البيت •

فنظر اليها وهو لا يكاد يتنفس ، وقال لها بمزيد من الوجع :

- سمعت الجلبة بنفسى ••• لم أكن نائماً ••• جاء مساعد مفوض  
الشرطة ••• وخرج الجميع من بيوتهم ، وهرعوا الى السلم •

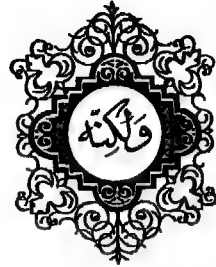
- لم يجيء أحد • الدم هو الذى يصرخ فيك • حين لا يجد الدم  
مخرجاً فيأخذ يسد الكبد ، تترأى للمرء عندئذ رؤى ••• أتريد أن  
تأكل أم لا ؟

لم يجب راسكولنيكوف • وظلت ناستاسيا واقفةً الى جانبه ،  
لا تتكلم ، وما تزال تتفرس فيه •  
- اسقيني يا ناستاسينكا •••

نزلت ناستاسيا ، ثم عادت بعد دقيقتين تحمل جرةً صغيرةً من  
الفخار الأبيض فيها ماء •

لا يتذكر راسكولنيكوف ما جرى بعد ذلك • كل ما يتذكره هو  
أنه شرب جرةً من ماء بارد ، وأنه قلب ماء الجرة على صدره • ثم أغمى  
عليه •

## الفصل الثالث



لم يفقد وعيه كله طوال مدة مرضه • كان يعاني حالة حمى مصحوبة بهذيان ، ولكن هذه الحالة قد تركت له نصف وعي • وقد تذكر بعد ذلك أشياء كثيرة •

كان يترأى له تارةً أن أناساً كثيرين قد احتشدوا حوله ، وأنهم يريدون أن يأخذوه ، أن ينقلوه الى مكانٍ ما ، وأنهم يتناقشون ويشجرون في أمره • وكان تارةً أخرى يجد نفسه وحيداً في غرفته على حين فجأة : فقد ذهب الناس جميعاً لأنهم خافوا منه ، فهم يشقون الباب من حين الى حين لينظروا اليه ، وليهدّدوه ؛ وهم يتأمرون عليه ، ويضحكون منه ، ويزدرونه ، ويستفزونّه •

وقد تذكر راسكولنيكوف أنه رأى ناستاسيا ساهرةً عليه قرب سريره مراراً • واستطاع كذلك أن يميّز رجلاً لا بد أنه كان يعرفه جيداً ، ولكنه لا يملك أن يقول من هو هذا الرجل على وجه التحديد • وكان ذلك يحزنه ويؤله ، حتى لقد كان يبكي • وكان يترأى له في بعض الأحيان أنه راقد في سريره منذ شهر ، وكان يترأى له في أحيان أخرى أن هذه المدة كلها يوم واحد يتصل ويستمر • ولكن ما باله نسي « ذلك الأمر » ، ما باله نسي « ذلك الأمر » . نسياناً تاماً ! على أنه كان يتذكر في كل لحظة أنه قد نسي شيئاً لا يجوز له أن ينساه • وكان

عندئذ يبذل جهداً كبيراً من أجل أن يتذكر ، ويتعذب ويئن ، ثم اذا هو يستولى عليه حلق مسعور أو يسند به ذعر شديد ، فينهض عن أريكته ، ويحاول أن يهرب ، غير أن أحد الناس يمنعه من ذلك بالقوة ، فيهوى الى ضعفه من جديد ، ويغيب عنه نغمه مرة أخرى • ثم عاد اليه وعيه تماماً •

حدث ذلك في الساعة العاشرة من أحد الاصبح • كانت الشمس في مثل تلك الساعة من أيام الصحو يسقط منها شعاع طويل على الجدار الأيمن من غرفته ، ويضيء الركن القريب من الباب • هذه ناستاسيا واقفة قرب سريره ، وهذا شخص آخر يتفرس فيه بكثير من الاستطلاع ، رجل لا يتذكر راسكولنيكوف أنه رآه قبل اليوم قط • هو فتى يرتدى قفطاناً ، وله لحية صغيرة ، وتدل هيئته على أنه مستخدم في محل تجارى • ومن خلال الباب المشقوق ، تنظر صاحبة البيت •

نهض راسكولنيكوف ، وسأل وهو يومئ الى الشاب :

— من هذا يا ناستاسيا ؟

قالت ناستاسيا :

— صحا من غيبوبته !

فأمّن المستخدم على كلامها قائلاً :

— نعم ، صحا !

وكانت صاحبة البيت تنظر من خلال شق الباب ، ففهمت أن راسكولنيكوف صحا من غيبوبته ، فأغلقت الباب بسرعة وغابت • ان هذه المرأة كانت دائماً خجولة ، لا تطيق النقاش والعتاب • هى فى نحو الأربعين من عمرها ، لها حاجبان سوداوان ، وعينان سوداوان ، وهى بدينة سمينة ، ولعلها طيبة بسبب هذه السمنة ، وبسبب كسلها أيضاً ؛

وانها لتمتاز بكثير من البشاشة على كل حال ، ولكنها مفرطة في العفة ...  
عاد راسكولنيكوف يسأل من جديد ، وهو يتجه بسؤاله الى  
المستخدم رأساً :

— من ... أنت ؟

ولكن الباب فُتح في تلك اللحظة واسعاً ، ودخل رازوميخين  
منحنياً بسبب طول قامته . وهتف يقول وهو يدخل :

— مسكنك هذا يشبه أن يكون حجرة في سقينة . أهذا مسكن ؟  
لا يدخله المرء مرةً الا ويصطدم جبينه ! اذن لقد أفقت من غيبوبتك  
يا صاحبي ، هه ؟ أحسنت صنعاً . لقد أعلمتني باشنكا \* منذ هنيهة  
أنك أفقت ...

قالت ناستاسيا :

— نعم ، أفاق الآن .

وردّد المستخدم قائلاً وهو يتنسم ابتسامة خفيفة :

— نعم ، أفاق الآن ...

سأل رازوميخين وهو يتجه الى المستخدم فجأة :

— ولكن ... من أنت ؟ أنا ، مثلاً ، اسمي فرازوميخين ،  
لا رازوميخين كما اعتاد الناس أن يسموني ، بل فرازوميخين ... وأنا  
ابن رجل من السادة . ولكن ، أنت ، من أنت ؟

— أنا مستخدم في محل التاجر شيلوبايف ، وقد جئت هنا لأعمال .

— هلاًّ تفضلت فجلست على هذا الكرسي !

قال رازوميخين ذلك وجلس على كرسي آخر في الجهة الأخرى  
من المائدة . وتابع كلامه يخاطب راسكولنيكوف :



— أحسنت صنعاً يا عزيزى بالصحو من غيبوبتك • فانك منذ اربعة أيام لم تطعم شيئاً ، غير قليل من الشاى جرّعته بالمعلقة • وقد جئتك بزوسيموف مرتين • هل تتذكر زوسيموف ؟ فحسك بكثير من الاهتمام والانتباه ، ثم قال انك سليم معافى ، الا من ضربة أصابت رأسك • وأضاف ان الأمر لا يعدو أن يكون انزعاجاً عصبياً بسيطاً مردّه الى سوء التغذية • فقد كنت فى حاجة الى بيرة وفجل ، فلما حرمت منهما مرضت • ولكنه يؤكد أن ذلك كله سينقضى بسرعة ، وأنك ستبرأ فى القريب أحسن ما يكون البرء • يا له من رجل لامع ، زوسيموف هذا • لقد نجح نجاحاً فاقها منذ الآن •

ثم أضاف رازوموخين يخاطب المستخدم من جديد :  
— لا نريد أن نوّخرك • هلاًّ تفضلت فذكرت لنا غرضك من هذه الزيارة !

وتابع يكلم راسكولنيكوف :  
— لاحظ يا روديا أن هذه هى المرة الثانية التى يوفد فيها مكتبهم مندوباً • ولكن مندوبهم فى المرة الماضية لم يكن هذا الشاب ، بل كان رجلاً آخر ، ومع ذلك الرجل الآخر انما تباحثنا •  
وعاد يسأل المستخدم قائلاً :

— من ذلك الذى جاء فى المرة الماضية ؟  
فأجابه المستخدم :  
— لا شك أنك تقصد الذى جاء منذ ثلاثة أيام • انه ألكسى سيميونوفتش • هو يعمل فى المحل أيضاً •  
— أرى أنه أبرع منك • ما رأيك ؟

– نعم ، انه أكثر وقاراً ؟

– أهتاك ! طيب ، أكمل !

بدأ المستخدم كلامه مخاطباً راسكولنيكوف مباشرة :

– اليك الموضوع : بواسطة أتانازى ايفانوفتش فاخروشين الذى أرجو أن تكون قد سمعت عنه ، وبطلبٍ من السيدة والدتك ، وصلت الى مكتبنا حوالة مالية لك ؟ فاذا كنت فى حالة تمكنك من الفهم ، فسوف أدفع لك مبلغ خمسة وثلاثين روبلاً تلقاها سيميون سيمونوفتش من آتانازى ايفانوفتش بناءً على طلب من السيدة والدتك • هل أبلغت هذا الأمر ...

قال راسكولنيكوف حالماً مفكراً :

– نعم ، أذكر ... فاخروشين ...

هتف رازومихين يقول :

– هل سمعت ؟ انه يعرف التاجر فاخروشين ، فكيف لا يكون فى حالة تمكنه من الفهم ؟ ثم اننى ألاحظ أنك رجل عاقل ، فهياً أكمل حديثك • انه ليحلو للمرء دائماً أن يسمع أقوال رجل عاقل •

فتابع المستخدم كلامه فقال :

– نعم ، ان فاخروشين هذا نفسه ، أتانازى ايفانوفتش فاخروشين ، لم يتردد ، حين طلبت منك أمك ذلك – وهى التى أوصلت اليك بواسطته فى مرة سابقة ، مبلغاً من المال – لم يتردد فى هذه المرة أيضاً أن يكتب الى سيميون سيمونوفتش طالباً منه أن يدفع لك مبلغ خمسة وثلاثين روبلاً ، بانتظار أن يدفع لك أكثر من ذلك فى المستقبل •

– عيناً ان قولك « بانتظار ان يدفع لك أكثر من ذلك فى المستقبل »

هي خير ما خرج من فمك • ولا بأس كذلك في قولك « السيدة  
والدتك » • ما رأيك الآن ؟ أهو يملك شعوره كاملاً أم لا ؟

– أتمنى ذلك ••• كل ما أريده هو أن يعطيني ايصالاً صغيراً  
يشهد باستلامه المبلغ •

– سيكتب لك الايصال فوراً • ما هذا الذي معك ؟ أهو سجل ؟

– نعم ، سجل •

– هاته • هياً يا روديا ! انهض قليلاً • سأسندك • وقّع له اسمك  
دفعَةً واحدة • خذ القلم يا صاحبي ، لأن حاجتنا الى المال ماسة ،  
ماسة •••

قال راسكولنيكوف وهو يدفع القلم :

– لستُ في حاجة •••

– لستُ في حاجة الى ماذا ؟

– لن أوقّع •

– ولكن كيف يمكن أن ••• بغير توقيع •••

– لستُ في حاجة الى مال •

– لستُ في حاجة الى مال ؟ ألا انك لتكذب يا عزيزي • أنا شاهد

على أنك تكذب •

قال رازوميشين ذلك ، والتفت يخاطب الشاب :

– لا تقلق ، أرجوك ••• هو يقول هذا ، ولكنه يهذى ••• من

جديد ••• ثم انه يتفق له أن يهذى في الحالة الطبيعية ••• أنا أعرفه •  
وأنت رجل شريف • ليس علينا اذن الا أن نرشده ، أو قل أن نرشد  
يده ، فيوقّع • هياً ، ساعدني !

– يمكنكى أن أرجع مرةً أخرى •

– لا ، لا ، لماذا تزعج نفسك مرةً أخرى ؟ أنت رجل عاقل ...  
هلمَّ يا روديا ، لا تؤخر ضيفنا ... أنت ترى أنه ينتظر منذ مدة •  
قال رازوميخين ذلك ونهياً ، جاداً كل الجد ، لأن يقود يد  
راسكولنيكوف • فقال له راسكولنيكوف :

– دع عنك • سأوقع بنفسى •

• وتناول القلم ، ووقع •

• فدفع له المستخدم المال ، وخرج •

– مرحى ! والآن يا عزيزى ، متأكّل ! نهه ؟

– نعم سأكل ! ... •

قال رازوميخين يسأل ناستاسيا التى لبثت هناك طوال تلك المدة :

– هل عندكم حساء ؟

– نعم ، عندنا حساء من أمس •

– أهو حساء بالرز والبطاطس ؟

– بالرز والبطاطس •

– قدّرت ذلك • هاتى الحساء ، وأتينا بشاى !

– حالا !

نظر راسكولنيكوف حواله مخبواً • لقد قرر أن يصمت وأن  
ينتظر تمة الأحداث • قال يحدث نفسه : « يخيّل الىّ أنتى لا أهذى  
الآن • يخيّل الىّ أنتى لا أهذى الآن • يخيّل الىّ أن هذا كله واقع  
وليس أضغاث أحلام ! » •

وبعد دقيقتين عادت ناستاسيا بالحساء ، وأعلنت أن الشاى سيكون

مهيأً بعد قليل • وبعد الحساء ظهرت ملققتان وجميع أدوات المائدة :  
وعاء الملح ، ووعاء الفلفل ، ووعاء الخردل لتطيب المرق ، النخ • ان مثل  
هذا الترتيب الدقيق لم يُراعَ منذ مدة طويلة • وكان غطاء المائدة نظيفاً .  
قال رازوميخين :

— لا بأس ، يا ناستاسيوشكا ، في أن ترسل إلينا براسكوفيا بافلوفنا  
زجاجتين صغيرتين من البيرة • سوف يسرنا أن نشربهما •

فقلت ناستاسيا وهي تمضي لتنفيذ الأوامر :  
— انك لتحب المسرات !

وكان راسكولنيكوف ما يزال ينظر حواليه زائغ الهيئة مشدود  
الانتباه • وفي أثناء ذلك الوقت كان رازوميخين الذي جلس الى جانبه على  
الأريكة ، يُنهض رأسه بيده اليسرى ، بخراقة كخراقة الدب ، ويحمل  
الى فمه باليد اليمنى ملعقة من الحساء بعد أن ينفخ عليها عدة مرات حتى  
لا يحترق بها فم صاحبه • وكان الحساء في الواقع فاتراً غير ساخن •

الهم راسكولنيكوف ملعقة أولى ، فملققة ثانية ، فملققة ثالثة ،  
بشراهة ونهم • فلم يلبث رازوميين أن توقف عن اطعامه قائلاً ان من  
الواجب أن يُستشار في ذلك زوسيموف أولاً •

ودخلت ناستاسيا تحمل زجاجتي بيرة •

• — هل تريد شيئاً من الشاي ؟

— نعم •

— هاتي لنا شايًا يا ناستاسيا ، فانا فيما يتعلق بهذا الشراب ، أعني  
الشاي ، نستطيع أن نستغنى عن صفات كلية الطب ! آآآ هذه  
هي البيرة !

قال رازوميخين ذلك ، وعاد الى كرسيه ، وجذب اليه الحساء ،  
وأخذ يلتهم اللحم السلوق ، كأنه لم يأكل منذ ثلاثة أيام • دمدم يقول  
بمقدار ما يتيح له فمه المملوء لحماً أن يتكلم :

- نعم يا روديا ، نعم يا صديقي القديم ، على هذا النحو انما  
أصبحت آكل الآن كلَّ يوم في منزلكم • ان صاحبة البيت باشنكا هي  
التي تكرمنا هذا التكريم • انها تحيطني بكل أنواع العناية والرعاية •  
طبعاً أنا لا أطلب شيئاً ، ولكنني لا أرفض شيئاً كذلك ••• هذه ناستاسيا  
وشايفها ! هي الرشاقة نفسها في صورة امرأة ! هل تريدن شيئاً من  
البيرة ياناستاسيا ؟

- مهرَّج !

- وهل تريدن شيئاً من الشاي ؟

- الشاي ••• لا أرفض الشاي !•••

- اذن صبي لنفسك شيئاً • لا بل انتظري ! سأخدمك أنا •  
بنفسي • اجلسي الى المائدة •

قال رازوميخين ذلك وأسرع ينهمك في صب الشاي ، فملاً  
فنجاناً ثانياً ، ثم ترك غداه ، وعاد يجلس على الديوان • وكما فعل منذ  
قليل ، دسَّ يده اليسرى تحت رأس المريض ، فأنهضه قليلاً ، وأشربه  
شايه بالملقعة ، نافخاً على كل ملقعة بكثير من العناية والاهتمام ، كأن  
سلامة المريض مرهونة بهذا النفخ • وكان راسكولنيكوف صامتاً  
لا يقاومه أية مقاومة ، رغم شعوره بأنه يملك من القوة ما يكفيه لأن  
يُنْهَض جسمه ، ولأن يبقى جالساً بغير مساعدة من أحد ، بل ولأن  
يستعمل يديه أيضاً ؟ حتى لقد مضى الى حد الاعتقاد أن في وسعه أن  
يشي اذا شاء • ولكنه بنوع من مكرٍ غريب ، مكرٍ يكاد يكون غريزياً ،

خطر بباله فجأة أن يخفى فواء ، بل وأن يتظاهر بنيسوبه تامة اذا لزم الأمر ، من أجل أن يتجسس خلال ذلك على ما يجرى حوله . غير أنه لم يستطع أن يتغلب على اشمئزازه : فبعد أن ابتلع نحو عشر ملاعق من الشاي ، سلَّ رأسه ، ودفع الملعقة بنزوة طارئة ، وتهالك على الوسادة . إن رأسه يستريح الآن على وسادات حقيقية من ريش ، تجلّلتها أغطية نظيفة . وقد لاحظ راسكولنيكوف ذلك واستغربه .

أعلن رازوموخين وهو يعود الى مكانه ويهجم على حسائنه ويبرته من جديد :

— يجب على باشنكا أن ترسل إلينا في هذا اليوم نفسه شيئاً من مربّب التوت نصنع منه لمريضنا شراباً .

قالت ناستاسيا التي كانت تبسط صحن فنتجانها على أصابعها الخمس المتباعدة ، وترشف شايبا فيرشح « من خلال السكر » في فمها :

— ولكن من أين عساها تأتي الآن بالتوت ؟

— التوت يا عزيزتي ستجده عند البقال . هل تعلم يا روديا ؟ لقد جرت هنا قصة لا تعرف عنها شيئاً ! حين هربت من عندي هروب وغد من الأوغاد ، دون أن تذكر لي عنوانك ، غضبتُ غضباً بلغ من الشدة أنني قررت فوراً أن أعثر عليك . . . . وأن أعاقبك ! وأخذت في ذلك اليوم نفسه الأحقك وأطاردك ، آه . . . . يمكن أن يقال أنني ركضت وأزعجت الناس جميعاً لأهتدي إليك . . . . كنت قد نسيت عنوانك الحالي ، أو قل أنني ما نسيت لائتي ما كنت أعرفه أصلاً . أما «مسكنك» القديم ، فإن كل ما كنت أذكره عنه هو أنه يقع في مكان ما من « الأركان الخمسة » بعمارة تسمى «عمارة خارلاموف» . . . . والحق أن ذلك السيد ، صاحب العمارة ، لم يكن اسمه خارلاموف ، بل بوخ . فانظر كم لقيت من

عناء ! آه من أسماء الأعلام ! الخلاصة أنتى غضبت غضباً شديداً ، غضباً  
بلغ من الشدة أنتى ذهبت من الغد رأساً الى مكتب تسجيل القوانين :  
فاذا أنا أعرف منهم عنوانك فى غضون دقيقتين + نعم ، نعم ، انك مسجل  
عندهم !

— مسجل !

— نعم ، نعم ، مسجل . ومع ذلك لم يستطيعوا أن يشعروا على  
عنوان الجنرال كوبليف . لست أخترع شيئاً : لقد جرى هذا أمامى .  
هوه ! ما لنا توه فى التفاصيل !+++ على كل حال ، ما ان جئت الى هنا ،  
حتى كنت أعرف جميع شئونك ، نعم ، جميع شئونك ! يا صديقى أنا  
أعرف كل شيء . لقد أرونى ايليا بتروفتش . وتعارفت مع نيكوديم  
فومتش ، والبواب ، والسيد زامبوتوف ، الكسندر جريجورييفتش  
زامبوتوف ، سكرتير قسم شرطة الحى ، وعرفت أخيراً باشنكا +++  
باشنكا +++ انها زهرة من عرفتهم . ناستاسيا تعرف ذلك .

تمتت ناستاسيا تقول وهى تضحك ضحكة ساخرة :

— عرف كيف يملكها .

— عليك أن تضعى السكر فى فمجانك يا ناستاسيا نيكيفوروفنا !

صاحت ناستاسيا تقول وهى تنفجر ضاحكة :

— يا للحيوان !

ثم أضافت بعد أن انتهت نوبة الضحك :

— ليس اسمى نيكيفوروفنا بل بتروفنا .

قال لها رازومبخين :



— أخطأنا علماً بذلك •

ثم استأنف كلامه مخاطباً راسكولنيكوف :

— هكذا يا صاحبي • لقد أردت أن أستعمل سائلاً كهربائياً من أجل أن استأصل ، دفعةً واحدة ، جميع الأوهام المشوشة في هذه النواحي • ولكن باشنكا غلبتني • يا صديقي ، ما كنت لأتصور في يوم من الأيام أنها بشوش ••• الى هذا الحد ••• هه ؟ ما رأيك ؟

لم يجب راسكولنيكوف ، رغم أنه لم يحول بصره القلق عن رازومخين في لحظة من اللحظات ، ورغم أنه ما يزال يحدق اليه • تابع رازومخين كلامه فقال دون أن يظهر عليه أى استياء من صمت راسكولنيكوف :

— حتى ليتمكن أن يقال انها افسانة ممتازة من جميع الجهات •

هتفت ناستاسيا تقول من جديد ، وقد بدا عليها أن هذه المحادثة تسرها سروراً عظيماً :

— يا له من حيوان !

— المصيبة يا صديقي أنك لم تعرف كيف تدبر أمرك منذ البداية • ان على المرء أن يتبع في معاملتها طريقة غير طريقتك • ان لها طبعاً ••• غريباً ! سنتكلم عن طبعها فيما بعد • ولكن كيف استطعت أن تُفسد أمورك معها الى الحد الذي انقطعت معه عن ارسال طعامك اليك ؟ وما قصة السند تلك ؟ يميناً انك لمجنون • كيف ترضى أن توقّع سندات ؟ ومشروع الزواج ذاك ، حين كانت ابنتها ناتاليا ياجوروفنا ما تزال على قيد الحياة ؟ اننى أعلم كل شيء ! أنا أدرك أننى هنا أمسُ الوتر الحساس ، وأننى حمار • معذرة ، معذرة • ولكن قل لى بمناسبة الحماقات ما رأيك :

ليست براسكوفيا بافلوفنا حمقاء الى الحد الذي قد يفترضه المرء من أول نظرة ، أليس كذلك ؟

قال راسكولنيكوف بأطراف شففيه ، مشيحاً بوجهه ، مندركاً مع ذلك أن استمرار الحديث أفضل :

— نعم •

فهتف رازوميين وقد أسعده اسعاداً واضحاً أنه حصل على جواب:

— أليس كذلك ؟ ولكنها ليست ذكية أيضاً ، هه ؟ ان لها طبعاً لا يتوقع أبداً • أنا ، على كل حال ، يحترني هذا الطبع يا صاحبي • لا بد أنها في الأربعين من عمرها ••• هي تقول انها لم تتجاوز السادسة والثلاثين • هذا حق من حقسوقها • على أنني ( أحلف لك ! ) لا أحكم عليها الا من وجهة النظر الفكرية ، من وجهة النظر ••• الميتافيزيقية وحدها • ان ما يقع بيننا يدخل في نطاق الرمز • هو نوع من علم الجبر يا صاحبي ••• لست أفهم من ذلك شيئاً • سخافات كل هذا ! ولكنها اذ رأته أنك لم تعد طالباً ، وأنت فقدت ما كنت تعطيه من دروس ، وأنت أصبحت لا تملك ما تدثر به ظهورك ، وأنها غدت منذ موت أمستها لا تستطيع أن تعدك عضواً في الأسرة ، قد اتابها دعر • واذا انك من جهتك انطويت على نفسك بدلاً من أن تعيش كما كنت تعيش في الماضي ، فقد قام في ذهنها أن تطردك • وكانت تفكر في هذا المشروع منذ مدة ، ولكن السند كان يقلقها كثيراً ؟ ولما كنت قد أكدت لها أن أمك ستدفع •••

— قلت لها ذلك حقارة مني ••• ان أمي توشك أن تستجدي أكف الناس ••• لقد كذبت عليها لأجبرها على أن تحتفظ بي وأن تطعمني •••

قال راسكولنيكوف ذلك بصوت عالٍ واضح •

أجابه رازومихين :

— نعم ، وثققد تصرفت عندئذ تصرفاً فيه تعقل وحكمة • ولكن المشكلة هي أنه في تلك اللحظة ظهر السيد تشيياروف ، وهو مستشار فضائي ورجل من رجال الأعمال ؛ فلولا هذا الرجل لما خطر ببال باشنكا ، وهي المرأة الخجول ، أن تتخذ أى اجراء • ولكن رجل الأعمال لا يملك هذا الخجل ، فكان أول سؤال ألقاه طبعاً هو هذا السؤال : هل هناك أمل في قبض قيمة السند • وكان الجواب بنعم ، لأن هناك أملاً لها معاش مقداره مائة وعشرون روبلاً ، فلن تضن على ابنها رودنكا باخراجه من المأزق ولو اضطرها ذلك الى حرمان نفسها من الطعام ، ولأن هناك أخيراً حنوئاً سوف ترضى بأن تباع نفسها عبدة في سبيل انقاذ أخيها الحبيب • على هذا اعتمد الرجل • ما بالك تضطرب هذا الاضطراب ؟ هأنت ذا ترى يا صاحبي أنني أعرف الآن قصتك ، أعرفها من ألفها الى يائها • لم يذهب سدى ما أفضيت به الى باشنكا من مسارات حين كنت ما تزال تعد نفسك ••• ولكن كنت أقول لك هذا الكلام ، فلأنتى حديقك • اسمع اذن ما حدث : حين يسترسل الانسان الشريف الحسّاس في مسارات حميمة ، فان رجل الأعمال يجلس الى منضدته وينهمك في الحساب ليخرج بمنفعة • وهكذا تنازلت باشنكا عن السند لتشيياروف ، فلم يتورع تشيياروف هذا عن المطالبة بقيمة السند • وحين علمت أننا بهذا كله ، أردت أن أتدخل في الأمر فأرسل سائلي الكهربائي اليه هو أيضاً • ولكن الانسجام قام بينى وبين باشنكا أثناء ذلك ، فأوقفت القضية كلها ، وقضيت عليها في مهدها ، اذ كفلت أن تدفع المبلغ • لقد أصبحت كفيلاً يا صاحبي ، هل تسمع ؟ واستدعينا تشيياروف ، فدسنا في فمه عشرة روبلات ، فرد السند الذي يشرفنى ، يا سيدى ، أن أقدمه

إليك • لن تطالب بعد الآن بسند ، بل ستُصدّق على عهد الشرف وحده •  
خذ السند • هلاً أخذت السند ؟ لقد مرّته قليلاً ، كما يجب أن  
أفعل ...

وضع رازوميخين السند على المائدة • فألقى راسكولنيكوف عليه  
نظرة سريعة ، ثم التفت الى جهة الحائط دون أن يقول شيئاً ؛ فاستاء  
رازوميخين من ذلك ، وقال بعد دقيقة :

– أرى يا صاحبي أنني كنت غيباً مرة أخرى • لقد ظننت أنني  
بشرئائي سأسرّي عنك وأسلّيكَ ، وهأنذا ألاحظ الآن أنني لم أزد على  
أن حركت غضبك !

– أأنت الشخص الذي كنت أتناه هذياني لا أعرفه ؟

كذلك سأله راسكولنيكوف بعد أن صمت خلال دقيقة هو أيضاً ،  
ودون أن يلتفت إليه • فأجاب رازوميخين :

– نعم أنا ، حتى ان حضوري قد سبب لك بعض النوبات ، ولا سيما  
حين جئت إليك بزاميوتوف •

فالتفت راسكولنيكوف فجأة بعنف ، وحدّق الى رازوميخين  
سائلاً :

– زاميوتوف ؟ سكرتير مفوض الشرطة ؟

– ولكن ماذا دهاك ؟ لماذا تضطرب هذا الاضطراب ؟ لقد أراد أن  
يتعرف إليك ••• وانما أراد ذلك لأننا تحدثنا عنك كثيراً • وكيف  
كان يمكنني ، ، لولاء ، أن أعرف هذه الأشياء كلها عنك ؟ انه رجل  
شهم ، رائع ••• في نوعه طبعاً • ونحن الآن صديقان ، نلتقي كل يوم  
تقريباً • ذلك أنني سكنت في مكان قريب • ألم تعرف ذلك بعد ؟ نعم ،

انتقلت منذ برهة وجيزة • وقد ذهبنا معاً الى لوزا مرتين أو ثلاث مرات • أتتذكر لوزا ايغافونا ؟

— هل بكت أهنى ؟

— أظن ذلك ! كنتَ غيرَ نفسك !

— وماذا كنتَ أقول ؟

— ماذا كنتَ تقول ؟ هه ••• معروف ماذا يمكن أن يقول رجلٌ

يهذى • والآن ، يا صاحبي ، لم يبق لنا وقت نضيجه • الى العمل !

— ماذا كنتَ أقول !

— ما باله يصر ؟ أتراه يخشى أن يكون قد فضح سرّاً من الأسرار ؟

لا تقلق اذن • لم يُفْلِت منك كلام في حق السيدة الكوتيسة • ولكنك

تكلمت كثيراً عن كلب حراسة من نوع « البولروج » ، وتكلمت عن

أقراط أذن ، وعن سلاسل ذهبية ، وعن جزيرة كريستوفسكي ، وعن

بوابٍ ما ، وتكلمت أيضاً عن نيكوديم فومتش وايليا بتروفتش مساعد

مفوض الشرطة • ثم انك يا سيدي قد اهتمت اهتماماً عظيماً بجوربك ،

فكنت تتعجب قائلاً : « أعطوني جوربي • اسرعوا • أعطوني جوربي ! » .

فبادر زامبوتوف بنفسه يبحث لك عنه في كل ركن من الأركان ، حتى

إذا وجده ، حتى إذا وجد تلك القاذورة حملها اليك بيديه ، بيديه

اليضاوين المعطرتين المجللتين بالحوائم • عندئذ هدأ روعك ، ثم ظللت

قابعاً بيديك على تلك القاذورة أربعاً وعشرين ساعة ، لا يستطيع أحد

أن ينتزعها منك • لا بد أنها ما تزال في مكان ما تحت غطائك ! وكنت

تطالب أيضاً بقصاصات سروالك ، حتى لقد كنت تبكي وأنت تطالب بتلك

القصاصات • تساءلنا أية قصاصات تعني ، ولكن كان الأفضل أن لا نحاول

أن نفهم • والآن كفى كلاماً ، ولنبادر الى العمل • هذه خمسة وثلاثين

روبلاً • انتى آخذ منها عشرة ، وسأعود اليك بالحساب بعد ساعتين •  
وفى أثناء هذا الوقت أكون قد أبلغت زوسيموف ، الذى كان ينبغي أن  
يكون هنا منذ مدة طويلة ، لأن الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة • وأنت  
يا ناستاسيا ، هل لك أن تمنى به أثناء غيابى ! أعطيه ما يشربه ، أو أعطيه  
شيئاً آخر اذا هو رغب فى ذلك • أما بانسكا فسوف أقول لها فوراً ما يجب  
عمله • الى اللقاء !

قالت ناستاسيا منذ خرج :

— انه يدعوها بانسكا ! آه ! يا للماكر !

ثم فتحت الباب وأصاحت بسمعها ، ثم لم تطق صبراً فهرولت  
تهبط • انها تحرق سوقاً الى معرفة ما قد يقوله رازوميخين لمولاتها •  
وفى وسعنا أن نقول بوجه عام انها كانت مفتنة برازوميخين افتتانه واضحاً.

فما ان أغلقت وراءها الباب حتى رمى المريض غطاءه ، ووثب عن  
السريـر كالجنون • كانت قد انتظر خروجهما نافد الصبر الى حد  
الاحتراق والتشنج ، لياشر العمل بأقصى سرعة • ولكن ما هو هذا  
العمل الذى يريد أن يقوم به ؟ ها هو ذا قد أصبح ، كأنما على عمد ،  
لا يعرف ماذا كان يريد أن يعمل !

« رياه ! قل لى شيئاً واحداً يا رب : أهم يعرفون أم هم لا يعرفون  
بعد ؟ أهم يعرفون منذ الآن كل شىء ولكنهم يتظاهرون بأنهم لا يعرفون  
شيئاً ؟ أكانوا يعنون بى بينما أنا راقدٌ هنا ؟ أترام سيدخلون علىَّ  
فجأة ليقولوا انهم يعرفون كل شىء منذ مدة طويلة ، ولكنهم تظاهروا  
بالجهل عامدين ؟ ••• ما العمل الآن ؟ هأنذا نسيت ما يجب أن أعمله ،  
كأنما على عمد ! هأنذا نسيت مع أنتى كنت أتذكره منذ قليل ••• ••  
ظل راسكولنيكوف واقفاً فى وسط الغرفة ينظر فيما حوله حائراً

حيرة أنيمة • تم اقتراب من الباب ، ففتحه وأخذ يتنصت ؛ ولكن ليس هذا ما كان يريد ان يعمل • وكأنه تذكر على حين فجأة ، فاذا هو يهرع نحو الركن ، حيث يوجد ثقب تحت ورق الجدار • أخذ يفش هناك باتباه ، وادخل يده في الثقب يتلمسه ، ولكن هذا ليس ما كان يريد أن يعمله أيضاً • • فاتبه عندئذ نحو المدفأة ، ففتحها ، ونبس رمادها ، فعر على فصاحات السروال ومزق الجيب المتزع كما كانت حين رماها في هذا المكان • اذن لم ينظر أحد في المدفأة • وعندئذ تذكر الجورب الذي جاء رازوميخين على ذكره منذ قليل • ان ما قاله رازوميخين صحيح • ان الجورب موجود تحت الغطاء فعلاً ، ولكنه بلغ من الاتساخ ومن الاهتراء بالحك أن زامبوتوف لا يمكن أن يكون قد لاحظ فيه شيئاً البتة •

« نعم ، زامبوتوف !... قسم الشرطة ! ولكن لماذا استدعى الى قسم الشرطة ؟ أين كتاب الاستدعاء ؟ هو ! اننى أخطئ ! لقد استدعيت الى قسم الشرطة في يوم ماضٍ ! وكنت حينذاك أدقق النظر في الجورب. والآن ... والآن ... لقد كنت مريضاً ... لماذا جاء زامبوتوف الى هنا ؟ لماذا أتى به رازوميخين الى بيتى ؟ » •

بهذا تتمم راسكولنيكوف مهدود القوى ، وهو يعود الى الجلوس على سرير • وتابع حديثه لنفسه :

« ماذا يجرى ؟ أنا ما أزال أهذى أم أن هذا كله الآن واقع لا شأن له بأخيلة الهذيان ؟ يبدو لى أن هذا كله الآن واقع ... آ ... تذكرت : أهرب ، يجب أن أهرب بأقصى سرعة ، يجب أن أهرب حتماً • نعم ، ولكن الى أين ؟ وأين ثيابى ؟ لم يبق ثمة شك • لقد أخذوا ثيابى ... لقد أخذوها عنى ! فهمت ! آ ... هذا معطى ... لقد نسوه ! وهذا هو المال على المائدة ! الحمد لله ! وهذا هو السند ... سأخذ المال وأهرب • سأستأجر بيتاً آخر ، ولن يعثروا على ! نعم ،

ولكن مكتب العناوين ... آه ... سيكتشفوننى ! سيكتشفنى رازوميين ! الأفضل مع ذلك أن أهرب ... ان أهرب الى مكان بعيد، الى أمريكا ، ثم أبصق عليهم ... ويجب أن آخذ السند أيضاً ... فقد ينفضى هناك ... ماذا آخذ أيضاً ؟ هم يعتقدون أننى مريض ! لا يخطر ببالهم أن فى امكانى أن أمشى ... ها ها ها ! قرأت فى أعينهم أنهم يعرفون كل شئ ! المهم أن أستطيع الهبوط على السلم ! ولكن ماذا لو كانوا قد وضعوا حراساً يحرسون العمارة ! ماذا لو كان يوجد شرطة تحت ؟ ما هذا ؟ شأى ؟ آ ... ما تزال توجد بقية من بيرة ، نصف زجاجة ، باردة تماماً . . .

أمسك الزجاجة التى كان قد بقى فيها ما يلاً كأساً كبيرة ، فأقرعها فى جوفه دفعة واحدة ، متلذذاً ، كأنما ليطفئ النار التى تحرق صدره . ولكن قبل أن تنقضى دقيقة واحدة ، كانت البيرة قد صعدت الى رأسه ، فاذا برعدة خفيفة تسرى فى ظهره ، رعدة توشك أن تكون لذينة ، فاستلقى على سريره وسحب الغطاء يدثر به جسمه . أخذت أفكاره المحمومة المضطربة تغلى مزيداً من الغليان ، وسرعان ما استولى عليه نعاس لطيف . فاهتدى الى مكان رأسه على الوسادة متلذذاً ، وتدثر مزيداً من التدثر بالغطاء الرخص المحشو بالقطن الذى يقوم الآن مقام معطفه الممزق ، وزفر زفرة خفيفة ، ثم نام نوماً عميقاً مريحاً .

واستيقظ حين سمع أحداً يدخل عليه ، ففتح حاجبيه ، فرأى رازوميين . كان رازوميين قد فتح الباب واسعاً ، ووقف على العتبة متسائلاً أيدخل أم لا يدخل . أسرع راسكولنيكوف ينهض عن سريره جالساً ، ونظر الى صاحبه نظرة من يحاول أن يتذكر شيئاً ما .

قال رازوميين :

— هه ... أنت غير نائم ؟



ثم صرخ ينادى ناستاسيا فى السلم قائلاً :

— ناستاسيا ، هاتى الصرة !

وعاد يقول لراسكولنيكوف :

— سأقدم اليك الحساب فوراً •

سأل راسكولنيكوف وهو يلقى على ما حوله نظرة قلقة :

— كم الساعة الآن ؟

— يمكننا أن نقول ، أيها الأخ العزيز ، انك غير محروم من النوم •

لقد حان المساء • لا بد أن الساعة غير بعيدة عن السادسة • معنى ذلك أنك

نمت ست ساعات •

— وباه ! كيف أمكن أن ...

— ماذا ؟ انك قد أحسنت صنعاً • ما أحسب أنك مستعجل !

ما أحسب أنك مرتبط بموعد ! أليس كذلك ؟ نحن نملك اذن كل وقتنا •

اننى منذ ثلاث ساعات أنتظر أن تفيق من نومك • جئت اليك مرتين ،

ولكنك كنت ما تزال نائماً • وقد ذهبت مرتين أيضاً الى زوسيموف • ولكننى

لم أجده • لا خير ! سوف ييجى • • • ثم اننى قد تقيت لأمر شخصية

صغيرة • أنت تعلم أننى قد انتقلت اليوم من مسكنى ، انتقلت منه مع

عمى • • • ان لى عملاً الآن • ولكن دعنا من هذا كله • • • سحقاً لهذا

كله ! هاتى الصرة يا ناستاسيا • سوف • • • فوراً • • • وكيف صحتك

الآن يا صاحبى ؟

قال راسكولنيكوف :

— صحتى حسنة • أبللت من المرض • أأنت هنا منذ مدة طويلة ؟

— قلت لك اننى أنتظر منذ ثلاث ساعات •

— نعم ، ولكن • • • قبل ذلك ؟

- قبل ماذا ؟

- منذ متى تأتي الى هنا ؟

- ألم أقصص عليك ذلك ؟ ألا تتذكر ؟

شرد فكر راسكولنيكوف • ان ما جرى في هذه الفترة يبدو له  
حلماً • كان عاجزاً عن أن يتذكر أى شيء نفسه ، وألقى على رازوميشين  
نظرة مستفسرة •

قال رازوميشين :

- آ آ آ اذن نسيت ! لقد أدركت فعلاً أنك لم تكن بخير حال •  
أما الآن فقد أحسن اليك النوم وشفاك • حقاً ان هيثك الآن أفضل كثيراً  
مما كانت • مرحى ! الى العمل اذن ! وسوف تتذكر فوراً ! أنظر الى  
هنا ، أيها السيد العزيز !  
وأخذ رازوميشين يفض صرته التي كان يبدو أنه يوليها أكبر  
اهتمام •

- نعم يا عزيزى ، هذا أمر يهمنى كثيراً ، ذلك أن على أن أجعلك  
رجلاً • هيا بنا ! لنبدأ من فوق •

ثم قال وهو يسحب من الصرة قبعة جميلة وان تكن من طراز عادى  
بخس الثمن :

- هل ترى هذه القبعة ؟ سأجربها عليك ، أسمح بذلك ؟

قال راسكولنيكوف وهو يدفعه عنه بخشونة :

- لا الآن ••• بل وفي وقت آخر •••

- لا سيبل الى التملص يا صاحبي • لا تصر ! فى وقت آخر يكون  
الوقت قد فات • لن أنام الليل اذا لم أجربها عليك ، ذلك أنتى اشتريتها  
كيفما اتفق ، دون أن أعرف قياس رأسك •

وألْبسه القُبعة ثم قال بلهجة المتنصر :

— انها تناسبك ... تناسبك كثيراً • لكانها فصّلت لك • لباس الرأس يا عزيزي أهم جزء من أجزاء اللباس ، فهو الذى يحدّد مكانتك فى المجتمع • ان تولتسياكوف ، وهو صديق قديم لى ، يضطر الى خلع قبّعة الرديئة كلما ظهر فى مكان عام يحتفظ فيه الآخرون بقبعاتهم على رءوسهم ، والناس يردون ذلك الى مشاعر الاحترام مع أن الأمر لا يعدو أنه أحسنّ بالحجل من قبّعة الرديئة التى تشبه أن تكون عشب عصفور • نعم ، تلك هى أسباب حياة هذا الرجل ! انظرى يا ناستاسيا ، انظرى الى هاتين القبعتين : انظرى الى قبعة بالمرستون هذه ( قال ذلك ومضى يأتى من أحد الأركان بقبعة راسكولنيكوف المدوّرة المشوّهة ، التى لا يدرى أحد لماذا سمّاها قبعة بالمرستون \* ) ، ثم انظرى الى هذه الآية من آيات فن صنع القبعات • واحزر كم دفعت ثمنها ؟ ما رأيك ؟ وما رأيك أنت يا ناستاسيا ؟ ( لقد التفت رازومихين الى الخادمة يسألها ، حين رأى راسكولنيكوف صامتاً لا يجيب ) •

قالت ناستاسيا تجيب عن سؤاله :

— عشرين كوبكاً على الأقل !

فهتف يقول مستاءً :

— عشرين كوبكاً يا غيبة ، يا حمقاء ؟ عشرين كوبكاً لا يمكن شراؤك أنت فى هذه الأيام ! لقد دفعت ثمانين كوبكاً ، ولم يكن ثمنها قليلاً هذه القلة الا لأنها مستعملة • ثم اننى اشتريتها على شرط : ان فى وسعك أن تذهبى الى البائع فى السنة القادمة ، متى اهترأت هذه القبعة ، فاذا هو يُبدلها لك بقبعة جديدة مجاناً ، أحلف لك !... والآن هلموا الى الولايات المتحدة الأمريكية \* ، كما كنا نسميها فى المدرسة • ولكننى

أنبّهك قبل كل شيء الى أنني معتز جداً بهذا السروال ( قال ذلك وبسط أمام راسكولنيكوف سروالاً رمادياً من نسيج صيفي خفيف ) : لا ثقب فيه ، ولا بقعة ؟ هو اذن ، رغم أنه لبس من قبل ، سروال جيد ؟ ناهيك عن الصديرة التي تناسبه على نحو ما توجب الموضة • أما أنه لبس من قبل ، فتلك مزية ، فلقد أصبح بذلك أكثر ليونة وأشد مرونة • اسمع يا روديا : لكي ينجح المرء في الحياة ، يكفيه في رأيي أن يراعى الفصول: اذا لم تطالب بهليون في شهر كانون الثاني ( يناير ) ، فسيبقى لك دائماً بضعة روبلات في حافظة نقودك • نعم ، نحن الآن في منتصف فصل الصيف ، لذلك اشتريت سروالاً صيفياً • صحيح أنك ستحتاج في فصل الخريف الى قماس يضمن لك مزيداً من الدفء ، وسيكون عليك أن ترمى هذه الملابس ، لا سيما وأنها ستكون قد بليت ، بسبب اهمالك طبعاً ... ولكن فلنعد الى سؤالا : احزر كم دفعت ثمن هذا السروال! روبلين وخمسة وعشرين كوبكاً ! لاحظ أنني اشتريته على ذلك الشرط نفسه الذي اشترطته في شراء القبعة : ان من حقك أن تستبدل به سروالاً بالمجان متى اهترأ • فعلى هذا النحو انما تتم الصفقات في دكان فديايف : يدفع المشتري مرة واحدة الى الأبد ، لأنه لن يضع قدميه مرة أخرى في هذا الدكان قط • ولننتقل الآن الى الحذاءين • كيف تجدهما ؟ واضح أنهما مستعملان ، ولكنهما ما يزالان يصلحان خلال شهرين ، فهذه بضاعة أجنبية : ان سكرتير سفارة انتجلترا قد باعهما في الأسبوع الماضي • لم يكن قد اتعلهما الا ستة أيام ، ولكنه كان في حاجة ماسة الى المال • الثمن : روبل وخمسون كوبيكاً • صفقة رابعة ، أليس كذلك ؟

قالت نامتاسيا :

– ولكنهما قد لا يكونان على قياس قدميه !

– قد لا يكونان على قياس قدميه ؟ فما هذا الذي أخذته معي اذن ؟

قال رازوميخين ذلك واستل من جيبه حذاءً قديماً مهترئاً متقباً هو  
أحد أحذية راسكولنيكوف • ثم أردف :

- لقد اخذت الاحتياطات اللازمة ! ماذا تظنين ؟ عرفنا قياس قدميه  
من قياس هذا الحذاء العجيب ! نعم لقد جرت الأمور كلها بدقة تامة وعناية  
محكمة • أما الملابس الداخلية فقد تفاهمت بشأنها مع صاحبة البيت •  
اليك مؤقتاً ثلاثة قمصان من نسيج سميك ، ولكن صدرها على آخر  
موضة • لنحسب الآن التكاليف كلها • قبة : ثمانون كوبكاً ؛ ملابس  
أخرى : روبلان وخمسة وعشرون كوبكاً ؛ المجموع : ثلاثة روبلات  
 وخمسة كوبكات ، الحذاءان : روبل وخمسون كوبكاً ، لأنهما في حالة  
جيدة جداً • المجموع : أربع روبلات وخمسة وخمسون كوبكاً ، الملابس  
الداخلية ، جملةً واحدة ، خمسة روبلات • الباقي : خمسة وخمسون  
كوبكاً ، نقوداً نحاسية من فئة الكوبك • اليك هي • خذها • هكنا  
يا روديا تكون قد « تهنّدت » الآن ، لأن معطفك ما يزال قابلاً  
للاستعمال ، حتى انه لا يخلو من ... وجهة • أرايت قيمة اختيار المرء  
ملابسه من محلات شارمر ! \* أما الجوارب وما الى ذلك ، فأننى أترك لك  
أمر الاهتمام بها • وأما المال فما زلنا نملك منه خمسة وعشرين روبلاً •  
وليس عليك بعد الآن أن يقلقلك أجر المسكن • ان باشنكا ستمهلك امهالاً  
غير محدود ، كما قلت لك • والآن يا عزيزى ، سوف تبدّل قميصك ،  
لأننى لا استغرب أن يكون مرضك كله قد تسلل اليك من هنا ••

قال راسكولنيكوف بعد أن استمع مشمئزاً الى الكلام المرح الذى  
تدفق من فم رازوميخين :

- دعنى ! لا أريد !

قال رازوميخين مصرّاً :

– لا مناص يا عزيزى ! لن يقول أحد اننى أبليت حذامى فى غير طائل !

ثم التفت يقول لناستاسيا :

– هلمى يا ناستاسينكا ! لا تسنحى ! ساعدينى ! نعم ... هكذا ..  
استطاع رازوميخين وناستاسيا أن يبدّلا قميص راسكولنيكوف ،  
رغم المقاومة التى أبدأها . وعاد راسكولنيكوف يتهالك على وسادته ،  
ولزم الصمت خلال دقيقتين قائلاً لنفسه : « سيلبثان مدة طويلة لا يتركاني  
وشأنى » ثم سأل وهو ينظر الى الجدار :

– بأى مال اشتريتَ هذه الأشياء كلها ؟

فأجابه رازوميخين متعجباً :

– بأى مال ؟ عجيب ! بمالك أنت . لقد جاء الى هنا مستخدمٌ من  
عند فاخروشين يحمل اليك مالاً أرسلته أمك . ألا تذكر ؟

قال راسكولنيكوف بعد تفكير طويل شاق :

– نعم ، الآن تذكرت !

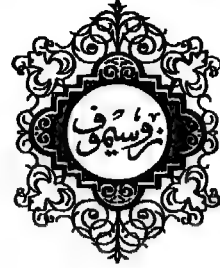
فتأمله رازوميخين مقطباً قلقاً .

وفتح الباب ، ودخل رجل طويل القامة قوى البنية . أحسَّ  
راسكولنيكوف أنه سبق أن رأى هذا الرجل .

هتف رازوميخين يقول فرحاً كل الفرحة :

– زوسيموف ! أخيراً وصل !

## الفصل الرابع



رجل طويل القامة ، سمين الجسم ، ممتلئ  
الوجه ، شاحب اللون ، حليق اللحية ، يوشك  
شعره أن يكون من فرط شقوته أبيض ، وهو  
ينتصب على رأسه قائماً • على عينيه نظارتان ،

وفي إحدى أصابعه المنتفخة خاتم من ذهب • انه في السابعة والعشرين من  
عمره • فاذا نظرت الى معطفه الأنيق الواسع المصنوع من نسيج صوفي  
خفيف ، والى سرواله الصيفي الفاتح اللون، أدركت أنه واحد من أولئك  
الرجال الذين يُعنون بحسن أنافتهم وجمال هندامهم أشدّ العناية • ان  
قميصه الناصع الياض يتألق تألقاً باهراً ، وان صُدِيرته تزدان بسلسلة  
كبيرة من ذهب خالص • أما حركاته فهي تظل بطيئةً بعض البطء ،  
ثقيلةً بعض الثقل ، رغم ما يصطنعه في مشيته من انطلاق • هذا الى أن  
الادعاء يظهر فيه واضحاً كل الوضوح ، رغم جميع الجهود التي يبذلها  
لاخفائه • ان كل الذين عرفوه قد لاحظوا أنه رجل صعب المراس شديد  
الطبع ، ولكنهم يجمعون على أنه يعرف مهنته معرفةً طيبة •

هاتف رازوميخين يقول له :

— لقد ذهبت اليك مرتين يا صاحبي ! ما هو ذا قد أفاق من غيبوبته  
كما ترى •

قال زوسيموف :

- نعم ! نعم !

ثم أردف يسأل راسكولنيكوف وهو يتفرس فيه ويجلس عند قدميه  
على طرف السرير بغير مبالاة أو تحرج :  
- هيه ! كيف حالنا الآن ؟

قال رازوميشين :

- ما يزال مكتب المزاج ، ولقد كاد يبكي منذ قليل حين بد لنا له  
قميصه !

- هذا طبيعي !... كان يمكنكم أن ترجئوا ذلك الى حين آخر  
ما دام يضايقه ... النبض جيد . أما زلت تشعر بشيء من صداع في  
رأسك ؟

قال راسكولنيكوف حائفاً مصرأ :

- لا ! صحتي حسنة !

وكان راسكولنيكوف قد نهض على سريريه ملتئم العينين متقد  
النظرات . ولكنه لم يلبث أن تهاوى على الوسادة والتفت نحو الحائط .  
وكان زوسيموف يراقب باتباه فقال بلهجة متناقلة :

- كل شيء على ما يرام . هل أكل شيئاً ؟

ذكّر له ماذا أكل المريض ثم سئل عما يمكن أن يأكله . قال  
الطبيب :

- يمكن اطعامه كل شيء ! حساء ، شاي ... ولكن لا فطر ،  
ولا قاء طبعاً . وقد لا يناسب لحم البقر ايضاً . ولكن علام هذا الكلام  
كله ؟ ( وتبادل نظرة مع رازوميشين ) . ولا حاجة الى الدواء بعد



الآن ، لا حاجة الى شيء بعد الآن • غداً أرى ••• على أننا نستطيع منذ  
اليوم فى الواقع أن •••

قال رازوميخين :

- سأصطحبه مساء غدٍ فى نزهة • نذهب أولاً الى حديقة  
يوسوبوف ، ثم نذهب بعد ذلك الى « قصر الكريستال » • \*

- لو كنت فى مكانك لتركته غداً حيث هو • قد أخرج معه لحظة  
قصيرة ••• على كل حال سوف نرى •

- خسارة ••• ذلك أننى أحتفل اليوم بانتقالى الى المسكن  
الجديد الذى يقع على بعد خطوتين من هنا • ليته يستطيع أن يشاركنا ،  
ولو رافداً على أريكته ! أما أنت فسوف تجيء ، أليس كذلك ؟ ( قال  
رازوميخين هذا متجهاً بالكلام فجأة الى زوسيموف ) • لن تنسى ، هه ؟  
هل تعلم ما الذى وعدتني به ؟

أجاب زوسيموف !

- قد أجيء ، ولكننى اذا جئت فسأجىء متأخراً • ماذا أعددت  
للحفلة ؟

- لم أهىء أشياء كثيرة ! شاي ، فودكا ، سمك مجفف ، فطائر  
أيضاً • ليس بيننا تكليف • نحن أسرة واحدة •

- نحن ؟ من تقصد ؟

- رفاق ، شباب ، اكترهم لا أعرفه من قبل • وسيحضر الاحتفال  
عمُّ لى جاء الى بطرسبرج لأعمال ، ولا أراه الا مرة واحدة كل خمس  
سنين •

- ما هو عمك هذا ؟

- سلخ حياته كلها فى مقاطعة نائية مديراً لمركز بريد ••• وقد

أحيل على التقاعد فهو يتقاضى معاشاً صغيراً • عمره خمسة وستون سنة • •  
ما حاجتنا الى الكلام عنه ؟ على أننى أحبه فى الواقع • سيجى بورفير  
سيموفتش أيضاً ، قاضى التحقيق فى الحى • انه متخرج من « مدرسة  
القانون الامبراطورية » \* • ولكنك تعرفه • • •

– هل يمت اليك بقرابة أيضاً ؟

– قرابة بعيدة جداً ! ولكن لماذا أراك تستاء ؟ آمل أن لا تحملك  
المشاجرة التى وقعت بينك وبينه ذات يوم على أن تظن أنك معنى من  
حضور الحفلة • • •

– هو ! أنا لا اكترث به •

– أحسن ، أحسن • وهكذا ستضم الحفلة طلاباً ، واستاذاً ،  
وموظفاً ، وموسيقياً ، وضابطاً هو زاميتوف • • •

– قل لى : ما الذى يمكن أن يجمع بينك أو قل بينه ( هنا أوما  
زوسيموف بإشارة من رأسه الى راسكولنيكوف ) وبين رجل مثل  
زاميتوف ؟

– يا لهؤلاء المتعبن ! المبادئ طبعاً ! يميناً انك جالس على المبادئ  
كجلوسك على خازوق فلست تجرؤ أن تقوم بحركة واحدة على ما يشاء  
لك هواك • أما أنا ففى رأى أن الانسان الطيب الحثير هو فى ذاته مبدأ من  
المبادئ • وزاميتوف رجل رائع فى نظرى •

– هو على كل حال رجل يعرف معرفة رائعة كيف يلعب على  
حبلين وكيف يجنى ربحاً من طرفين •

صاح رازوميشين وقد ازدادت حماسه ازدياداً شديداً :

– ما شأنى أنا وهذا ؟ هل قلت لك اننى أؤيده فى اللعب على حبلين  
وفى جنى الربح من طرفين ؟ ان كل ما قلته لك هو أنه فى نوعه انسان

جيد • ولو نظرنا الى جميع أنواع البشر لحق لنا أن تسامح من هم أولئك الذين يصدون في الواقع للامتحان ويبرهنون على أنهم أخيار طيبون ! انتى لعلى يقين من أنتى أنا نفسى لا أستحق أن أشتري ببصلة ، ولو أضفت أنتَ الى •

– أنت تبالغ ! انا مستعد لأن اشتريك ببصلتين اثنتين !  
– أما أنا فلا اشتريك الا ببصلة واحدة • ها ••• انك تستطيع أن تكون فكها ! ثم ان زامبوتوف ما يزال صيًّا صغيراً • ولسوف تأتى مناسبات أشد فيها أذنيه ، ولكن يجب علىَّ بانتظار ذلك أن أداريه لا أن أضده • لا سبيل الى اصلاح انسان بسوء المعاملة ، ولا سيما اذا كان صيًّا ، فانما يجب على المرء أن يمكر مزيداً من المكر حين يُعامل صيًّا صغيراً • ولكنكم ، معشر التقدميين المتصلين ، لا تفهمون من هذا الأمر شيئاً ، ولا تحترمون الطبيعة الانسانية • واتم حين لا تحترمون الطبيعة الانسانية انما تسيئون الى أنفسكم • واذا كنت تحرص على أن تعرف كل شيء ، فاعلم أن لنا ، أنا وهو ، قضية مشتركة •

– هل يمكننا أن نسألك عن هذه القضية المشتركة ، ما هى ؟•••  
– هى قضية ذلك الدهان نفسه • نعم ، سوف نناقشه من تلك الورطة ! على أنه أصبح الآن غير معرض لأى خطر • لقد أصبحت القضية الآن واضحة ، واضحة جداً • وكل ما يقع على عاتقنا هو أن ندفعها الى نهايتها بسرعة •

– من ذلك الدهان ؟  
– كيف ؟ ألم أقصص عليك القصة ؟ ها ••• فعلاً ••• أنا لم أقصص عليك الا البداية ••• ان قاتل المعجوز المراية ، أرملة الموظف ••• أقصد ••• ان الدهان اصبح الآن مقحماً فى هذه القضية •

- سمعت عن جريمة القتل هذه من قبل ٠٠٠ حتى لقد اهتمت بها بعض الاهتمام ٠٠٠ نعم ، قرأت أيضاً ما تقوله عنها الصحف و ٠٠٠ - وقد قتلت الزباث أيضاً !

بذلك نطقت ناستاسيا على حين فجأة ، متجهةً بالكلام الى راسكولنيكوف • كانت قد بقيت في الغرفة طوال ذلك الوقت ، مستندة الى الباب ، تتابع الحديث •

تتم راسكولنيكوف يقول بصوت لا يكاد يسمع !  
- الزباث ؟

قالت ناستاسيا :

- نعم الزباث ، السمسارة • كانت تجيء الى هنا ، تحت ، حتى لقد رَجَعْتَ لك قميصاً •

التقت راسكولنيكوف نحو الحائط ، حيث تتناثر على الورق الأصفر الوسخ رسوم أزهار صغيرة بيضاء ، فاختار من هذه الأزهار زهرةً مخططة بلون رمادي ومرسومةً رسماً رديئاً ، فأخذ يتأملها محاولاً أن يحصى عدد تويجاتها وعدد الأسنان في حافات أوراقها • وشعر بأعضائه تتخدر ، حتى بدا له أنها ليست أعضائه ، ولكنه لم يحاول أن يتحرك ، وظل ينظر الى الزهرة الصغيرة مصراً معانداً •

قال زوسيموف يسأل رازومихين مقاطعاً ثرثرة ناستاسيا باستياء واضح :

- طيب ، فماذا وقع لذلك الدهان ؟

فتابع رازومихين حديثه قائلاً بحرارة :

- لقد أصحم هو أيضاً في جريمة القتل •

- هل هناك قرائن ؟ وما هي تلك القرائن ؟

- قرائن ؟ هناك قرائن ! والأمر في الواقع أمر قرائن ! غير أن القرينة التي يستشهدون بها ليست قرينة ، وذلك ما يجب البرهان عليه .. المسألة بسيطة : لقد أخذوا يكررون تلك الحماقات نفسها التي ارتكبوها حين اشتبهوا في الرجلين الآخرين فاعتقلوهما ... أقصد : كوخ وبسترياكوف ! نعم لقد كرروا تلك الحماقات نفسها نقطة نقطة . ما أغبى تصرفهم يا رب ! ان المرء ليشعر بالحزى والعار من هذا التصرف ، ولو لم يكن له به شأن ! قد يحىء الى بسترياكوف اليوم ! ... بالمناسبة يا روديا : عليك أن تعرف هذه القصة لأنها وقعت قتل مرضك ، تماماً عشية اليوم الذي أغمى عليك فيه بقسم الشرطة ... بينما كانوا يتحدثون في هذا الأمر هناك .

نظر زوسيموف الى راسكولنيكوف مستطلعاً ، فلم يحرك راسكولنيكوف ساكناً .

قال زوسيموف غامزاً :

- أرى يا رازومبخين أنك تسرف في الحركة حول هذه القضية حقاً !

فأجاب رازومبخين صارخاً وهو يضرب المائدة بقبضة يده :

- لا ضير ! سنتقده من تلك الورطة على أية حال ! ان الأمر الذي يغيظني في هذا كله أكثر مما يغيظني أى شيء آخر ليس وقوعهم في الخطأ ، فالوقوع في الخطأ يمكن التسامح فيه دائماً ، حتى ان الخطأ شيء رائع فعلاً لأنه يؤدي الى الحقيقة . ليس الخطأ اذن هو الذي يغيظني منهم ، وانما يغيظني منهم انهم يظنون ممثلين احتراماً للأخطاء التي يقومون فيها . انتي أعتبر بورفير ، ولكن ... اسمع ، هل تعرف مثلاً ما هو الذي حيرهم وأضلهم في أول الأمر ؟ أن الباب كان مغلقاً ، فلما عاد

الرجلان مع البواب كان الباب مفتوحاً ، فاستتبجوا من ذلك أن كوخ  
وبسترياكوف هما القاتلان ! أرايت الى هذا المنطق ما أعجبه !

- لا تحمس هذا التحمس كله : لقد أوقفوهما فحسب .. لم يكن  
فى وسعهم على كل حال أن ... بالناسبة : لقد أتيح لى أن أقابل كوخ .  
يظهر أنه كان يشتري من العجوز الأشياء المرهونة التى تخلف أصحابها  
عن تجديد رهنها فى الموعد المحدد . أليس هذا صحيحاً ؟

- بلى ، بلى ، انه وغد حقير ! وهو يشتري سندات أيضاً . هو وغد  
حقير ، هو محتال خطير ... شيطان يأخذه ! ولكن ليس هذا ما يثير  
غضبى وحقى ، وانما يثير حقى وغضبى أنهم يتبعون روتيناً عتيقاً بالياً  
تراكم عليه الغبار من قادم العهد . ان هذا الروتين هو الذى يثير  
سخطى ! وما أسهل أن يكتشف المرء ، فى معالجة هذه القضية ، طرقات  
جديدة كل الجدة ! ان فى وسعنا ، اذا نحن اعتمدنا على علم النفس  
وحده ، أن نجد السبل الى معرفة الحقيقة . هم يقولون : «لدينا وقائع» .  
ولكن الوقائع ليست كل شئ ، ونصف القضية انما يكمن فى طريقة  
تأويل هذه الوقائع ...

- وهل تستطيع تأويلها ، أنت ؟

- عجيب أمرك ! ان المرء لا يمكنه أن يسكت حين يحس ، حين  
يحس بفرزته أن فى وسعه تقديم خدمة اذا هو ... هل تعرف القضية  
تفصيلاً ؟

- أعرفها جيداً . ولكننى ما زلت أنتظر أن تقصَّ علىَّ حكاية  
الدهان .

- سأقص عليك حكايته . اسمع : غداة وقوع الجريمة تماماً ،  
فى الصباح ، حين كانوا يدفقون فى استجواب كوخ وبسترياكوف - مع

أن هذين الرجلين كانا قد ذكرا جميع حركاتهما وسكناتهما، ورغم أن كل شيء قد اتضح اتضحاً صارخاً - حدث على حين فجأة حادثٌ لم يكن متوقفاً على الإطلاق : ان فلاحاً اسمه دوشكين ، وهو صاحب خمارة تقع أمام العمارة التي وقعت فيها الجريمة ، جاء الى قسم الشرطة حاملاً علبة مجوهرات فيها قرطان ، وأخذ يروي قصةً عجيبة ، قال :

« أمس الأول ، في المساء ، بعد الساعة الثامنة بقليل ، ( لاحظ الوقت : اليوم والساعة ) رأيت الدهان نيقولا يهرع الى خمارتي ، وكان قد ارتادها مراراً قبل ذلك ، حاملاً الىّ علبة صغيرة فيها قرطان ذهبيان يزدانان بأحجار صغيرة ، راجياً أن أرهنهما لدىّ لقاء قرض قيمته روبلان . فلما استجوبته لأعرف من أين أتى بالقرطين ، قال انه عثر بهما على رصيف ، فلم أسأله غير ذلك ( ان دوشكين هو الذي يتكلم ) ، وتقدته ورقة صغيرة أى روبلاً واحداً ، لأتني قلت لنفسى : اذا لم يرهن هذين القرطين عندى ليشرب بالقرض خمرة ، فسيهرنهما عند غيرى ، فالأولى أن يبقيا بين يديّ أنا : فبذلك أضمن على الأقل أن لا يطوفا العالم كله ، فاذا راجت اشاعة تقول انهما مسروقان ، مضيت الى قسم الشرطة لأبلغ عنهما » .

تابع رازوميخين كلامه فقال معقلاً :

- واضح أن هذه القصة التي رواها دوشكين سخيفة . وأنا أعرف دوشكين هذا : انه كذاب كبير . انه ، هو نفسه ، يقرض برهن . فلتن أخذ من نيقولا شيئاً تساوى قيمته ثلاثين روبلاً فانه لم يفعل ذلك من أجل أن يبلغ عنه . كل ما هنالك أنه خاف . ودعنا من دوشكين هذا على كل حال . واسمع التهمة . قال دوشكين :

« أما ذلك الفلاح ، نيقولا ديماتيف ، فأننى أعرفه منذ زمن بعيد ،

فنحن كلانا من اقليم واحد هو اقليم ريزان ( مقاطعة زارابسك ) ؛ وهو يجب أن يشرب قليلاً ، وان لم يكن سكيراً مدمناً . وكنا نعلم أيضاً أنه كان يعمل ، أنه كان يدهن الجدران ، في ذلك المنزل ، مع دمترى ، ابن بلده . فلما تقدمته ورقة الروبل ، بدّلها فوراً ، وشرب كأسين ، واحداً بعد آخر ، ثم تناول النقود الفائضة وانصرف . ولم أر دمترى معه في تلك اللحظة . وفي الغد ، سمعنا أن آليونا ايفانوفنا وأختها الزابيت ايفانوفنا قد وُجِدتا مقتولتين بضربات ساطور ؛ ولما كنا نعرفهما كليهما ، فقد راودنى شك في أمر القرطين الذهبيين ، لأننا ، كما سبق أن قلت ، كنا نعرفهما ونعرف انهما تقرضان على رهون . عندئذ ذهبنا الى العمارة ، وأخذت أقصى الأمر قليلاً . سألت أولاً عن نيكولا أهو موجود ، فقال لى دمترى انه غائب يقصف ويلهو ، وانه قد عاد ثملاً في أول الصباح فلم يمكث الا عشر دقائق ، ثم خرج من جديد ؛ وعرفت أن ميتكا لم يره بعد ذلك ، وأنه طفق يتم عمله وحيداً . والبيت الذى كانا يدهنانه انما يقع في الطابق الأول ، ويطل على نفس السلم الذى يطل عليه بيت المرأتين الشقيقتين . عرفنا هذا كله ، ولكننا لم نقل عندئذ شيئاً لأحد .

( ان دوشكين هو الذى ما يزال يتكلم ) . غير أننا أسرعنا نجتمع كافة المعلومات التى يمكن جمعها عن جريمة القتل ، ورجعنا الى بيتنا وقد امتلأت نفوسنا رية واشتباهاً . وفي هذا الصباح ، فى الساعة الثامنة من هذا الصباح ( أى غداة غد وقوع الجريمة ) ، رأيت نيقولا داخلاً على الحمار . لا أستطيع أن أقول انه لم يكن قد شرب خمراً بعد ، ولكننى لا أستطيع أن أقول أيضاً انه كان ثملاً جداً ، وانما كان قادراً على متابعة حديث . وجلس على دكة دون أن ينطق بكلمة . ولم يكن يوجد فى الحمار عندئذ الا هو وشخص آخر عابر ، وشخص ثالث من رواد



الحمار كان نائماً على دكة ؟ هذا عدا الصينيين اللذين يعملان في الحماره  
طبعاً . سألت نيقولا :

» - هل رأيت ميتكا ؟

» فأجابنى :

» - لا ، لم أره منذ أمس الأول .

» - وأين نمت فى هذه الليلة ؟

» - فى حىّ » الرمال ، \* ، عند أهل كولومنا \* .

» - ومن أين جئت بالقرطين فى ذلك اليوم ؟

» - عثرت بهما على الرصيف .

» وكان يقول ذلك كله مشيحاً بوجهه عنى . سأله :

» - هل سمعت عن حدوث كذا وكذا ، فى ذلك المساء نفسه ، فى

تلك الساعة نفسها ؟

» فأجابنى :

» - لا ، لم أسمع عن شىء من هذا !

» ولكنه حلق ، وابيضّ لونه حتى صار كالطباشير . وفيما أنا أروى

له ما حدث ، رأيتَه يتناول طاقته فجأة ، وينهض . حاولت أن أحبسه

عن الخروج ، فقلت له :

» - انتظر يا نيقولا ! ألا تريد أن تشرب كأساً ؟

» وأومأت الى أحد الصينيين أن يسدّ عليه الطريق ، وتركته

البسطة . لكن صاحبنا نيقولا ولىّ هارباً ، فهو الآن ينعطف عند ناصية

الشارع ، حتى انتهى لم أكد أراه . لم يبق اذن شك : انه هو الذى ارتكب

تلك الجريمة ! ، .

قال زوسيموف :

- واضح !

قال رازوميخين :

- انتظر ! اسمع التهمة ! مضت الشرطة كلها تبحث عن نيقولا طبعاً : فتشوا خمارة دوشكين ، ثم أوقفوا دوشكين ، وأوقفوا دمترى أيضاً ، وقلبوا كل شيء عاليه سافله عند أهل كولومنا ، ثم لم يستطيعوا أن يضعوا أيديهم على نيقولا الا بعد ثلاثة أيام ، أى أمس الأول . قبضوا عليه فى فندق قرب حاجز « س ٠٠٠ » . يظهر أنه حين وصل الى هناك استل صليبه القضى ، وطلب مقايضة هذا الصليب بزجاجة فودكا صغيرة ، فأجيب طلبه . وبعد بضع دقائق دخلت امرأة طيبة الى الاسطبل ، فاليك ما رأيته من شق الباب : رأته نيقولا فى جانب من محطة العربات ، قد ربط حزامه بوتد وجعل فيه عقدة منزلقة ، وصعد على قطعة غليظة من خشب يريد أن يتتحر شتقاً . خطرت ببال المرأة هذه الفكرة الموفقة ، وهى أن تصرخ ، فصرخت ، فهرع الناس الى المكان ، وقالوا له :

« - آ آ آ ... أهكذا أنت اذن ؟

» فقال لهم :

« - نعم ... خذونى الى قسم الشرطة فى حى كذا ، وسأعترف هنالك بكل شيء !

فأقتادوه محاطاً بكل ما يجب لشخصه الكريم من احترام ، اقتادوه الى قسم الشرطة الذى حدّده ، أى الى قسم الشرطة فى حينا ، فسرعان ما بدأت الأسئلة تنهمر عليه انهمار المطر : كيف ، وماذا ، ولماذا ، وأين ، وما سنك ، وهلمّ جرا ! ... سؤال :

» - بينما كنت تعمل مع دمترى ، ألم ترَ أحداً على السلم في ساعة كذا ؟

» - مرَّ أناس كثيرون طبعاً ، ولكن ليست مهمتى أن ألاحظهم ..

» - أفلم تسمع شيئاً ما ، أفلم تسمع ضجةً ما ؟

» - لا ، لم أسمع شيئاً يلفت الانتباه !

» - وأنت يا نيقولا ، هل كنت تعلم فى ذلك اليوم أن العجوز فلانة

قد قتلت وسُرقت هى وأختها ، يوم كذا ، ساعة كذا ؟

» - لا علمت شيئاً ، ولا رأيت شيئاً • علمت بالأمر أول مرة من

آنانازى منذ يومين ، فى الكاباريه •

» - ومن أين جئت بالقرطين ؟

» - عثرت بهما على الرصيف •

» - لماذا لم تجئ الى العمل مع دمترى غداة ذلك اليوم ؟

» - لأننى قصفت ولهوت فى ذلك اليوم •

» - أين قصفت ولهوت ؟

» - فى مكان كذا •

» - لماذا هربت من عند دوشكين ؟

» - لأننى خفت •

» - من أى شىء خفت ؟

» - خفت أن أحال الى المحاكمة •

» - ولكن كيف يمكن أن تخاف من أمر كهذا ، ما دمت تعرف

أنك لم تقارف جرماً ؟

وعقَّب رازوميخين على ذلك بقوله :

- نعم يا زوسيموف ، بهذه الكلمات انما ألقى عليه هذا السؤال ،  
بهذه الكلمات نفسها ، صدقت أم لم تصدق ! نعم ، بهذه الكلمات  
نفسها ... أنا أعلم ذلك علم اليقين ؛ لقد نُقل إلى السؤال بنصه ، كلمة  
كلمة • ما رأيك ؟ ما رأيك ؟

- نعم ، نعم ، ولكن هناك فرائض على كل حال ...

- لا أتكلم الآن عن القرائن ، وانما أتكلم عن السؤال الذى ألقوه  
عليه ، أتكلم عن طريقة هؤلاء الناس فى فهم متهتهم • ولكن دعنا من  
هذا الآن ، ولتكمل وصف ما جرى بينهم وبين نيقولا • ضيقوا عليه  
الحقائق ، ثم ضيقوا عليه الحقائق مزيداً من التضييق ، فاعترف • قال :

» - لم أغتر بالقرطين على الرصيف ، وانما غثرت بهما فى البيت  
الذى كنا ندمعنه أنا ودمترى •  
» - كيف غثرت بهما ؟

» - كيف ؟ هكذا : كنا قد عملنا أنا ودمترى طول النهار حتى  
الساعة الثامنة ، وكنا نستمد للانصراف ؛ ولكن ها هو ذا دمترى يتناول  
فرشاة ويأخذ يلمطخ لى وجهى • فلما لطمخ لى وجهى ، ولى هارباً ،  
فركضت وراءه أطارده • كنت أركض وأطلق صرخات وحشية ولكن  
حين خرجت من السلم ووصلت الى فناء المنزل ، رأيتنى أمسقط على  
البواب الذى كان معه عندئذ بعض السادة • أما عدد أولئك السادة فأتى  
لا أذكره الآن • أخذ البواب يشتمنى ، ثم جاء البواب الثانى فأخذ  
يشتمنى أيضاً ؛ وخرجت امرأة البواب الأول من مسكنها فأخذت تشتمنا  
كلينا ؛ وفى تلك اللحظة كان يمر تحت باب الدخول سيد تصحبه سيدة ،  
فأخذ يشتمنا هو أيضاً ، لأننا كنا ، أنا ودمترى ، قد انبطعنا فسدنا عليه  
الطريق • كنت قد أمسكت دمترى من شعره ، ورميته على الأرض

ورحت أهوى عليه بوابل من اللكمات ؟ وكان دمترى تحتى ، قد أمسك  
شمرى وأخذت لكلماته تنهمر على أيضاً - ولكن ذلك كله لم يكن دافعه  
الحب والشرف ، وإنما كان دافعه المودة والمحبة ، فهو نوع من التسلية .  
ثم تخلص دمترى ، وولى هارباً الى الشارع ، فركضت وراءه ولكنى لم  
أستطع أن أدركه . عندئذ عدت الى البيت وحدى لأرتب أشياءى . وفيما  
أنا أرتبها ، منتظراً دمترى ، اذا ببى أدوس على علبة صغيرة ، قرب  
الباب ، فى الدهليز ، فظنرت ، فرأيتها ملفوفة بورق ، فنزعت الورق  
وفتحت العلبة ، فرأيت كلابتين ، كلابتين صغيرتين ، صغيرتين جداً ،  
فشددتهما فخرج القرطان . . . .

هتف راسكولنيكوف يسأل فجأة ، وهو يحدق الى رازوميكين  
بنظرة مضطربة مروعة ، بينما هو ينهض جسمه ببطء ، ويسند يده الى  
السريـر : ١

- وراء الباب ؟ كانت العلبة وراء الباب ؟

- نعم ، ولكن ماذا بك ؟ ماذا دهاك ؟

وكان رازوميكين قد نهض هو أيضاً عن مقعده .

أجاب راسكولنيكوف بصوت لا يكاد يُسمع ، وهو يتهالك على  
وسادته من جديد ، ويعود يلتفت نحو الحائط :

- لا شيء .

ولبت الجميع صامتين برهة طويلة .

فال رازوميكين أخيراً وهو يلقي على زوسيموف نظرة سائلة  
مستفهمة :

- لا شك أنه كان قد غفا ، وأنه ما يزال يحلم ، أليس كذلك ؟

فحرك زوسيموف رأسه بايماء خفيفة تعنى النفى . وقال :

— أكمل يا رازوميخين • ماذا حدث بعد ذلك ؟

— بعد ذلك ، بعد ذلك ! نعم ... ما ان رأى القرطين ، حتى نسي عمله ونسي دمتري ، وتناول قبعته وركض يسعى الى خماره دوشكين ، فأخذ منه روبلاً ، كما أسلفنا ، وكذب عليه حين زعم له أنه عثر بالعبية على الرصيف ؟ ثم طفق يقصف من صندوق المرأة العجوز الى يدي على الرصيف ؟ ثم طفق يقصف ويلهو ، كما أسلفنا أيضاً • أما عن جريمة القتل ، فانه ما يزال يصير على أقواله :

• — لا علمت شيئاً ولا رأيت شيئاً •

• — فلماذا اختفيت اذن حتى الآن ؟

• — خفت •

• — ولماذا أردت أن تتحرر شيئاً ؟

• — لأتني قدّرت أن أماً سيحدث لي •

• — ما هو الأمر الذي قدّرت أنه سيحدث لك ؟

• — قدّرت أتنى سأحال الى المحاكمة •

وعقب رازوميخين على ذلك سائلاً زوسيموف :

— هذه هي القصة كاملة • فما الذي تظن أنهم استتجوه من ذلك

كله ؟

— ما عسى أظن ؟ هناك قرائن • ومهما تكن هذا القرائن ، فانها

تبقى قرائن • الواقعة قائمة • ليس في وسعهم أن يخلوا سيل صاحبك الدهان ، رغم كل شيء •

— ولكنهم حشروه في سلك القنلة وانهى الأمر • لم يبق عندهم

ظل من شك ...

— أنت تخطيء ... أنت تتحمس وتندفع ... يجب أن تنتظر في

واقعة وجود القرطين مع نيقولا . لا بد لك من التسليم بأن هذين انقرطين اذا كانا انتقلا رأساً في ذلك اليوم نفسه ، في تلك الساعة نفسها ، من صندوق المرأة العجوز الى يدى نيقولا ، فقد انتقلا بطريقة من الطرق . هذا أمر له خطورته في التحقيق ...

— أتقصد طريقة انتقالهما الى يدى نيقولا ؟ ألا ان أمرك لعجيب ! هل يمكنك حقاً ، وأنت طبيب يُفرض فيه أن يعرف الانسان ، وأنتيح له عدا ذلك أن يسبر الطبيعة الانسانية ، هل يمكنك أن لا ترى من خلال جميع هذه المعلومات ، طبيعة نيقولا هذا ؟ هل يمكن أن لا ترى منذ البداية أن كل ما صرّح به نيقولا أثناء تلك الاستجابات جميعاً إنما كان الحقيقة خالصة صافية ؟ لقد وصل القرطان الى يديه على النحو الذى ذكره تماماً . داس على العلبة فتناولها .

— الحقيقة خالصة !!... ولكنه اعترف هو نفسه بأنه كذب في المرة الأولى .

— أصنع الى باتباه ! ان البواب ، وكوخ ، وبسترياكوف ، والبواب الثانى ، وامرأة البواب الأول ، والبائعة التى كانت فى مسكنها حينذاك ، والمستشار القضائى كريوكوف الذى نزل من مركبة فى تلك اللحظة نفسها وكان يجتاز عتبة المدخل متأبطاً ذراع سيدة ، ان هؤلاء جميعاً ، أى ثمانية شهود أو تسعة ، قد أجمعوا فى أقوالهم على أن نيقولا كان قد بطح دمتري أرضاً ، وجثم عليه ، وراح يمطره بوابل من اللكمات ، وأن دمتري كان من جهة ممسكاً بشعره يكيل له اللكمات هو أيضاً ؟ وأنهما تدحرجا كليهما بالعرض فسداً الطريق ، وأن الشتائم كانت تتهاى عليهما من كل صوب ، وأنهما كانا « أشبه بالصية الصفار » ، على حد تعبير الشهود نصاً ، يولولان ويتضاربان وينفجران ضاحكين ويتسابقان

فى القهقهة ويطارد كل منهما الآخر فى الشارع كالصبيان وقد ظهر فى وجهيهما من هزل الأطفال أشدُّه ! هل سمعت هذا كله ؟ فاسمع الآن البقية : كانت الجتتان ، فوق ، فى ذلك الوقت نفسه ، ما تزالان ساختين ... ساختين ... نعم ، نعم ، لقد كاتتا ساختين حين اكتشفتا . فلو كان نيقولا ودمترى هما القاتلين ، أو كان نيقولا وحده هو القاتل ، وكانا فى الوقت نفسه قد سرقا العجوز أو لم يزيدا على أن شاركا فى السرقة مشاركة فحسب ، لكان من حقى أن ألقى عليك هذا السؤال : هل تلك الحالة النفسية ( أعنى الولولة ، والضحك ، والتشاجر الصياني تحت باب الدخول ) تتفق والسواطير ، والدم والمكر الوحشى والسلب والنهب ؟ أيكونان قد قتلا منذ برهة قصيرة ، منذ خمس دقائق أو عشر فى أكثر تقدير - وهذه نتيجة مستخلصة من سخونة الجتتين - ثم هما يمضيان فجأة ، تاركين الجتتين والباب مفتوح ، مع علمهما بأن أناساً سيصلون من لحظة الى أخرى ؟ أيقبلان منذ برهة وجيزة ، ثم يتركان غنيمتهما ، ويمضيان يتدحرجان فى الشارع « كالصية الصفار » ، ويضحكان ضحكاً صاخباً ، ويلفتان اليهما انتباه الناس جميعاً ، وهذا ما يؤكده عشرة شهود بصوت واحد ؟

- هذا غريب فعلاً • ذلك مستحيل طبعاً ، ولكن ...

- يا أخى ، لا داعى الى « لكن » هذه • اذا كان وجود القرطين بين يدى نيقولا ، فى ذلك اليوم نفسه ، فى تلك الساعة نفسها ، واقعة مادية هامة تشهد عليه - وهى مع ذلك واقعة تفسرها أقوال المتهم نفسه تفسيراً تاماً ، فيمكن اذن دحضها - أقول اذا كان ذلك كذلك فيجب أن ندخل فى الحساب وقائع أخرى تشهد للمتهم لا عليه ، وتؤكد براءته ، لا سيما وأنها وقائع ثابتة لا سبيل الى دحضها • ولكن ماذا تظن ؟ هل تعتقد أن قضاءنا ، وهو على ما هو عليه ، يمكن أن يسلم بأن واقعة قائمة



على الاستحالة السيكلوجية وحدها ، واقعة مبنية على الحالة النفسية  
فحسب ، يمكن أن تُعدَّ واقعةً ثابتة لا سبيل الى دحضها ، واقعةً قادرة  
بمفردها على أن تهدم جميع وقائع الاتهام المادية أية كانت ؟ لا ، ان  
قضاءنا لن يسلم بهذا ، لن يسلم به فى حال من الأحوال ، وذلك بحجة  
أن اللعبة قد وُجدت ، وأن الرجل أراد أن يشنق نفسه ، وأنه « ما كان  
ليفعل ذلك لولا شعوره بجرمه ! » . تلك هى المسألة الرئيسية ، ذلك هو  
السبب الذى يحضنى على الاندفاع والحماة ، هل فهمت ؟

— أرى أنك تندفع وتحمس فعلاً . انتظر ! نسيت أن ألقى عليك  
سؤالاً : ما هو الدليل الذى نملكه على أن اللعبة التى تحوى القرطين  
مصدرها صندوق العجوز حقاً ؟

أجاب رازوميخين على مضض ، وقد عبس وجهه :  
— ذلك ثابت . لقد عرف كوخ اللعبة ، وحدد الشخص الذى  
رهنها عند العجوز ، وبرهن ذلك الشخص برهاناً قاطعاً على أنها علبته .  
— هذا مؤسف . والآن ألقى عليك سؤالاً آخر : ألم يلمح أحد  
أحد نيقولا لحظة كان كوخ وبسترياكوف يصعدان السلم ؟ أفلا يمكن  
اثبات ذلك بطريقة من الطرق ؟

أجاب رازوميخين متحسراً :  
— لا ، لم يلمحه أحد ، وذلك هو الأمر المصير . ان كوخ  
وبسترياكوف نفسيهما لم يلاحظا العمال أثناء صعودهما . صحيح أن  
شهادتهما الآن . . . هما يقولان : « رأينا باب الشقة مفتوحاً ، وقد رأنا أنه  
ربما كانت تجرى فيها اصلاحات ، ولكننا لم نتبه أثناء مرورنا ، ولا تذكر  
أكان فيها عمال أم لا . . . »

— فالتفسير الوحيد الذى يمكن الاعتماد عليه اذن ، للتدليل على

براءتهما ، هو أنهما كانا يتضاربان ويضحكان مقهقهين • طيب ! هذا دليل قوى ولكن ... اسمع لى : كيف تفسر انت الواقعة ؟ كيف تفسر العثور على القرطين اذا كانا قد وجداهما على نحو ما صرحا ؟

- كيف أفسرها ؟ ليس هناك شيء يحتاج الى تفسير : الأمر واضح وضوح النهار ، أو قل فى اقل تقدير ان الطريق الذى يجب أن يسير فيه التحقيق واضح مرسوم • والعلبة هى التى ترسم هذا الطريق • ان القرطين قد سقطا من القاتل الحقيقى • كان هو فى أعلى ، موصداً عليه الباب بالملزلاج ، حين رابط كوخ وبسترياكوف على الباب • وقد ارتكب كوخ حماقة كبيرة ، حين نزل فى اثر صاحبه ، فانتهاز القاتل الفرصة ، فهرب من البيت ، ونزل هو أيضاً ، اذ لم يكن له مخرج آخر • وفيما كان على السلم ، اختبأ عن أعين كوخ وبسترياكوف والبواب بدخوله الى المسكن الخالى الذى تركه دمترى ويقولون منذ لحظة قصيرة ، فظل لاطياً وراء الباب بينما كان البواب والرجلان الآخران يصعدان • حتى اذا انقطعت ضجة وقع أقدامهم نزل بهدوء ، وذلك فى اللحظة التى كان فيها دمترى ويقولون يطارد كل منهما صاحبه فى الشارع أى فى اللحظة التى كان قد تفرق فيها الجميع فلم يبق أحد فى مدخل العمارة • بل ان من الجائز أن يكون أحدهم قد رآه ، لكنه لم يلاحظه : ان ناساً كثيرين يمرّون • أما العلبة فلا بد أنها قد سقطت من جيبه لحظة كان واقفاً وراء الباب ، فلم ينتبه الى ذلك ، لأن ذهنه كان مشغولاً عندئذ بهموم أخرى كثيرة • نعم ، ان العلبة تبرهن برهاناً قاطعاً على أن القاتل قد رابط هناك • تلك هى القصة كلها •

قال زوسيموف :

- هذا تفسير بارع ! نعم ... حقاً هذا تفسير بارع جداً يا صاحبنى ... بارع جداً جداً ...

– ولكن لماذا ؟ لماذا تقول ؟...

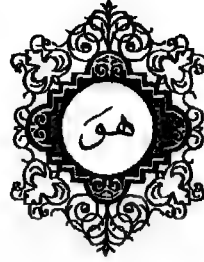
– لأن كل شيء فيه مرتب بحذق ومركَّب بإحكام ... لكأنتنا  
في مسرح !...

همَّ رازوميخين أن يتكلم فقال :

– هيه ...

ولكن الباب فُتِح في تلك اللحظة نفسها ، فانفرج عن قادم جديد  
لم يكن يعرفه أحد من الحضور .

## الفصل الخامس



سيدٌ ليس الآن في ريتق الشباب ، سيد متكلف متصنع ، ذو أبهة وجلال ، تعبر هيشه عن التحفظ والعجرفة ، وقف على العتبة يلقي على ما حوله نظرات استطلاع فيها دهشة لا تخفى حتى لتجرح وكأن عينيه تلقيان هذا السؤال : « أتراني ضللت الطريق ؟ » انه يتفحص « حجرة » راسكولنيكوف الواطئة الضيقة وهو يشعر بشيء من الشك ويبدى نوعاً من الخوف بل ويظهر شيئاً من الأسف والمضض . وبمثل هذه الدهشة نفسها وجّه بصره الى راسكولنيكوف ، ثم نبّته عليه ، فرأى راسكولنيكوف الذي لم يخلع ثيابه ولا حلق ذقنه ، والذي كان مشعث الشعر راقداً على سريره الحفير ، رآه يتفحصه من جهته دون أن يتحرك . وبهذا البطاء نفسه أخذ يلاحظ رازوميخين الذي لم يكن ممسّط الشعر ولا مخلوق الذقن وكان هو أيضاً يتفرس فيه باستطلاع مستهتر وقع دون أن يتحرك . خيّم صمت متوتر خلال ما يقرب من دقيقة ثم لم يلبث المشهد أن تغير تغيراً طفيفاً كما ينبغي أن تتوقع . ذلك أن القادم الجديد قد أدرك من بعض العلامات ، وهى علامات واضحة جداً على كل حال ، أن اصطناع وضع فيه أبهة مفرطة لن ينفعه كثيراً فى هذه الحجرة ، فلطّف هيشه بعض التلطيف ، واتجه الى زوسيموف يسأله بأدب وكياسة ، مع احتفاظه

بشيء من الجمود والصلابة ، قائلاً بلهجة تبرز مقاطع الكلام ابرازاً واضحاً :

- روديون رومانوفتش راسكولنيكوف ، طالب أو طالب سابق ؟  
تحرك زوسيموف ببطء ، ولعله كان سيجيب لولا أن رازوميخين  
الذى لم يسأله أحد شيئاً أسرع يسبقه الى الجواب فقال :  
- هو ذا ... راقد على السرير ... ماذا تريد أنت ؟

ان هذا السؤال الذى ليس فيه شيء من تحرج : « ماذا تريد  
أنت ؟ » قد بلبل السيد المتصنع فأوشك أن يلتفت نحو رازوميخين ،  
ولكنه استطاع أن يسيطر على نفسه ، فاتجه مرة أخرى بسرعة شديدة  
الى زوسيموف .

- نعم ، هذا راسكولنيكوف !

كذلك قال زوسيموف باهمال وتساؤل ، وهو يشير الى المريض  
بايماءة من رأسه ، ثم تتأهب ففتح فماً واسعاً سعةً غير مألوفة أيضاً .  
ثم أغطس يده فى جيب صدّيرته ببطء فاستلّ منه ساعة ذهبية كبيرة  
محدبة الشكل ، ففتحها ونظر فيها ، ثم أعادها الى جيبه بذلك البطء  
نفسه وبذلك التواني نفسه .

وفى أثناء هذا الوقت ، ظل راسكولنيكوف راقداً مقلوب الجسم ،  
وظل صامتاً لا يقول كلمة ؛ وكان يلقي على الزائر نظرةً ثابتةً عنيدة ،  
وان تكن هذه النظرة لا تعبر عن أية فكرة .

انه وقد تحوّل وجهه عن تلك الزهرة الصغيرة العجيبة المرسومة  
على ورق الجدار ، يبدو الآن شاحباً شحوباً شديداً ، وتدل ملامحه  
على أنه يعانى ألماً هائلاً ، حتى لكأنه خارج من عملية موجعة أو كأنه  
يُستجوب أمام قاضى تحقيق . ولكن القادم الجديد أخذ يثير فيه بعض

الانتباه شيئاً بعد شيء ثم أخذ يثير فيه شكاً وارتياباً ، حتى لقد أثار فيه آخر الأمر نوعاً من خوف وخشية • فلما قال زوسيموف وهو يومئذ إليه : «نعم هذا راسكولنيكوف» انتفض فجأة كأنما وخزته ابرة ، وجلس على السرير ، وقال بلهجة تكاد تكون تحدياً وان يكن صوته واهناً ضعيفاً متقطعاً :

— نعم ، أنا راسكولنيكوف ! ماذا تريد ؟  
نظر اليه الزائر بانتباه وقال يعرف بنفسه بلهجة رصينة وقور :  
— بطرس بتروفيتش لوجين • أحب أن أظن أن اسمي ليس مجهولاً عندك تماماً •

ولكن راسكولنيكوف الذى توقع شيئاً غير هذا ، نظر اليه دون أن يجيب ، وكان زائع البصر شارد الفكر كأنه يسمع اسم بتروفيتش أول مرة حقاً •

سأله بتروفيتش مرتبكا بعض الارتباك :  
— كيف ؟ هل يمكن أن لا تكون قد تلقيت أى نبأ حتى الآن ؟  
فلم يزد جواب راسكولنيكوف على أن راح ينزلق على الوسادة ببطء ، ثم صالبا يديه وراء رأسه ، وأخذ ينظر الى السقف •  
طاف بوجه لوجين تعبير عن حزن ، وأخذ زوسيموف ورازوميين ينظران اليه بمزيد من الاستطلاع والفضول ، حتى بدا عليه الاضطراب فى آخر الأمر • ودلمم يقول :  
— كنت افترض وأقدّر أن الرسالة ، وقد أودعت فى البريد منذ عشرة أيام ان لم يكن منذ خمسة عشر يوماً ، لا بد أن •••  
فقاطعه رازوميين فجأة بقوله :

- اسمع ! لماذا تبقى واقفاً هذه الوقفة على الباب ؟ هلمّ فاجلس  
إذا كان لديك شيء تريد أن تشرحه .... ان العتبة لا تتسع لكما كليكما  
أنت وناستاسيا ! يا ناستاسيوشكا ، تنحى قليلاً ، ودعيه يمر ! تقدم !  
هذا كرسي ! ادخل !

قال رازوميخين ذلك ، وأبعد كرسيه عن المائدة ، جاعلاً بينها  
وبين ركبتيه فراغاً صغيراً ، ولبت على هذا الوضع ، المزعج بعض  
الازعاج ، برهةً من الوقت ، ينتظر أن « يتسلل » الزائر من هذه  
الفرجة . لقد اختار رازوميخين اللحظة المناسبة اختياراً لا يدع للزائر  
مسيراً الى الرفض ، لذلك أسرع الزائر ينسل في الفراغ الضيق  
متعشراً ، حتى اذا وصل الى الكرسي جلس وألقى على رازوميخين نظرة  
ريب وشك .

قال رازوميخين بغير اكتراث :

- لا تخرج ! لا تخرج ! ان روديا مريض منذ خمسة أيام ،  
وقد ظل يهذي ثلاثة أيام ، لكنه تاب الآن الى رشده تماماً ، حتى انه  
أصبح يقبل على الطعام نهماً . والجالس هناك هو طبيبه . وقد فحصه  
منذ برهة قصيرة . أما أنا فأننى أحد رفاق روديا ، كنت طالباً مثله  
وأصبحت الآن ممرضاً له . فلا تتب اليها ، ولا تحفل بنا ، ولا تخرج  
منا . أكمل كلامك وقل ما تريد أن تقوله !

قال بطرس بتروفيتش :

- شكراً .

ثم التفت يسأل زوسيموف :

- ولكن ألا يزيج المريض حضوري وحديثي ؟

فأجابه زوسيموف مجمجاً :

— ل... لا ! حتى لقد يسليّه هذا قليلاً !

قال ذلك وتائب من جديد •

قال رازوميخين :

— نعم ، نعم ! لقد أفاق من غيبوبته منذ مدة طويلة ، منذ هذا الصباح !

قال رازوميخين ذلك بلهجة فيها من الألفة ورفع الكلفة ما جعل بطرس بتروفيتش يعدل عن رأيه ويغير موقفه فأخذ يشعر بشيء من الارتياح والانطلاق ، ولعل ذلك يرجع بعض الرجوع أيضاً الى أن هذا الفقير الحافي الوقح قد أقبلح رغم كل شيء في أن يُعرّف بنفسه على أنه طالب •

بدأ لوجين يتكلم فقال :

— ان والدتك ...

فاذا برازوميخين يهتف بصوت عال :

— همّ !

فرشقه لوجين بنظرة مستوضحة مستفهمة • فقال له رازوميخين :

— ليس هذا شيئاً ! لا تلمق الى هذا بالاً • هلمّ أكمل كلامك •

رفع لوجين كتفيه متعجباً ، وواصل حديثه فقال :

— ان والدتك قد شرعت في كتابة رسالة اليك حين كنت عندها •

فلما وصلت الى هنا تعمدت أن لا أجيء لزيارتك قبل انقضاء بضعة أيام وذلك بغية أن اكون على يقين كامل من انك اطلعت على كل شيء • ولكنني أرى ، مدهوشاً كل الدهشة ...





السيد لوجين

فقاطعه راسكولنيكوف فجأة ، وقد بدا عليه الألم ، وظهرت في  
هيئته علامات نفاذ الصبر ، قاطعه قائلاً :

- أعرف ! أعرف ! أنت الخطيب ، أليس كذلك ؟ أعرف أعرف .  
ويكفيني هذا •

أحسن بطرس بتروفيتش بأنه أمين فعلاً ، ولكنه صمت • كان  
يحاول جاهداً أن يفهم ما قد يعنيه كلام راسكولنيكوف • ودام الصمت  
برهة طويلة •

وفي أثناء ذلك كان راسكولنيكوف الذي التفت نحوه قليلاً ليجيبه ،  
قد أخذ يتفرس فيه فجأة بعناد شديد واستطلاع قوى كأن وقته لم يتسع  
منذ قليل لأن يفحصه فحوصاً كاملاً ، أو كأن شيئاً جديداً قد خطف  
بصره فيه ؟ حتى لقد أنهض رأسه عن الوسادة لهذا الغرض عمداً •  
وكان ذلك « الشيء » ، في مظهر بطرس بتروفيتش لا يخفى عن عين  
الناظر اليه فعلاً ، انه شيء خاص ، شيء لا أدري ما هو ، شيء يسوّغ  
الصفة التي أطلقها عليه راسكولنيكوف بغير تحرج حين سماه « الخطيب » .  
ان المرء يلاحظ قبل كل شيء - يلاحظ بوضوح شديد - أن بطرس  
بتروفيتش قد أسرع يستفيد من الأيام القليلة التي يعتزم قضاءها في  
العاصمة ليجعل نفسه جميلاً وأنيقاً بانتظار وصول خطيبته ؟ وذلك ،  
على كل حال ، أمر مشروع تماماً ، برىء كل البراءة • حتى يمكن أن  
يفخر المرء لهذا الرجل ، بسبب لقب « الخطيب » الذي أصبح يحمله ،  
ما كان يراه في نفسه من رأى لعله مسرف في التعظيم ، بعد التبدل الموفق  
السعيد الذي طرأ عليه • كان يمكن أن تُعدّ ثيابه كاملة كل الكمال  
رائعة كل الروعة ، لولا عيب واحد هو أنها خارجة من عند الحياط  
رأساً لهدف محدد وغاية معينة • حتى قبته المستديرة الأنيقة الجديدة  
كانت تدل على ذلك الهدف وتنبئ بتلك الغاية : ان بطرس بتروفيتش

يدارها مداراة فيها شيء من الغلو ويمسكها بيديه امساکاً مفرطاً في الاحتياط والحذر . وحتى القفازان الأخاذان الزاهيان بلون البنفسج اللذان اشتراهما من محل جوفان كانا يشهدان بذلك الهدف ويشيران الى تلك الغاية، على الأقل لأن لوجين كان يحاذر أن يلبسهما، فهو يحملهما بيده بغية أن يكون لهما أثر في أعين الناظرين . ان ثياب بطرس بتروفتش تغلب عليها ، في العادة ، الألوان الزاهية التي يحبها المراهقون . ولقد كان يرتدى في ذلك اليوم سترة صيفية جميلة بلون الكستناء ، وسروالاً صيفياً زاهياً ، وصديرة مناسبة من قماش رقيق جداً ، قد اشتراها منذ قليل أيضاً ، ورباطاً للعنق رقيق النسيج تخذله خطوط بلون الورد ؛ وأجمل ما في ذلك كله أن هذه الملابس جميعها كانت تسقى وشخص بطرس بتروفتش كل الاتساق . انك لو نظرت الى وجهه النضر الذي لا يخلو من جمال لا يمكن أن تقدّر أنه في الخامسة والأربعين من عمره . وهاتان الحيتان للمعارضين بلون الكستناء ، تحيطان بوجهه اطاراً لطيفاً . انهما مقدودتان على شكل ضلعين ، فهما تكاثفان حول الذقن تكاثفاً حلواً ، وقد حُلقت الذقن حلقة ناعماً فهي ملتمة براقه . وشعره نفسه ، الذي لم يكد يشيب ، والذي تولى الحلاق تصفيفه وتجيده ، ليس له ذلك المظهر المضحك الغبي الذي نراه عادة في الشعر المجعد . ان شعره لا يضيف على وجهه ذلك التعبير الأبله الذي يلاحظ في وجه ألماني يرتدى ثياب الزفاف . ولئن كان في هذا الوجه الرصين الوقور شيء مزعج بل ومنقّر مع ذلك ، فان مردّ هذا الى أسباب أخرى .

نظر راسكولنيكوف الى السيد لوجين يتفحصه بغير كلفة ، ثم ابتسم ابتسامة مسمومة ، ثم استرخى على الوسادة مرة أخرى ، وعاد ينظر الى السقف من جديد .

ولكن السيد لوجين صمد ، وبدا عليه أنه قرر مذعناً أن لا يلاحظ  
الآن هذه الحركات الغريبة .

وقال يقطع الصمت بجهد ومشقة :

- يؤسفني أشد الأسف أن أجذك على هذه الحال من المرض  
ولو قد علمت أنك مريض لجئت أزورك قبل الآن . ولكن الأعباء الكثيرة  
المتعبة قد حالت بيني وبين ذلك . هذا عدا أن هنالك دعوى هامة جداً  
توجب عليّ وظائف ، كمحامي ، أن أرفعها الى مجلس الشيوخ . ناهيك  
عن المشاغل التي لا بد أنك تدركها ... انتنى انتظر وصول والدتك  
وأختك ، أنتظر وصولهما بين لحظة وأخرى .

تحرك راسكولنيكوف ، وبدا عليه أنه يريد أن يقول شيئاً ، وعبر  
وجهه عن شيء من الانفعال ؟ فأمسك بطرس بتروفتش عن الكلام ،  
وانتظر برهة ، ولكنه لم يلبث أن استأنف حديثه حين رأى أن  
راسكولنيكوف لا يتكلم ، فقال :

- ... بين لحظة وأخرى . وقد بحثت لهما عن مسكن ينزلانه  
في الآونة الأولى .

سأله راسكولنيكوف بضعف :

- أين يقع هذا المسكن ؟

- غير بعيد عن هنا . في عمارة باكاليف .

قال رازوميشين مقاطعاً :

- في شارع « الصعود » . تضم العمارة مسكنين مفروشين يؤجرهما  
التاجر يوشين . لقد ذهبت الى هناك .  
- نعم ، هو مسكن مفروش .

قال رازوميخين :

— منزل حقير ، فظيح ، قدر ، غفن ؛ وهو فوق ذلك مشبوه ، جرت فيه قصص بشعة .... لا يعلم الا الشيطان من هم أولئك الذين يقيمون فيه .... لقد زرتة بنفسى على أثر فضيحة شائنة . ولكنه يمتاز بأن الأجور فيه زهيدة .

رد السيد لوجين يقول بلهجة جافة :

— لم أستطع طبعاً أن أجمع هذه المعلومات ، لأتى لم أصل الا منذ مدة قصيرة . على أن الغرفتين نظيفتان كل النظافة ، ولما كانت الإقامة فيهما قصيرة جداً ....

ثم تابع كلامه ملتفتاً الى راسكولنيكوف :

— وقد وجدت مسكناً لنا نحن منذ الآن ، أعنى البيت الذى سنسكنه فى المستقبل ، وقد بوشر فى اعداده ؛ وبانتظار الانتهاء من ذلك أقيم أنا نفسى على مسافة خطوتين من هنا ، فى غرفة مفروشة كيفما اتفق ، عند سيدة اسمها ليفكسيل ، فى شقة صديق لى هو آندره سيمونوفتش ليزياتنيكوف ، وهو الذى دلّنى على عمارة باكالاييف .

— ليزياتنيكوف ؟

كذلك سأل راسكولنيكوف ببطء ، كأن هذا الاسم يذكره بشىء ما .

— نعم ، آندره سيمونوفتش ليزياتنيكوف ، موظف باحدى الوزارات . أتراك تعرفه ؟

أجاب راسكولنيكوف قائلاً :

— نعم .... لا ....

— معذرة . لقد خيّل الىّ من سؤالك أنك .... لقد كنت فى

الماضي وليّ أمره ... هو فتى لطيف جداً ، مطلع على كل ما هو جديد .  
 اننى أحب معاشرّة الشباب • من يعرفهم يتعلم كثيراً من الأشياء الجديدة .  
 قال بطرس بتروفتش ذلك وهو يلف السامعين بنظرة شاملة ،  
 آملاً أن يحظى كلامه بتأييدهم •  
 سأله رازوميخين :

— بأى معنى ؟

فقال بطرس بتروفتش وقد أسعده أن يُسأل :

— بالمعنى الجدى ، بالمعنى الهام الأساسى • صحيح أن جميع هذه  
 الأشياء الجديدة ، جميع هذه الاصلاحات وهذه الأفكار \* ، قد وصلت الى  
 الأقاليم • ولكن اذا أراد المرء أن يرى الأمور رؤية أوضح ، رؤية  
 أشمل ، فلا بد له أن يكون ببطرسبرج • وعندى أن خير وسيلة للتعلم  
 انما هى ملاحظة أجيالنا الجديدة الفتية • وانى لأعترف بأننى قد ابتهجت  
 كثيراً ...

— ما الذى ابتهجت له على وجه التحديد ؟

— سؤالك واسع قليلاً ... قد أكون مخطئاً ، ولكن يخيّل الى  
 اننى أجد الآن نظرة أوضح ، وأجد قدراً من حس النقد أكبر ، وأجد  
 فكراً وضعياً أنمى وأوسع •

قال زوسيموف بغير اهتمام :

— هذا صحيح •

فردّ رازوميخين قائلاً :

— أكاذيب ! ليس هناك أى فكر وضعى ! ان الفكر الوضعى يتم  
 اكسابه بكثير من المشقة والعناء ، وليس يهبط من السماء • ونحن أناس  
 فقدنا عادة العمل والفعل منذ مائتى سنة أو نحو ذلك •

ثم أضاف يقول متجهاً بكلامه الى بطرس بتروفتش :

- صحيح أن الأفكار تختمر ، وأن الرغبة في حسن العمل موجودة أيضاً مهما تكن صيانية ؛ حتى لقد نجد شيئاً من الاستقامة والشرف والأمانة ، رغم أن القاعدة العامة ما تزال هي القاعدة القائلة « ما رأيت ولا أخذت » • ولكن يؤسفني أن أقرر أن الفكر الوضعي لا وجود له • قال بطرس بتروفتش يردُّ على رازومخين وهو يشعر برضى واضح وارتياح لا يخفي :

- لا أشاطرك رأيك • صحيح أن هناك اندفاعات متطرفة ، وأن هناك اختلافات شديدة ، ولكن يجب أن نكون عادلين : ان هذه الاندفاعات المتطرفة تدل على أن أصحابها أناس مؤمنون صادقون ، وتدل أيضاً على أن الظروف ليست هي الظروف التي يجب توافرها • ولئن لم يتحقق حتى الآن الا القليل ، فلأنه لم يتهياً حتى الآن الا وقت قصير ، ناهيك عن قلة الوسائل • وفي رأيي شخصياً أنه قد تحقق منذ الآن شيء ما : انتشرت الأفكار الجديدة ، الأفكار المفيدة ؛ انتشرت مؤلفات جديدة مفيدة بدلاً من الرومانسيات الخاملة التي ذاعت في القديم • نضج الأدب ، واستوصلت أوهام كثيرة ضارة • بايجاز : قطعنا الصلة بالماضي قطعاً حاسماً ، وهذا وحده هو في رأيي شيء هام •

دمدم راسكولنيكوف قائلاً :

- يردّد أقوالاً محفوظة حباً بالظهور !

لم يسمع بطرس بتروفتش ما قاله راسكولنيكوف ، فسأله مستوضحاً :

- نعم ؟

ولكنه لم يحصل على جواب •

وأسرع زوسيموف يقول :

— هذا كله صحيح جداً •

قال بطرس بتروفتش وهو ينظر الى زوسيموف نظرة فيها لطف ووداعة :

— أليس كذلك ؟

ثم اتجه الى رازوميخين يقول له بلهجة تتم في هذه المرة عن الانتصار وتعبّر عن الشعور بالتفوق ، حتى ليكاد يخاطبه بقوله : « أيها الفتى » :

— عليك أن تسلّم بأن هناك سيراً الى أمام ، أو أن هناك تقدماً على حدّ التعبير الرائج الآن ، على الأقل باسم العلم والحقيقة الاقتصادية •  
— كلام معاد مكرور !

— لا ، ليس كلاماً معاداً مكروراً •

كذلك قال بطرس بتروفتش ، ثم تابع يقول بتعجل لعل فيه اسرافاً :

— مثلاً ، قالوا لنا حتى الآن : « أحبّ قريبك » • فلنفرض أنني أحببته ، فما الذي يترتب على ذلك ؟ يترتب عليه أن أشطر معطفي شطرين فأعطي أحدهما فنصيح كلانا عاريين نصف عرى ، وفقاً لما يقوله المثل الروسى : « من طارد أرنيين فى آن واحد لم يدرك أيّاً منهما » • أما العلم فانه يقول : أحبّ نفسك قبل سائر الناس ، لأن كل شيء فى العالم قائم على المنفعة الشخصية \* • فإذا لم تحب الا نفسك صرّفت شئونك على نحو ما يجب أن تصرّفها ودبرت أمورك كما ينبغي أن تدبّرها ، فبقى معطفك كاملاً سليماً لم يُسزّق • وتضيف الحقيقة الاقتصادية الى ذلك أنه كلما ازداد وجود الثروات الفردية فى المجتمع ، أى كلما كبر عدد المعاطف الكاملة ، ازدادت الأسس التى يقوم عليها المجتمع متانة وصلابة ،



وازداد نظامه احكاماً وقوة • معنى هذا أننى حين أجنى خيراً لنفسى وحدى ، فانما أحصل فى الوقت نفسه خيراً لجميع الناس ، فينشأ عن ذلك أن قريبى ينال عندئذ أكثر من نصف معطف ، ولا يتم ذلك عندئذ بفضل كرم فردى ، بل يتم نتيجة لرخاء عام ورفاهية شاملة • الفكرة بسيطة ، ولكنها لم تفرض نفسها - وا أسفاه ! - الا بعد وقت طويل ، لأنها كانت محجوبة عن الأنظار بأحلام وهمية باطلة • ولم يكن المرء مع ذلك فى حاجة الى كثير من نفاذ البصيرة وقوة الذكاء من أجل أن يدرك أن +++

قاطعهم رازوميخين يقول بخشونة :

- معذرةً ، أنا أيضاً لا أملك كثيراً من نفاذ البصيرة وقوة الذكاء ، فلتتقف اذن عند هذا الحد ، وحسبنا ما قلناه ! أنا انما تكلمت لأتتى كنت أرمى الى هدف معين ، أما هذه الثروة كلها التى لا تفسح الا عن اعجاب المرء بنفسه اعجاباً لذيداً ، وأما هذا الكلام المعاد المكرور التى لا ينضب له معين ، فذلك كله ما يزال يبعث فى نفسى التقزز منذ ثلاث سنين حتى صرت احمرّ لا حين أقوله أنا فحسب ، بل حين أسمع غيرى يقوله أيضاً. لقد تسرعت كثيراً فى اظهار ثقافتك وابرار معارفك. وذلك أمر يمكن أن يُغفر لك ، ولست ألومك عليه • ولكننى أردت أن أعرف من أنت ، ذلك أن الذين تعلقوا بالقضايا العامة من الأوغاد الحقيرين قد بلغوا من فرط الكثرة والتنوع ، وبلغوا من شدة افساد كل ما لمسوه ، فى سبيل مصلحتهم ، أنهم ومسخوا كل شيء توسيحاً لا خلاص منه ولا يمكن محوه • وكفى هذا !+++

قال السيد لوجين بوقار شديد :

- أترك تريد ، أيها السيد ، أن تشير غمزاً الى أننى +++  
- رحماك ، رحماك ! كيف يمكننى أن +++ والآن ، كفى !+++

كذلك قطع رازوميخين كلامه ، والتفت الى زوسيموف التفاتاً  
جازماً ، ليستأنف ما كان بينهما من حديث •

وملك بطرس بتروفتش من الذكاء ما جعله يقبل هذا الجواب  
فوراً • وكان قد قرر ، على كل حال ، أن ينصرف بعد دقيقتين •

قال يخاطب راسكولنيكوف :

— أرجو للعلاقات التي بدأت بيننا الآن أن تتوطد مزيداً من التوطد  
حين تبل من مرضك ، بفضل الظروف التي تعرفها ... اننى اتمنى لك  
تحسن الصحة قبل كل شيء •

لم يلتفت راسكولنيكوف اليه • وهمَّ بطرس بتروفتش أن ينهض.  
قال زوسيموف يخاطب رازوميخين بلهجة قاطعة :

— لا شك أن أحد زبائنها هو الذى قتلها •

فأجابها رازوميخين موافقاً :

— لاشك ! لاشك أن أحد زبائنها هو الذى قتلها. ان بورفير لا يطلع  
أحداً على خواطره ، ولكنه يستجوب جميع الذين أودعوا عندها رهوناً.  
سأل راسكولنيكوف بصوت عالٍ جداً :

— يستجوبهم ؟

— نعم ، لماذا تسأل هذا السؤال ؟

— لا لشيء !

وسأل زوسيموف :

— أين يمكنه أن يجدهم ؟

— سمى له كوخ بعضهم • وهناك أسماء أخرى مسجلة على  
الأوراق التى لُفت به الأشياء • وهناك آخرون جاءوا من تلقاء أنفسهم  
منذ علموا بالنبأ ...

— يميناً ان الذى ضرب هذه الضربة لا يد أن يكون وغداً كبيراً ،  
وغداً محنكاً ، ذا خبرة ! يا لها من جرأة ! يا لها من عزيمة !

قال رازوميتشين مقاطعاً :

— لا ، بالعكس ! وذلك بعينه هو ما يتوهمكم جميعاً • أنا أزعم أن  
القاتل أخرق ليس بذى تجربة ولا خبرة ، وأن هذه الجريمة هي خطوته  
الأولى على هذا الطريق • لو افترضناه بارعاً حاذقاً لغدت جميع الأمور  
سلسلة من وقائع لا يمكن تفسيرها • أما اذا افترضناه غير ذى تجربة  
ولا خبرة ، فان المصادفة وحدها تكون هي التى أخرجته من الورطة  
وما أكثر ما تفعله المصادفات ! لعله لم يتبأ بالعقبات التى ستعرض سبيله ،  
ولم يتصور الحواجز التى سيصطدم بها ! انظر كيف تصرف : لقد أخذ  
أشياء لا تزيد قيمة كل منها على عشرة روبلات أو على عشرين روبلاً ،  
فملاً بها جيوبه ، لقد نشب بين الحرق فى صندوق العجوز ، على حين أن  
الدرج الأعلى من الحزانة ذات الأدراج قد عثر فيها على علبة تحوى  
ألفاً وخمسمائة روبل فضة ، عدا النقود الأخرى • حتى السرقة لم  
يحسنها • انه لم يحسن الا القتل !... هذه خطوته الأولى على طريق  
الاجرام ، اقول لكم هذه خطوته الأولى ! نعم ، لقد طاش عقله وذهب  
صوابه •... أؤكد لكم أن ما أتقذه ليس هو الحساب بل هو المصادفة •

تدخل بطرس بتروفتش فى الحديث ، فقال يسأل زوسيموف :

— أظن أنكم تتحدثون عن جريمة القتل التى وقعت مؤخراً وكانت  
ضحيتها تلك المرأة العجوز ، أرملة الموظف ، أليس كذلك ؟

وكان بطرس بتروفتش واقفاً يحمل بيده قبضته وقفازيه • غير أنه  
ما يزال يجب أن يرسل بعض الأقوال الملائمة قبل أن يتصرف • كان

واضحاً أنه يهيمه أن يخلف في نفوس سامعيه أثراً حسناً ، فتغلب حب الظهور عنده على رجاحة العقل .

– هل سمعتَ عن هذه الحادثة ؟

– طبعاً ! ان جميع الجيران ...

– هل تعرف التفاصيل ؟

– لا أستطيع أن أزعم أنني أعرف التفاصيل ، غير أن ما يعينني في هذه القضية انما هو بعض ظروفها ، أو بعض المشكلات التي تطرحها . لست أتكلم عن أن عدد الجرائم التي تُرتكب في الطبقات الدنيا قد ازداد ازدياداً كبيراً في السنوات الخمس الأخيرة ؛ لا ولا أتكلم عن حوادث السطو وحوادث الحريق التي تتعاقب في كل مكان بغير انقطاع . لا ، لا أتكلم عن هذا ؛ وانما الشيء الذي يبدو لي غريباً هو أن عدد الجرائم يتزايد في الطبقات العليا أيضاً ، على موازاة تزايدها في تلك الطبقات الدنيا ان صح التعبير . هنا ، طالبٌ سابق يهاجم عربية يريد\* في الطريق الكبير ؛ وهناك ، أناس ممن يحتلون مركزاً اجتماعياً حسناً ، يصنعون أوراقاً مالية مزيفة ؛ وهناك أيضاً ، في موسكو ، تُعتقل جماعة بكاملها من الأفراد تزيّف أوراق اليانصيب ، ومن بين الجناة الرئيسيين فيها أستاذ من أساتذة التاريخ العام\* . وهناك أخيراً ، يُقتل موظف من موظفي سفاراتنا في سبيل الحصول منه على مال أو لأغراض أخفى من ذلك !... فاذا كان قاتل تلك العجوز واحداً من أبناء الطبقات العليا – ولا بد أن يكون كذلك ، لأن أبناء الشعب الفقير لا يرهنون ، فيما أعلم ، أشياء ذهبية – فكيف نفسّر اذن هذا التحلل الذي يبعث فساداً في الجزء المتمدن المتحضر من مجتمعنا ؟

قال زوسيموف :

- ان للتبدلات الاقتصادية المفاجئة دخلاً كبيراً في حدوث هذه الظاهرة •

وقال رازوميتشين مجيباً عن سؤال بطرس بتروفش :

- كيف نفسّر هذا التحلل ؟ الأمر بسيط : نفسره بفقدان الفكر  
الوضى والروح العملية ...  
- أى ؟

- قل لى : بماذا أجاب ، فى موسكو ، أستاذ التاريخ العام ذاك حين  
سُئل لماذا يزيّف أوراق اليانصيب ؟ ، لقد أجاب بقوله : « ان جميع  
الناس يفتنون ويشرون بأية وسيلة من الوسائل ، لذلك أردت أنا أيضاً  
أن أعتنى وأن أترى بأقصى سرعة • • • لا أتذكر الآن أقواله بنصها ،  
ولكن معناها هو أنه أراد أن يجمع ثروة بأقصى سرعة وبأقل تكلفة ،  
دون أن يتحمل مشقة أو أن يبذل جهداً • نعم ، لقد اعتاد الناس أن  
يعيشوا عاليةً على الآخرين ، دون أن يحفلوا بشيء أو أن يكثرثوا لشيء ،  
واعتادوا أن يقتصروا على القيام بأعمال سهلة ، فمتى أن الألوان ظهر كل  
واحد على حقيقته ...

- ولكن هناك أخلاق ... هناك مبادئ رغم كل شيء ...

- ما الذى يقلقك ؟ ان هذا هو النتيجة التى تترتب على نظريتك  
نفسها !

- نظريتى أنا ؟

- استخرج النتائج التى تترتب على المبدأ الذى وضعته منذ قليل ،  
تجد أنه يجوز للاسان أن يقتل الآخرين •

صاح لوجين يقول :

- أرجوك ! ...

قال زوسيموف :

— لا ، ليس هذا صحيحاً •

كان راسكولنيكوف ما يزال راقداً ، وكان شاحباً شحوباً شديداً ، وكانت شفته العليا ترتجف ، وكان يتنفس بمشقة وعسر •

وتابع لوجين كلامه فقال متعالياً :

— هنالك حدود معتدلة معقولة • ليست الفكرة الاقتصادية حضاً على القتل ؟ وإذا فرضنا أن •••

فقطعه راسكولنيكوف على حين فجأة يسأله بصوت مرتجف من شدة الغضب ، بصوت يشوبه نوع من فرح خيئ ، يشوبه نوع من التلذذ بالاهانة :

— هل صحيح أنك قلت لخطيبتك ، ساعة وافقت على زواجها منك ، ان ما يسعدك مزيداً من السعادة أنها فقيرة معدمة ••• لأن من المفيد جداً أن ينتشل الرجل امرأة من وهدة الشقاء ، ليسطر عليها بعد ذلك ••• وليزهو عليها بالخيئات التي غمرها بها ؟

صاح لوجين يقول بصوت شرير حائق ، وقد خرج عن طوره :

— أيها السيد ، انك تشوه فكرتي • معذرة • غير أن من واجبي أن أعلن لك أن الشائعات التي بلفتك ، أو قل الشائعات التي نُقلت اليك عمداً ، لا تقوم على أى أساس من الصحة ••• وأنتى ••• أشبه ••• الخلاصة ••• أشبه في أن هذا السهم ••• الخلاصة ••• انما أرسلته أمك ! ••• على كل حال ، لا أكتفك ••• أنتى بغض النظر عن هذا ••• قد لاحظت ••• رغم ما لأمك من مزايا عظيمة ••• أنها مشبوبة العواطف رومانسية النفس قليلاً ••• لكننى ما كان لى أن أمخيل

أنها يمكن أن تنظر الى الأمور هذه النظرة ، وأن تراها هذه الرؤية ••  
وعلى كل حال ، على كل حال •••

صرخ راسكولنيكوف يقول له وهو ينهض عن وسادته ويحدث  
اليه بعينين تقدحان شرراً :

– هل تريد أن أقول لك ؟

– ماذا تقول لي ؟

قال لوجين ذلك ، وانتظر جواب راسكولنيكوف متحدياً ، وخيم  
الصمت بضع ثوان •

قال راسكولنيكوف :

– اعلم أنك ••• اذا تجرأت مرة أخرى ، فقلت في حق أمي  
كلمة واحدة ، فلأنزلك تدحرجاً على الرأس •••

صاح رازومихين يقول لراسكولنيكوف :

– ماذا دهاك ؟

فقال راسكولنيكوف :

– نعم ، هكذا •••

اصفر لوجين ، وعضّ على شفته ، ثم قال متمهلاً محاولاً أن  
يكظم غيظه بكل ما أوتى من قوة ، لأن الغضب كان يخنقه خنقاً ، قال :

– اسمع يا سيد • لم يفتني أن ألاحظ منذ قليل ، حين دخلت ،  
الاستقبال الغريب الذي خصصتي به ، ولكنني تعمّدت أن أبقي لأرى  
الى أى حد سوف تمضي ••• ولقد كان يمكن أن أغفر أشياء كثيرة  
لإنسان مريض تربطني به قرابة ••• أما لك أنت ، فلن أغفر ••• لن  
أغفر في يوم من الأيام •••

صاح راسكولنيكوف يقول :

- لست مريضاً !

- ذنبك اذن أعظم !

- اذهب الى جهنم !

ولكن لوجين كان قد خرج دون أن يكمل كلامه • تسلك بين المائدة والكرسي من جديد ، ونهض له رازوميتخين في هذه المرة عن كرسيه ، ليفسح له مجال المرور • خرج لوجين حتى دون أن يحيي برأسه زوسيموف الذي كان منذ برهة طويلة يومئ اليه برأسه مهيباً به أن يدع المريض وشأنه ؟ وقد خرج وهو يرفع قبعته الى مستوى كتفه على سبيل الاحتياط ، لحظةً انحنى ليجتاز عتبة الباب • كان واضحاً من طريقة حنيه ظهره أنه انصرف وهو يحمل شعوراً بأنه أهين اهانة قذيمة •

قال رازوميتخين لراسولنيكوف وهو يهز رأسه متحيراً مرتبكاً :

- هل يمكن أن يتصرف أحد هذا التصرف ؟

فصاح راسكولنيكوف يقول خارجاً عن طوره ،

- دعوني ، دعوني جميعاً ! ألا تريدون أن تتركوني وشأني أيها

الجلأءون ؟ أنا لست خائفاً منكم ••• لست الآن خائفاً من أحد •

اخرجوا من هنا ! أريد أن أكون وحيداً ، وحيداً ، وحيداً •••

قال زوسيموف وهو يومئ لرازوميتخين :

- فلتنصرف !

- كيف؟ هل يمكن أن تتركه وهو على هذه الحال ؟

فكرر زوسيموف قوله :



• فلتنصرف •

• وخرج •

فكرَ رازوميخين لحظةً ، ثم مضى يلحق بصاحبه زوسيموف •

قال زوسيموف وقد صاراً على السلم :

– لو لم نطعه لساعات حاله مزيداً من السوء • ما ينبغي أن نخنقه •

– ماذا أصابه ؟

– ليت هزّة سارة تصيبه • نعم ، ذلك ما هو في حاجة اليه •

لقد استرد قواه منذ قليل ... أظن أن هناك أمراً يشغل باله ، أظن أن

هناك فكرة تثقل على صدره ، وتحاصر فكره ... وذلك ما أخشاه !

لا شك أن الأمر كذلك ...

– لعل للسيد بطرس بتروفتش دخلاً فيما هو فيه • ان الحديث

الذي جرى بينهما يدل على أن السيد بطرس بتروفتش سيتزوج أخت

راسكولنيكوف ، وأن روديا قد أبلغ هذا النبأ برسالة وصلت اليه قيل

مرضه ببرهة وجيزة •

– نعم ، ان الشيطان هو الذي قاد هذا الرجل اليه ، في هذا اليوم

عينه ! لعل هذا الرجل قد أفسد الآن كل شيء • ولكن قل لي : هل

لاحظت أن روديا كان لا يكثرث بشيء ، ولا يخرج عن صمته الا لأمر

واحد كان يخرجها عن طوره هو جريمة القتل تلك ؟

أجاب رازوميخين موافقاً :

– نعم ، نعم ، لاحظت ذلك واضحاً كل الوضوح • ان هذه

الجريمة تهمه ، بل وترعبه ... ولكن مردّ ذلك الى أنه في ذلك اليوم

نفسه الذي مرض فيه قد ارتاع في مكتب رئيس الشرطة ، حتى لقد

أغمى عليه •

- مستقص على ذلك تفصيلاً في هذا المساء ، وسأقول أنا لك شيئاً حينذاك • ان حالته تعينني كثيراً • سأجيبك أستطلع أخباره بعد نصف ساعة • مهما يكن من أمر ، فلا خوف عليه من أن يُصاب باحتقان ...

- شكراً لك • وفي أثناء هذا الوقت ، سأنتظر أنا عند باشنكا ، وسأكلف ناستاسيا بمراقبته •

نظر راسكولنيكوف الى ناستاسيا ضجراً نافد الصبر • ان ناستاسيا لم تشأ أن تصرف •

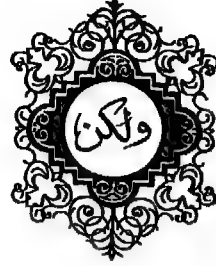
قالت له :

- هل لك بقليل من الشاي الآن ؟

- بل فيما بعد • الآن أريد أن أنام • اتركني !

قال راسكولنيكوف ذلك ، واستدار نحو الحائط بحركة تشنجية • وخرجت ناستاسيا •

## الفصل السادس



ما ان خرجت حتى نهض فأوصد الباب بالكلابة  
وفضَّ صرة الملابس التي أتى بها رازوميخين  
وأعاد ربطها ، ثم أخذ يلبس • شيء غريب :  
لكأن راسكولنيكوف قد أصبح على حين فجأة  
هادئاً كل الهدوء • لم يبق فيه أثر من ذلك الهذيان التي يشبه أن يكون  
جنوناً والذي كان يسكن فيه منذ قليل ، ولا بقي فيه شيء من ذلك  
الرعب الشديد الذي استولى عليه في الآونة الأخيرة • ان حركاته الدقيقة  
الواضحة تدل على عزم قوى • وكان يدمم قاتلاً بينه وبين نفسه : « في  
هذا اليوم ، في هذا اليوم نفسه » • كان يدرك مع ذلك أنه ما يزال  
ضعيفاً ، غير أن توتراً نفسياً يقارب الجلش الرابط والفكرة الثابتة كان  
يهب له قوة وثقة • وكان من جهة أخرى يأمل أن لا يتهاوى في الشارع.

فلما انتهى من ارتداء ثيابه الجديدة ، نظر الى المال الموضوع على  
المائدة ، ففكر ثم وضعه في جيبه • كان هناك خمسة وعشرون روبلاً •  
وتناول كذلك النقود النحاسية الصغيرة الباقية من الروبلات العشرة التي  
وقفها رازوميخين على شراء الملابس • ثم سحب الكلابة برفق ، وخرج  
من النرفة ، وهبط السلم وهو يلقي نظرة على المطبخ الذي كان بابه  
مفتوحاً تماماً : كانت نامتاسيا مائلةً مدبرةً تنفخ على سماور مولانها ،  
فلم تسمع شيئاً • ومن ذا الذي كان يمكن أن يفترض ، على كل حال ،

أن راسكولنيكوف قد يخرج ؟ وما انقضت دقيقة واحدة حتى كان راسكولنيكوف في الشارع .

الساعة تقارب الثامنة ، والشمس تغرب ، والجو خائق كما كان بالأمس ، ولكن راسكولنيكوف كان يستشوق ، بنهم شديد ، هذا الهواء المعفّر الموبوء الذي تنشره المدينة الكبيرة . أخذ يشعر بدوار خفيف . وهذا نوع من طاقة وحشية يسطع فجأة في عينيه الملهتين ، وينعكس على وجهه المهزول الزرق . كان لا يعرف الى أين يجب أن يذهب ، لا ولا يخطر بباله أن يلقى على نفسه هذا السؤال . كان لا يعرف الا شيئاً واحداً هو أن « كل شيء » يجب أن ينتهى في هذا اليوم نفسه ، دفعة واحدة ، وفوراً ؛ وأنه بدون ذلك لن يعود الى بيته ، « لأنه لا يريد أن يعيش هكذا » . أما كيف ينتهى من ذلك كله ، وأما بأية وسيلة ينتهى من ذلك كله ، فانه لم يكن يريد أن يفكر في هذا ! لقد كان يدفع عن نفسه هذه المسألة ، غير أنه يحس ويعلم أن كل شيء يجب أن يتغير بطريقة أو بأخرى « مهما يكن من أمر » ، ومهما يحدث من حادث » . هذا ما كان يكرره لنفسه بيأس وثقة وعناد .

وقادت خطاه عادة قديمة من عاداته ، فسار في الطريق التي يسلكها في نزحاته المألوفة ، واتجه رأساً نحو « سوق العلف » . حتى اذا أوشك أن يصل اليه رأى على أرض الشارع شاباً أسمر يعزف على أرغن بارباريا لحناً عاطفياً جداً وهو واقف أمام أحد الدكاكين . وكان الشاب يصاحب بالعزف غناء صبية في نحو الخامسة عشرة من عمرها ، قد وقفت أمامه على الرصيف مرثدية ثياب فتاة : تنورة وخماراً وقفازين وقبعة من قش تزينها ريشة حمراء بلون النار ؛ ومجموع ثيابها يبدو عتيقاً بالياً . كانت الصبية تقنى بصوت مقننة من مقنيات

الشوارع ، وهو صوت مصدّع لكنه ممتع قوى ، وما تزال تمنع في الغناء  
آملة أن ينفجها صاحب الدكان كوبيكين •

وقف راسكولنيكوف الى جانب شخصين أو ثلاثة أشخاص كانوا  
يصغون الى الغناء ، فأصغى هو أيضاً ، ثم أخرج قطعة نقدية قيمتها  
خمسة كوبكات فدمسها في يد الصبية • فما كان من الصبية الا أن  
توقفت عن الغناء عند النغمة التي كانت قد بلغت ، وهي النغمة الأقوى  
علواً والأبلغ تأثيراً ، ثم صرخت تقول للمعازف بصوت جاف : « كفى ! »  
واستأنف الاثنان سيرهما الى الدكان التالي •

اتجه راسكولنيكوف بالكلام فجأة الى رجل كهل كان قد سمع  
لعزف الأرغن الى جانبه ، وكان يبدو أنه متنزّه هائم على وجهه ،  
فقال له :

– هل تحب أغاني الشوارع ؟

فنظر اليه الرجل مبهوراً •

وتابع راسكولنيكوف كلامه فقال وكأن الأمر لا شأن له بنساء  
الشوارع البتة :

– أنا أحب أن أسمع الغناء على صوت أرغن بارباريا ، في ليلة  
حالكة من ليالى الحريف ، ليلة رطبة باردة ، رطبة على وجه الخصوص ،  
بينما المارة ، قد أزرقّت وجوههم جميعاً حتى لكأنها خضراء ،  
ولا سيما حين ينهمر ثلج ذائب يتساقط قائماً لا تهب عليه نسمة من ريح ،  
فسطع رموس مصابيح الغاز من خلال الثلج النهمر •

قال السيد مدمداً وقد روّعه السؤال مثلما روّعه هذا المظهر  
الغريب في راسكولنيكوف :

– لا أدري !... معذرة... •••

ومضى ينتقل الى الجهة الأخرى من الشارع .  
 سار راسكولنيكوف قدماً ، فوصل الى ناصية « سوق العلف » ،  
 الى ذلك المكان نفسه الذى كان قد سمع فيه البائع وزوجته يحدثان  
 اليزابث . ولكن البائع وزوجته لم يكونا هناك فى ذلك الوقت .  
 تعرف راسكولنيكوف المكان ، فوقف ، ونظر حوله ، ثم اتجه  
 الى شاب يلبس قميصاً أحمر كان يتناهب عند مدخل دكان لبيع الدقيق  
 فقال له :

— هنا ، عند هذه الناصية ، يعمل بائعٌ وامرأته ، هه ؟  
 فأجابه الفتى وهو يروزه بنظره :

— يجرى الى هنا باعةٌ كثيرون لا يحصى لهم عدد !

— ماذا يسمونه ؟

— يسمونه باسمه .

— وأنت ، أأنت من زارايسك ؟ من أى اقليم أنت ؟

— منطقتنا يا صاحب السعادة ليست اقليماً بل مقاطعة ، واذ أن أخى  
 هو الذى يسافر ، وأبقى أنا فى الدار ، فانتى لا أعرف شيئاً . أرجو أن  
 تعذرنى يا صاحب السعادة !

— هل المحل الذى أراه فى الطابق الأعلى مطعم ؟

— بل هو كاباريه ٠٠٠ وفيه بلياردو ٠٠٠ وتجد فيه حتى أميرات  
 ٠٠٠ هو محل عظيم !

مضى راسكولنيكوف ينتقل الى الجهة الأخرى من الميدان . وهناك ،  
 عند الزاوية ، كان يربط جمهور كثيف ليس فيه الا فلاحون . تسلسل  
 راسكولنيكوف الى حيث يتكاثف الجمهور أكبر تكاثف ، وأخذ يتفحص

الوجوه • كان يتمنى أن يكلم كل واحد من هؤلاء الناس ، لا يدرى لماذا ! ولكن الفلاحين لم يلتفتوا اليه • كانوا يحتشدون جماعات صغيرة تتحدث متمازحة • وقف راسكولنيكوف لحظةً يفكر ، ثم مضى يمينا في اتجاه شارع « ف • • • • » حتى اذا غادر « سوق العلف » دخل في زقاق ضيق •

سبق له كثيراً أن سلك هذا الزقاق المنحني الذي يصل بين الميدان وبين شارع سادوفايا • لقد كان يحب في الآونة الأخيرة ، حين كان كل شيء يثير فيه الاشتماز والتقزز ، أن يتجول في هذه النواحي ، « نشداناً لمزيد من الاشتماز والتقزز » • ولكنه يسلك الآن هذا الزقاق دون أن يفكر في أي شيء • ان في هذا المكان عمارةً كبيرة ليس فيها الا خانات ومطاعم ومقام ، تخرج منها في كل لحظة نساء حاسرات الرؤوس يرتدين ثياباً خفيفة ، ويحتشدون جماعات في مكائين أو ثلاثة على الرصيف ولا سيما قرب الأقيية حيث يكفى المرء أن يهبط درجتين أو ثلاثاً حتى يصل الى بيوت من بيوت اللذة • ان في أحد هذه البيوت الآن جلبةً كبيرة تجتاح الشارع كله : فهناك عزف على القيثارة ، وغناء ، ومرح بلغ ذروته ؛ وعند المدخل تزدهم نساء كثيرات ، فبعضهن جالسات على الدرجات ، وبعضهن جالسات حتى على الرصيف ، وبعضهن واقفات يثرثن • وغير بعيد من ذلك المكان ، يسير على أرض الشارع جندي سكران مترنح ، قد وضع في فمه سيجارة ، وزاح يحلف الأيمان بصوت عال • كان كأنه يريد أن يدخل مكاناً ما ، ولكنه أصبح لا يعرف أين • وهذا رجل يرتدى أسمالاً رثة قد طفق يتبادل الشتائم مع رجل آخر يرتدى أسمالاً رثة أيضاً • وهذا شخص قد بلغ السكر منه كل مبلغ فاستلقى يرقد على أرض الشارع عرضاً •

وقف راسكولنيكوف قرب الجماعة الرئيسية من النساء • كن

يثرثرن بصوت أبجّ • انهن جميعاً حاسرات الرؤوس ، يرتدين فساتين  
من قماش خفيف مشجّر ، ويتعلن أحذية من جلد الماعز • منهن من  
تجاوزن الأربعين من العمر غير أن منهن صبايا فى السابعة عشرة •  
وجميعهن تقريباً متورمات الأعين •

اجتذبتة الأغاني والجلبة الصادرة عن القبو ، دون أن يعرف لماذا.  
فى وسط الضحكات والصرخات ، كان يُسمع صوت رجل يفنى بصوت  
نجيل حاد ويصاحب غناءً عزف على قيثارة ، بينما أعقاب الأرجل تفرع  
الأرض قرعاً قوياً لاطهار الايقاع • مال راسكولنيكوف نحو الباب ،  
وألقي من على الرصيف نظرات مستطلعة ، وراح يصغى مظلم النفس  
شارد الفكر • كانت الأغنية التى يصدح بها الصوت النجيل الحاد تقول:

يا حارسى الجميل

لا تضربنى ظلما بغير سبب

شعر راسكولنيكوف برغبة رهية فى سماع هذه الأغنية ، كان  
المسألة كلها فى نظره هى هذه !

قال يسأل نفسه : « ماذا لو دخلت ؟ انهم يضحكون مقهقهين •  
انهم سكارى • ماذا لو سكرت أنا أيضاً ؟ » •

سأله احدى النساء بصوت واضح لكنه أبجّ :

— ألا تدخل يا سيدى العزيز ؟

كانت المرأة شابة ، بل كانت بين هذه الجماعة من النساء المرأة  
الوحيدة التى لا يبعث منظرها على النفور البتة •

قال وهو ينتصب وينظر إليها :

— ما أجملها !

ابتسمت المرأة • لقد سرّها هذا المديح سروراً عظيماً • وقالت له :



- أنت أيضاً شاب جميل •  
فقال امرأة أخرى تعارض بصوت أجش :  
- لكنه نحيل جداً • خارج من المستشفى ، هه ؟  
وكان يمر فلاح له وجه سكير مرح مكر ، يرتدى سترة حُلَّتْ  
أزرارها ، فقال فجأة :  
- يظهر أنهم بنات من أعلى طبقة • ولكن هذا لا ينفي أن  
أنوفهن فطساء !  
وأضاف :  
- أرايت الى هذا المرح ما أعظمه !  
قالت له احدهن :  
- هيباً أدخل ما دمت قد جئت ؟  
- فوراً يا حلوة ، فوراً •  
أجابها الفلاح بذلك ، وهول يهبط الدرجات •  
وأراد راسكولنيكوف أن يستأنف سيره • فلما همَّ أن يستدير  
لينصرف ، صرخت البنت تقول له :  
- اسمع يا سيد !  
- ماذا ؟  
فاضطربت ، وقالت له :  
- سيسعدني دائماً ، أيها السيد ، أن أقضى معك بضع ساعات ؛  
ولكننى ••• أشعر الآن بخجل شديد منك • هلاًّ أهديت الى ستة  
كوبكات أشرب بها كأساً ، أيها الفارس الجميل !  
فأخرج راسكولنيكوف من جيبه ما وقع تحت يده : ثلاث قطع  
تقديّة من فنة الخمسة كوبكات •

— آ ••• يا للسيد السخي !

— ما اسمك ؟

— لن يكون عليك الا أن تسأل عن دوكليدا •

قالت امرأة من جماعة النساء ، وهي توميء الى دوكليدا بانشارة  
من رأسها :

— ما أعجب هذه الأساليب ! كيف ترضى هذه البنت أن تستعطي  
هذا الاستعطاء ؟ لو كنت في مكانها لآثرت أن أدفن نفسي في التراب  
من شعوري بالحزى والعار !

التفت راسكولنيكوف الى المرأة التي قالت هذا الكلام ، ونظر اليها  
مستطعماً مستغرباً • هي مومس في نحو الثلاثين من عمرها ، مجدورة  
الوجه منتفخة الشفة العليا ، تغطي بشرتها بقعٌ زرقاء • ولقد قالت كلامها  
بلهجة هادئة جادة •

تساءل راسكولنيكوف وهو يستأنف سيره : « تُرى أين قرأت أن  
رجلاً محكوماً عليه بالاعدام قد قام أو تخيل قبل اعدامه بساعة أنه لو  
اضطر أن يعيش في مكان ما ، على قمة ، فوق صخرة ، بموضع لا تزيد  
مساحته على موطيء قدم ، وكان كل ما حوله هوةً سحيقة ،  
خضماً كبيراً ، ظلمات أبدية ، عزلةٌ خالدة ، زوابع لا تنقطع ، وكان  
عليه أن يبقى واقفاً على موطيء القدم هذا مدى الحياة ، بل ألف سنة ،  
بل أبد الدهر ، لظل مع ذلك يؤثر أن يعيش هذه العيشة على أن يموت  
فوراً ، أن يعيش فحسب ، أن يعيش ! أن يعيش أية عيشة ، ولكن أن  
يعيش •• نعم ، أين قرأت هذا ؟ ما أصدق هذا الكلام ! رياه ، ما أصدق  
هذا الكلام ! ••• » \*

قال راسكولنيكوف ذلك ، ثم أردف بعد لحظة :

- الانسان جبان ، ولكن جبانٌ أيضاً ذلك الذى يصفه بالجبن لهذا السبب !

ودخل فى شارع آخره . فما لبث أن قال لنفسه : « مه ! هذا قصر الكريستال » ! لقد تكلم عنه رازوميخين منذ قليل .... ولكن ماذا كنت أريد أن أعمل ؟ نعم نعم ، كنت أريد أن أقرأ .... لقد ذكر زوسيموف أنه قرأ فى الجرائد .... »

- هل عندكم جرائد ؟

كذلك سأل راسكولنيكوف وهو يدخل حانة واسعة ، جميلة المظهر ، ذات عدة قاعات ، ولكنها مع ذلك خالية الا من عدد قليل من الناس . كان هنالك شخصان أو ثلاثة يحتسون الشاي ؛ وفى قاعة أخرى ، فى آخر الحانة ، جلست جماعة من أربعة أشخاص يشربون الشمبانيا ، اعتقد راسكولنيكوف حين رآهم أن زامبوتوف أحدهم . ولكن المرء لا يمكن أن يكون واقعاً كل الثقة من صدق رؤيته ، على مسافة بعيدة . هذا البعد .

قال لنفسه : « وأى ضير فى هذا على كل حال ؟ » ،  
سأله الخادم :

- هل تريد فودكا ؟

فقال له راسكولنيكوف :

- بل هات لى شايًا ، وجئنى بجرائد ، جرائد قديمة ، جرائد الأيام الخمسة الأخيرة . سوف أنفحك بقشيشاً سخياً .

- حاضر . إليك الآن جرائد اليوم . وهل تريد فودكا أيضاً ؟  
ووصلت الجرائد والشاي . جلس راسكولنيكوف وانكب على

الجرائد باحثاً منقياً : « ايتسلر - ايتسلر - الأزيكيان - ايتلسر \* - الى الشيطان بارتولا \* - ماسيمو \* - الأزيكيان \* - ايتسلر \* » الى الشيطان هذا كله \* \* \* آ \* \* \* أخيراً \* \* \* هذه هي الأنباء المتفرقة \* \* \* سقوط في سلم » ، « تاجر سكران يحترق حياً » ، « حريق في حيّ الرمال » ، « حريق في بطرسبرج » ، « حريق آخر في بطرسبرج » ، « ايتسلر \* \* ايتسلر \* \* ايتسلر \* \* ماسيمو \* \* آ \* \* \* وصلنا \* \* \*

وجد راسكولنيكوف أخيراً ما كان يبحث عنه ، وأخذ يقرأ . ان الأسطر تتراقص أمام عينيه ، ولكنه قرأ « النبأ » حتى نهايته ، وطلق يبحث ، في شراهة ونهم ، عن تفاصيل جديدة في الأعداد التالية ، فكانت يدها ترتجفان من نفاذ الصبر وهو يتصفح الجرائد . وفجأة جاء أحد فجلس الى مائدته ، بقربه . رفع راسكولنيكوف عينيه . انه زامبوتوف ، زامبوتوف نفسه ، بلا تبدل ولا تغير ، زامبوتوف ، بخواتمه ، وسلاسله ، والفرق الذي يشطر شعره الأسود المكف المطيب ، والصديرة الأنيقة ، والردنجات الحلق قليلاً ، والقميص الذي ذهب بعض رونقه . كان زامبوتوف مرحاً ، أو قل على الأقل انه كان يتسم بكثير من المرح والطية . وكان وجهه الأسمر يبدو ساخناً بعض السخونة من الشمبانيا التي شربها .

بدأ يتكلم مدهوشاً فقال لراسكولنيكوف بلهجة من يعرفه منذ مدة طويلة :

- كيف ؟ أأنت هنا ؟ أمس قال لي رازوميشين انك لم تفق من غيبوتك . شيء عجيب . هل تعرف أنتى زرتك أثناء مرضك ؟

كان راسكولنيكوف يعرف أن زامبوتوف سيتعرض له . فوضع

الجرائد جانباً ، والتفت اليه • ان ابتسامة ساخرة تطوف بشفتيه ، ويرى  
المرء في هذه الابتسامة ، منذ الآن ، صبراً نافداً وغيتاً شديداً •  
أجابه يقول :

- أعرف أنك زرتني • حكى لي هذا • حتى لقد بحثت عن  
جوربي • ولكن هل تعلم أن رازوميخين مجنون بك ، منذ ذهبنا معاً الى  
عند لويزا ايفانوفنا ••• نعم ، تلك التي حاولت أن تدافع عنها في ذلك  
اليوم ، غامزاً « الليوتان بارود » التي لم يفهم من غمزك شيئاً • ألا  
تذكر ؟ كيف أمكن أن لا يفهم أن الاشارة كانت واضحة ، هه ؟

- يا له من رجل صحّاب ؟

- من ؟ الليوتان بارود ؟

- بل صديقك رازوميخين •

- انك تعيش حياة فرحة يا سيد زامبوتوف • تستطيع أن تذهب  
الى الأماكن الممتعة اللذيذة دون أن تنفق قرشاً واحداً • قل لي : من  
ذلك الذي كان يصب لك الشمبانيا منذ قليل ؟

- نعم ، شربنا شمبانيا ••• أما الذي صبّها •••

قال راسكولنيكوف وهو يضحك ساخراً :

- أعرف ••• هذه أجورك • انك تجنى نفعا من كل شيء •

ثم أضاف وهو يربت على كتف زامبوتوف :

- لا ضير في هذا ، يا صاحبي ، لا ضير ••• أنا لم أقل ما قلته عن  
نية سيئة خبيثة ، وانما قلته عن « محبة ومودة » من باب التسلية » ، كما  
قال الدهّان حين كان يضرب ميتكا • أنت تعرف هذا في قضية مقتل  
المعجوز •••

- ولكن كيف تعرفه أنت ؟
- أنا ؟ ربما كنت أعرف أكثر مما تعرف •
- أمرك عجيب ... أغلب الظن أنك ما تزال مريضاً • ما كان ينبغي لك أن تخرج !
- أببدو لك أمري عجيباً ؟
- نعم • عمّ كنت تبحث في الجرائد ؟
- في الجرائد ؟
- تتحدث الجرائد عن حرائق •
- نعم ، ولكن ليست الحرائق هي التي تهمني أنا !
- قال ذلك ونظر الى زامبوتوف نظرة ملفزة ، وعادت بسمة ساخرة متحف شفتيه ، ثم أضاف وهو يغمز بعينه :
- لا ، ليست الحرائق هي التي تهمني • اعترف أيها الشاب الشجاع أنك تحترق شوقاً الى أن تعرف ماذا كنت أقرأ !
- غير صحيح ! لقد ألقيت عليك ذلك السؤال كما يمكن أن ألقى عليك أي سؤال آخر • أليس من حق أحد أن يلقي سؤالاً ؟ ما بالك تبلغ دائماً هذا المبلغ من ...
- اسمع ، أنت رجل متعلم ، مثقف ، هه ؟
- أجاب زامبوتوف بوقار :
- قطعت في المدرسة الثانوية ست سنين •
- ست سنين ؟ يا للفتى الطريف ! وله الى ذلك في شعره فرق ، وله في أصابعه خواتم ... هو رجل غني • يا للشباب اللطيف !
- قال راسكولنيكوف ذلك وانفجر يضحك أمام أنف زامبوتوف

ضحكة عصية • فراجع زامبوتوف الى وراء ، لا لأنه انزعج بل لأنه  
دهش •

كرر يقول بلهجة الجدد :

– حقاً ان أمرك عجيب ! كأنك ما تزال تهذى !

– أنا ؟ أهذى ؟ أخطأ ظنك أيها الفتى الطريف ! • آ • • • • • أمرى  
عجيب ، هه ؟ ولكن لماذا لا تقول الكلمة التي تريد أن تقولها ، لماذا  
لا تقول اننى أحيرك ؟ أحيرك ، هه ؟  
– فعلاً • • • • • تحيرنى !

– الخلاصة • • • • • أنت تريد أن تعرف عمّ كنت أبحث ، تريد أن  
تعرف ماذا كنت أقرأ ، أليس كذلك ؟ أنظر كم عدداً من الجرائد  
طلبت ! هذا يبعث على اشتباه قوى ، هه ؟  
– هلاً قلت اذن ! • • • • •

– سأقول لك فيما بعد • أما الآن ، يا صديقى العزيز ، فانى أعلن  
لك • • • • • عفواً • • • • • بل « اعترف » لك • • • • • لا • • • • • ليس هذا هو  
التعبير الصحيح • • • • • فانما التعبير الصحيح هو : « أدلى بافادتى » وتسجل  
أنت • • • • • نعم هذا هو التعبير الصحيح • وهأنذا أدلى لك بافادتى فأقول  
اننى أردت أن أقرأ ، أن أبحث ، أن أنقب ، وان أمعن فى التنقيب • • • • •  
هنا غمز راسكولنيكوف بعينه وتوقف عن الكلام برهة ثم استأنف  
يقول مدمماً وهو يسرف فى تقرير وجهه من زامبوتوف :

– أن أمعن فى التنقيب – وأنا ما جئت الى هنا الا لهذا الغرض –  
عن جميع الأخبار التي تتصل بمقتل المعجوز أرملة الموظف •  
كان زامبوتوف يحدّق الى عيني راسكولنيكوف ، دون أن يقوم

بأية حركة ، دون أن يبعد وجهه عن وجهه • ان الشيء الذى آثار دهشة زامبوتوف بعد ذلك أكثر من كل ما عداه ، هو أن الصمت بينهما دام عندئذ دقيقة كاملة ، دون أن يكف أحدهما عن التحديق الى صاحبه والتفرس فيه •

صاح زامبوتوف فجأة وقد نفذ صبره وأصبح لا يعرف ماذا يجب أن يظن :

— طيب ! وهل يعينى أنا أن تقرأ أنت هذا النبأ أو ذاك من من الأنباء ؟

فدمدم راسكولنيكوف يقول دون أن يحرك ساكناً بسبب صيحة زامبوتوف :

— ان الأمر يتصل بتلك المعجوز نفسها التى أغشى على فى قسم الشرطة منذ جرى الحديث عليها ، نعم ، لحظة جرى الحديث عليها • أفهمت الآن ؟

قال زامبوتوف وقد كاد يُجن جنونه :

— ماذا يجب أن أفهم ؟ ما الذى يجب أن أفهمه ؟

فما ان سمع راسكولنيكوف هذا حتى تبدل وجهه الهادئ الساكن فى ثانية واحدة ، ثم اذا هو ينفجر ضاحكاً كما انفجر ضاحكاً منذ قليل ، حتى لكأنه لا يستطيع أن يمسك عن الضحك • وفى مثل وميض البرق سرعة ، طافت فى خياله بوضوح هائل ذكرى الاحساس الذى شعر به من قبل ، حين كان واقفاً وراء الباب ، ممسكاً ساطوره ، يرى المزلاج يتهزز ، بينما كان الرجلان ، فى الجهة الأخرى من الباب ، يشتمان ويحاولان فتح الباب ، فأحب هو على حين فجأة أن يهينهما ،



وَأَنْ يَبْقَى لَهُمْ سَيْلًا مِنَ الشَّتَائِمِ ، وَأَنْ يَمُدَّ لَهُمَا لِسَانَهُ ، وَأَنْ يَصْعَرَ  
لَهُمَا وَجْهَهُ ، وَأَنْ يَضْحَكَ ، أَنْ يَضْحَكَ ، أَنْ يَضْحَكَ !

قال زامبوتوف :

— إِمَّا أَنْكَ مَجْنُونٌ ، وَإِمَّا أَنْكَ ...

ولكنه أمسك عن إتمام كلامه ، كَانَ فِكْرَةً قَدْ وَمَضَتْ فِي فِكْرِهِ  
عَلَى حِينٍ بَقِيَتْ :

— وَإِمَّا مَاذَا ... إِمَّا مَاذَا ؟ مَاذَا ؟ هَيْهَ ، قُلْ !

قال زامبوتوف غاضباً :

— لَا شَيْءَ . كُلْ هَذَا سَخَفٌ !

وصمت الاثنان .

ان راسكولنيكوف ، بعد انفجاره المفاجيء ، وضحكته العvisية ،  
قد أصبح حزيناََ حالماً على حين فجأة . وها هو ذا يضع كوعيه على المائدة ،  
ويسند رأسه بيده . لقد بدا عليه أنه نسي زامبوتوف نسياناً تاماً .  
ودام الصمت برهة طويلة .

قال زامبوتوف :

— لِمَاذَا لَا تَشْرَبُ الشَّايَ ؟ سَوْفَ يَبْرُدُ ...

— مَاذَا ؟ الشَّايَ ؟ نَعَمْ ...

وحمل راسكولنيكوف الشاي الى شفتيه ، وازدرد لقمة من خبز ،  
حتى اذا ألقى بصره على زامبوتوف بدا عليه أنه تذكر كل شيء فجأة ،  
وأنه يطرد عنه خموده وخوره . وفي الوقت نفسه ، استرد وجهه ما كان  
يسبّر عنه منذ قليل من سخريه . واستمر يشرب الشاي .

قال زامبوتوف :

– أمثال هذه السرقات تتكاثر فى هذه الأيام • اليك هذا المثل :  
لقد قرأت فى الآونة الأخيرة فى « جريدة موسكو » أنه قبض هناك على عصابة كاملة من مزيفى النقد • انهم شركة حقيقية تقوم بتزييف الأوراق المالية •

فأجابه راسكولنيكوف هادئاً :

– قرأت هذا منذ مدة طويلة • هذه قصة قديمة •

ثم أضاف مبتسماً :

– فى رأيك اذن أنهم لصوص محتالون !

– لصوص محتالون طبعاً !

– لصوص محتالون ؟ أما أنا فأرى أنهم أطفال • أرى أنهم أغرار  
سذَّج • لا لصوص محتالون • أهو أمر طبيعي أن يجتمع نحو خمسين  
شخصاً لغاية كهذه العناية ؟ لو كانوا ثلاثة لكان عددهم هذا وحده  
كبيراً • وحتى فى هذه الحالة لا بد أن يكون كل واحد واقفاً بالاثنين  
الآخرين أكثر من ثقته بنفسه • اذ يكفى أن يزلّ لسان أحد منهم أثناء  
سكر • فيثرثر قليلاً • حتى يفسد الأمر كله • نعم • سذَّج أغرار !  
ولولا أنهم سذَّج أغرار لما عهدوا الى أناس لا يستحقون الثقة بأن  
يذهبوا الى البنوك يبدلون أوراقهم المالية • هل يُعهد بمهمة كهذه المهمة  
الى أى انسان ؟ ولنفرض الآن أن هؤلاء الأغرار قد نجحوا فأصبح كل  
واحد منهم يملك مليوناً • فماذا بعد ذلك ؟ هل يمكن أن يستمر هذا  
الى الأبد ؟ ان كل واحد سيظل رهناً بالآخرين مدى الحياة ! ألا ان  
الاتحار شتقاً خير من هذا ! ثم ان هؤلاء لم يحسنوا حتى تبديل أوراقهم  
المالية : ان الشخص الذى تقدم الى شبك الصرف فى البنك قد ارتعشت  
يداه ارتعاشاً قوياً حين قبض الخمسة آلاف روبل ؟ ثم لم يعدد الا أربعة

آلاف منها ، أما الألف الخامسة فقد أخذها على الثقة دون أن يعدّها ، ولم يخطر بباله الا أن يدسّها في جيبه وأن يولّى هارباً بأقصى سرعة . لذلك أيقظ الريب والشبهة . ففسد الأمر كله بسبب ذلك الأبله . أهذا ممكن حقاً ؟

— أن تكون يداه قد ارتعشتا ؟ طبعاً . . . . هذا أمر يُتصوّر . أنا أرى أن ذلك طبيعي جداً . هناك حالات يفقد فيها المرء سيطرته على نفسه ، اذ يكون الأمر فوق طاقته !  
— مثلاً ؟

— أكان يمكنك أنت أن تحافظ على سيطرتك على نفسك في حالة كتلك الحالة ؟ أنا على كل حال ما كان يمكنني أن أسيطر على نفسي ! كيف يرضى انسان أن يتعرض لمثل هذه المخاطرة في سبيل مائة روبل ؟ كيف يمضى يبدّل أوراقاً مالية مزيفة ؟ وأين ؟ في بنك ، حيث الموظفون خبراء يعرفون كيف يكتشفون أى تزوير ! لا ، لا ، لو وقفت أنا ذلك الموقف لفقدت صوابي ! وأنت ؟ ألا تفقد صوابك في حالة كتلك الحالة ؟  
شعر راسكولنيكوف فجأةً ، مرة أخرى ، برغبة رهيبية في أن « يمدّ لسانه » استهزاءً ! وكانت تسرى في ظهره رعدات أحياناً .  
بدأ يتكلم فقال :

— أنا لو كنت في مكان ذلك الرجل لتصرفت غير ذلك التصرف . اليك كيف كان يمكن أن أفعل : لو كان عليّ أن أبدل تلك الأوراق المالية ، لرحت أعدّ الألف الأولى مرة تلو مرة ، ثلاث مرات أو أربعاً ، وأنا أقلّب كل ورقة على جميع الوجوه وأنظر إليها من جميع الجهات ؛ فاذا تناولت الألف الثانية أخذت أعدها حتى أصل الى النصف ، ثم سحبت من الحزمة ورقة بخمسين روبلاً فأخذت أفحصها في الضوء

الساطع ثم ألقها ثم أفحصها من جديد كأنني أخشى أن تكون مزيفه ،  
 قائلاً للرجل : « اننى شكاك قليلاً » ان لى قرية قبضت ورقة مزيفه  
 فأضاعت بذلك خمسة وعشرين روبلاً ، ثم أروح أقصُ حكاية  
 طويلة ؛ فاذا وصلت الى الألف الثالثة قلت له : « انتظر ! أظن اننى  
 أخطأت فى عدد المائة السابعة ، هناك ، فى الألف الثانية » ، ثم تركت  
 الألف الثالثة ورجعت الى الثانية ، وهكذا دواليك . . . . فاذا فرغت من  
 العد ، عدت أسحب ورقةً كيفما اتفق ، من الألف الثانية مثلاً ، أو من  
 الألف الخامسة ، وزحت أفحصها من جديد ، بالنظر اليها استشفافاً ،  
 فاذا بشكوك تراودنى ، فأقول : « هل تستطيع ، من فضلك ، أن تعطينى  
 ورقة غيرها بدلاً منها ؟ » ، وهكذا دواليك الى أن ينضح الرجل دماً  
 وماءً ، والى أن يضيق بى ذرعاً فلا يدرى كيف يتخلص منى ، ثم  
 انصرف . . . لا . . . عفواً . . . لا أنصرف هكذا ببساطة ، بل أعود  
 اليه فأستوضحه أمراً من الأمور ، وأسأله عن شئ من الأشياء . نعم ،  
 كذلك كان يمكن أن أنصرف .

فال زامبوتوف وهو يضحك :

— حقاً انك لفظيع ! على أن هذا كله كلام . أما فى الواقع ، فلاشك  
 أنك كنت ستفضح نفسك . هل تريد أن أقول لك رأى ؟ اسمع اذن :  
 فى رأى أن أحداً لا يستطيع أن يسيطر على نفسه . وليس يصدق  
 هذا عليك وعلى فحسب ، بل يصدق أيضاً على أكبر لص وأعظم  
 وغد . اليك هذا المثال القريب : لقد قتلت فى حيناً امرأة عجوز .  
 يخيل الى أن الذى قتلها سَفَّاح رهيب لم يحجم عن ارتكاب جريمته  
 فى وضح النهار ، ثم تمكن أن ينجو بأعجوبة . ومع ذلك ارتجفت يدا  
 ذلك القاتل : انه لم يحسن السرقة ، انه لم يصمد . الوقائع تبرهن  
 على ذلك .

بدا الاستياء في وجه راسكولنيكوف •  
- الوقائع تبرهن على ذلك ؟ حاولوا اذن أن يقبضوا عليه ! لاحقوه  
وطاردوه !

بهذا هتف راسكولنيكوف وهو ينظر الى زامبوتوف نظرة فيها  
احتقار واضح وفرح خبيث •  
قال زامبوتوف :

- سنقبض عليه حتماً !  
- من ؟ أنت ؟ تستطيع اذن أن تركض ؟؟؟ ! أليس الأمر الرئيسي  
في نظرك هو أن تعرف هل الشخص الذي تشبه فيه ينفق مالا أم هو  
لا ينفق مالا ؟ أنت تقول لنفسك : ان فلاناً لم يكن يملك في السابق مالا ،  
وها هو ذا ينفق الآن كثيراً على حين فجأة ، فكيف لا يكون هو الجاني ؟  
ألا ان طفلاً صغيراً ليستطع اذن أن يضللك متى أراد !  
أجاب زامبوتوف :

- هذا لا ينبغي أنهم جميعاً يسلكون هذا السلوك • ان الجاني  
يرتكب جريمته بكثير من البراعة والحنق ، ويعرض حياته للخطر ،  
ثم يُتيح للذين يتعقبوه أن يقبضوا عليه في حانة • انه أثناء انفاقه المال  
انما يُقبض عليه ••• ليس جميع الجناة مكرين مثلك • أنت ، مثلاً ،  
لا يمكن أن تذهب الى حانة ، اذا كنت قد •••

قطب راسكولنيكوف حاجبيه وحدق الى زامبوتوف بنظرة ثابتة •  
ثم قال متجهماً :

- يبدو أن لعابك يسيل شوقاً الى معرفة ما كان يمكن أن أفعله في  
مثل هذه الحالة •

فأجابه زامبوتوف برصانة ورزاة :  
- نعم ، أتمنى أن أعرف ذلك •

وكان في صوت زامبوتوف وفي نظراته جدٌ مفرط •

سأله راسكولنيكوف :

- هل تمنى ذلك كثيراً ؟

- كثيراً •

فبدأ راسكولنيكوف يتكلم فقال لصاحبه وهو يقرب وجهه من وجهه مرة أخرى ، ويحدثُ إليه بنظرة ثابتة من جديد ، قال بصوت هو نوع من التمتمة ، حتى ان صاحبه أحس هذه المرة برعدةٍ تسرى في جسمه :

- فاسمع اذن ! اليك ما كان يمكن أفعله ! لو كنت أنا القاتل لأخذت المال والأشياء ، فخرجت من البيت فوراً دون أن أضيع دقيقة واحدة ، ودون أن أدور في الشوارع دورة واحدة ، ومضيت الى مكان منزول منزو هو حديقة محاطة بسيجاش مثلاً ، أو هو شيء من هذا القليل • وأكون قد حددت سلفاً ، في تلك الحديقة أو في ذلك القناء ، أكون قد حددت صخرة كبيرة وزنها ثلاثون رطلاً ، صخرةً لعلها موجودة في ذلك المكان منذ بناء المنزل ، فهناذا الآن أزحزح تلك الصخرة التي لا بد أن تكون الأرض تحتها مقعرةً طبعاً ، وهناذا أدفن المال والأشياء في هذا القعر ؛ حتى اذا انتهيت من دفنها ، ورددت الصخرة الى مكانها ، انصرفت لا ألقى على شيء ، ثم لبثت بعد ذلك سنةً أو سنتين أمتنع عن زيارة المكان وأخذ الغنيمة • هلمّ فابحث اذن ! ما رأيت ولا عرفت !

قال زامبوتوف الذي أخذ يدمدم بدمعة هو أيضاً ، دون أن يعرف لماذا ، قال وهو يتجحي بغتةً عن راسكولنيكوف :

- أنت مجنون !

سقطت عينا راسكولنيكوف ، واصفر وجهه اصفراراً رهيباً ،  
وارتجفت شفته العليا ، ومال حتى اقرب من زامبوتوف أكبر اقتراب  
ممكن ، وحرّك شفتيه دون أن ينطق كلمة واحدة ، وانقضى على هذه  
الحال نصف دقيقة .

كان راسكولنيكوف يعرف ماذا يفعل ، ولكنه لا يستطيع أن يسيطر  
على نفسه وأن يتحكم بسلوكه . ان كلمة رهيبه كانت تهمُّ أن تنبجس  
من فمه ، كما كان المزلاج ، « في ذلك اليوم » ، يهمُّ أن يخرج من  
الرزّة . كانت الكلمة توشك أن تفلت بين لحظة وأخرى ؛ كان  
راسكولنيكوف يوشك أن يطلقها ، أن ينطقها .  
قال فجأة :

— ماذا لو كنت أنا قاتل العجوز واليزابت ؟

لكنه تاب الى رشده ، وكبح جماح نفسه .  
نظر اليه زامبوتوف مرتاعاً ، وانكفاً لونه حتى صار كغطاء المائدة  
بياضاً ، وتجددت شفته بابتسامة ، وسأله بصوت لا يكاد يُسمع :  
— ولكن أهذا ممكن ؟

فألقي عليه راسكولنيكوف نظرة خبيثة ، وقال له :

— اعترف بأنك صدّقت ، اعترف ، اعترف !...

أسرع زامبوتوف يقول :

— لا لم أصدق قط ... وأنا استبعد الآن ذلك أكثر مما استبعدته

في أى وقت مضى !

— وقع في الفخ ! اذن لقد صدّقت في يوم من الأيام ، ما دمت

تقول انك تستبعده الآن أكثر مما استبعدته في أى وقت مضى !

صاح زامبوتوف يقول مرتبكاً ارتباكاً واضحاً :

- لا ... أبداً ! آه ... آمن أجل أن تصل الى هذه النتيجة  
أخفتنى ؟

- أأنت لا تصدق اذن ؟ فعمّ تكلمتم ، فى ذلك اليوم ، حين  
خرجت أنا من القسم ؟ ولماذا أخذ الليوتان « بارود » يستجوبنى بعد  
صحوى من الانغماء ؟

قال راسكولنيكوف ذلك ثم صرخ ينادى خادم الحانة وهو ينهض  
ويتناول قبعته :

- هيه ! أنت ! الحساب !

هرع الخادم اليه قائلاً :

- ثلاثون كوبكاً .

- خذ ، وهذه عشرون أخرى بقشيشاً !

ثم قال لزاميوتوف وهو يمد اليه يداً مرتعشة مملأى بأوراق مالية :  
- أرايت ؟ أوراق حمراء ، وأوراق زرقاء ! \* المجموع : خمسة  
وعشرون روبلاً ! فمن أين جاءتني هذه الأوراق ؟ ومن أين جاءتني  
نيابى الجديدة ؟ أنت تعلم أننى لم أكن أملك كوبكاً واحداً . أراهن على  
أنك استجوبت صاحبة البيت الذى أقيم فيه ! ولكن كفى الآن ! « كفى  
حديثاً » \* !... الى اللقاء . لك خالص تمنياتى !

وخرج راسكولنيكوف مختلجاً بنوع من احساس غريب ، احساس  
هستري ، تخالطه مع ذلك لذة عظيمة . ولكنه ظل فى الواقع متجهم  
النفس خائر القوة . كان وجهه متقلصاً ، كأنه خارج من نوبة . وازداد  
اعياؤه بسرعة . انه الآن ، عند كل احساس جديد ، وعند كل صدمة  
جديدة ، تستيقظ فيه قواه وتعود اليه ، ولكن قواه هذه ما تلبث أن تخور  
بسرعة أيضاً ، مع زوال الصدمة وامحاء الاحساس .



وحين أصبح زاموتوف وحيداً ، لبث جالساً الى تلك المائدة نفسها مدة طويلة ، غارقاً في تأمله . ان راسكولنيكوف قد قلب له جميع أفكاره فيما يتعلق بنقطة معينة رأساً على عقب ، دون أن يعرف ذلك ، وجعل رأيه يستقر استقراراً لا عودة عنه ، وثبت ثباتاً لا يتزعزع . قال لنفسه جازماً : « ان ايليا بتروفتش غبي ! » .

ما كاد راسكولنيكوف يفتح باب الحانة المفضي الى الشارع ، حتى كان رازوميخين على درجات المدخل بهم أن يدخل . ولكن الصديقين لم يرَ أحد منهما صاحبه ، رغم أن المسافة بينهما خطوة واحدة ، حتى لقد أوشك رأساهما أن يتصادما . ولبثا لحظة يشمل كل منهما صاحبه بنظره . لقد ذُهل رازوميخين ذهولاً ليس بعده ذهول . غير أن غضباً مفاجئاً شديداً لم يلبث أن سطع في عينيه ببريق رهيب .

زأر يقول بصوت عال :

— آه ... أهنأ أنت ؟ قام عن سريريه ، هرب من بيته ! أتعرف أنني بحثت عنك حتى تحت السرير ؟ بل لقد سعدنا الى السقيفة نبحت عنك ! وأوشكت بسبك أن أضرب ناستاسيا ! انظروا أين هو ! روديا ، ما معنى هذا ؟ قل لي الحقيقة كلها ! اعترف ! هل تسمع ؟

أجابه راسكولنيكوف بهدوء :

— معناه أنني ستمتكم جميعاً الى حد الموت ، وأنتى أريد أن أكون وحيداً .

— وحيداً ؟ بينما أنت عاجز حتى عن المشي ، بينما وجهك أصفر كوجه الأموات ، بينما أنت تختنق طول الوقت ؟ ألا انك لأبله ! ماذا جئت تعمل في « قصر الكريستال » ؟ اعترف ، اعترف فوراً !

— اتركنى .

كذلك قال راسكولنيكوف ؟ وأراد أن يمشى متخطياً رازوميخين

فغضب رازوميخين غضباً شديداً ، وخرج عن طوره ، فأمسك صاحبه من كفه امسكاً قوياً ، وصاح يقول له :

.. أتركك ؟ أتجرؤ أن تقول : « أتركني » ! اسمع اذن : هل تعرف ما أنا فاعل بك ؟ سوف أقبض عليك بذراعي ، فأربطك بحبل كما تُربط صرّة ، ثم أهلك الى البيت فأحبسك فيه مقفلاً عليك الباب بالفتاح !

بدأ راسكولنيكوف يتكلم في رفق ، فقال بلهجة تبدو هادئة كل الهدوء :

.. اسمع يا رازوميخين ! ألسنت ترى اذن أنني لا أريد نعيمك وأياديك عليّ ؟ ما حاجتكم دائماً الى أن تنمروا بالنم أولئك الذين لا يعبأون بها ، أولئك الذين لا يستطيعون حقاً أن يحتملوا ؟ لماذا سميت اليّ في بداية مرضي ؟ لعله كان يسعدني جداً أن أموت . أقلم أفهمك اليوم افهاماً كافياً أنك تعذبني ، وأنتك ... ترزعجنى وتضايقني ؟ ما حاجتكم هذه دائماً الى تعذيب الناس ؟ أؤكد لك أن هذا كله يؤخر شفائي ، لأنه يجعلني في حالة احتياج متصل . انظر الى زوسيموف : لقد انصرف حتى لا يهيجني . فأتركني بسلام . أنت أيضاً ، ناشدتك الله ! ثم أي حق لك في أن تهيجزني بالقوة ؟ ألا ترى أنني أملك عقلي كاملاً وأنا أكلمك في هذه اللحظة ؟ قل لي : بأية وسيلة أستطيع أن أمنعك من التثبث بي بعد الآن ، وأن أحملك على ألا تغدق عليّ نعيمك وآلاءك هذه ؟ افرض انني عقوق ، افرض انني أسوأ الناس طراً ؟ ولكن دعوني ، دعوني جميعاً ، ناشدتك الله ، دعوني ، دعوني !

كان راسكولنيكوف قد بدأ كلامه بلهجة هادئة ، متلذذاً منذ ذلك الحين بالسم الذي سينقذه ، ولكنه أنهى حديثه مهتاجاً خارجاً عن طوره

محتبس الأنفاس مخفق الصدر ، كما حدث له ذلك منذ قليل مع  
لوجين •

فكّر رازوميخين لحظةً ثم ترك ذراع صاحبه ، وقال له بهدوء ،  
شاردَ الفكر تقريباً :

– اذهب الى الشيطان !•••

فلما همّ راسكولنيكوف أن ينصرف ، زأر يقول له فجأة :

– انتظر ! أصغ الىّ ! اتنى أعلن لك أنكم جميعاً ، من أولكم الى  
آخركم ، لستم الا ثرثرايس صغاراً ، ومتبججين تافهين ! انكم ما ان يصبكم  
شر يسير حتى تحضنوه كما تحضن الدجاجة بيضها • وحتى في هذا  
انما أنتم تسرقون من الكتاب الأجانب ! ليس فيكم ذرة من حياة ، ليس فيكم  
ذرة من حياة شخصية أصيلة ! ليس ما يجرى في عروقكم دماً بل  
مصالاة • ما من أحد منكم يوحى الىّ بالثقة • همّكم الأول في جميع  
الظروف هو أن لا تسلكوا سلوك رجال •••

وهنا رأى أن راسكولنيكوف بهمّ أن ينصرف مرة أخرى، فصرخ  
يقول وقد تضاعف غضبه وخنفه :

– ق ••• ف ! أصغ الىّ حتى النهاية ! أنت تعلم أنني احتفل  
الليلة بانتقالى الى المسكن الجديد • وربما كان ضيوف قد وصلوا •••  
على أنني تركت هنالك عمى لاستقبالهم ( كذلك أسرع يضيف ) •••  
فاذا لم تكن أبله ، اذا لم تكن أبله كل البلاءة ، اذا لم تكن أبله متكبراً ،  
هذه ترجمة عن لغة أجنبية لا أدري أية لغة هي ••• اسمع يا روديا ،  
أنا أعلم أنك فتى ذكى ، ولكن هذا لا ينفي أنك أبله ••• فاذا لم تكن  
أبله ، فان مجيئك الىّ لقضاء السهرة عندى خير لك من أن تبلى نعلي

حذاميك متسكماً في غير طائل ، ما دمت قد خرجت !... وسأتيك  
بمقعد مريح رخص ... ان عند أصحاب البيت الذي أقيم فيه مقعداً من  
هذا النوع ... وتشرب فنجاناً من الشاي ، وتجالس الناس ... بل  
هناك ما هو خير من هذا : سأرقدك على مضجع ، ولكنك تكون بيننا على  
الأقل ... وسيجيء زوسيموف أيضاً ... سوف تأتي ، هه ؟

— لا •

هتف رازوميخين يقول نافد الصبر :

— لا تقل هذا • أنت لا تعرف نفسك • ثم انك لا تفهم من شئون  
الحياة شيئاً • لقد حدث لي ألف مرة أن بصقت على الناس ، ثم هرولت  
أسعى وراءهم • سوف تضجل من هذه العواطف ، وسوف ترجع الى  
البشر • تذكر عنواني اذن : عمارة بوتشكوف ، الطابق الثاني •

— يخيّل الى حقاً يا سيد رازوميخين أنك مستعد لأن تضرب في  
سبيل أن يكون لك على أحد فضل ومنة •

— أنا ؟ لا بل اننى مستعد لأن أجده أنف من توسوس له نفسه  
بذلك !

— لن أجيء يا رازوميخين •

قال راسكولنيكوف ذلك ثم استدار وانصرف •

صرخ رازوميخين يقول وراءه :

— أراهن على أنك ستجيء ... والا لم أكن أنا أنا ... اسمع :  
هل زامبوتوف في الحانة ؟

— نعم •

— رأيته ؟

— رأيته •

- وكلّمته ؟

- كلّمته •

- عمّ كلمته ؟ هيّا ، لا تقل اذا كنت لا تريد ان تقول • شيطان يأخذك ! العنوان : عمارة بوتشكوف ، رقم ٤٧ ، بيت بابوشكين • تذكر العنوان !

مضى راسكولنيكوف حتى شارع سادوفايا ثم انعطف وغاب • وقد تابعه رازوميخين بنظره شاردا الفكر حالماً ، ثم رفع كفيه تعبيراً عن عدم الاكتراث ، ودخل ، لكنه لم يلبث أن توقف على السلم ، وقال يحدث نفسه بصوت عالٍ : « شيطان يأخذه ! انه يتكلم كما يتكلم انسان سليم العقل ، ومع ذلك يشبه أن يكون ... ولكن ما أغباني ! ألا يتكلم المجانين كلاماً معقولاً جداً ؟ ثم ان ذلك بعينه هو ما يخشاه زوسيموف فيما يخجل الى » • • • • • وهنا لطم رازوميخين جبينه بيده متسائلاً : « ما عسى يحدث لو • • • كيف أتركه وحيداً في هذه اللحظة ؟ ان من الجائز جداً أن يلقي بنفسه في الماء • آه • • • لقد ارتكبت حماقة كبيرة ! ما كان ينبغي أن أتركه ينصرف ! » •

وأسرع رازوميخين يلاحق راسكولنيكوف ، ولكن لم يكن قد بقى لراسكولنيكوف أثر •

بصق رازوميخين على الأرض ، وقفل راجعاً الى « قصر الكريستال » بخطى واسعة ليسأل زامبوتوف بأقصى سرعة •

مضى راسكولنيكوف قدماً الى جسر « س • • • » \* ، فتوقف في وسط الجسر ، ووضع كوعيه على افريزه ، وأخذ ينظر الى بعيد • انه بعد أن ودّع رازوميخين قد بلغ من الضعف والاعياء والوهن أنه لم يجزّ ساقه الى هذا الموضع الا في كثير من المشقة والعناء • تمنى لو يجلس في أي مكان ، تمنى لو يرقد في عرض الشارع !

مال راسكولنيكوف على الماء ، وأخذ ينظر ، على غير شعور  
ولا ارادة ، الى أواخر الانكسارات الوردية لأشعة الشمس الغاربة ، والى  
صف المنازل التى يفسها الفسق رويداً رويداً • هذه غرفة بعيدة من  
الغرف التى تقع تحت السقوف تلتصق نافذتها وتوهج ، تحت شعاع  
الشمس الساقط عليها • وهذا ماء القناة يظلم مزيداً من الاظلام شيئاً بعد  
شيء • كان راسكولنيكوف يبدو كأنه ينظر بانتباه • ثم اذا بدوائر حمراء  
تأخذ تدور أمام عينيه ، واذا بكل شيء بعد ذلك ، اذا بالمنازل والمارة  
والأرصفة والعربات تأخذ تدور من حوله وتراقص • وها هو ذا يرى على  
حين فجأة مشهداً رهيباً فظيماً فاذا هو يرتجف فينجو من الاغماء • كان  
قد أحسَّ أن أحداً وقف بقربه ، فنظر فرأى امرأة فارعة الطول ، على  
رأسها خمار ، صفراء الوجه ، هزيلة ، عيناها حمراوان غائرتان فى  
حجابيهما من السكر • كانت المرأة تنظر اليه فى عناد ، ولكن كان  
واضحاً أنها لا تبصر شيئاً ولا تميز أحداً • وها هى ذى تضع ساعدها  
قائماً على الافريز ، ثم ترفع قدمها اليمنى فتخطو خطوة فوقه وتتبعها  
بالقدم اليسرى فتلقى بنفسها فى الماء • دوى الماء الموحد من صدمة  
سقوطها ثم ابتلع فريسته على الفور ، ولكن المرأة الغريق لم تلبث أن  
طفت على السطح بعد دقيقة واحدة ، ثم جرت مع التيار غاطسة الرأس  
والقدمين ، طافية الظهر ، قد انتفخ ثوبها فكأنه لحاف •

صرخت عشرات من الأصوات :

— انها تفرق ، انها تفرق !

فهرع الناس ، فسرعان ما امتلأ بهم الرصيفان ، واحتشد الجمهور  
على الجسر حول راسكولنيكوف يصدمه ويعصره عصراً •  
وهتفت امرأة تقول ، من مكان غير بعيد ، بصوت نادب شاكٍ :

– رباه ! هذه أفروزينوشكا • ألقنوها أيها الأخيار الطيبون !  
انقنوها !

وأخذ بعض المحتشدين يصرخون :

– علينا بقارب ، علينا بقارب !

ولكن لم يبق ثمة داع الى قارب : فان شرطياً من شرطة المدينة أسرع يهبط سلباً يفضي الى القناة ، ثم خلع معطفه وحذاءيه ، وألقى بنفسه في الماء ، ولم يلق عناءً كبيراً في اللحاق بالمرأة الغريق ، فان تيار الماء قد حملها حتى صارت على بعد خطوتين من الضفة ، فما هي الا أن قبض على ثوبها بيده اليمنى ، وأمسك باليد اليسرى عصا مدّها اليه زميل له ، حتى أخرجت المرأة من الماء ، وأضجعت على الدرجات الصخرية • ولم تلبث أن تاب اليها وعيها ، فنهضت ، وجلست ، وأخذت تعطس وتشخر وتعصر ثيابها المبتلة مروّعةً مبهوثة • ولم تنطق بكلمة واحدة • أعولت تلك المرأة نفسها قاتلةً ، قرب أفروزينوشكا في هذه المرة :

– لقد ركبها ألف عفريت أيها الاخوة • حاولت منذ مدة أن تشنق نفسها ، فأخرجنا عنقها من الحبل • ومضيتُ اليوم الى البقال بعد أن أوصيت الصغيرة بمراقبتها ، فاذا بالمصيبة تقع •• هي جارتنا يا أخي ، جارتنا • نحن نسكن في مكان قريب ، في العمارة الثانية ، هناك ، آخر الشارع •••

تفرق الحشد ، وظل الشرطيان منهماكين حول المرأة الغريق • وهذا صوت يصرخ متكلماً عن شيء يتصل بقسم شرطة ••• ان راسكولنيكوف ينظر الى هذا كله وهو يحس احساساً غريباً بعدم الاهتمام وقلة الاكتراث • وها هو ذا يشعر بنفور وتقزز ، ثم يقول مجمجماً :  
« لا ، لا ، هذا شيء يدعو الى الاشتزاز ••• الماء ••• لا فائدة منه •••

لن يحدث شيء ... ما فائدة الانتظار اذن ؟ أما قسم الشرطة ... ولكن لماذا غاب زاميتوف عن القسم ؟ ان مكاتب قسم الشرطة تظل مفتوحة حتى الساعة التاسعة . وأدار راسكولنيكوف ظهره للأفريز ، ونظر حواليه . ثم قال بلهجة جازمة : « لم لا ؟ ليكن ! » . وغادر أفريز الجسر وسار متجهاً الى قسم الشرطة . كان قلبه خالياً مغلقاً . كان لا يريد أن يفكر . حتى القلق تبدد . لم يبق في نفسه أثر من انتفاضة القوة تلك التي أخرجته من غرفته « لينتهي من الأمر » . وحلّ محلّ تلك القوة خمولٌ وخمود وتبلد .

قال لنفسه وهو يسير على رصيف الجسر بملل وكسل وتوان : « نعم ، هذا أيضاً حل . سأنهى من الأمر مع ذلك ، لأننى أريد أن انتهى منه . ولكن هل هذا هو الحل حقاً ؟ آه ... لا خير ... سيبقى لي موطن . قدم من الأرض أقف عليه . ولكن يا لها من نهاية ! هل يمكن أن يكون هذا نهاية ؟ أقول لهم الأمر أم لا أقوله ؟ ولكن دعنا من هذا ! اننى متعب مكود مرهق . يجب أن أضطجع حالاً ، يجب أن أقعد في مكان ما . أعيب ما في الأمر أن هذا كله غباء ! هيا ، ابصق على هذا أيضاً ! آه ... ما أكثر الحماقات التي يمكن أن تصاور فكرنا أحياناً ! » .

كان على راسكولنيكوف ، من أجل الوصول الى قسم الشرطة ، أن يمضي في أول الأمر قدماً ، ثم أن يلتفت يسرةً عند الشارع الثاني . ولكنه توقف قبل أن يصل الى العطفة الأولى ، وفكّر ، ودخل في زقاق ضيق ، ثم تجول في شوارع أخرى ، ربما بدون نية محددة تماماً ، ولكن ربما ليهب لنفسه مهلة جديدة أيضاً ، ليكسب فسحةً من وقت . كان يسير مطرقاً الى الأرض . وفجأة أحسّ كان أحداً يهمس في أذنه ،



فرفع رأسه ، فوجد نفسه أمام « تلك » العمارة ، أمام مدخلها تماماً •  
انه منذ « ذلك » المساء لم يكن قد عاد الى المكان •

وهذه رغبةٌ لا سبيل الى مقاومتها ولا يمكن تفسيرها ، تسيطر عليه وتستبد به • دخل العمارة ، ونفذ الى الباب الأول ، الباب الأيمن ، وأخذ يصعد السلم الذى يعرفه جيداً ، حتى وصل الى الطابق الثالث • كان ظلام حالك يلف السلم الوعر الضيق • وقد توقف راسكولنيكوف على فسحة السلم عند كل طابق ، فكان ينظر حوالبه مستطعماً مشوقاً • هذا زجاج النافذة فى الطابق الأرضى قد أُبدل • قال راسكولنيكوف يحدث نفسه : « انه لم يكن هكذا فى ذلك اليوم » • ثم وصل الى المسكن الذى يقع فى الطابق الأول حيث كان يعمل يقولوا ودمترى • « البيت مغلق ، وقد أُعيد دهن الباب • معنى ذلك أن البيت معد للايجار » • وهذا هو الطابق الثانى ، ثم هذا هو الطابق الثالث • « هنا » • توقف راسكولنيكوف مسمراً : كان باب البيت مفتوحاً تماماً ، وكان فى البيت ناس ، ان كلامهم مسموع • لم يكن راسكولنيكوف يتوقع هذا • وبعد تردد قصير ، صعد الدرجات الأخيرة ، ودخل البيت •

انه يُجدّد أيضاً • ان فيه عمالاً • بدا راسكولنيكوف كالذهول • لقد كان يتصور ، دون أن يدري لماذا ، أنه سيجد البيت كما تركه تماماً ؛ حتى الجنتين كان يتصور أنه سيجدهما راقدين على أرض الغرفة فى ذلك الموضع نفسه • فماذا يرى الآن : جدراناً عارية ، وما من أثاث ! ما أغرب هذا ! تقدم نحو النافذة وجلس على حافتها •

لم يكن هنالك الا عاملان اثنان • انهما شابان ولكن أحدهما أكبر سنّاً من الثانى بكثير • كانا يفرشان الجدران بورق أبيض ذى أزهار صغيرة بنفسجية ، بدلاً من الورق القديم الأصفر الحائل المزق • شعر

راسكولنيكوف من ذلك بأسف • وأخذ ينظر الى الورق الجديد مغتاضاً ،  
كأنه يتحسر على أن تغيراً قد حدث •

يبدو أن العاملين قد أطلا يوم عملهم • وهما الآن يرتبان لفافات  
الورق ، ويستعدان للعودة الى المنزل • لم يلفت ظهور راسكولنيكوف  
انتباههما • صالب راسكولنيكوف ذراعيه على صدره وراح يصنى الى  
حديثهما •

قال الأكبر للأصغر :

— جاءتني منذ الفجر ، لا بسةً أجمل الثياب • قلت لها : « مالك  
تفجنين هذا الغنج » ، فقالت لى : « أريد بعد الآن يا تيتى فاسيلتش أن  
أكون لك جسماً وروحاً ! » • أسمعت ؟ ولبتك رأيت الثياب التى كانت  
تلبسها • لكأنها صورة من صور الموضة ، صورة حقيقية من صور  
الموضة •

سأله الأصغر :

— وما صورة الموضة هذه يا عزيزى ؟  
كان واضحاً أن الأصغر يتعلمذ على الأكبر •

— صورة الموضة واحدة من تلك الصور الملونة التى تصل الى  
الخطاطين بالبريد من الخارج كلَّ سبت • والغاية منها أن تُرى الناس  
كيف يجب أن يلبسوا ، رجالاً ونساءً • هى رسم • فأما الرجال  
فثيابهم هى الرذنجوت ، ولكن يجب أن ترى قسم ثياب النساء •• هناك  
حدّك ولا حرج ••• مهما تقل عنها فلن توفىها حقها !•••  
هتف الأصغر يقول مفتوناً بهذا الحديث :

— ما أكثر ما يراه المرء فى « بيتر » \* هذه ! ان المرء يرى فيها كل  
شئ حقاً ، عدا امه وابيه !

قال الأكبر في رصانة :

— نعم ، يرى كل شيء عدا أمه وأبيه !

نهض راسكولنيكوف ومضى الى الغرفة الثانية التي كانت في الماضي تضم الصندوق والسرير والحزانة ذات الأدراج • فلما رآها خالية من الأثاث بدت له صغيرة صفراً رهيباً • لم يُبدل ورق جدرانها • وفي الركن ، يرى المكان القديم الذي كانت فيه الأيقونات • نظر راسكولنيكوف حواليه ، ثم عاد الى النافذة يجلس على حافتها • نظر اليه العامل الكبير نظرة شذراء وسأله بخشونة :

— ماذا تفعل هنا ؟

ولكن راسكولنيكوف لم يجبه ، بل نهض وخرج الى فسحة السلم ، فأمسك بجبل الجرس وشدّه • هو ذلك الجرس نفسه ، وهو ذلك الرنين نفسه • شدّ الجرس مرة ثانية فمرةً ثالثة • فكان يصغي ويتذكر • عاوده الاحساس الذي شعر به في ذلك اليوم ، ذلك الاحساس الغريب الكاوي ، عاوده بحدة ما تنفك تقوى شيئاً بعد شيء • فكان يرتعش كلما رنّ الجرس مرةً جديدةً ، وكانت لذته تزداد •

صرخ العامل يقول وهو يمضي اليه ممتعضاً :

— ماذا تريد ؟

فعاد راسكولنيكوف الى الغرفة • وقال :

— أنا أبحث عن مسكن أستأجره ، وقد جئت أرى هذا البيت !

قال العامل :

— ما من أحد يزور مسكناً في الليل • ثم ان عليك أن تصطحب

البواب •••

- تابع راسكولنيكوف كلامه فقال :
- أرى أن الأرض قد غُسلت • هل سيُعاد دهنها ؟ لم يبق دم •  
- دم ؟
- لقد قُتلت العجوز واختها • كان ههنا بركة دم •••
- صاح العامل يقول قلقاً :
- ولكن من أنت ؟
- أنا ؟
- نعم أنت •
- تريد أن تعرف ؟ تعال معى اذن الى قسم الشرطة • هناك سأقول لك من أنا •
- نظر العاملان كل منهما الى الآخر مبهوتين • وقال الأكبر للأصغر :
- هلمَّ ••• لقد آن لنا أن ننصرف ، حتى لقد تاخرنا • هيّا يا ألبوشا ! يجب أن تغلق •••
- قال راسكولنيكوف بلهجة طليقة :
- هلموا ننصرف !
- وخرج أول الخارجين ، وهبط السلم ، حتى اذا وصل الى الباب المطل على القناء ، صرخ ينادى البواب :
- هيه ! يا بواب !
- وكان يقف عند باب العمارة عدة أشخاص ينظرون الى المارة هم البوابان وامرأة وتاجر صغير يرتدى ثوباً من ثياب المنزل ، وأناس آخرون • مضى راسكولنيكوف اليهم قُدماً •

سأله أحد البوابين :

- ماذا تريد ؟

- هل ذهبت الى قسم الشرطة ؟

- عدت منه منذ برهة • ماذا تريد ؟

- أما يزالون هناك ؟

- ما يزالون هناك •

- وهل كان مساعد مفوض الشرطة هناك أيضاً ؟

- وكان مساعد مفوض الشرطة هناك أيضاً • ماذا تريد ؟

لم يجب راسكولنيكوف وتسمّر بين الواقفين حالاً •

اقترب العامل الكبير وقال :

- جاء يرى البيت •

- أى بيت ؟

- البيت الذى نعمل فيه • سألتنا : « لماذا غُسل الدم ؟ » • ثم

قال : « ارتكبت هنا جريمة قتل ، وأنا أريد أن أستأجر البيت » • وقد

أخذ يشد حبل الجرس ، حتى كاد ينتزعه • ثم قال : « هلموا بنا الى

قسم الشرطة ، فسأقول لكم هناك كل شيء » ، وألحَّ فى هذا •

نظر البواب الى راسكولنيكوف متحيراً مرتاباً •

• ثم صرخ يسأله مهدداً :

- ولكن من أمت ؟

- روديون رومانوفش راسكولنيكوف ، طالب سابق • وأسكن

قريباً من هنا ، فى زقاق مجاور ، عمارة شيل ، شقة ١٤ ؟ اسأل عنى

بواب العمارة • انه يعرفنى •

قال راسكولنيكوف ذلك كله بلهجة وانية ، شارد الفكر ، حتى دون أن يلتفت ، فقد كان يحدّق الى الشارع الذى اجتاحه الظلام منذ الآن .

– ولماذا جئت الى هذا البيت ؟

– لأراه .

– ما رأيك فى أن نقفادك الى قسم الشرطة ، هه ؟

كذلك قال التاجر الصغير فجأة ، ثم أسرع يصمت .

نظر اليه راسكولنيكوف من فوق كتفه ، وتفرس فيه بانتباه ، ثم قال له بلهجة ما تزال وانية هادئة :

– موافق ، هلمّوا بنا الى قسم الشرطة !

استأنف التاجر الصغير كلامه فقال بثقة أكبر :

– نعم ، يجب اقتياده الى قسم الشرطة . لكن جاء « لهذا » الغرض ،

فان ذلك يدل على أن هناك شيئاً يشغل باله ، أليس كذلك ؟

جمعهم العامل يقول :

– أهو سكران أم لا ؟ الله وحده يعلم !

وعاد البواب يصرخ وقد أخذ يغضب حقاً :

– ولكن ماذا دهاكم جميعاً ؟ وأنت ، ما مجيئك إلينا لتزعجنا هذا

الازعاج ؟

قال راسكولنيكوف ساخراً :

– ها ... انك تخاف الذهاب الى قسم الشرطة !

– ممّ عسانى أخاف ؟ ولكن لماذا تأتى إلينا فتزعجنا هذا الازعاج ؟

قالت المرأة :

- هذا لص !

فقال البواب الآخر ، وهو فلاح ضخم يرتدى معطفاً فضفاضاً ،  
ويحمل مجموعة من المفاتيح معلقة بحزامه :

- نعم ، علام تناقشه ؟ اخرج من هنا أيها المتشرد ... هياً  
انصرف • أقول لك انصرف !

ثم أمسك راسكولنيكوف من كتفه ، ورماه الى الخارج ، فترنج  
راسكولنيكوف وكاد يهوى على الأرض ولكنه لم يسقط ، ثم انتصب  
ونظر الى جميع المشاهدين صامتاً ثم مضى •

قال العامل :

- انسان عجيب !

فعمقت المرأة قائلة :

- جميع الناس عجبون في هذه الأيام !

وأضاف التاجر الصغير يقول :

- كان ينبغي أن نقتاده الى الشرطة مع ذلك •

فقال البواب الكبير يحسم المناقشة :

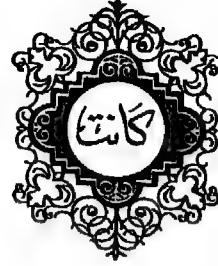
- علام تقتاده الى الشرطة ؟ هو محتال ما في ذلك ريب ، ولو  
اقتدناه الى الشرطة لما عرفنا كيف نتخلص منه ، أنا أعرف أمثال هؤلاء  
الناس !...

تساءل راسكولنيكوف وهو يقف في عرض الطريق عند احد  
المفارق وينظر الى ما حوله كأنه ينتظر أن يهديه أحد الى الحل الحاسم  
والقول الفصل : « أذهب الى الشرطة أم لا أذهب ؟ » • ولكن ما من  
جواب جاءه من أى مكان • كان كل شيء أصمّ ميتاً كالخجاجة التي كان

يسير عليها •• ميتاً بالنسبة إليه وحده • وها هو ذا يلمح فجأة ، في بعيد ،  
على مسافة مائتي خطوة ، في آخر الشارع ، في الظلام المتزايد ، ها هو ذا  
يلمح احتشاداً ، ويسمع جلبةً وصراخاً • وكانت تقف عربة في وسط  
الجمهور المحتشد • دار راسكولنيكوف يمنةً واتجه نحو الحشد • كان  
يبدو حقاً أنه يريد أن يتشبث بأى شيء ، فلما أدرك هو ذلك ضحك  
في فتور ، لأنه كان يعرف أن قراره فيما يتعلق بالشرطة قد اتخذ وانتهى  
الأمر ، وكان يعلم علم اليقين أن كل شيء سيكون قد انتهى بعد قليل •



## الفصل السابع



تقف في وسط الشارع عربة ايفة من عربات  
السادة ، قد قُرن بها حصانان اشهبان قويان  
نائران . وكانت خالية قد نزل حوذها عن  
مقعده ووقف الى جانبها يشد الحصانين باللجام ؛  
وقد تجمهر حولها عدد كبير من الناس ، وراء حاجز من رجال الشرطة .  
وكان أحد رجال الشرطة يحمل بيده مصباحاً مشتعلًا قد مال به الى  
تحت يضيء بنوره شيئاً كان يوجد على أرض الشارع ملتصقاً بالمجلات .  
وكان جميع الناس يتكلمون ويصرخون ويصيحون ، وكان الحوذى  
مضطرباً يردد بين الفينة والفينة قوله :

— يا للمصيبة ! رباه ! يا للمصيبة !

استطاع راسكولنيكوف أن يشق لنفسه ممراً ، فأفلح أخيراً في  
أن يرى ذلك الشيء الذى يثير هذا الاضطراب القوى وهذا الفضول  
الشديد . انه رجل يرقد على الأرض دامياً مغطياً عليه يرتدى ثياباً  
فقيرة رثة لكنها من ثياب « السادة » ، قد داسه الحصانان ، فالدم يسيل  
من جميعته ومن وجهه المتخن المهشم المحطم . كان واضحاً أن الحادث  
خطير .

صاح الحوذى نادياً شاكياً :

- يا رب السماء ! كيف كان يمكن أن أتفاداه ! لا العربة كانت مسرعة ، ولا أنا سكت فلم أصرخ منبهاً ! كانت العربة تسير في رفق ، كان تسير على مهل • جميع الناس رأوا ذلك • ان كنت أكذب فقد كذب اذن جميع الناس • ولكن السكران لا يرى حتى في وضع النهار ... هذا معروف • أبصرته يجتاز الشارع مترجاً حتى ليكاد يتهاوى على الأرض من شدة السكر • صرخت أنبّهه ، مرةً ، مرتين ، ثلاث مرات • • • ولجمت الحصانين ، ولكن ها هو ذا يمشى اليهما قدماً فيسقط بين حوافرهما • • • فلما أنه فعل ذلك عامداً ، واما أنه قد بلغ منه السكر كل مبلغ • • • وحصاناي مهران صغيران عصيان ، فهما يجمحان ، وهما هوذا يصرخ فيزداد جموحهما فتقع المصيبة • • •

قال أحد شهود الحادث :

- نعم ، ذلك ما حدث •

وقال صوت آخر :

- نعم ، لقد صرخ الحوذى ، صرخ ثلاث مرات •

وقال ثالث مؤيداً :

- نعم ، ثلاث مرات ، جميع الناس سمعوا • • •

على أن الحوذى لم يكن منهار الغزيمة ولا شديد الخوف • وكان واضحاً أن المركبة يملكها شخص ثرى لا بد أنه كان ينتظر وصولها في مكان ما • وهذه حقيقة لم تغرب عن بال رجال الشرطة طبعاً ، ولا أسقطوها من الحساب • لم يبق اذن الا أن يُنقل المصاب الى قسم الشرطة وإلى المستشفى • ولم يكن أحد يعرف اسمه •

في أثناء ذلك ، كان راسكولنيكوف قد تسلل الى وسط الجمهور ،

ومال على الأرض ، فاذا بالمصباح الصغير يضيء وجه الشقى على حين فجأة ، واذا براسكولنيكوف يتعرفه فوراً •

صرخ يقول وهو يندفع الى الصف الأول :

— أنا أعرفه ! أنا أعرفه ! هو موظف محال على التقاعد ، هو الموظف مارميلادوف • انه يسكن قريباً من هنا ، فى عمارة كوسل ••• اسرعوا ، نادوا طبيباً ! سأدفع ! خذ •••

قال ذلك وأخرج من جيبه مالاً فعرضه على احد رجال الشرطة • كان راسكولنيكوف فى حالة اضطراب تبعث على الدهشة •

سُرَّ رجال الشرطة بمعرفة شخص المصاب • وأسرع راسكولنيكوف يعرف بنفسه أيضاً ، فذكر اسمه ، وذكر عنوانه ، وألحَّ أُلحاحاً شديداً ، كما لو كان المصاب أباه ، على أن يُنقل مارميلادوف الى مسكنه • وكان مارميلادوف ما يزال فاقداً وعيه مغشياً عليه • قال راسكولنيكوف متعجلاً :

— بيته هناك : بعد ثلاث عمارات • انه يسكن فى عمارة كوسل • الألمانى الغنى ••• لا شك أنه كان سكران عائداً الى بيته • أنا اعرفه • انه سكير ••• له أسرة ، وزوجة ، وأولاد ، وبنت • لماذا المستشفى ؟ ان نقله الى المستشفى يستغرق وقتاً طويلاً • ولا بد أن يوجد فى عمارته طبيب • سوف أدفع ، سوف أدفع • فبذلك يعتى به ذووه ، ويفعلون ما يجب فعله فوراً • والا كان يتعرض للموت حتى قبل أن يصل الى المستشفى •

وأفلح راسكولنيكوف فى أن يدسَّ قطعة نقدية فى يد احد رجال الشرطة • وكانت القضية من جهة أخرى واضحة شرعية • وبدا

على كل حال أن نقل الجريح الى بيته أبسط وأيسر • فرفع المصاب وحمل ، ووجد من يساعد في ذلك • كانت عمارة كوسل تقع على مسافة ثلاثين خطوة • فكان راسكولنيكوف يعيش وراء الجريح سائداً رأسه بكثير من الحذر والاحتياط ، وكان يدل الآخرين على الطريق •

— من هنا ! من هنا ! وحين نصعد السلم يجب أن نجعل رأسه عالياً ••• دوروا ••• نعم هنا ••• سوف أدفع ••• أشكر لكم صنعكم •••

كذلك كان يدمدم راسكولنيكوف •

كانت كاترين ايفانوفنا ، على عاداتها كلما أتتحت لها دقيقة من فراغ ، تسير في غرفتها الصغيرة طويلاً وعرضاً ، فتمضي من النافذة الى المدفأة ومن المدفأة الى النافذة ، مصالبةً ذراعيها على صدرها ، مكلمةً نفسها ، ساعلةً من حين الى حين • ولقد تعودت منذ مدة من الزمن أن تتحدث مزيداً من التحدث الى ابنتها الكبرى بولينكا التي يبلغ عمرها عشر سنين والتي كانت ، رغم أنها لا تستطيع أن تفهم أشياء كثيرة بعد ، تدرك حقاً الادراك أن أمها في حاجة اليها ، فكانت لذلك تتابعها بنظراتها الذكية محمقةً ، وتبذل كل ما تملك من قوة في سبيل أن تتمثل ما كانت تقولها • وفي تلك اللحظة ، كانت بولينكا تنضو عن أخيها الصغير ثيابه لتضعه في السرير بعد أن لبث مريضاً طوال النهار ، فكان الصبي الصغير ، بانتظار ابدال قميصه الذي يجب أن يغسل في تلك الليلة نفسها ، جالساً على كرسي ، رزيناً صامتاً • كان متصب الجسم ، ساكناً ، ملصقاً ساقيه احدهما بالأخرى ، موجهاً ابهاميه الى الخارج ، نافخاً خديّه ، محملاً بعينه ، يصغى الى ما كانت تقوله أمه لأخته دون أن يتحرك ، كما ينبغي للصغار العقلاء حين تُخلع عنهم ثيابهم للنوم • وكانت البنت الثانية ، وهي أصغر سنّاً منه ، وثيابها أظمار بالية تماماً ، تنتظر

دورها واقفةً قرب الحاجز • وكان الباب المطل على فسحة السلم مفتوحاً على سعته كلها ، من أجل أن يهرب منه ولو جزءٌ من دخان التبغ الذى يأتى من الغرف الأخرى ، ويسبب للمصدورة المسكينة نوبات سعالٍ طويلة أليمة قاسية • لقد نحلت كاترين ايفانوفنا مزيداً من النحول منذ أسبوع ، وأصبحت البقع الحمراء على خديها مضطربةً مزيداً من الاضطراب •

كانت تقول لابنتها وهى تذرع الغرفة جيئةً وذهاباً :

- لا تستطيعين أن تعرفى ، لا تستطيعين أن تتخيلي ، يا بولينكا ، نوع الحياة الفرحة المرححة الباذخة التى كنا نحياها فى دار بابا ، ولا نوع الشقاء الذى نزل علىَّ بسبب هذا السكَّير ، والذى سينزل عليكم اتم جميعاً كذلك • كان بابا فى رتبة تعدل رتبة كولونيل • كان يوشك أن يصبح حاكماً ، لم يكن عليه الا أن يخطو خطوة واحدة حتى يصبح حاكماً ؛ لذلك كان جميع الناس يجيئون اليه ويقولون له : نحن نعدُّك حاكماً لنا منذ الآن يا ايفان ميخائيلش • وحين ... كح كح كح ...

لعن الله هذه الحياة ... ( صاحت تلعن الحياة هكذا وهى تبصق وتضفط صدرها ) - نعم ، حين ... آه ... حين رأيتى الأميرة بيزيملى ، فى آخر حفلة رقص ، عند ماريشال النبالة - وهذه الأميرة هى التى باركنى حين تزوجت أباك يا بوليا - نعم ... حين رأيتى أسرع تسأل على الفور : « أليست هذه الفتاة الفتانة هى التى رقصت رقصة الشال حين تخرجت من المدرسة الداخلية ؟ » • - يجب ترقيع هذا الثقب ، عليك أن تأخذى ابرة وخطافاً فترقيه ، كما علمتك ، والا فانه ... كح ...

غداً ... كح كح كح ... سيتسع مزيداً من الاتساع ( صرخت تقول ذلك صراخاً وقد هدَّها السعال ) • وفى ذلك الأوان انما وقد الينا من بطرسبرج شاب من الحاشية هو الأمير ستشيجولسكى ... ررقص معى

رقصة مازوركا ، فاذا هو يجيء في الغداة يريد أن يخطبني... فشكرته  
 باللفظ العبارات ، ولكنني صرفته قائلة له ان قلبي يملكه رجل آخر منذ  
 مدة طويلة ، وهذا الآخر هو أبوك يابوليا . وغضب أبوك غضباً شديداً...  
 هل أعد الماء ؟ هيأتني باقميص • والجوارب ، أين هي ؟ يا لبيديا  
 ( كذلك قالت لصغرى بنتها ) ستنامين هذه الليلة بدون قميص...  
 دبّري أمرك... ودعي الجوربين جانباً كذلك... سأغسلهما في الوقت  
 نفسه... ألن يعود هذا الرث السكران ؟ لقد لبس قميصه حتى أصبح  
 وسخاً كمنسحة • ومزقه أيضاً • أتمنى لو أغسل كل شيء دفعةً  
 واحدة • فبذلك لا أتعب ليلتين متواليتين •• يارب ! كح كح كح...  
 ما هذا أيضاً ؟ ( هتفت تسأل هذا السؤال وهي ترى جمهوراً على فسحة  
 السلم ، وترى مع الجمهور أشخاصاً يحملون حِملاً ويحاولون أن  
 يشقوا طريقهم نحو الغرفة ) ماذا جرى ؟ ماذا يحملون ؟ ربه !

سأل الشرطي وهو ينظر حواليه بينما كان يحمل مارميلادوف  
 الى الغرفة دامياً مغشياً عليه :

— أين نضعه ؟

قال راسكولنيكوف :

— على الديوان ! أضجعوه على الديوان ، واجعلوا رأسه في هذه  
 الجهة •

صاح يقول واحد وهو على فسحة السلم :

— داسته عربة في الشارع •

وقفت كاترين ايفانوفنا جامدة ، شاحبة الوجه ، تتنفس بصعوبة  
 ومشقة • وأطلقت ليدوتشكا صرخة وهرعت الى بولينكا ، فعانقتها وهي  
 ترتجف بجميع أعضاء جسمها •

حتى اذا أٌضحج مارميلادوف على الديوان ، هرع راسكولنيكوف الى كاترين ايفانوفنا ، وقال لها مسرعاً :

— اهدئي ناشدتك الله ، لا تضطربي !... كان يجتاز الشارع ، فمرت عربية فوقه • لا تقلقى • سيصحو من اغمائه • أنا أمرت بحمله الى هنا • لقد جئت اليكم مرةً قبل الآن ، هل تذكرين ؟ سيفيق من غيبوبته • سوف أدفع !

صاحت كاترين ايفانوفنا تقول يائسةً وهى تندفع نحو زوجها :

— نال ما كان يسعى اليه !

لم يلبث راسكولنيكوف أن لاحظ أن هذه المرأة ليست من تلك النساء اللواتي يغمى عليهن لأسير الأسباب • ويمثل لمح البصر سرعةً وضعت وسادةً تحت رأس المسكين : ما من أحد قد خطرت بباله هذه الفكرة من قبل • ثم أخذت كاترين ايفانوفنا تخلع ثيابه ، وتفحصه بدون تعجل ، ناسيةً نفسها ، عاضةً على شفتيها ، تكظم الصرخات التى تهم أن تطلق من صدرها •

وفى أثناء ذلك استطاع راسكولنيكوف أن يقنع أحد الحضور بأن يعضى يستدعى طبيباً • وكان يوجد طبيب فى عمارة مجاورة •

وكرر يقول لكاترين ايفانوفنا :

— أرسلت فى طلب طبيب • لا تقلقى • سوف أدفع • أليس عندكم ماء ؟ وأعطني أيضاً فوطه ، منشفة ، أى شئ ، بسرعة ! لا نعلم بعد هل جرحه بليغ ••• على كل حال ، هو جريح وليس قتيلاً ••• هقى بذلك ••• لنتنظر ما سيقوله الطبيب •

هرعت كاترين ايفانوفنا الى النافذة • كان يوجد هناك ، فى ركن ،

على كرسى خاسف ، طست كبير من فخار ، مملوء ماءً ، قد هيأته من أجل أن تغسل فى الليل ملابس أولادها وزوجها • ان كاترين ايفانوفنا هى التى تتولى غسل الملابس بيديها ليلًا ، وهى تفعل ذلك مرتين فى الأسبوع على الأقل ، وقد تفعله أكثر من مرتين أحياناً ، ذلك انهم قد وصلوا الى حيث أصبحوا لا يملكون من كل ملابس من الملابس الا قطعة واحدة لكل فرد تقريباً • وكاترين ايفانوفنا لا تحتل الوسادة ، أو قل لا تطيق أن ترى الأدرا ن تسود بيتها ، وتؤثر على هذا ان تقوم فى الليل ، بينما الجميع نائمون ، بعمل تفرضه على نفسها ويفوق طاقتها : تغسل الملابس ثم تشرها على حبل لتجف ، بغية أن تجد الاسرة أشياءها نظيفة فى الصباح •

حملت الطست كما أمرها بذلك راسكولنيكوف ، وكادت تسقط معه على الأرض • وكان راسكولنيكوف قد استطاع فى أثناء ذلك ان يشر على منشفة • قبلها بالماء وأخذ يغسل وجه مارمیلادوف الدامى • وكانت كاترين ايفانوفنا تقف الى جانبه ، متنفسةً بمشقة وصعوبة ، ضاغطة صدرها بيديها • لقد كانت هى نفسها فى حاجة الى اسعاف • وبدأ راسكولنيكوف يقول لنفسه انه لعله قد اخطأ سداد الرأى حين الح على ضرورة نقل المريض الى هنا • وكان الشرطى مرتبكاً حائراً •

وصاحت كاترين ايفانوفنا تقول لابنتها :

- بوليا \* ، اذهبي الى أختك صونيا ، وأحضريها بسرعة • فاذا لم تجديها فى مسكنها ، فلا بأس ••• قولى ان أباه قد داسته خيول ، وان عليها أن تجيء حالا متى عادت • أسرعى يا بوليا ! خذى ، ضعى هذا المنديل على رأسك •

وصرخ الصبى الصغير من على كرسيه يهيب بها أن تسرع قائلاً :



— أثلعي (أسرعى) ...

قال ذلك وعاد يفرق في صمته ، واسترد وضعه : محملق العينين ، متصلب الجذع ، متجمد الجسم ، مشدود الساقين .  
وامتلأت الغرفة بالناس في أثناء ذلك ، فلو أُلقيت تفاحة لما سقطت على الأرض من شدة ازدحامهم . وانصرف رجال الشرطة ، الا واحداً بقي الى حين ، بغية أن يصد الجمهور الذى كان يصل من السلم ويتدفق نحوه من جديد . ان جميع المستأجرين الذين يسكنون عند مدام ليفكسيل قد هرعوا من غرفتهم التى تقع في آخر البيت : تجمعوا في أول الأمر على الباب ، ثم اجتاحوا الغرفة نفسها .

غضبت كاترين ايفانوفنا ، فصرخت تخاطب الناس :

— دعوه يموت بسلام على الأقل . آه... ما هذا الذى تفعله انت ؟  
أسيجارة في فمك كأنك في مسرح ؟ كح كح كح ! لم يبق الا أن تحتفظوا بقبعتكم على رموسكم أثناء رؤية المشهد . هه... هذا واحد قد احتفظ بقبعته على رأسه فعلاً ! هيا اخرجوا من هنا ... احتراموا الأموات على الأقل !

قالت ذلك ثم خنقتها نوبة سعال شديدة . ولكن تقرعها كان له أثره . واضح أنهم يخشون كاترين ايفانوفنا بعض الخشية . فهاهم اولاء سكان البيت يتجهون نحو الباب واحداً بعد آخر ، وهم يشعرون بذلك الاحساس الغريب ، احساس اللذة الذى يلاحظ دائماً حتى لدى أقرب الأقرباء أو الأصدقاء حين يرون شقاءً يحل بأحد ؛ وهو احساس لا يخلو منه انسان ، مهما يكن أسفه ومهما تكن شفقتة من جهة اخرى .

وكانت تسمع وراء الباب شذرات أحاديث يدور فيها الكلام على المستشفى ، وعلى أنه ليس من اللائق تعكير صفو عمارة في غير طائل .

صرخت كاترين ايفانوفنا تقول :

— ماذا ؟ ليس من اللائق أن يموت الانسان ؟

وهمت أن تفتح الباب وأن تصبّ على هؤلاء الناس سيلا من الشتائم ، ولكنها حين وصلت الى العتبة رأت نفسها تصطدم بمدام ليفكسل نفسها التى علمت بالمصيبة فأسرعت تعيد النظام الى نصابه .

ان مدام ليفكسل هذه المأنية مشاكسة مزعجة .

قالت وهى تصفق يديها احدهما بالأخرى :

— آه ... يا رب ! زوجك داسه حصان وهو سكران . الى المستشفى ، الى المستشفى انما كان يجب ... أنا صاحبة البيت ...

فقالت كاترين ايفانوفنا فى تعالٍ وكبرياء :

— أرجوك يا آماليا لودفيجوفنا أن تفكرى فيما تقولين ... يا آماليا لودفيجوفنا ...

كانت كاترين ايفانوفنا تخاطب صاحبة البيت دائماً فى تعالٍ وكبرياء ، كما « تلزم هذه حدودها » ؛ ولم تستطع حتى فى هذا الظرف أن تحرم نفسها من هذه اللذة .

قالت مدام ليفكسل :

— قلت لك مرة واحدة الى الأبد أن لا تسمينى آماليا لودفيجوفنا قط . أنا آماليا ايفانوفنا .

— أنت لست آماليا ايفانوفنا ، بل آماليا لودفيجوفنا ؛ وأنا لست واحدة من أولئك الذين يتملقونك تملقاً ذليلاً ، ومنهم السيد ليزياتيكوف الذى تدوى قهقهاته فى هذه اللحظة نفسها وراء الباب ( وكان يدوى

وراء الباب ضحكٌ فعلاً، وكانت تُسمع هذه الجملة : « ها هما تهما سكان  
بالأيدى ! » ، فأننى سأسميك دائماً آماليا لودفيجونا • ولست أفهم على  
كل حال لماذا يسوءك هذا الاسم الى هذه الدرجة • لقد رأيت ما حدث  
لسيميون زاخاروفتش : انه يموت • فأرجوك أن تغلقى هذا الباب  
فوراً ، وأن لا تدعى لأحد أن يدخل الى هنا • فليمت بسلام على الأقل !  
والا فأننى أؤكد لك أن سلوكك هذا سيرفه الحاكم العام نفسه من  
الغد • ان الأمير قد عرفنى قبل أن أتزوج ، وهو يتذكر سيميون  
زاخاروفتش ، وقد احسن وفادته مراراً • وجميع الناس يعلمون ان  
سيميون زاخاروفتش كان له أصدقاء وحُماةٌ كثرٌ أهملهم هو نفسه  
بسبب عزته وكبريائه وشممه ، وبسبب ما كان يحسه من ضعفه المحزن  
الذى يمزق القلب تمزيقاً • ولكن شاباً عظيماً (وأومات الى راسكولنيكوف)  
ذا ثراء وعلاقات ، شاباً يعرفه سيميون زاخاروفتش منذ طفولته ، يتولى  
مساعدتنا الآن ، ففى وسعك أن تكونى على يقين يا آماليا لودفيجونا  
من ان \*\*\*

قيل ذلك كله بسرعة قصوى كانت تتزايد من دقيقة الى دقيقة •  
ولكن السعال قطع بلاغة كاترين ايفانوفنا فجأة ؛ واستعاد المحتضر وعيه  
فى تلك اللحظة فهرعت اليه • وفتح عينيه ، وأخذ ينظر الى راسكولنيكوف  
الواقف بقربه ، أخذ ينظر اليه دون أن يتعرف أحداً ودون ان يفهم  
شيئاً • وكان يتنفس تنفساً شافاً عميقاً متقطعاً • وظهر دم على طرف  
شفتيه • وكان العرق يتكاثف على جبينه كمجبات اللؤلؤ • واذ لم يستطع  
أن يحدد شخصية راسكولنيكوف ، أجال بصره على ما حوله قللاً •  
وكانت كاترين ايفانوفنا تلقى عليه نظرة حزينة لكنها قاسية ، وكانت  
تسيل من عينيها دموع •  
قالت يائسة :

- رياه ! ان صدره معجون عجباً ! ما أكثر الدم ! ما أكثر الدم !  
يجب أن تُنزع عنه ملابسه • استدر قليلاً يا سيميون زاخاروفتش- ،  
إذا كنت تقوى على ذلك •

تعرفها مارميلادوف • فنطق بصوت أبج :

- كاهن !

فتراجعت كاترين ايفانوفنا نحو النافذة ، وأسندت جبينها الى  
الزجاج ، وهفت تقول وقد بلغت ذروة الكمد والكرب :

- قاتل الله هذه الحياة !

وعاد المحضر يقول من جديد ، بعد لحظة صمت :

- كاهن !

فقالت كاترين ايفانوفنا :

- أر ••• سلنا ••• نستد ••• عيه !

ففهم وصمت • وكان يبحث عنها بنظراته وجلالاً قلماً • فعادت اليه  
ووقفت بقربه • فهذا قليلاً ولكن هدوءه لم يطل • فان عينيه لم تلبثا ان  
توقفتا على الصغيرة ليدوتشكا \* ( أثيرته ) التي كانت في ركن من الأركان  
ترتجف ارتجاف من أصابته نوبة عصبية ، وتحديق اليه بعينها المدهوشتين ،  
عيني الطفلة ، تحديقاً ثابتاً •

غمغم محاولاً أن يقول شيئاً وهو يوميء اليها قلماً :

- أ ••• أ •••

فصرخت كاترين ايفانوفنا :

- ماذا أيضاً ؟

فقال وقد تلبث نظراته على قدمي البنت الصغيرة الحافيتين :

- حافية ! حافية !

فزرات كاترين ايفانوفنا تقول وقد بلغ غضبها أشده :

- اسكت ! أنت تعلم حق العلم لماذا هي حافية !

صاح راسكولنيكوف يقول متخففاً من قلقه :

- الحمد لله ! وصل الطبيب !

دخل الطبيب • انه شيخ شديد الحذر كثير التدقيق ( وهو الماني )  
أخذ يلقي على ماحوله نظرات زاخرة بالريبة والشك • اقترب من المريض ،  
وجسّ نبضه ، وتفحص رأسه باتباه ، ثم تعاون مع كاترين ايفانوفنا على  
حلّ أضرار القميص المبتل بالدم ، وعرّى الصدر • كان الصدر خاسفاً  
خسوفاً مروّعاً ، وكان مهروساً ممزقاً • ان عدة اضلاع في الجهة  
اليمنى كانت محطمة مهشمة • وفي الجهة اليسرى ، عند القلب ، كانت  
تُرى بقعة سوداء ضاربة الى صفرة ، بقعة كبيرة رهيبة : انها آثار  
حافر حصان • قطّب الطبيب حاجبيه • وروى له الشرطى أن الجريح  
قد تشبّث به احدى عجلات العربّة ، فجرّته أثناء دورانها مسافة ثلاثين  
خطوة على أرض الشارع •

قال الطبيب لراسكولنيكوف هامساً :

- أغرب ما في الأمر أنه عاد اليه شعوره !

فسأله راسكولنيكوف :

- ما رأيك ؟

- سيموت حلاً

- أليس هناك أى أمل ؟

- لا أمل البتة • انه يوشك أن يلفظ آخر أنفاسه • انه في التزع

الأخير • ثم ان رأسه مصاب بجرح خطير جداً • همّ • • • يمكننا طبعا

أن نجري له فصداً ••• ولكن ما فائدة ذلك ؟ انه ميت لا محالة • نعم ،  
سيموت حتماً بعد خمس دقائق أو ست •

— لنجربَ الفصد مع ذلك !

— طيب • ولكننى أنبّهك مرةً أخرى الى أننا لن نجنى من ذلك  
أية فائدة •

وفى هذه اللحظة نفسها سُمع وقع أقدام مرةً أخرى • فتحنى  
الجمهور على فسحة السلم وظهر كاهن شيخ أبيض الشعر يحمل  
« الأعراض السرية » ، ووراء شرطى جاء به الى البيت • فسرعان  
ما أخلى له الطيب المكان ، بعد أن تبادل معه غمزةً ذات دلالة ، وبادر  
راسكولنيكوف يرجو الطيب أن يبقى ولو لحظةً قصيرة • فرفع الطيب  
كتفيه ، ولكنه بقى •

تنحى الجميع • ولم يدم الاعتراف الا وقتاً قصيراً جداً : فأغلب  
الظن أن المحتضر كان فاقداً ادراكه وكان عاجزاً عن الكلام ، وكان  
لا يستطيع ، فى أكثر تقدير ، أن ينطق الا باصوات متقطعة غير متميزة •

أمسكت كاترين ايفانوفنا يد ليدوتسكا ، فأنهضت الطفلة الصغيرة  
عن كرسيها ثم مضت الى الركن قرب المدفأة ، فجلّت على ركبتيها  
وأركت الأولاد أمامها •

استمرت البنت الصغيرة ترتجف • أما الصبي الصغير الذى كانت  
ركبته العسائرتين على بلاط الأرض ، فكان يرفع يده اليمنى فى فواصل  
مطرّدة ، فيرسم اشارات الصليب واسعةً كبيرةً ، ثم يسجد فيلصق جبينه  
بالأرض ، وكان واضحاً أن هذا يحدث له لذة قصوى • وكانت كاترين  
ايفانوفنا تعض على شفتيها وتحبس دموعها • كانت تصلى هى أيضاً ،  
وتعدل قميص الصغير من حين الى حين فى الوقت نفسه • حتى لقد

استطاعت ، دون أن تنهض ودون أن تقطع صلاتها ، استطاعت أن تسلي  
من الحزاة ذات الأدراج منديلاً ألقتة على كفى الصية العاريتين •

ولكن الباب المطل على البيوت الأخرى قد فتحه المستطلعون اثناء  
ذلك مرةً أخرى • كان جمهور المشاهدين على فسحة السلم - وهم  
السكان الذين هرعوا من جميع طوابق العمارة - تزداد كثافته  
شيئاً بعد شيء ، الا أن أحداً منهم لم يتخط عتبة الغرفة • وكان لا يضيء  
هذا المشهد كله الا بقية شمعة •

وفى تلك اللحظة وصلت بوليا التي ذهبت تحضر اختها ، فاندفعت  
تشق لها ممراً بين ذلك الجمور • دخلت منقطة الأنفاس تقريباً ، لأنها  
قد ركضت بسرعة مفرطة ، فنزعت المنديل الذي كان يغطي رأسها ،  
وبحثت عن أمها بعينها ، ثم اقتربت منها وقالت لها : « متجىء ، فقد  
لقيتها فى الشارع ! » •

أركعت الأم ابنتها الى جانبها • ثم وصلت فتاة ، فقدمت وسط  
الجمهور خجلةً بلا ضجة ، فكان ظهورها فى هذه الغرفة التي يسودها  
الفقر والبؤس والأسمال الرثة والموت واليأس أمراً غريباً يبعث على أشد  
الدهشة • كان هندامها لا يساوى أربعة قروش ، ولكنه صارخ صخاب  
يناسب أذواق وقواعد العالم الخاص الذي تعيش فيه هذه الفتاة ، ويلائم  
الغايات الدنيئة التي تسيطر على ذلك العالم • وقفت صونيا على العتبة  
لا تجرؤ أن تجتازها • وكانت تنظر حوالها زائفة الهيئة تائهة الفكر •  
كان يبدو عليها أنها لا تدرك شيئاً ولا تمى شيئاً ، وكان يبدو عليها أيضاً  
أنها 'ذهلت' عن ثوبها الحريري الذي اشترته مستملاً - والذي كانت  
ألوانه الزاهية وذيله الطويلة لا تناسب هذا المكان - وذهلت عن تورتها  
الفضفاضة التي تملأ عرض الباب كله ، وعن حذاءيها اللامعين وشمسيتها

التي لا فائدة منها البتة لأن الوقت ليل ، وعن قبعتها الصغيرة المصنوعة من قش ، المزدانة بريشة حمراء •

وكان يلوح تحت هذه القبعة ، الموضوع مائلةً ، وجه صغير نحيل أصفر مرتاع ، فاجر الفم شارد العينين من الرعب •

ان صونيا تبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً ، وهي قصيرة القامة هزيلة الجسم ، لكنها جميلة ، شقراء ، لها عينان زرقاوان رائعتان • وقد راحت تحدّق الى الديوان والى الكاهن بنظرات ثابتة • وكانت مقطعة الأنفاس هي أيضاً ، لأنها ركضت ركضاً سريعاً • ولا شك أن كلماتٍ تبادلها بعضهم في الجمهور همساً قد تنهت الى مسامعها فها هي ذى تخفض رأسها وتقدم خطوةً الى أمام • ولكنها لم تعزم أمرها بعد على الابتعاد عن الباب •

انتهى الاعتراف والتساؤل • وعادت كاترين ايفانوفنا الى قرب الديوان • وتنحى الكاهن • ولكنه اعتقد أن من واجبه أن يوجّه الى كاترين ايفانوفنا بضع كلمات تواسيها وتقوى عزيمتها • فقاطعت كاترين ايفانوفنا تقول بلهجة خشنّة غاضبة وهي تشير الى الأولاد :

— وهؤلاء ، أين أضعهم الآن ؟

فقال الكاهن :

— الله رحيم • أمّلى في عون الرب !

— هو رحيم ولا شك ، لكنه ليس رحيماً بنا نحن •

قال الكاهن وهو يهز رأسه :

— هذا اثم يا سيدتي ، هذا اثم !

فصرخت كاترين ايفانوفنا مشيرةً الى المحتضر :



— وهذا ، أليس انمأ ؟

— لعل الذين كانوا سبب وقوع هذه المصيبة بغير ارادة منهم ، لعلهم يوافقون على أن يدفعوا لك تعويضاً بسبب فقدانك مواردك على الأقل •

صرخت كاترين ايفانوفنا تقول بشراسة :

— أأنت لا تفهم اذن ؟ لماذا عساهم يدفعون لى تعويضاً ؟ ان هذا السكّير هو الذى ألقى بنفسه بين حوافر الخيل ! ثم ما كلامك هذا عن مواردى ! انه لم يمدنى بأية موارد فى يوم من الأيام ! انه لم يهبى لى الا أنواع العذاب ! هذا كل ما أمدنى به ! لقد كان سكيراً ، سكيراً ، ما وصل الى يده شيء الا سارع يشرب به خمرآ ؟ كان ينهبنا نهباً ، كان يذهب الى الحانات يتلف فيها حياتهم وحياتى ! سيموت الآن ، وسيكون موته توفيراً واقتصاداً !

— على المرء أن يعفو ويصفح ويغفر ، فى ساعة الموت ! ان الشعور بمثل هذه العواطف اثم يا سيدتى ، اثم كبير !

كانت كاترين ايفانوفنا ما تزال منهمكةً حول المحتضر ، تسقيه وتسمح عن رأسه العرق والدم ؟ فهى تتحدث مع الكاهن دون أن تنقطع عن عملها • ولكنها وثبت نحوه على حين فجأة حائرة غاضبة ، فقالت له :

— آه يا أبى ! ما هذا كله الا كلام ، كلام لا أكثر ! العفو والصفح والمغفرة ! هه ! لو لم يقع له هذا الحادث ، لرجع الى البيت فى هذا المساء سكران ؟ ولأنه لا يملك قميصاً غير هذا القميص الوسخ الممزق الذى يلبسه ، لكان علىّ أنا أثناء غطيطة فى النوم أن أتبلل بالماء لأغسل له القميص ولأغسل ملابس الأولاد ؟ ولكن علىّ بعد ذلك أن أجفف الغسيل كله على النافذة ، حتى اذا طلع الفجر أخذت أعمل فى الترقيع !

على هذا النحو كنت سأقضي الليل ! فعلام الكلام عن العفو والصفح  
والمغفرة اذن ؟ لقد عفوت وصفححت وغفرت منذ زمان !

واعترفتها نوبة سعال شديدة فاضطرت أن تنقطع عن الكلام •  
وبصقت في منديلها ووضعت تحت عيني الكاهن ضاغطة صدرها بيدها  
الأخرى • كان المنديل مبللاً بالدم •

خفض الكاهن رأسه ولم يقل شيئاً •

وكان مارميلادوف المحتضر لا يحوّل عينيه عن وجه كاترين  
ايفانوفنا التي مالت عليه من جديد • كان يريد أن يقول لها شيئاً ما •  
حاول ذلك محرّكاً لسانه بمشقة ، متممّاً ببضع كلمات مبهمّة غير متميّزة ،  
ولكن كاترين ايفانوفنا ، وقد أدركت أنه يريد أن يسألها أن تغفر له  
أسرعت تصرخ قائلة له بلهجة لا جواب عليها :

— اسكت ! اسكت ! لا داعي ! أعرف ما تريد أن تقول !

فصمت الجريح • ولكن بصره التائه سقط في تلك اللحظة على  
الباب ، فلمح صونيا • لم يكن قد لاحظها قبل ذلك : كانت صونيا قد  
لبثت في الجزء المظلم من الشرفة •

— من هذه ؟ من هذه ؟

كذلك نائماً يسأل فجأةً بصوت أبهى لاهت ، وهو يحاول أن  
ينهض ، ويومئ بعينه مرتاعاً الى الباب الذي كانت ابنته ما تزال واقفةً  
عنده •

فصرخت كاترين ايفانوفنا تقول له :

— ابق راقداً ! ابق راقداً !

ولكنه استطاع بجهد خارق أن ينهض جسمه مستنداً بيده الى

الديوان • فحدّق الى ابنته برهةً من الوقت بنظرة غريبة ، كأنه لم يتعرفها • ذلك أنه لم يسبق له أن رآها بمثل هذا الزى الغريب • ولكنه لم يلبث أن تعرفها فجأة • كانت مُدلةً منهارَةً تحس بالحزى والعار من ملابسها المبهرجة ، وهى تنتظر فى رفق ووداعة ، وفى اذعان وتسليم ، أن يجيء دورها لتوديع أبيها المحتضر •

ارتسم على وجه الأب تعبير عن ألم لا نهاية له ، وعذاب ليس له حدود • وصرخ يقول :

— صونيا ، ابنتى ، اغفرى لى !

وأراد أن يمد إليها يده ، لكنه فقد توازنه لأنه لم يتكئ على شيء • فتدحرج عن الديوان منكباً الوجه على الأرض • أسرعوا ينهضونه ، وعادوا يُرقدونه على السرير • ولكنه كان قد أخذ يلفظ أنفاسه • أطلقت صوفيا صرخة ضعيفة ، وهرعت إليه ، وعانقته طويلاً ، فمات بين ذراعيها •

صاحت كاترين ايفانوفنا تقول وهى ترى جثة زوجها :

— نال ما كان يسعى إليه • ولكن ما العمل الآن ؟ أين لى بالمال أنفقته على دفنه ؟ وهؤلاء ، هؤلاء ، من أين أطعمهم غداً ؟

اقرب راسكولنيكوف من كاترين ايفانوفنا • وبدأ يتكلم فقال :

— كاترين ايفانوفنا ! فى الأسبوع الماضى روى لى زوجك المتوفى قصة حياته تفصيلاً ••• نقي أنه تكلم عنك بحماسة شديدة واحترام عظيم • وقد أصبحنا صديقين منذ ذلك المساء الذى عرفت فيه مدى إخلاصه لكم جميعاً ، ومدى ما يحمله لك خاصةً يا كاترين ايفانوفنا من حب وتقدير ، رغم آفته الشقية ، آفة الادمان على الشراب ••• فاسمعى

الآن اذن ... اسمحي لي أن أساهم ... أن أقوم بآخر واجباتي نحو  
صديقي المتوفى . خذنى هذا المبلغ ... أظن أنه خمسة وعشرون  
روبلًا ... فإذا كان هذا يساعدهم ولو قليلاً ، فأننى ... لكننى  
سأعود اليكم ، سأعود اليكم حتماً ، وقد أعود من الغد ... استودعكم  
الله ! ...

قال ذلك وغادر الغرفة متعجلاً ، وشق لنفسه ممراً بين الجمهور  
بسرعة . ولكنه لم يلبث أن اصطدم بنيكوديم فومتش الذى علم بنبأ  
الحادث ، فأراد أن يتولى بنفسه اتخاذ الاجراءات الضرورية . لم يكونا  
قد التقيا منذ وقع ذلك المشهد فى قسم الشرطة ، ولكن نيكوديم فومتش  
عرفه من أول نظرة . قال :

— مه ! هذا أنت ؟

قال راسكولنيكوف :

— مات ! ولقد جاء الطبيب ، وجاء الكاهن ، وتم كل شيء كما  
يجب أن يتم . لا تزعم كثيراً تلك المرأة الشقية . حسبها ما هى فيه من  
شقاء منذ الآن . واسها واشدد أزرها ان أمكن ...

ثم أضاف يقول ساخراً ، وهو يرمقه بنظرة ثابتة :

— أنا أعرف أنك رجل طيب القلب .

لاحظ نيكوديم فومتش ، فى ضوء الشمعة ، لاحظ بقعاً من الدم  
ما تزال طرية على صدرة راسكولنيكوف ، فقال ينبهه :

— ولكنك ... ملطخ بالدم !

فأجابه راسكولنيكوف بلهجة غريبة بعض الغرابة :

— نعم ، تلطخت ...

ثم ابتسم ، وحيّاه بحركة من رأسه ، وأخذ يهبط السلم •  
 كان ينزل ببطء ، ولكنه كان يرتعش كمن أصابته حمى • ان  
 موجة كبيرة من الفرح والانفعال تغمر نفسه الآن ، على غير شعور منه •  
 يمكن أن يشبه هذا الاحساس بالاحساس الذي يشعر به رجل محكوم  
 عليه بالاعدام حين يعلم فجأة بصدور قرار بالعفو عنه •  
 فلما وصل الى منتصف السلم أدركه الكاهن الذي غادر البيت •  
 تنحى راسكولنيكوف ليدع له مجال المرور ، وبادله تحية صامتة •  
 ولكنه حين كان يهبط الدرجات الأخيرة سمع وراءه على حين فجأة وقع  
 خطوات سريعة • كان واضحاً أن هناك من يحاول أن يلحق به • انها  
 بولينكا • كانت تركض وهي تناديه صائحة : « اسمع ! اسمع ! » •  
 التفت راسكولنيكوف • كانت الفتاة قد هبطت الطوابق الأخيرة  
 بسرعة شديدة ، وها هي ذى الآن تقف أمامه على الدرجة التي تعلو  
 درجته • ان نوراً ضئيلاً مضطرباً كان يتسلل من الفناء الى ذلك المكان •  
 ميّز راسكولنيكوف الوجه الذي كان ينظر اليه ويتسم له فرحاً كما  
 يفعل الأطفال • انه وجه صغير هزيل ، ولكنه جميل • لقد هرعت الصبية  
 وراءه مكلفة بمهمة كان واضحاً أنها تسرها كثيراً •

سألته متعجلاً بصوت لاهث :

— اسمع ! ما اسمك ؟ وأين تسكن ؟

وضع راسكولنيكوف يديه على كتفي الطفلة ، ونظر اليها بنوع من  
 الفرح • لقد وجد في النظر اليها متعة كبيرة دون أن يعرف لماذا •

سألها :

— من أرسلك ؟

فأجابته وهى تبسم بمزيد من الفرح :

- اختى صونيا هى التى أرسلتنى •

- قدّرت ذلك •

- وأمى أيضاً • فحين سألتنى صونيا أن أجرى وراءك ، اقتربت

أمى فقالت لى هى أيضاً : « نعم ، اركضى وراءه بسرعة يا بولينكا ، »

- هل تحبين أختك صونيا ؟

- أكثر مما أحب أى شىء فى العالم !

قالت بولينكا ذلك بلهجة قاطعة ، وأصبح فى ابتسامتها مزيد من

الجد على حين فجأة •

سألها :

- وأنا ، هل ستحييننى ؟

فلم تزد الصبىة ، فى الجواب عن هذا السؤال ، على أن قرّبت

وجهها من وجهه ، ومدّت اليه شقيها البريشتين ، بسداجة ، ليقبلهما ،

ثم عانقته بذراعيها الصغيرتين ، النحيلتين كعودى ثقاب ، عناقاً قوياً ، ومالت

برأسها على كتفه ، وأخذت تبكى بكاءً رقيقاً ، وألّطت وجهها على وجهه

مزيداً من اللطام شيئاً بعد شىء • وقالت بعد دقيقة وهى ترفع وجهها

الذى غيرته الدموع والذى أخذت تمسحه بظهر يدها :

- مسكين بابا !

ثم أضافت تقول فجأة ، وهى تصطنع هيئة الجدة التى يصطنعها

الأطفال حين يريدون بقتة أن يتكلموا « كما يتكلم الكبار » :

- ما أكثر المصائب فى هذا اليوم !

– وأبوك ، هل كان يحبك ؟

فتابعت كلامها تقول جادةً دون ابتسام ، كشخص كبير تماماً في هذه المرة :

– من بيننا جميعاً كان يجب ليدوتشكا حباً خاصاً • كان يحبها لأنها صغيرة جداً ، ولأنها مريضة أيضاً • وكان يجيئها دائماً بهدايا صغيرة • ونحن ، كان يعلمنا القراءة •

وأضفت تقول بوقار :

– أنا ، كان يعلمني قواعد اللغة ، والتاريخ المقدس • وكانت أُمي لا تقول شيئاً ، ولكننا كنا نعرف أنها تسرُّ بذلك ، وكان بابا يعرف هذا أيضاً • ومما تريد الآن أن تعلمني اللغة الفرنسية ، لأنه آن الأوان لأن أتعلم ...

– وهل تجيدين الصلاة ؟

– طبعاً تجيد الصلاة • أنا أجيد الصلاة منذ مدة طويلة ! أنا ، أصلي بصوت خافت ، لأنني كبيرة • أما كوليا وليدوتشكا فهما يصليان بصوت عال ، مع ماما • يرتلان أولاً : « سلام عليك يا مريم ... » ، ثم يتلوان دعاءً آخر : « اغفر لاختنا صونيا يا رب ، وباركها ! » • ويتلوان بعد ذلك دعاءً آخر : « اغفر لأبينا الآخر يا رب ، وباركه ! » • ذلك أن أبينا الأول مات • أما هذا فهو أبونا الثاني • لذلك ندعو للأول أيضاً •

– بولينكا ! اسمي أنا روديون • فادعوا لي أنا أيضاً في بعض الأحيان • أضيفوا في صلاتكم : « ولروديون المسكين » ، لا أكثر من ذلك •

قالت الصبية بحماسة وحرارة :

— طول حياتي ، سأدعو لك !

ثم أخذت تضحك فجأة ، واندفعت اليه فعانقته بذراعيها عناقاً قوياً .  
ذكر لها راسكولنيكوف اسمه ، وذكر لها عنوانه ، ووعد بأن يجيء اليهم  
من الغد . فأنصرفت الفتاة وقد طفح قلبها حماسة .

كانت الساعة هي العاشرة حين أصبح الطالب راسكولنيكوف في  
الشارع . وبعد خمس دقائق وصل الى الجسر ، الى ذلك الموضع نفسه  
الذي وقفت فيه المرأة المسكينة حين ألقت بنفسها في الماء .

قال لنفسه بلهجة جازمة مظفّرة : « كفى ! تراجعى يا أنواع  
السراب ! الى الورا يا أيتها المخاوف الوهمية ! تهقرى أيتها الأطياف !  
الحياة موجودة ! أأست حياً فى الساعة التى أنا فيها ! ان حياتي لم تمت  
بموت المرأة المجوز ! لا ! ان ملكوتها الآن هو ملكوت السموات ! كفالك  
ايتها المرأة المجوز ! أن لك أن تدعى العالم هادئاً ! أما ملكوتي أنا فهو  
ملكوت العقل والفضياء ... و ... القوة ... والارادة ... وسنرى  
من المنتصر منا نحن الاثنين الآن ! » . كذلك أضاف متعطرساً ، كأنما  
هو يخاطب ويتحدى قوة غامضة ما . وتابع يكلم نفسه فقال : « كيف  
رضيت أن أجا على حيز ضيق من المكان لا يزيد على أن يكون موطىء  
قدم ؟ أنا الآن ضعيف جداً ، ولكن ... أعتقد أن مرضى قد انتهى ...  
وحين خرجت منذ برهة ، كنت أعلم حق العلم أنه سينتهى .  
بالمنااسبة : ان عمارة بوتشنكوف على مسافة خطوتين من هنا . سأذهب  
حتماً الى بيت رازومبخين ... نعم ، سأذهب اليه حتى ولو كان لا يقيم  
فى منزل قريب هذا القرب كله . ألا فليكسب الرهان ! ألا فليستخر  
منى ! أى خير فى هذا ؟ ان ما أنا فى حاجة اليه هو القوة ، القوة . بغير



القوة لا يصل المرء الى شيء • والقوة لا تُنال الا بالقوة • هذا ما لا يعرفونه ! » كذلك أضاف يقول بزهو وكبرياء وثقة • واجتاز الجسر بخطى واسعة • فكانت الكبرياء والثقة تزادان فيه كلما انقضت دقيقة جديدة ؟ وكلما انقضت دقيقة جديدة كان يصبح رجلاً آخر • فما الذى حدث اذن حتى تحقق في نفسه هذا التحول ؟ كان هو نفسه يجهل ذلك • انه ، كالغريق الذى يتعلق بقشة ، يتصور أنه « يستطيع أن يحيا ، وأن الحياة ما تزال موجودة ، وأن حياته « هو » لم تمت بموت المرأة المعجوز ، المعجوز • ولعله أسرف فى التعجل حين انتهى الى هذه النتيجة ، ولكن ذلك لم يخطر له ببال •

قال لنفسه فجأة : « ومع ذلك طلبت صلوات ودعوات للمسكين روديون ! » ولكنه لم يلبث أن أضاف : « كان هذا من باب الاحتياط على كل حال ! » وأسرع يضحك من سذاجته الصيانية • لقد كان مزاجه مشرقاً اشراقاً رائعاً !

اهتدى الى مسكن رازوميخين بسهولة : كان المستأجر الجديد معروفاً فى عمارة بوتشنيكوف ، ودلّه البواب على الطريق فوراً • فما ان وصل الى منتصف السلم حتى كان يسمع ضجة حديث حار يقوم بين حشد كبير • كان الباب المطل على السلم مفتوحاً على كل سعته • فكان يُسمع صراخ وقناش • ان غرفة رازوميخين واسعة سعة كافية ، فكانت تضم نحو خمسة عشر شخصاً ووراء الباب ، كانت خادمتان ، مستعارتان من الجيران سكان البيت ، منهنكيتين حول سعاورين كبيرين ، وكاتتا تهتمان كذلك بزجاجات وصحون وأطباق مثقلة ببطائر ومشهيات • والصحون والأطباق مستعارة من الجيران أيضاً • سأل راسكولنيكوف عن رازوميخين ، فهرع اليه رازوميخين مسروراً مفتوناً • ان المرء ليلحظ من أول نظرة أنه قد أسرف فى الشراب ؛ ورغم أنه فى العادة

لا يمعن فى الشراب الى حدّ السكر ، فان مظهره الآن لا يخطئه الظن .

قال راسكولنيكوف بسرعة :

— اسمع ! أنا لم أجيء الا لأقول لك انك كسبت الرهان ، وانه ما من انسان يستطيع فى الواقع أن يحزر ما قد يقع له ... ولكننى لا أستطيع أن أدخل ... لذلك أقول لك : السلام عليكم والى اللقاء •  
تعال الى غدأ •

— اسمع ، سأصحبك ، ما دمت تقول أنت نفسك انك تبلغ من الضعف أنك ...

— وضيفك ؟ قل لى : من ذلك الرجل المجعدّ شعره الذى ألقى الآن نظره علينا ؟

— ذاك ؟ الشيطان وحده يعلم من هو ! لا شك أنه رجل له بعضى علاقة ، أو أنه دعا نفسه بنفسه ! ... سأترك الضيوف مع عمى ! خسارة كبرى أنك لا تستطيع الآن أن تعرف الى عمى ! شيطان يأخذهم جميعاً ! ثم انهم فى هذه اللحظة لا يملكون من العقل ما يمكنهم من أن يفتنوا الى ! وما أحوجنى الى امتشاق الهواء ! يا عزيزى ، لقد جئت فى الأوان المناسب • فلو تأخرت دقيقتين لأخذت أتضارب معهم ! ليتك سمعت ما كانوا يقولونه ! ليس فى وسعك أن تتصور عدد الأكاذيب التى يستطيع فرد أن يقولها ! ولكن قد تستطيع أن تتصور ذلك • لم لا ؟ وليكذبوا ما شاموا أن يكذبوا على كل حال ! ... ولكن لا بد ان ياتى يوم تنفضح فيه الأكاذيب ! ... اجلس لحظة ، سأنادى زوسيموف •

هجم زوسيموف على راسكولنيكوف بشراهة، وظهر عليه استطلاع قوى وفضول غريب ، ثم لم يلبث أن أشرق وجهه وأضاء •

قال جازماً بعد أن فحص المريض كيفما اتفق :

- عليك أن ترقد في الفراش حالاً • وعليك قبل ذلك أن تتناول شيئاً حتى تنام • ابلع هذه الحبة ، هه ؟ لقد حضرتها منذ قليل •  
أجابه راسكولنيكوف :

- لأبلعن حبتين إذا لزم الأمر !

وبلع الدواء حالاً •

وقال زوسيموف لرازوميخين :

- انك لعل صواب حقاً اذ تريد أن تصحبه • ما سيحدث غداً ، سنراه في حينه ؟ أما اليوم فحالته ليست سيئة جداً • لقد تبدل تبدلاً واضحاً عما كان عليه قبل قليل • ان الانسان يتعلم في كل يوم اموراً جديدة •

جمعهم رازوميخين يقول لراسكولنيكوف منذ صارا في الشارع :

- هل تعلم بماذا همس زوسيموف في أذني لحظة خرجنا ؟  
يا صاحبي ، سأكلمك بصراحة ، لأن هؤلاء جميعاً حمقى أغبياء • لقد طلب مني زوسيموف أن أترثر معك أثناء الطريق ، حتى تترثر انت أيضاً ، ثم أمضى أقص له عليه فوراً كل ما تكون قد قلته ... ذلك انه قد قام في ذهنه أنك ... أنك مجنون ... أو أنك توشك أن تصبح مجنوناً • هل تتخيل هذا ؟ أنا أرى أولاً أنك أذكى منه ثلاثة أضعاف ؟ وأرى ثانياً أنك اذا لم تكن مجنوناً فلن تكثر بما قد يقوم في ذهنه ؟ وأرى ثالثاً أن هذه الشريحة من اللحم التي هي طبيب جراح ، قد أصبحت لا تعنى الا بالأمراض العقلية ، فاقتمت بعد حديثك مع زامبوتوف بان ...

- هل روى لك زامبوتوف كل شيء ؟

— كل شيء • ولقد أحسن صنعاً • ان هذا أفهمنى القضية كلها ،  
وقد فهمها زامبوتوف هو أيضاً • الخلاصة يا روديا • • • الواقع أن • • •  
حقاً أن الآن سكران قليلاً ، ولكن لا ضير • • • الواقع أن هذه الفكرة  
• • • هل تفهم ؟ • • • قد ترسخت فى أذهانهم ، هل تفهم ! لم يجرؤوا  
طبعاً أن يفصحوا عنها صراحةً ، لأن الأمر سخيّف حقاً ، ولا سيما بعد أن  
اعتقلوا الدهان • نعم لقد تبدد كل شيء الى الأبد كفقاعة صابون • ولكن  
لماذا هم أغبياء الى هذه الدرجة من الغباء ؟ لقد أسأتُ معاملة زامبوتوف  
قليلاً • ولكن هذا سر بيننا • أنت لا تعرف هذا ، أليس كذلك ؟ ذلك  
أننى لاحظت أنه أميل الى المماحكة والنزق • • • حدث هذا كله عند  
لويزا • أما الآن فقد اتضح كل شيء • والحق أن المذنب الرئيسى انما  
كان ايليا بتروفتش • لقد استغل حادثة اغماتك فى قسم الشرطة ، ثم  
خجل هو نفسه مما ذهب اليه ظنه • أنا أعلم كل شيء •

كان راسكولنيكوف يصغى بشراهة • وقد أقاض راڤوميين فى  
الكلام بتأثير السكر •

قال راسكولنيكوف :

— انما أغمى علىّ لأننى كنت أحتق ، ولأن رائحة الدهان كانت  
تملاً الجو •

— عجيب أمرك ! ما بالك تشعر أنك فى حاجة الى أن تبرير ! لم  
تكن رائحة الدهان وحدها هى السبب ، فانما أنت تحضن المرض منذ  
شهر ونيف • ان زوسيموف يشهد بهذا • لا تستطيع أن تتخيل مدى  
ما يشعر به هذا النر ، زامبوتوف ، من خجل واضطراب • لقد قال :  
« اننى لا أساوى اصبع هذا الرجل » ، يعنى اصبعك أنت • هل تعلم  
يا أخى أنه يبرهن أحياناً على أن له عواطف طيبة كريمة ؟ ولكن الدرس

الذى تلقاه اليوم فى « قصر الكريستال » قد بلغ منتهى الكمال . ذلك أنك أخذت فى أول الأمر تخيفه حتى أخذ يرتعد ! آه ... حين أتصور كيف كدت تجبره اجباراً على أن يصدق ذلك الأمر السخيف المستحيل ... ثم اذا بك تمدد له لسانك مستهزئاً على حين فجأة ! ... يا سلام ! نعم ، بلغ ذلك منتهى الكمال ! ظل الرجل محطماً مسحوقاً . يميناً أنك لأستاذ ، لقد عاملتهم بما يستحقون أن يعاملوا به . آه ... خسارة أنني لم أكن هناك ! هل تعلم ؟ لقد كانوا كانوا ينتظرونك عندى محترقين من نفاد الصبر . وكان بورفير أيضاً يود لو يعرف اليك ...

— آ ... أذلك الرجل أيضاً ؟ ... ولماذا يعدوننى مجنوناً ؟

— أقصد ... لا مجنوناً تماماً ! أظن يا صاحبي أنني أسرفت فى الثروة بعض الاسراف ... ان ما فجأ بصره وخطف انتباهه هو أنك لا تهتم الا بهذا الأمر . هم الآن يرون طبعاً لماذا تهتم به . هم الآن يعرفون الظروف ، يعرفون أن ذلك كله قد اختلط بمرضك فأثارك . أنا سكران قليلاً كما ترى يا صاحبي . ولكن الشيطان وحده يعلم ماذا يدور فى فكره . أعود فأقول لك : ان الأمراض العقلية قد ذهبت بعقله . أما أنت فما عليك الا أن تبصق على هذا كله ...

وصمت الاثنان نصف دقيقة .

ثم بدأ راسكونيكوف الكلام فقال :

— اسمع يا رازوميشين ، أريد أن أكلمك بصراحة . أنا آت الآن من بيت رجل مات . ان موظفاً قد مات ... وقد تركت هناك كل ما بقى لى من مال ... هذا الى أنني قد قبلتني منذ قليل مخلوقة لو كنت قد قلت أحداً لكان فى وسعها مع ذلك أن ... ورأيت هنالك مخلوقة

أخرى ... على قبعتها ريشة حمراء ... ولكننى أرى أنتى أهذر  
وأهذى ... انتى ضعيف جداً ... اسندنى ... هناك السلم ، أليس  
كذلك ؟

سأله رازوميخين قلقاً :

— ماذا بك ؟ ماذا بك ؟

— رأسى يدور قليلاً ، ولكن ليس هذا هو الأمر ... وإنما الأمر  
أنتى حزين جداً ، حزين جداً ! كأمراة ... حقاً ... انظر ! ما هذا ؟  
انظر ! انظر ! ...

— ماذا ؟

— ألا ترى ؟ ان فى غرفتى ضوءاً • نعم ، انتى أرى الضوء من  
خلال الشق ...

كانا قد وصلا من السلم الى الفسحة السابقة على الفسحة الأخيرة ،  
أمام باب صاحبة البيت ؛ ومن هناك كان يُرى ضوء فى غرفة راسكولنيكوف  
فملاً •

قال رازوميخين :

— غريب ! لعلها ناستاسيا •

— ناستاسيا لا تجيء الىَّ أبداً فى مثل هذه الساعة ؛ ثم انها نائمة  
منذ مدة طويلة ... على أن هذا كله يستوى عندى ... استودعك الله !

— ما هذا الذى تقوله ؟ لا بد لى أن أصبحك طبعاً ! سندخل معاً !

— أعرف أننا سندخل معاً ، ولكننى أريد أن أصافحك وأن أودعك

هنا • هلمّ هات يدك وودّعنى !

— ماذا دهاك يا روديا ؟

— لا شيء • هيّا ، ستكون شاهداً •

واستمرا يصعدان السلم ، وخطر ببال رازوميخين عندئذ أن زوسيموف ربما كان على حق ، فقدم يقول بينه وبين نفسه : « كيف سمحت لنفسى أن أثير فى نفسه الاضطراب بثررتى ؟ » •

وفيما هما يقتربان من الباب سمعا فجأة أصوات كلام فى الغرفة •  
هتف رازوميخين يسأل :

— ولكن ماذا يجرى هنا ؟

بادر راسكولنيكوف فأمسك قبضة الباب وفتح على سعته كلها •  
فتحه ووقف مسمراً على العتبة • كانت أمه وأخته تنتظرانه منذ ساعة ونصف ساعة ، جالستين على الديوان • ترى لماذا كان يتوقع هذا اقل مما كان يتوقع أى شيء آخر ؟ لماذا خطرنا بباله أقل مما خطر بباله أى انسان آخر ، مع أنه فى ذلك اليوم نفسه تلقى رسالة تؤكد أن وصولهما قريب ، وشيك ؟ لقد لبنا طوال مدة الانتظار لا يكفان عن مساءلة ناستاسيا التى كانت ما تزال فى الغرفة أمامهما ، فانسع وقتها لأن تروى لهما كل شيء عن راسكولنيكوف • ولقد استبد بهما ذعر شديد حين علمتا « أنه هرب اليوم من البيت » مريضاً ، وأنه كان يهذى ، على ما يخرج من القصة التى روتها ناستاسيا • « ماذا جرى له يا رب ؟ » • ولقد بكت المرأتان كلاتهما وعاتتا عذاباً شديداً خلال مدة الانتظار هذه التى دامت ساعة ونصف ساعة •

فلما ظهر راسكولنيكوف استقبلته بصيحات فرح وحماسة ، واندفعتا كلاتهما نحوه ، ولكن راسكولنيكوف لبث جامداً كجثة • ان

فكرة مفاجئة لا تطاق قد نزلت عليه عندئذ نزول الصاعقة ؛ حتى ان ذراعيه لم ترتفعا لمعانتهما ، فانه لم يكن يملك من القوة ما يمكنه من ذلك . شدته الأم والأخت الى صدريهما ، وأغرقناه بالقبل ، وكاتنا تضحكان وتبكيان في آن واحد . فتقدم خطوة ، وترنج ، ثم هوى على الارض مغشياً عليه .

انطلقت صيحات الرعب ، وأنات الخوف ، وصرخات الاستغاثة . وكان رازوميخين قد لبث على عتبة الباب ، فهرع الى الغرفة ، وامسك المريض بذراعيه القويتين ، فأرقده على الديوان بمثل لمح البصر سرعة .

وصاح رازوميخين يقول للأم والأخت مطمئناً مهدئاً :

— ما هذا بشيء ، ما هذا بشيء ! ليس هذا الا اغماءً تافهاً لا قيمة له . لقد قال الطبيب منذ هنيهة ان صحته قد تحسنت كثيراً ، وانه شفى شفاءً تاماً ... الى بقليل من الماء ! ها هو ذا يسترد وعيه ، ها هو ذا يستعيد شعوره !

ثم أمسك يد دونيا امساكاً قوياً كاد يهشمها ، ليجبرها على أن تميل على أخيها فتري أنه « استعاد شعوره » .

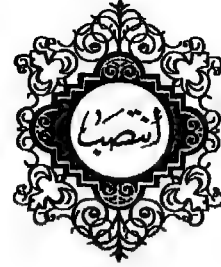
كانت الأم والأخت تنظران الى رازوميخين نظرتيهما الى اله ، وتشعران نحوه بامتنان عظيم وشكر عميق وعاطفة قوية وحنان شديد . كاتنا قد عرفنا من ناستاسيا مافعله هذا « الشاب اللبيب » في سبيل عزيزهما روديا طوال مدة مرضه ، كما نعتته بهذه الصفة بولشيريا الكسندروفنا راسكولنيكوف ، في ذلك المساء نفسه ، أثناء حديث حميم جرى بينهما وبين دونيا .



الجزء الثالث



## الفصل الأول



راسكولنيكوف وجلس على الديوان •  
وأوماً أيماءة خفيفة يهيب برازوميخين أن يوقف  
سيل المواساة العارم المتقطع الذي كان يغمر به  
أمه وأخته ، ثم أمسك بيديهما كلتيهما ، وراح  
يتأملهما صامتاً ، واحدة بعد أخرى ، خلال دقيقة أو دقيقتين • خافت  
الأم من نظرتيه ، فقد كانت هذه النظرة تشف عن عاطفة عنيفة الى حد  
الآلم ، وكانت في الوقت نفسه ثابتة تكاد تدل على جنون ••• واخذت  
بولشيريا الكسندروفنا تبكي • وكانت آدفوتيا رومانوفنا شاحبة الوجه ،  
وكانت يدها ترتجف في يد أخيها •

قال راسكولنيكوف بصوت متقطع وهو يوميء الى رازوميخين :  
— عودا الى بيتكما ••• معه ! الى الغد • كل شيء غداً سوف •••  
هل وصلتما منذ مدة طويلة ؟

أجابت بولشيريا الكسندروفنا :  
— هذا المساء يا روديا • لقد تأخر القطار تأخراً رهيباً ! ولكنني لن  
أتركك الآن بحال من الأحوال يا روديا • سأقضي الليل قرب •••  
قال وهو يحرّك يده بإشارة احتياج وغيظ :

– لا تعذبوني هذا التعذيب !

صاح رازوميخين يقول :

– سأبقى بقربه ! لن أتركه دقيقة واحدة • ليذهب ضيوفى الى  
الشیطان ! ألا فليغضبوا اذا حلا لهم أن يغضبوا ! ثم ان عمى هناك يترأس  
الحفل •••

قالت بولشيريا الكسندروفنا وهى تصافح رازوميخين من جديد :

– أنىَّ لى أن أوفيك حقك من الشكر !

ولكن راسكولنيكوف قاطعها مرةً أخرى ، وقال مردداً فى غضب:

– لا أستطيع ! لا أستطيع ! لا تعذبونى ! كفى هذا ! اذهبوا •••  
لا أستطيع !•••

دمدمت دونيا تقول مرتاعةً :

– لنذهب يا ماما ، لنخرج من هذه الغرفة ولو لحظةً قصيرة • ان

لم نخرج كنا نقتله ••• هذا أكيد •••

فهتفت بولشيريا تقول باكية :

– ألا يجوز لى اذن أن أنظر اليه قليلاً بعد فراقٍ دام ثلاث  
سنين ؟

وعاد راسكولنيكوف يتكلم فقال :

– انتظروا ••• أتم تقاطعونى دائماً ••• وقد اضطربت افكارى  
واختلطت ••• هل رأيتما لوجين ؟

قالت الأم :

— لا ، يا روديا ، ولكنه يعرف أننا وصلنا .

ثم أضافت تقول بخجل :

— وقد عرفنا يا روديا أن بطرس بتروفتش قد تفضل فزارك في

هذا اليوم .

— نعم .... تفضل ! .. يا دونيا لقد أبلغت لوجين أنني سأدخرجه

الى أسفل السلم اذا هو جاء الى مرة أخرى . وأرسلته الى الشيطان .

— روديا ، ما هذا الكلام الذى تقوله ؟ لا شك انك لا تريد ....

مع ذلك .... أن

كذلك بدأت تقول بولشيريا ألكسندروفنا ، ولكنها نظرت الى

دونيا فلم تلبث أن قطعت كلامها وصمتت .

كانت آدوفوتيا رومانوفنا تحدق الى أخيها بنظرات ثابتة وتنتظر

التمة . وكانت المرأتان قد عرفنا أمر المشاجرة من ناستاسيا ، بمقدار

ما كانت ناستاسيا قادرة على أن تدركها وعلى أن تصوّرها ، فكاتنا لذلك

فى حيرة شديدة واضطراب قوى .

تابع راسكولنيكوف كلامه فقال بجهد ومشقة :

— دونيا ، أنا لا أريد هذا الزواج . لذلك يجب عليك أن تعلنى

له رفضك من الغد . لا أحب أن يسمم حياتنا بعد الآن !

صاحت بولشيريا الكسندروفنا :

— رباه !

وبدأت آدوفوتيا رومانوفنا تتكلم فقالت باندفاع :

— هلاً فكرت قليلاً فيما تطلبه منى يا أخى ! ..

ولكنها لم تلبث أن سيطرت على نفسها ، فاضافت تقول برفق  
وهدوء ولين :

– قد لا تكون صحتك الآن حسنة ... أنت متعب !

– أنا أهذى اذن ؟ أهذا ما تتصورينه ؟ لا ، انا لا اهذى ! انك  
تريدين أن تتزوجى لوجين ، فى سبيلى أنا ، ! ولكننى أنا أرفض هذه  
التضحيات . لذلك ستكتفين له من الغد رسالة قطيعة . وسأقرأ الرسالة ،  
ويتهى كل شيء .

هتفت الفتاة تقول مستكرة :

– لا أستطيع أن أفعل هذا . وبأى حق ...

فقاطعتها الأم مرتاعة وهى ترتدى عليها :

– أنت أيضاً تندفعين يا دونيتشكا ... كفى الآن ... غدا ...  
ألست ترين اذن أنه ... آه ... والأفضل أن تنصرف أيضاً !

وصاح رازوميخين يقول :

– انه يهذى ! والا فهل كان يجزؤ أن ... لسوف تخرج من  
رأسه هذه الحماقات كلها غداً . لقد طرده اليوم فعلاً . هذا صحيح .  
وغضب الآخر طبعاً . كان يفيض فى الكلام هنا ، ويعرض علمه  
ومعرفته . لكنه خرج مع ذلك واضعاً ذيله بين ساقه ...

هتفت بوليشيريا الكسندروفنا تقول :

– أصحيح اذن ؟

وقالت دونيا وقد امتلأ قلبها شفقة ورحمة :

– الى الغد يا أخى . هلمى يا أمى ! أستودعك الله يا روديا !

كرر راسكولنيكوف يقول مستجماً آخر قواه :

— اسمعى يا أختى ! أنا لا أهدى • ليس هذا صحيحاً • ان هذا  
الزواج دناءة ! لنفرض أننى أخط انسان • ولكن يجب عليك أنت ان  
لا ••• انه يكفى أن يكون واحد منا ••• ثم اننى على كونى أخط  
انسان ، لن أعدك أختى اذا أنت ••• فاما لوجين واما أنا ! وانصرفوا  
الآن !

زأر رازوميخين يقول :

— ولكنك جُننت ! يا لك من طاغية مستبد !

لم يجب راسكولنيكوف ، ربما لأنه كان لا يملك من القوة مايمكنه  
من الكلام • وعاد يرقد على الديوان ، واستدار الى جهة الحائط ، مهدود  
القوى تماماً •

نظرت آدفتويا رومانوفنا مستطلعة مستوضحة • كانت عيناها  
تسطمان • حتى لقد ارتعش رازوميخين بتأثير هذه النظرة • ولبت  
بولشيريا ألكسندروفنا جامدةً مذهولة • وهمست تقول لرازوميخين  
يأسة :

— لكننى لن أستطيع أن انصرف بحال من الأحوال • سأبقى هنا ،  
فى مكان ما • اصحب انت دونيا •

فأجابها رازوميخين همساً كذلك ، ولكنه كان غاضباً خارجاً عن  
طوره :

— بهذا تفسدين كل شىء • لنخرج الى فسحة السلم على الأقل •  
يا ناستاسيا ، هاتى لنا ضوءاً •

حتى اذا صاروا فى السلم ، تابع كلامه يقول بصوت خافت :

— أحلف لك أنه كاد يضربنا أنا والطيب منذ قليل • هل تفهمين؟  
نعم ، كاد يضرب الطيب نفسه • واضطر الطيب أن يطيعه حتى لا يهيجه  
مزيداً من الهياج ، فأنصرف ؛ ورغم أنني بقيت أنا تحت ، من أجل أن  
أحرسه ، فقد استطاع أن ينهض ••• وأن يهرب ! فإذا أهجنه الآن  
وأغضبناه ، فسيهرب ، أو هو سيحاول ، في وسط الليل ، أن يرتكب  
عملاً ضد نفسه •••

— ما هذا الذى تقوله ؟

— ثم إن آدوتيا رومانوفنا لا تستطيع أن تقضى الليل وحيدة  
فى تلك الغرفة المفروشة • هلاً فكرت قليلاً فى المنزل الذى تنزلونه !  
ألم يكن فى وسع ذلك الوغد بطرس بتروفش أن يجد لكما مسكناً  
أليق ؟ على أنني سكران قليلاً ، لذلك شتمت ••• لا تولى هذا اتباعاً !  
قالت بولشيريا الكسندروفنا مصرّة :

— اذن سأضى أتوسل الى صاحبة البيت أن تهب لنا ، أنا ودونيا ،  
ركناً صغيراً نبيت فيه هذه الليلة • لا أستطيع أن أتركه وهو على هذه  
الحال ، لا أستطيع •

وكانا قد هبطا طابقاً وهما يتكلمان ، فأصبحا الآن أمام باب صاحبة  
البيت • وكانت ذاتاً ستاسيا تتقدمهما درجة فتير لهما الطريق •

كان رازوموخين يعانى اضطراباً خارقاً • انه قبل نصف ساعة ،  
على افراطه فى الثروة أثناء مرافقته راسكولينيكوف الى بيته — كما  
اعترف هو نفسه بذلك — كان يشعر بأنه مرتاح قريباً ، وبأنه متملئ  
نشاطاً رغم المقادير الضخمة من الحُمرة التى شربها فى السهرة • اما  
الآن فهو فى حالة نشوة شديدة ، والحُمرة تصعد الى رأسه بقوة متزايدة •  
هو الآن واقف بين السيدتين ، ممسك يديهما ، يحاول بصراحة قوية



أن يقنعهما بالحجج التي يعرضها • وأغلب الظن أنه من أجل أن يقنعهما بمزيد من القوة انما كان يشد يد كلٍ منهما بما يشبه الكلابية ، عند كل كلمة يقولها ، فاذا هو يوجعهما ، بينما عيناه تلتهمان آدفتيا رومانوفنا التهاماً ، دون أن تخرج • فكأننا من شدة الألم تخلصنا أصابعهما أحياناً من قبضة يده القوية المروقة ، ولكنه لا يتبّه هو الى هذا ، حتى ليشدهما اليه شداً أقوى • ولو قد طلبتا منه في تلك اللحظة أن يرمى نفسه الى أسفل السلم منكس الرأس لفعل ذلك فوراً بلا مناقشة ولا تردد •

كانت بولشيريا الكسندروفنا تستغرب بعض الاستغراب أن يضغط الشاب يدها هذا الضغط القوى ، وأن يكون تصرفه شاذاً هذا الشذوذ ، ولكنها من شدة تأثرها حين تتذكر ابنها لوديا ، ومن اصرارها على ان ترى في رازوميخين عوناً أرسلته العناية الالهية ، كانت لا تريد ان تعترف لنفسها بهذه التفاصيل • أما آدفتيا رومانوفنا ، فقد كانت ، رغم أنها ليست بالفتاة الحجول ، لا تخلو من شعور بالدهشة والذهول بل ومن احساس بالخوف والرعب ، حين يلتقي بصرها بتلك النظرة الممتعة التي يليقها عليها صديق أخيها ، غير أن الثقة العظيمة التي اوحى اليها بها حديث ناستاسيا عن هذا الرجل الرهيب هي التي كانت تنزعها من الرغبة في الهروب منه جاريةً معها أمها • ثم انها كانت تدرك حق الادراك انهما أصبحتا لا تستطيعان الخلاص منه الآن • يضاف الى هذا أنها قد هدأت بعد عشر دقائق : فان رازوميخين يملك موهبة الظهور على حقيقته كاملةً من أول نظرة ، آيةً كانت الحالة التي هو فيها ، فاذا بمن يراه يعرف من ذا يعامل •

هتف رازوميخين يقول ليقنع بولشيريا الكسندروفنا :

— لا مجال للتفكير في الالتجاء الى صاحبة البيت ! تلك أكبر حماقة يمكن ارتكابها • لو بقيت لأثرت غضبها وحقها رغم أنك أمه ، ولا يدرى

الا الشيطان ماذا يمكن أن يحدث ! اسمعيني ، اليك ما سافله : تبقى  
 ناستاسيا الآن الى جانبه ، وأصبحكما أنا كلكما الى بيتكما ، لانكما  
 لاستطيعان أن تسيرا وحيدتين هكذا في الشوارع . عندنا ، في بطرسبرج ،  
 من هذه الناحية . . . الخلاصة ! . . . فمضى أوصلتكما رجعت الى هنا راكضاً ،  
 فما ان ينقض على ذلك ربع ساعة حتى أعود اليكما من جديد لأخبركما  
 بكل شيء : أقول لكما كيف حالته ، وهل نام أم هو لم يتم ، النخ النخ .  
 لكما على عهد الشرف لأعودنَّ اليكما بعد ربع ساعة . ثم أتب الى بيتي  
 حيث يوجد ضيوف هم جميعاً سكارى ، فاخذ زوسيموف — ان زوسيموف  
 هو طبيبه ، وهو الآن في بيتي ولكنه ليس بسكران ، هو لا يسكر ابداً —  
 آخذه وأمضى به الى روديا ، ومن هناك نجىء اليكما فوراً نحن الاثنين ؟  
 فبذلك تلقيان أخباراً عن روديا مرتين في غضون ساعة ؟ وفي احدي  
 هاتين المرتين تلقيان الأخبار من فم طيب ، نعم من فم طيب ، فيكون  
 فيها من الجد ما لا يكون في الأخبار التي قد ألقها أنا وحدى بطبيعة  
 الحال . . . . فاذا لم يكن روديا بخير اصطحبكما اليه حتماً ، يميناً  
 لاصطحبكما اليه ان لم يكن بخير . . . . أما اذا كانت حالته حسنة ، فلن  
 يكون عليكم عندئذ الا أن ترفدا وتناما . وأنا سأقضي الليلة هنا ، على  
 فسحة السلم ، ولن يلاحظ هو ذلك . وسأطلب من زوسيموف أن يبيت  
 عند صاحبة البيت ، فيكون بذلك تحت تصرفي ورهن اشارتي . من ينفعه  
 في هذا الوقت أكثر ، أأتما أم الطيب ؟ الطيب طبعاً ! فعودا اذن الى  
 بيتكما ! ولا مجال للتفكير في الالتجاء الى صاحبة البيت . أنا يمكن أن  
 أبيت عندها ، أما أنت فلا . لن تحب أن تبتى عندها . . . . لأنها امرأة  
 حياء . سوف تثار . . . سوف تثار بسبب آدقوتيا رومانوفنا . اعلمى  
 هنا اذا كنت تحرصين على أن تعرفي كل شيء . . . . هذه امرأة غريبة  
 الأطوار جداً . على أنني أنا أيضاً غبي ! وهلمَّ جرا . . . . أتقان بي ؟  
 أتقان بي ؟ أتقان بي أم لا ؟

قالت آدقوتيا رومانوفنا :

— فلتنصرف يا ماما • لا شك في أنه فاعل ما يقول • لقد ردّ اخي الى الحياة • واذا صحّ أن الطبيب يقبل أن يقضى الليلة هنا ، فهل تمنى خيراً من هذا ؟

هتف رازومبخين يقول مفتتاً غاية الافتتان :

— حقاً ••• انك لتفهميننى لأنك ملاك ! هيّا بنا • يا ناستاسيا ، اصعدى أنت الى فوق ، فوراً ، مع النور ، وسأعود أنا بعد ربع ساعة •

لم تعارضه بولشيريا الكسندروفنا أية معارضة ، رغم أنها لم تقتنع اقتناعاً تاماً • وأمسك رازومبخين ذراع السيدتين وجرحهما على السلم • ولكن الأم ظلت قلقلة ، فكانت تقول لنفسها : • قد يكون ليبياً ومخلصاً ، ولكن أهو قادر على أن يفى بوعده ، وهو على هذه الحال ؟ •

قال رازومبخين وكأنه حزر مجرى خواطر بولشيريا الكسندروفنا ، بينما هو يسير على الرصيف بخطى واسعة فلا تكاد تستطيع السيدتان ان تجارياه الا بمشقة كبيرة ، وذلك أمر لم يلاحظه على كل حال ؟ قال :

— آ ••• أنا أفهم ! انك تقدّرين أننى فى الحالة التى أنا فيها ، لا ••• نعم ••• أنا سكران ، سكران تماماً ، ولكن ليست هذه هى المسألة • ليست الحمرة هى التى أسكرتنى ••• فالضربة التى سقطت على رأسى انما سقطت على رأسى حين رأيتهما ! على كل حال ، لا تكثرنا لهذا ! أنا أهذى ، أنا لست جديراً بكما ، لست جديراً بكما البتة ••• وما ان أوصلكما ، حتى أذهب الى القناة ، فأصب على رأسى قادوسين من الماء • ليتكما تعرفان كم أحبكما كلتيكما ! لا تضحكا ! لا تزعلا ! ازعلا من جميع الناس ، ولكن لا تزعلا منى أنا ! أنا صديقه ، فانا اذن صديقكما • ذلك ما أريد أن يكون ! ولقد أوجست هذا منذ السنة

الماضية ... نعم ، فى لحظة ما ، هكذا • على اتنى لم أوجس شيئاً البنه ،  
لسبب بسيط هو أنكما هبطتما على من السماء • الخلاصة ، من الجائز  
جداً أن لا أنام طوال الليل • كان زوسيموف يخشى منذ قليل أن يعجن  
روديا • لذلك يجب تحاشي اهاجته •

هتفت الأم تسأله :

— ما هذا الذى تقوله ؟

وسألته آدفتوتيا رومانوفنا مروعة :

— حقاً ؟ الطبيب نفسه قال لك ؟

— قال لى ! ولكن كلامه ليس صحيحاً ، ليس صحيحاً على الإطلاق .  
آه ... كان من الأفضل أن لا تصلا الا غداً ! على كل حال ، لقد احسنا  
صنعاً اذ انصرفنا • وبعد ساعة سيأتىكم زوسيموف بتقرير كامل • ليس  
زوسيموف سكران مثلى ، ليس هو سكران • وأنا لن أكون سكران  
أيضاً ! آه ... لماذا شربت حتى ثملت ؟ لماذا ؟ لأنهم جرؤنى الى  
حديثهم ، أولئك الملاعين ! وكنت مع ذلك قد آليت على نفسى ان  
لا أناقش • وما أسخف ماكانوا يقولونه ! كدت أن أقتل معهم ! وتركت  
عمى يترأس بدلاً منى • هل تصدّقان ؟ انهم ينادون باللاشخصية ...  
يقولون ان على المرء أن لا يكون عين نفسه • ويسمّون هذا ذروة  
التقدم • ويا ليت السخافات التى قالوها كان فيها شيء من أصالة وطرافة .  
أبدأ ...

قالت بولشيريا ألكسندروفنا خجلةً وجلةً :

— اسمع ...

ولكن مقاطعتها هذه لم تزده الا اندفاعاً وحماسة • فصاح يقول  
بصوت أعلى :

- آ ... أنت تقدرين اننى بسبب هذرهم وهذيانهم انما ...  
أبداً ! أنا أحب الهذر والهذيان والخطأ والضلال . ان الخطأ هو الميزة  
الوحيدة التى يمتاز بها الكائن الانسانى على سائر الكائنات الحية . من  
يخطئ يصل الى الحقيقة . أنا انسان لأننى أخطئ . ما وصل امرؤ الى  
حقيقة واحدة الا بعد أن أخطأ أربع عشرة مرة ! وهذا فى ذاته ليس فيه  
ما يعيب . ولكن الناس لا يعرفون حتى أن يخطئوا بأنفسهم . لك أن  
تقول آراء جنونية ، ولكن لتكون هذه الآراء آراءك أنت ، فأغمرك بالقبل .  
لأن يخطئ المرء بطريقته الشخصية ، فذلك يكاد يكون خيراً من ترديد  
حقيقة لقننه اياها غيره . أنت فى الحالة الأولى انسان ، أما فى الحالة  
الثانية فأنت بغاء لا أكثر . الحقيقة لا تطير ، أما الحياة فيمكن خنقها .  
لقد رثى هذا . الى أين وصلنا من هذا الآن ؟ نحن جميعاً ، بغير استثناء ،  
سواء فى ميدان العلم ، أو الثقافة ، أو الفكر ، أو العبقرية الخالقة ، أو  
المثل الأعلى ، أو الرغبات ، أو اللبرالية ، أو العقل ، أو التجربة ، نحن  
فى كل شيء ، فى كل شيء ، فى كل شيء ، نعم ، فى كل شيء ، ما زلنا  
فى الصفوف الاعدادية لدخول المدرسة الثانوية ! الأفكار المضغوطة ،  
ذلك هو ما نحبه ! أليس هذا صحيحاً ؟ أليس الأمر كما أقول ؟ أليست  
هذه هى الحقيقة ؟

كذلك قال رازوميخين وهو يهزُّ يدي السيدتين ويضغطهما .

قدمت المسكنة بولشيريا ألكسندروفنا تقول :

- والله ... لا أعلم !

وأضافت آدفتيا رومانوفنا قائلة :

- نعم ، هو هذا ، هو هذا ، رغم أننى لا أوافقك على جميع

النقاط .

ثم سرعان ما أطلقت صرخة ألم ، لأن رازوميخين قد ضغط يدها  
في هذه المرة ضغطاً قوياً فلم تملك الا أن تطلق تلك الصرخة .  
وهتف رازوميخين يقول مفتتاً :

— نعم ؟ تقولين نعم ؟ ألا انك اذن ... ألا انك اذن لينبوع خير ،  
وطهارة ، وعقل ، وكمال . ناوليني يدك ، ناوليني يدك ، وأنت أيضاً ،  
ناوليني يدك . أريد أن أقبل يديكما في هذا المكان نفسه ، في هذه  
اللحظة نفسها ، جاثياً على ركبتى ، راکماً !  
وركع في منتصف الطريق ، الذى كان خالياً في تلك اللحظة من  
حسن الحظ +

صرخت بولشيريا ألكسندروفنا تقول مروعة :  
— كفى ، من فضلك ! ما هذا الذى تفعله ؟  
وقالت دونيا صاحكة ، رغم ارتباعها هي أيضاً :  
— انهض ، انهض ! ...

— لن انهض بحال من الأحوال ، لن انهض الا بعد أن تناولانى  
يديكما ! نعم ، هكذا . وكفى الآن ! انهض ونمضى . أنا امرؤ غليظ  
الطبع ثقيل الظل . أنا لست جديراً بكما . أنا سكران . واننى لأشعر من  
هذا بخزى وعار ... أنا لا أستحق أن أحبكما . أما السجود أمامكما  
فهو واجب يقع على كل انسان ليس أحق كل الحق . لذلك سجدت  
... ولكن هذا هو مسكنكما . يكفى هذا وحده سبباً أجاز لروديون  
أن يطرد صاحبكما بطرس بترفش شر طردة ! كيف أباح لنفسه أن  
يسكنكما في غرفة مفروشة كهذه الغرفة ؟ هذه فضيحة ! هل تعلمان  
نوع الناس الذين يؤوونهم هنا ؟ ثم يقول انك خطيئة ! ... أنت خطيئة  
أليس كذلك ؟ فاسمحي لى أن أقول لك اذن ان خطيئتك رجل قدر !

بدأت بولشيريا ألكسندروفا تتكلم فقالت :

— اسمع يا سيد رازوميخين ؟ انك تتسى أن ...

فأسرع رازوميخين يقول مستدركاً :

— نعم ، نعم ، أنت على حق ! أنا أقول سخافات ! اننى لأشعر  
بخجل وعار . ولكن .. ولكن لا يمكنك أن تنضبى لأننى كلمتك بهذه  
الطريقة . ذلك أننى تكلمت مخلصاً صادقاً ، ولم أقل ذلك الكلام لأننى  
... هم ... لا ... لن أقول ... لو قلت لكان فى كلامى ما يدعو  
الى الفور ... الخلاصة ... أنا لم أقل ذلك لأننى ... بك ...  
هم ... لا ، ما ينبغى أن أقول لماذا ... لا أجرؤ ... ولكن ، حين  
دخل علينا فى هذا اليوم ، أدركنا جميعاً على الفور أن هذا الرجل ليس  
منا . لا لأننا رأيناه يصل مجعّد الشعر قد خرج من عند الحلاق رأساً ،  
لا ولا لأنه أسرع يعرض ثقافته ومعلوماته ، بل لأنه جاسوس ومستغل  
لأنه بخيل كيهودى ، لأنه دجال ، ولأن هذا كله واضح لا يخفى !  
أظنانه ذكياً ؟ لا بل هو غبى ، غبى ! أهذا زوج لك ؟ لا ، لا !

ثم أضاف يقول وهو يتوقف فجأة لحظة همّوا أن يصعدوا  
السلم :

— اسمع يا سيدتى : ان الضيوف الذين هم فى بيتى الآن أناس  
شرفاء مهما يكونوا سكارى ، ورغم أننا جميعاً نهذر ونهذى — وأنا أيضاً  
أهذر وأهذى — فان هذرنا وهذياننا سيفضيان بنا يوماً الى الحقيقة ، لأننا  
نحن نسير فى طريق الاخلاص والتجرد عن المنفعة ، وليس هذا طريق  
بطرس بتروفتش ، فان بطرس بتروفتش لا يسلك طريق التجرد عن  
المنفعة ... نعم ، فرغم أننى وصفتهم فى هذا المساء بجميع النعوت  
وانهلت عليهم بجميع الشتائم ، فاننى أقدرهم جميعاً حق قدرهم . وأنا

أحب زامبوتوف رغم أنني لا احترمه • أنا أحبه فعلاً ، لأنه حيوان شائق  
على كل حال • أحب حتى ذلك الشرس زوسيموف ، لأنه شريف ولأنه  
يعرف مهنته • ولكن كفى الآن هذا • لقد قلت كل شيء... وسامحاني ،  
هه ! هيا بنا ! انني أعرف هذا الدهليز • لقد سبق أن جئت الى هذا  
المكان ، وهنا ، في رقم ٣ ، وقعت فضيحة • أين تسكنان ؟ في أي رقم ؟  
ثمانية ؟ طيب ... أغلقا عليكما الباب طول الليل ، ولا تدعا لأحد أن  
يدخل • سأعود اليكما بأبناء بعد ربع ساعة ، وبعد نصف ساعة من عودتي  
الأولى ، سأعود ثانية مع زوسيموف • ستريان • استودعكما الله • أنا  
ذاهب !

قالت بولشيريا الكسندروفنا لابتها خائفة وجلة :

— رباه ! ماذا سيحدث يا دونيتشكا !

فأجابت دونيا أمها وهي تخلع قبعتها وتنضو خمارها :

— هدئي روعك يا ماما • ان الله نفسه هو الذي أرسل إلينا هذا  
السيد ، رغم أنه مسرف في السكر • في وسعنا أن نتمد عليه ، أوكد  
لك • انظري الى كل ما فعله في سبيل أخينا من قبل أن نصل ...

— آه يا دونيتشكا • الله يعلم هل يعود ! وكيف أمكنني أن أوافق  
على ترك روديا ؟ ... ثم انني لم أكن أتوقع أن أراه على هذه الحالة •  
ما على هذه الحالة كنت أتوقع أن أراه ! ما أقساه ! لكانه لم يُسرَّ  
برؤيتنا !

وتلاّلات في عيني الأم دموع •

— لا يا أماه • ليس هذا هو الأمر • أنت ما رأيته رؤية جيدة ،  
لأنك كنت تبكين طول الوقت • انه مريض مرضاً شديداً • فهذا المرض  
هو سبب كل شيء •



- آ ... المرض !... ربه ! ماذا سيحدث ؟ وهل رأيت بأية لهجة خاطبك ؟

أضافت الأم هذا السؤال الأخير ، وهي تختلس نظرة الى عيني ابتها لتقرأ ما يدور في ذهنها ، متعزية بعض التعزى منذ الآن ، لأن دونيا دافعت عن أخيها ، فهذا دليل على أنها غفرت له .  
ثم أردفت تقول وهي تنتظر ما عسى أن تقوله الفتاة :  
- أنا واثقة بأنه سيرجع غداً الى عواطف أخرى .  
فردت آدفوتيا رومانوفنا تقول بلهجة قاطعة :

- أما أنا فواثقة بأنه سيكرر غداً ما قاله اليوم في هذا الموضوع .  
وبهذا الرد وضعت الفتاة حداً للحديث بينها وبين أمها ، لأن بولشيريا الكسندروفنا كانت ، في هذه اللحظة على الأقل ، تخشى المجازفة في الكلام على هذا الأمر .

واقربت دونيا من أمها فقبلتها . فعانقتها أمها عناقاً قوياً دون أن تقول كلمة واحدة . ثم جلست تنتظر عودة رازوميخين قلقة ، وتنتظر وجلة الى ابتها التي غرقت في خواطرها وأفكارها مضطربة هي أيضاً ، وأخذت تذرع الغرفة طولاً وعرضاً ، مصالبة ذراعيها على صدرها . ان هذا المشى في الغرفة طولاً وعرضاً هو عادة من عاداتها ؛ وأمها تخشى دائماً في مثل هذه الظروف أن تعكر تأملاتها .

لا شك أن رازوميخين كان مضحكاً جداً حين استولى عليه هذا الهيام المبالغت بأفوتيا رومانوفنا . ولكن ما أكثر الذين لو رأوا آدفوتيا رومانوفنا ، ولا سيما في ذلك الوقت الذي كانت تطوف فيه بالغرفة حزينة مفكرة مصالبة ذراعيها على صدرها ، ما أكثر الذين لو رأوها

لعذروا الفتى ولو كان فى حالة طبيعية من غير سكره . ان آفدوتيا رومانوفنا فتاة جميلة جداً ، فارعة القوام ، معتدلة الاند ، قوية ، واثقة بنفسها - كما تشهد بذلك كل اشارة من اشاراتها - دون أن يجردّها ذلك من شيء من مرونتها وليوتتها ، وخفتها ورشاقتها . هى تشبه أخاها وجهاً ، ولكنها يمكن أن توصف بأنها « آية فى الجمال » . شعرها كستأوى اللون ، أزهى قليلاً من شعر أخيها . وعيناها اللتان تشبهان أن تكونا سوداوين ، تلمعان وتسطعان ، وتبران عن عزة وشمم ، وتبران أحياناً عن رقة وعذوبة لا حدود لهما . وهى شاحبة ، لكن شحوبها ليس شحوب المرض ، فان وجهها يشع نضارة وعافية . وفمها أملل الى الصغر ، وشفقتها السفلى حمراء قانية ، بارزة قليلاً كبروز ذقنها كذلك . وهذا هو العيب الوحيد فى ذلك الوجه الرائع ؛ على أنه عيب يضىء عليها طابعاً أصيلاً من صلابة وثبات ، بل من تعالٍ وكبرياء . واذا كان وجهها يعبر عن الجذ والتفكير أكثر مما يعبر عن المرح ، فان ابتسامتها ، وضحكها الفرحة التى هى ضحكة الشباب والتى فيها شيء من اهمال ، تناسبان فمها كثيراً . فلا غرابة اذن أن نرى رازوميخين الذى يتصف بالحرارة والبساطة والاستقامة ، أن نرى رازوميخين القوى كعملاق ، الثمل فوق ذلك ، الذى لم يسبق أن رأى جمالاً كهذا الجمال ، لا غرابة أن نراه يفقد عقله منذ أول نظرة . يضاف الى ذلك أن المصادفة قد شاعت ، بما يشبه العمد ، أن يرى دونيا فى اللحظة التى كانت فيها زاخرة بالفرح لرؤية أخيها ، وأن يراها بعد ذلك وقد أخذت شقتها السفلى ترتجف استياءً من مطالب هذا الأخ الوقحة ، فكيف كان يمكنه أن يقاوم وأن يصمد ؟

ولقد صدق حين قال ، فى سكره ، ان صاحبة البيت الذى يسكن فيه راسكولنيكوف ، أى براسكوفيا بافلوفنا ، سوف تفار لا من آفدوتيا

رومانوفنا فحسب ، بل ربما غارت كذلك من بولشيريا ألكسندروفنا ،  
فان هذه رغم أنها بلغت الثالثة والأربعين من العمر ، تبدو أصغر سنّاً من  
ذلك بكثير ، وهذا هو في كثير من الأحيان شأن النساء اللواتي استطعن  
الاحتفاظ حتى اقتراب الشيخوخة بصحو الذهن ، ونضارة الاحساسات  
وحرارة القلب ( ولنضف الى هذا مستطردين أن الاحتفاظ بهذا كله هو  
للمرأة الوسيلة الوحيدة التي تستطيع بها أن لا تفقد جمالها حين تشيخ ) .  
صحيح أن شعر بولشيريا ألكسندروفنا قد أخذ يبيض ويتناثر ؛ وصحيح  
أن غضونها صغيرة رقيقة قد ظهرت حول عينيها منذ مدة طويلة ؛ وصحيح  
أن خديها قد خسفا وجففاً بسبب الهموم والأحزان ؛ ولكن هذا الوجه  
قد ظل جميلاً ؛ حتى يمكن أن يقال انها صورة دونيا بزيادة عشرين  
عاماً ، مع فارق وحيد هو أن الشفة السفلى عند الأم ليست بارزة . وكانت  
بولشيريا ألكسندروفنا امرأة حسّاسة ، ولكن هذه الحساسية لا تمضي  
الى حد العاطفية المتصنعة . وهي خجولة ، ميّالة الى المجازاة ، مستعدة  
للتنازلات ، حتى حين يخالف ذلك اقتناعاتها . ولكن لهذا حدوداً .  
فمتى كان الأمر أمر شرفها وواجبها واقتناعاتها العميقة ، فما من ظرف  
من الظروف يمكن أن يحملها على تخطي تلك الحدود .

ما ان انقضت عشرون دقيقة على انصراف رازوميخين ، حتى نُقِرَ  
الباب نقرتين خفيفتين : لقد عاد رازوميخين .

أسرع يقول منذ فُتِحَ له :

— لن أدخل . لا يتسع الوقت . انه ينام نوعاً هادئاً مريحاً .  
أسأل الله أن يظل نائماً هذا النوم ست ساعات متتالية ! ناستاسيا قائمة عليه .  
أوصيتها أن لا تتركه الى أن أرجع . والآن سأمضي أٌحضر زوسيموف .  
سيحدثكما هو عن حاله . ثم تعقلان فتنامان ، ذلك أني أرى أنكما  
تكادان تسقطان من فرط التعب . . .

قال ذلك ثم اندفع ينصرف \*

هتفت بولشيريا ألكسندروفنا تقول فرحة كل الفرع :

— ما أعظم ما يمتاز به هذا الفتى من فطنة وإخلاص !

فأجابت آفدوتيا رومانوفنا تقول بشيء من الحرارة وهى تستأنف سيرها فى الغرفة طويلاً وعرضاً :

— ان له طبيعة رائعة فيما يبدو \*

وما ان انقضت على ذلك ساعة واحدة ، حتى سمعت أصوات وقع أقدام فى الدهليز ، ونُقر الباب من جديد \*

كانت المرأتان قد انتظرتا فى هذه المرة وهما ممثلتان تقه بصدق وعد رازوميخين \* وقد جاء رازوميخين مصطحباً زوسيموف فعلاً \* لقد رضى زوسيموف فوراً أن يترك الاحتفال ليعود راسكولنيكوف ، ولكنه لم يقبل أن يجرى الى السيدتين الا بشدء الأذن ، لأنه كان يرتاب فى حالة رازوميخين \* فما أسرع ما رضى غروره وابتهج ابتهاجاً كبيراً حين أدرك أنهما كانتا تنتظرانه حقاً كما يُنظر عرَّاف \* وقد لبث معهما عشر دقائق تماماً ، وأفلح كل الفلاح فى أن يقنع بولشيريا الكسندروفنا وأن يهدى روعها \* وكانت أقواله كلها تشهد باهتمامه الشديد بالمرضى ؛ ولكنه حافظ مع ذلك على هيئة الجدد والرصانة التى تناسب طبيعياً فى السابعة والعشرين من عمره يُستشار فى ظرف خطير ، فلم ينطق بكلمة واحدة تبعد به عن موضوعه ، لا ولا أظهر أية رغبة فى أن تقوم بينه وبين السيدتين صلات شخصية مستديمة \* واذا لاحظ منذ دخوله جمال آفدوتيا رومانوفنا الباهر ، حاول فوراً أن لا ينتبه اليها أى انتباه ، وظل طوال مدة الزيارة لا يكلم الا بولشيريا ألكسندروفنا وحدها \* وشعر من سلوكه هذا برضى كثير عن نفسه \* أما فيما يتصل بالمرضى فقد أعلن

أنه وجد هذه المرة في حالة مرضية على وجه الاجمال ؛ وشخص المرض فقال ان له ، عدا الظروف المادية المؤسفة التي عاش فيها المريض خلال الانتهر الاخيرة ، ان له عدا تلك الظروف اسباباً سيكولوجية ، « فهو ثمرة عوامل كثيرة معقدة ، منها عوامل نفسيه ، كالهجوم والمخاوف وبعض الافكار ، الخ » . واذا لاحظ ان افدوتيا رومانوفنا تصغى اليه بانتباه شديد جدا ، افاض في شرح رأيه مجاملاً . حتى اذا سأله بولشيريا ألكسندروفنا بصوت فلق خجول عما اذا كان هنالك شيء من « أعراض جنون +++ » ، أجابها وهو يتسم ابتسامة هادئة صريحة بأن أقواله قد بولغ في تفسيرها ؛ فلئن كان صحيحاً أنه لاحظ لدى المريض ميلاً الى مرض الفكرة الثابتة ، لئن لاحظ لديه علامات مرض الفكرة الوحيدة - لا سيما وأنه ، هو زوسيموف ، عاكف الآن على دراسة هذا الفرع الهام من فروع الطب - فان علينا أن نتذكر أيضاً أن المريض كان يهذى حتى هذا اليوم ، أو حتى هذا اليوم تقريباً فينبغي اذن +++ ؛ وأضاف زوسيموف يقول : « ولا شك أن وصول اسرته سيحسن اليه كثيراً ، وسيسرّث عنه ، أى سيساعد على شفائه » ، هذا اذا أمكن ( أضاف ذلك بلهجة رزينة ) أن « يجنب صدمات جديدة » . فال زوسيموف ذلك ثم نهض ، فجياً تحية هي مزيج من جد ومودة ، وخرج تغمره عبارات الامتنان والدعاء من بولشيريا الكسندروفنا . حتى ان يد افدوتيا رومانوفنا ، الصغيرة ، قد امتدت اليه من تلقاء نفسها ، فصافحها ، وخرج مفتوناً بهذه الزيارة ، ومفتوناً بنفسه أكثر من ذلك أيضاً .

قال رازوميخين يختم الزيارة وهو يخرج مع زوسيموف :  
 - سنتحدث غداً . أما الآن فيجب أن تنام ، يجب أن تنام حالاً .  
 ساجيئكما غداً في أول ساعة ، لأنبئكما بكل شيء .

قال زوسيموف بحرارة حين صارا في الشارع :

— فتاة فتانة ، آفدوتيا رومانوفنا هذه !

زأر رازوميخين يقول :

— فتانة ؟ تقول فتانة ؟

وهجم عليه فجأة ، فأمسك بخنقه ، وتابع كلامه وهو يهزه من يافته ويضنطه على حائط :

— اذا تجرأت في ذات يوم ... هل تسمع ؟ هل تسمع ؟ هل تسمع ؟

فقال زوسيموف متخبطاً :

— دعنى يا سكّير !

فلما تركه حدّق الى رازوميخين بنظرة ثابتة ثم انفجر يضحك في قهقهة شديدة . كان رازوميخين واقفاً أمامه ، مترجّح الذراعين ، غارقاً في تأملات سوداء خطيرة .

قال رازوميخين مظلم الوجه مريدّ الأسارير :

— أنا حمار طبعاً ، ولكن أنت أيضاً ، أنت أيضاً ...

— لا يا صاحبي . شأني أنا شأن آخر . أنا لا أفكر في سخافات .

وأخذنا يسيران دون أن يتبادلا كلمة واحدة ؛ وكان يبدو على رازوميخين أنه مهموم جداً . فلما وصلا الى قرب عمارة راسكولنيكوف قطع رازوميخين الصمت فقال :

— اسمع يا زوسيموف . أنت فتى رائع ، ولكنك بالاضافة الى جميع عيوبك السيئة ، تمتاز بأنك زير نساء ، وبأنك من أكثر أمثالك خلاعة ،

بل أنت نجس الى أبعد حدود النجاسة • أنت ترقه نفسك ، وتسمّن جسمك ، ولا تتورع عن شيء ، لذلك أقول انك نجس ، فهذا انما يصبح المرء نجساً • وقد بلغت من الرخاوة حدّاً لا أستطيع معه أن أفهم كيف أمكنك أن تكون رغم هذا طيباً بارعاً ، بل طيباً مخلصاً متفانياً • أنت تنام على فراش من ريش ( طيب ينام على فراش من ريش ! ) ثم تنهض في الليل مسرعاً لتعود مريضاً من المرضى ! أحسب أنك بعد ثلاث سنين لن ترضى أن تنهض في سبيل مريض • على أن المسألة ليست هذه ! اليك المسألة : ستيت هذه الليلة في شقة صاحبة البيت ( لقد استطعت أن أفعلها بذلك بعد لأي ) ، وسأيت أنا في المطبخ • هذه فرصة لك من أجل أن تعرف اليها ••• ولكنها يا صاحبي ليست ماتظن • ليس ههنا ظل من •••

- ولكنني لا أظن شيئاً البتة !

- ههنا يا صاحبي خفر وحياء وخجل وعفة لا تنال • وههنا بالاضافة الى ذلك تنهدات وذوبان كذوبان الشموع ، نعم ذوبان كذوبان الشموع ! خلّصني منها ناشدتك بجميع شياطين الأرض ! وهى باشة الى أبعد حدود البشاشة ••• سأعرف كيف أشكر لك هذا الصنيع ، أحلف لأعرفن كيف أشكر لك هذا الصنيع !

أخذ زوسيموف يضحك مزيداً من الضحك ؟ ثم قال :

- ولكن ما عساني صانعا بها ؟

- أؤكد لك أن هذا لن يتعبك كثيراً • ستجلس على سريرها ، فتقول لها أي شيء يخطر ببالك • نعم ، لن يكون عليك الا أن تجلس وأن تتحدث • صف لها دواء من الأدوية ما دمت طيباً • ولن تندم على أنك فعلت ذلك • أحلف لك ! ثم ان عندها بيانو من طراز قديم •

أنت تعلم أنتى أعزف على البيانو قليلاً . . . . وهناك أغنية روسية عاطفية  
تقول : • بدموعى السخينة ، سأسقى . . . • • • • • هى تعبد الأغاني العاطفية  
عبادة ، وبهذا انما بدأنا • واذا أنك عازف ماهر ، اذا أنك استاذ فى  
العزف ، اذا أنك موسيقى مثل روبنشتاين \* . . . • أحلف لك لن تندم !  
- أتركك بذلك لها وعوداً ؟ تعهداً خطياً مثلاً ؟ أملكك وعدتها بأن  
تزوجها ؟

- لا ، لا ، لا شئ من هذا البتة ! انها ليست ما تظن • لقد حاول  
تشياروف . . .

- ما عليك اذن الا أن تتركها !

- ولكن هذا مستحيل •

- لماذا ؟

- لا لشيء الا لأنه مستحيل • هذا هو الأمر • أنا أشعر بارتباط  
• • • فهمت ؟

- ولكن لماذا حاولت اغراءها ؟

- أنا لم أحاول اغراءها البتة • لعلنى أنا الذى أنُغريت ، بسبب  
غباوتى • ويستوى عندها أن أكون أنا أو أن تكون أنت • كل ما يهمها  
أن يجلس الى جانبها رجل يشهد لها • هى يا صاحبنى • • • لا ادرى  
كيف أعبر لك • أنت تهجد علم الرياضيات ، أليس كذلك ؟ حدثها  
اذن عن حساب التكامل • يميناً اننى لا أمزح • أحلف لك انها لا تكثر  
بالأمر • سوف يكفيها أن تنظر اليك طوال السنة وأن تشهد • انا مثلاً  
لبتت يومين على الأقل أحدثها ، عن مجلس النواب الروسى ، حديثاً  
طويلاً جداً ، اذ كان لا بد أن أن أحدثها عن شئ ما ! فكانت لا تزيد

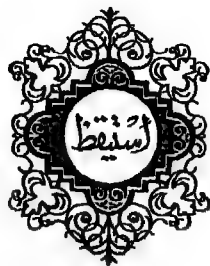


على أن تنهد وأن تذوب • ولكن حذار أن تكلمها في الحب ، فلو كلمتها في الحب لأمكن من شدة حياثها أن تصاب بنوبة تشنج • المهم أن تجعلها تعتقد بأنك لا تقوى على تركها • سيكفيك هذا • وستكون عندئذ كأنك في بيتك : اقرأ ، اضطلع ، اكتب • بل في وسعك أن تجازف فتقبلها • ولكن امض الى هذا بحكمة وحذر !•••

— ولكن ما حاجتى الى هذا كله ؟

— لا أدري كيف أشرح لك • اسمع : ان كلاً منكما قد خلق للآخر • حتى لقد فكّرت فيك من قبل • وما دمت ستتهي الى هذه النهاية أخيراً ، فسيان أن يتم هذا متقدماً بعض التقدم أو متأخراً بعض التأخر • هنا يا عزيزي يتحقق مبدأ فراش الريش ، بل تتحقق اشياء أخرى كثيرة أيضاً • هنا خاتمة المطاف ، هنا المرساة ، هنا المرفأ الهادئ ، الآمن ، هنا سرّة الأرض ، هنا أمس الكون نفسها : القطائر الطيبة ، القبرّة المقلية ، سماور المساء ، التهيدات الهادئة ، الماء العالي ! نعم ، ستكون كاليت ، وفي الوقت نفسه ستكون حياً : ترمى طائرین بحجر واحد ! آه ! أصبحت أقول سخفاً • آن أو ان النوم • اسمع : يتفق لى أحياناً أن أستيقظ في الليل ؟ فإذا استيقظت هذه الليلة فسأذهب اري كيف حال روديون • فلا تقلق كثيراً اذا أنت سمعت وقع أقدامى صاعداً اليه • ولكن اذا حدثك قلبك بشيء فاذهب اليه مرة • فإذا لاحظت شيئاً غير مألوف ، كهذيان أو حمى ، فأيقظني • على أن هذا ضعيف الاحتمال ••••

## الفصل الثاني



رازميخين في الغد بعد الساعة السابعة  
 بقليل ، مشغول البال مهماً • ان أموراً كثيرة  
 داعية الى القلق قد هاجته في ذلك الصباح ولم  
 يكن قد تنبأ بها • ولم يكن قد تخيل في حياته  
 أنه يمكن أن يستيقظ يوماً على هذه الحال • تذكر حوادث الأمس بجميع  
 تفاصيلها ، وأدرك أنه قد وقع له شيء خارق تماماً ، وأنه أحس بعاطفة  
 كان يجدها كل الجاهل حتى ذلك الحين ، عاطفة لا تشبه العواطف التي  
 سبق أن أحس بها قبل ذلك في شيء • لكنه أدرك في الوقت نفسه  
 ادراكاً واضحاً أن الحلم الذي نشأ في دماغه حلم مستحيل التحقق ، حلم  
 يبلغ من استحالة التحقق أنه شعر منه بالحزى والعار ، فأسرع ينتقل  
 الى هموم أخرى محسوسة مباشرة من الهموم التي أورثه اياها • ذلك  
 اليوم المشؤم » •

والشيء الذي آله تذكره أكثر من أي شيء آخر هو أنه تصرف  
 تصرف إنسان « دنيء خسيس » ، لا لأنه قد سكر فحسب ، بل أيضاً  
 لأنه كان غيباً أحقق فشراً بشيرة بلهاء فأخذ يذم للفتاة خطيئها ، دون أن  
 يعرف ما بينهما من علاقات على وجه الدقة ، بل ودون أن يعرف ماهو  
 هذا الرجل على وجه التحديد • ثم أي حق له في أن يحكم عليه بمثل  
 هذه السرعة وبمثل هذه الحفة وهذا الطيش ؟ من ذا الذي نصبه قاضياً ؟  
 وهل يمكن أن تقبل اسناتة مثل آفدوتيا رومانوفنا أن تتبع نفسها بالمال

لرجل تافه حقير ؟ فلا بد اذن أنه يملك بعض المزايا ... اما هذه الغرفة المفروشة التي استأجرها لهما فكيف كان يمكنه أن يعرف ما هي ؟ اقليس يهين لهما شقة مناسبة ؟ آه ... ما أدنا هذا كله في نظر رازوميخين الآن ! هل يبرر سكره ذلك السلوك ؟ يا له من عذر ! ألا أن سكره ذاك ليلطخه بمزيد من العار ! « الحمرة تكشف عن حقيقة الرجل » ، ولقد انكشفت الحقيقة كاملة . « ان قذارة قلبه الحسود الطماع » قد ظهرت واضحة للعيان . ثم هل يجوز له أن يراوده ، هو رازوميخين ، حلم كهذا الحلم ، على أى نحو من الأنحاء ؟ ما قيمته بالقياس الى هذه الفتاة ، هو السكير العريد ، المتشدد المهذار ؟ بل « كيف يمكن ان تُعقد بينه وبينها مقارنته تبلغ هذا المبلغ من السخف والاستهتار ؟ » . كذلك تساءل رازوميخين فاذا هو يحمر خجلاً ، ويشعر بكرب شديد ، ثم اذا هو يتذكر تذكراً واضحاً جداً ، على حين فجأة ، بما يشبه العمد ، أنه قال بالأمس ، على السلم ، ان صاحبة البيت ستغار عليه من آفدوتيا رومانوفنا ، فوكت هذه الفكرة من نفسه موقعاً لا يطاق ولا يحتمل ، فاذا هو يضرب المدفأة بقبضة يده ضربة استجمع لها كل ما يملك من قوة ، ففجرت يده وكسرت آجرة .

دمدم يقول بينه وبين نفسه ، بعد دقيقة ، وهو يحس بشعور عميق من المذلة : « لا شك أنه لا يمكن محو أو اصلاح جميع هذه الحقائق التي ارتكبتها ، لا الآن ولا في أى يوم من الأيام . فلا فائدة من التفكير فيها اذن ، وانما الأفضل أن أذهب اليهما دون أن أقول شيئاً ، وأن أقوم بواجباتي دون أن أقول شيئاً كذلك ... دون أن استغفر ... دون أن أقول شيئاً البتة ... فقد ضاع كل شيء منذ الآن طبعاً ! ... » . ومع ذلك عنى رازوميخين بهندامه أثناء ارتداء ملابسه أكثر مما ألف أن يعنى به قبل ذلك اليوم . لم يكن يملك الا بدلة واحدة . ولكن

مبه كان يملك بدلةً أخرى فلعله ما كان ليرتديها • قال يحدث نفسه :  
 « لو كنت أملك بدلةً أخرى لتعمدت أن لا أرتديها » • على أنه  
 لا يستطيع أن يستخف ويستهر ، فيذهب اليهما وسخ الثياب مشعت  
 المظهر • فليس من حقه أن يهين مشاعر الآخرين ، لا سيما وأن هؤلاء  
 الآخرين محتاجون إليه ، وأنهم هم الذين يطلبونه • لذلك حرص  
 رازوميخين على أن ينظف ملابسه بالفرشاة تنظيفاً عني به عناية خاصة •  
 أما قميصه فقد كان نظيفاً • والحق أن رازوميخين كان من هذه الناحية  
 شديد العناية دائماً •

وقد اهتم في ذلك الصباح بزيته اهتماماً دقيقاً • وجد قطعةً من  
 الصابون عند ناستاسيا ، فغسل شعره ورقبته ، وغسل يديه خاصةً • أما  
 سؤاله أيحلق ذقنه أم لا ( ولقد كان لدى براسكوفيا بافلوفنا أمواس ممتازة  
 بقيت لها من زوجها المتوفى السيد زارتسين ) ، فقد أجاب عنه بالنفي ،  
 حتى لقد ثارت ثائرته حينذاك ، فقال : « لتبقى لحيتي كما هي ! والا ظننت  
 أنني حلقت في سبيل أن ... نعم ذلك ما ستظنانه ! اذن لن أحلق بحال  
 من الأحوال ! » •

وتابع يقول لنفسه: « ثم انني قدر أشد القذارة ، فظ أبلغ الفظاظه ،  
 قليل الأدب الى أبعد حد ... وهبني رجلاً شريفاً ( ذلك أنني اعرف  
 نفسي وأعرف أنني رجل شريف ) ، فهل لي أن اعتر وأن افتخر بأنني  
 رجل شريف • المفروض في كل انسان أن يكون شريفاً ، بل وأن يكون  
 أكثر من ذلك • ثم ان لي ( أنا أتذكر هذا جيداً ) سقطات صغيرة ان لم  
 تكن غير شريفة ، فلا يمكن أن توصف على وجه الدقة بأنها ... هذا عدا  
 الأفكار التي تساورني في بعض الأحيان ... فكيف أطمع في أن اوازن  
 بيني و بين آفدوتيا رومانوفنا ؟ على كل حال ، فليذهب هذا كله الى

الشیطان ! نعم ، سأبقى كما أنا عن عمد ! سأظل وغداً ، ختيراً ، عابثاً  
... ولا أكثر . سأبقى على هذه الحال ، وسأزيد ... » .

وبينما كان رازوميخين يحاور نفسه هذا الحوار ، جاءه زوسيموف  
الذى بات ليلته فى صالون براسكوفيا بافلوفا .

كان زوسيموف يتهاى للعودة الى بيته ، فأراد قبل انصرافه أن يلقى  
نظرة على المريض . فأبلغه رازوميخين أن المريض نائم نوماً عميقاً . فأمر  
بأن لا يوقظ ، ووعده بأن يعود فى نحو الساعة الحادية عشرة . ولكنه  
أضاف يقول :

— هذا اذا وجدته فى غرفته ! ما أصعب أن يعالج الطبيب مريضاً  
وهو لا سلطة له عليه . قل لى : هل « هو » الذى سيذهب اليهما ؟ أم  
« هما » اللتان ستجيئان اليه ؟

أجاب رازوميخين وقد فهم معنى السؤال :

— أظن أنهما هما اللتان ستجيئان . وأغلب الظن أنهما مستحدثانه  
فى شئونهم العائلية . لذلك سوف أتركهم وأخرج . أما أنت فأنك  
بصفتك طبيباً تملك حقوقاً أكثر .

— ما أنا بكاهن يسمح اعترافات . سوف أجيء ثم ما ألبت أن  
أخرج . ان أعمالاً كثيرة تناديني ...

فاطمه رازوميخين يقول وقد اربد وجهه :

— هناك شئ يقلقنى : أمس مساءً ، أثناء سكرى ، افلتت من  
لسانى ، وأنا أعود به الى البيت ، حماقات سخيفة . من ذلك خاصة أنتى  
قلت له ... انك تخشى أن يكون به جنوح الى الجنون .

— وقد عدت تقول هذا للسيدتين .

- أعرف • هذه بلاهة • اضربني اذا شئت • ولكن أنأت تمتدح  
حقاً أنه قد يجن ؟

- لا ، لن يجن • ولا تنس أنك أنت الذى وصفته لى بأن فكرة  
ثابتة تسيطر عليه ، وذلك حين جئت بى اليه • وبالأمس زدنا النار أواراً ،  
ولا سيما أنت ••• حين رحت تتكلم عن الدهان • يا له من موضوع  
حديث ، حين يكون هذا كله هو السبب فى فقدانه صوابه ! ••• اه •••  
لو كنت أعلم على وجه الدقة ما قد جرى فى قسم الشرطة فى ذلك  
اليوم ، لو كنت أعلم أن وغداً هناك قد أهانه مفسحاً عن اشتباهه فيه ،  
لما سمحت لك بأن تجرى لسانك فى حديث كذلك الحديث • ان المصايين  
بمرض الفكرة الثابتة يجعلون من الفأرة جبلاً ، ويرون أشياء كثيرة حيث  
لا يوجد شيء البتة ! اذا صدقت ذاكرتى ، فان ما رواه زاميتوف بالأمس  
قد أوضح نصف المسألة • نعم ، اننى أعرف حالة رجل فى الأربعين من  
عمره كان مصاباً بمرض الوسواس ، فلما كان جالساً الى المائدة ، فأخذ  
طفل فى الثامنة من عمره يستهزئ به ، لم يستطع احتمال سخرياته ،  
فقتله • ونحن هنا ازاء شاب شقى يرتدى أسماً بالية ، ويعانى بداية  
مرض ، فاذا بشرطى فظ غليظ يهينه موجهاً اليه شبهات كهذه الشبهات ،  
فماذا تنتظر أن يحدث ؟ شخص مصاب بالوسواس ، هو الى ذلك على  
جانب عظيم من كبرياء مسعورة ، أفلا يكون ذلك هو السبب الحقيقى للداء  
الذى يعانى منه الآن • على كل حال ، لا خير ! ••• بالنسبة : ان  
زاميتوف فى لطيف حقاً ، ولكن ••• هم ••• لقد أخطأ أمس حين  
روى ذلك كله ! يا له من ثرثار فظيع !

- ولكن لمن روى ذلك ؟ لك ولى •

- رواه أيضاً لبورفير •

- ما قيمة أن يرويه أيضاً لبورفير ؟

- بالناسبة : هل لك تأثير فيهما ، أقصد في الأم والأخت ! يجب أن تكونا حذرتين معه اليوم •

أجاب رازوميخين قائلاً على مضض :

- سيجرى كل شيء على ما يرام •

- لماذا هو غاضب على لوجين ؟ ما مأخذ عليه ؟ ان هذا الرجل يملك مالا ، ويبدو أن الفتاة لا تنفر منه • وهما لا تملكان فيجلة ، هه ؟

صرخ رازوميخين يقول مهتاجاً :

- ما شأنك أنت وهذا ؟ أنى لي أنا أعرف هل هما تملكان فيجلة ، أم هما لا تملكان فيجلة ! أسألها ان شئت فتعرف ذلك •

- ما أغباك أحياناً ! واضح أنك ما صحوت من سكر ! الى اللقاء • واشكر عنى لبراسكوفيا بافلوفنا ضيافتها • لقد حبست نفسها قى غرفتها ، وقلت لها « صباح الخير » من وراء الباب فلم تجبني • وكانت قد استيقظت فى الساعة السابعة ، وجيء اليها بالسماور فى غرفتها عن طريق الدهليز • ولكننى لم أشرف برؤيتها •

فى الساعة التاسعة تماماً وصل رازوميخين الى منزل باكالاييف ؛ فكانت السيدتان تنتظرانه منذ مدة طويلة محمومتين من نفاد الصبر • لقد نهضتا فى الساعة السابعة أو قبل ذلك • فلما دخل عليهما مظلم الوجه كظلام الليل ، حيّاهما بخراقة ، وسرعان ما غضب من خجله هذا غضباً شديداً • ذلك أنه لم يضع فى حسابه ما ستستقبله به بولشيريا الكسندروفنا : لقد هرعت بولشيريا الكسندروفنا اليه ، فأمكست يديه ، وكادت تقبلهما • وألقى نظرة خجلى على آفدوتيا رومانوفنا ، فكان وجهها الذى ينم فى العادة على الكبرياء ، يعبر فى هذه اللحظة عن شكر عميق وصدقة واضحة واحترام كامل ؛ وكان هو لا يتوقع شيئاً من هذا كله ،

بل كان لا ينتظر الا نظرات ساخرة ، واحتقاراً ظاهراً ، فلو استقبلته فعلاً بنظرات ساخرة واحتقار ظاهر وشتائم متلاحقة لكان وقع ذلك في نفسه أسهل وأيسر ، ولكانت قدرته على احتماله أعظم وأكبر . لقد شعر الآن باضطراب كبير وبلبلة عظيمة حقاً . ولكن كان هناك موضوع للحديث من حسن الحظ ، فسرعان ما تشبث به .

خير علمت بولشيريا ألكسندروفنا أن روديا لم يستيقظ بعد ، وان « كل شيء على ما يرام » ، اظهرت ارتياحاً كبيراً ورضي عظيمًا ، لانها حقاً « في حاجة الى أن تتحدث مع رازوميخين حديثاً طويلاً قبل ان ترى ابنها » . وأثير عندئذ موضوع الشاي ، فدُعِيَ رازوميخين الى تناول الشاي مع السيدتين ، وكانتا قد انتظرتاه لهذا . دقت أفدوتيا رومانوفنا الجرس ، فجاء خادم قدر المظهر رث الثياب ، فأمر باحضار الشاي ، فأتى بالشاي أخيراً ، ولكن بطريقة تبلغ من القذارة وقلة اللياقة ان السيدتين صُعقتا خجلاً . وودَّ رازوميخين لو يندد بهذه « الفرقة المفروشة » ، ولكنه تذكر لوجين فأمسك عن الكلام ، وشعر بهرج ، وابتهج ابتهاجاً عظيماً حين أخذت بولشيريا ألكسندروفنا تمطره بوابل من الأسئلة .

ظل يتكلم خلال ثلاثة أرباع الساعة ، فكان يقطع دائماً وتطرح الأسئلة عليه من جديد . واستطاع مع ذلك أن يروى - بمقدار ما يعرف - الوقائع الأساسية من حياة روديون رومانوفتش منذ سنة حتى اصابته بالمرض الذي يعاني منه الآن . لكنه سكت عن أمور كثيرة كان ينبغي ان يسكت عنها ، ولا سيما المشهد الذي وقع في قسم الشرطة وجميع النتائج التي نتجت عنه . وكانت السيدتان تلتهمان أقواله التهاماً . لكنه حين ظن أنه انتهى من الكلام وأرضى سامعتيه ، بدا أنه في نظرهما لم يكد يبدأ الكلام .



قالت بولشيريا الكسندروفنا تسأله متعجلة :

— قل لى ، قل لى ... معذرة ... انتى لا أعرف اسمك  
حتى الآن ...

— دمترى بروكوفتش .

— نعم ، قل لى يا دمترى بروكوفتش : أريد أن أعرف أشياء  
كثيرة ، أشياء كثيرة ، كيف هو ... يرى الأمور الآن ... بوجه عام  
... أقصد ... هل تفهمنى ؟ رباه ! كيف أُعبّر ... كيف أقصص  
بوضوح ؟ ... أعنى : ماذا يحب ، وماذا لا يحب ؟ اما يزال شديد  
الغضب سريع الاحتياج ؟ ما هى رغباته ... و ... و ... كيف أُعبّر  
... ما هى أحلامه ، اذا جاز لى أن ... من ذا يؤثر فيه الآن أكبر  
تأثير ؟ الخلاصة ، أود لو ...

قالت آفدوتيا رومانوفنا :

— ماما ! كيف يمكن الجواب على جميع هذه الأسئلة فى آن واحد ؟  
— يا رب ! ذلك أنتى ، يا دمترى بروكوفتش ، لم أكن اتوقع  
أبدأ ، أبدأ ، أن أجده على هذه الحال !  
أجاب دمترى بروكوفتش يقول :

— هذا طبعى جداً . أنا ليس لى أم ، ولكن لى عمأ يجىء الى هنا  
كل سنة ، فكلما جاء صعب عليه أن يتعرفنى حتى من الناحية الجسمية ،  
مع أنه رجل ذكى ، عمى هذا . وقد افترقتم أتم منذ ثلاث سنين ، فجرى  
ماء كثير تحت الجسور خلال هذ السنين الثلاث . ماذا أقول لك ايضاً ؟  
انتى أعرف روديون منذ سنة ونصف سنة . فكان منذ عرفته قاتم النفس  
متجهم الوجه شديد الكبرياء متعالياً ؟ وهو فى هذه الآونة الأخيرة ( ولعل

ذلك يرجع الى عهد أبعد ) كثير الشكوك والوساوس أيضاً • هو كريم طيب • وهو لا يحب أن يظهر عواطفه ، ويؤثر أن يرتكب اساءة على ان يفتح قلبه • على أنه في بعض الأحيان يبرأ من الوساس ، فلا يظهر عليه عندئذ الا برودة في العاطفة وفتور في الاحساس حتى ليصل من ذلك الى درجة يفقد معها روح التواصل الانساني ، فكان له طبعين متعارضين يتناوبان الغلبة واحداً بعد آخر • يتفق له أحياناً ان يكون صموتاً الى حد رهيب : فاما أن يزعم أنه ليس في وقته متسع ، واما أن يزعم أن الناس جميعاً يزعمونه ؛ ومع ذلك يظل مستلقيا على سريريه لا يعمل شيئاً • وما هو بالساخر ، لا لأنه يفقد روح الفكاهة ، بل لأنه كمن لا يريد أن يتلبث على سفاسف سخيفة وترهات باطلة • انه لا يصنى أبداً الى ما يقال له حتى النهاية • انه لا يهتم أبداً بالأشياء التي يهتم بها الآخرون في لحظة من اللحظات • وهو معتد بنفسه اعتداداً عظيماً ، ويظهر أن من حقه ان يعتد بنفسه هذا الاعتداد • ماذا أقول أيضاً ؟ • • • أظن أن وصولكما سيحسن اليه وسيحدث فيه أثراً نافعاً •

هتفت بولشيريا الكسندروفنا تقول وقد أرهقتها أقوال رازوميخين :

— سمع الله منك •

وعزم رازوميخين أمره أخيراً على أن ينظر الى آفدوتيا رومانوفنا بمزيد من الثقة والطمأنينة • كان قد نظر اليها مراراً أثناء الحديث ، ولكنه كان ينظر اليها خلسةً ، بسرعة كوميض البرق ، ثم يحول بصره عنها على الفور • وكانت آفدوتيا رومانوفنا تجلس أمام المائدة تارةً فتصني بانتباه ، وتنهض تارةً أخرى فتأخذ تمشي على عادتها من ركن الى ركن مصالبةً ذراعيها ، كازةً شفيتها ، ملقية سؤالاً من حين الى حين ، ولكن دون أن تقطع سيرها ، دون أن تقطع تأملها الذي كان يسدو أنها تتابعه

مستمراً متصلاً • وكان من عاداتها أيضاً أن لا تصفى حتى النهاية الى ما يُقال لها • كانت ترتدى فستاناً صغيراً داكن اللون من نسيج خفيف ، وقد عقدت حول عنقها منديلاً أبيض شفافاً • وقد لاحظ رازوميخين رأساً ، من علامات كثيرة ، أن السيدتين فى حالة شديدة من الفقر • ولو كانت آفدوتيا رومانوفنا مرتدية ملابس أميرة ، فلعلها كانت لا تثير فى نفسه كل هذا الحجل وهذا الوجل ، أما الآن فربما كان السبب فى الخوف الذى استقر فى قلبه انما يرجع الى أن ملابسها كانت فقيرة الى هذا الحد ، وأنه أدرك كل ما هى فيه من بؤس وحزن ؛ ولذلك أصبح يخشى كل قول من أقوالها ، وكل حركة من حركاتها ، وهذا أمر هو بالنسبة الى رجل ضعيف الثقة بنفسه أصلاً لا بد أن يكون مصدراً جديداً من مصادر الحرج والارتباك •

قالت آفدوتيا رومانوفنا مبتسمة :

— لقد علمتنا أشياء كثيرة هامة عن طبع أخى ، ولقد تكلمت دون تحيز ما فى ذلك شك • وكنت أظن أنك تقف منه موقف المعجب المتحيز •

ثم أضافت تقول حالة مفكّرة :

— يخيّل الى أنه لا بد أن يكون فى حياته امرأة فعلاً !  
— أنا لم أقل هذا • ولكن من الجائز أن تكونى على حق •  
غير أن ...

— ماذا ؟

— انه لا يحب أحداً ، ولعله لن يحب أحداً فى يوم من الأيام •  
كذلك قال رازوميخين قاطعاً جازماً •

- أليكون عاجزاً عن أن يحب ؟

أقلت لسان رازوميخين يقول فجأة دون أن يتوقع هو نفسه ذلك :  
- هل تعلمين يا آفدوتيا رومانوفنا أنك تشبهين أخاك شبيها رهيا  
فى كل شىء ؟

ثم تذكر ما قاله عن أخيها ، فاحمر وجهه احمراراً شديداً  
واضطرب اضطراباً فظيماً . فلم تستطع آفدوتيا رومانوفنا أن تحبس  
ابتسامةً ساخرة وهى تنظر اليه .

واستأنفت بولشيريا ألكسندروفنا كلامها وقد استاءت بعض الاستياء  
فقالت :

- من الجائز أن يكون رأيكما كليكما فى روديا خطأ . لا أتكلم  
الآن عن الحاضر يا دوينتشكا . ان ماكتبه بطرس بتروفتش فى تلك  
الرسالة ، وما قد تصورناه أنا وأنت ، قد لا يكون صحيحاً . ولكنك  
لا تستطيع أن تتخيل يا ديمتري بروكوفتش مدى ما يتصف به روديا من  
شدة الجموح وقوة النزوات . أنا لم أستطع فى يوم من الأيام أن أركن  
الى طبعه ، حتى حين كان فى الخامسة عشرة من عمره . وانى لعل يقين  
من أنه ما يزال حتى هذه الساعة قادراً على ارتكاب أشياء لا تخطر ببال  
أى انسان آخر غيره . لا تذهبا بعيداً : هل تعلمان أنه منذ سنة ونصف  
سنة قد عذبنى عذاباً شديداً ، وكاد يميتنى غيظاً وقهراً ، حين وضع فى  
رأسه أن يتزوج تلك ال . . . ماذا أقول ؟ تلك ال . . . أقصد بنت  
زارتسينا هذه ، صاحبة البيت الذى يسكن فيه ؟

اتجهت آفدوتيا رومانوفنا الى رازوميخين فسألته :

- هل تعرف تفاصيل عن هذا الأمر ؟

وتابعت بولشيريا الكسندروفنا كلامها فقالت بحرارة :

— هل تحسب أن دموعي وضراعاتي وشقاءنا ومرضى وموتى ، هل تحسب أن هذا كله كان يمكن أن يصدّه عن تحقيق ما قام في رأسه ؟ لا ... كان سيجتاز جميع العقبات هادئاً كل الهدوء . ماذا ؟ هل من الممكن حقاً أنه لا يجبن ؟

أجاب رازوميخين بتعقل وحذر :

— انه لم يقل لى كلمة واحدة عن هذا الأمر . ولكننى عرفت شذرات من السيدة زارتسينا نفسها ، مع أنها ليست كثيرة الكلام هى أيضاً . والحق أن ما عرفته غريب بعض الغرابة .

قالت المرأتان كلتاها تسألانه :

— ما الذى عرفته ؟

— لم أعرف أشياء كثيرة . كل ما علمته أن هذا الزواج الذى كان مقررأ ومبتوتاً فيه ، والذى لم يحل دونه الا موت الخطيبة ، كانت السيدة زارتسينا مستاءة منه . ويقال عدا ذلك أن الخطيبة لم تكن جميلة ، حتى لقد كانت توصف بأنها دميمة ... وأنها بالاضافة الى ذلك ممرض ... وأنها فوق هذا غريبة الأطوار . ولكنهم يضيفون الى هذا أنها كانت لا تخلو من بعض المزاي . فلولا هذه المزاي لكان الأمر عجيباً لا سبيل الى فهمه البتة . ثم انها لم تكن تملك مهرأ . على أن روديا آخر من يمكن أن يعنيه أمر المهر . الخلاصة أن الحكم على الموضوع فى ظرف كذلك الظرف صعب .

قالت آفدوتيا رومانوفنا موجزة :

— أنا مقتنعة بأنها كانت تملك مزاي كثيرة .

فصغت بولشيريا ألكسندروفنا تختم الحديث قائلة :

- أسأل الله أن يعفو عني ويففر لي • لا أكمكما انتي ابتهجت  
لموتها ، رغم أنني لم أعرف في يوم من الأيام أيهما كان سيشفى الآخر !  
ثم أثرت الحذر والكتمان ، فعاتت تسأل رازوميخين - وهي تلقى  
على دنيا نظرات مختلصة كان واضحاً أن دويًا تستاء منها - عادت تسأل  
رازوميين عن المشهد الذي حدث أمس بين روديا ولوجين • لم يكن  
خافياً أن هذا الحادث كان يشغل بالها ويقلق نفسها أكثر من أي شيء  
آخر ، حتى ليرعبها ويسبب لها رعدات تسرى في جسمها • أعاد  
رازوميخين رواية القصة تفصيلاً ، ولكنه أضاف إليها في هذه المرة النتيجة  
التي يستخلصها هو ، فاتهم راسكولنيكوف ، دون لف ولا دوران ،  
بأنه أهان بطرس بتروفتش عن سابق عمد وتصميم ؛ ولم يلح في هذه  
المرة على مرضه الذي ذكر قبل ذلك أنه عذر يشفع له • وختم يقول :

- لقد أعدت ذلك حتى قبل أن يمرض •

قالت يولشيرييا الكسندروفنا مكروبة مقهورة :

- أظن ذلك أنا أيضاً •

ولكنها شُدهت حين رأت رازوميخين يتكلم في هذه المرة عن  
بطرس بتروفتش بكثير من الاعتدال ، بل وبشيء من الاحترام •  
ولم تطق صبراً فقالت تسأله :

- أهذا هو رأيك اذن في بطرس بتروفتش ؟

فأجاب رازوميخين يقول بحرارة وجزم :

- لا يمكنني أن أرى هذا الرأي في خطيب ابتك ، ولست  
أقول هذا من باب التآدب والمجاملة ، وانما أقوله لأن ... لأن ...  
أقوله ولو لهذا السبب البسيط : وهو أن آفدوتيا رومانوفنا نفسها هي التي

أرادت راضيةً أن تولى هذا الرجل شرف اختياره زوجاً لها • ولئن  
 ذمته ذلك الذمّ كله بالأمس ، فلأنتى كنت بالأمس سكران •••  
 سكران سكرًا مفرّراً ، ولأنتى عدا ذلك ••• كنت قد فقدت عقلى •••  
 لأنتى جنت ••• جنت تماماً • أما اليوم فأنا أشعر من ذلك بخزى وعار •  
 قال رازوميخين ذلك ، واحمرّ وصمت • واحمرّت آفدوتيا رومانوفنا ،  
 ولكنها لم تقطع الصمت • انها لم تبس بكلمة واحدة منذ دار الحديث  
 على لوجين •

ومع ذلك ظلت بولشيريا ألكسندروفنا مرتبكة ارتباكاً واضحاً لأن  
 ابنتها لا تساعد • ثم اعترفت مترددةً وهى تلتفت فى كل لحظة صوب  
 ابنتها ، بأن هناك ظرفاً يقلقها الآن اقلاقاً شديداً •  
 بدأت تتكلم فقالت :

– الحق يا دمترى بروكوفتش •••  
 ثم اتجهت الى ابنتها فقالت تسألها :  
 – سأكون صريحة كل الصراحة مع دمترى براكوفتش يادوينتشكاه  
 أليس كذلك ؟

فأجابتها آفدوتيا رومانوفنا تقول باقتناع :  
 – طبعاً يا ماما •  
 فلما أذن لها بأن تبوح بحزنها أحست بأن جبلاً قد أزيح عن  
 صدرها فأسرعت تقول :

– اليك الأمر : اليوم ، فى ساعة مبكرة من هذا الصباح ، وصلتنا  
 بطاقة من بطرس بتروفتش رداً على الرسالة التى أنبأناه فيها بوصولنا •  
 كان ينبغى له طبعاً أن يجرى الى المحطة لاستقبالنا كما كان وعدنا بذلك •  
 ولكننا ، فى المحطة ، لم نجده هو بل وجدناه خادماً قادنا الى هذه الغرفة

المفروشة التي كان معه عنوانها • وأبلغنا الخادم أن بطرس بتروفتش سيجيء إلينا اليوم في الصباح • ولكن بطرس بتروفتش لم يجيء وإنما بعث إلينا بهذه البطاقة • الأفضل أن نقرأها بنفسك ، لأن هناك نقطة تقلقني كثيراً • سرعان ما ستري ما هي هذه النقطة ، فتقول لي رأيك صريحاً يا دمترى بروكوفتش • انك تعرف طبع روديا أكثر مما يعرفه أي إنسان آخر ، فسوف تستطيع اذن أكثر مما يستطيع أي إنسان آخر أن تسدي إلينا بنصيحتك • واني لألفت نظرك إلى أن دونيا قد اتخذت قرارها منذ اللحظة الأولى ، أما أنا فما زلت حائرة لا أدري ما الذي يجب فعله ••• وكنت أنتظرك •

فضَّ رازومبخين البطاقة التي تحمل تاريخ اليوم الماضي ، وترأ ما يلي :

« السيدة العزيزة بولشيريا ألكسندروفنا ، يشرفني أن أعلمك أنني بسبب موانع لم أكن أتوقعها لم أستطع أن أنتظركم على رصيف المحطة ، فأرسلت اليكم رجلاً بارعاً قد تحتاجون إلى مساعدته • وكذلك سأحرم نفسي ، في صباح الغد ، من التشرف بزيارتكم ، بسبب بعض الأعمال التي تستدعي ذهابي إلى مجلس الشيوخ ، ولأنتى أريد أيضاً أن لا أزعج اجتماعكم العائلي ، اعني لقاءك الأول بابنك ولقاء آفدوتيا الكسندروفنا بأخيها • فلن يتاح لي اذن شرف لقائكم وتقديم احترامى لكم في مسكنكم إلا مساء غد في الساعة الثامنة تماماً • واني أسمح لنفسي بأن أضيف إلى هذا رجاءً ملجأً ، فأطلب اليكم أن تدبروا الأمر بحيث تعفونني من حضور روديون رومانوفتش اجتماعنا ، لأنه أهانتى أمس بفظاظة لا مثل لها حين زرته أثناء مرضه ، ولأنتى أريد أن أكلّمكم على أفراد في أمر أحب أن أعرف تفسيركم له ورأيكم فيه • ويشرفني أن ألفت نظركم إلى أنني سأضطر إلى الانسحاب فوراً اذا أنا لقيت عندكم روديون رومانوفتش



رغم طلبى هذا ، ولن يكون لكم عندئذ أن تلوموا أحداً الا أنفسكم . وإنما أكبت هذا لأننى أتنبأ بأن روديون رومانوفتش الذى كان يبدو مريضاً حينما زرتة ثم استرد صحته فجأةً بعد ذلك بساعتين قد يجيء اليكم ما دام يخرج الآن . ان ما أقوله قد رأيتُه بعينى رأسى فى بيت رجل سكير داسته خيول فهشمته فمات . وقد أعطى روديون رومانوفتش ابنة ذلك السكير ، وهى بنت معروفة بسوء السمعة لدى جميع الناس ، أعطاهها خمسة وعشرين روبلاً بحجة دفع نفقات الجنازة ، فأدهشنى ذلك أشد الدهشة ، أنا الذى أعرف الجهود التى بذلتموها فى سبيل جمع ذلك المبلغ . اختم رسالتى هذه راجياً أن تنقل الى آفدوتيا رومانوفنا المحترمة أبلغ اعتبارى ، وأن تفضلى بقبول أسمى مشاعر الاحترام والاخلاص من خادمك المطيع :

« ب • لوجين »

قالت بولشيريا الكسندروفنا وهى توشك أن تبكى :

— فما الذى يجب أن أعمله الآن يا دمترى بروكوفتش ؟ كيف يمكننى أن أطلب من روديا أن لا يجيء ؟ لقد كان يطالب أمس مطالبة صارمة بطرد بطرس بتروفتش ، فاذا بالآية تنقلب الآن ، فيكون هو الذى لا يجوز استقباله ! ولكنه سيجىء عامداً متى عرف ، فما عسى يحدث حينذاك ؟

قال رازوميخين فوراً بهدوء :

— افعلى ما قررتة آفدوتيا رومانوفنا •

— آه ••• رباه ! هى تقول ••• هى تقول ••• الله يعلم ماذا تقول •• وهى لا تشرح الأسباب التى تدفعها الى قول ما تقول ! هى تقول ان من الأفضل ، بل ان من المحتم قطعاً ، أن يجىء روديا هذا

المساء ، فى الساعة الثامنة ، وأن يلتقيا • أما أنا فكنت أريد حتى أن لا أطلع على هذه الرسالة ، وكنت أوتر أن أعمد الى الحيلة بواسطتك ، لأنعمه من المجد • لأنه ••• سريع الاهتياج جداً ! ثم ان هناك أمراً لا أفهمه : من هو ذلك السكير الذى داسته الحيل فمات ، ومن هى تلك البنت ، وكيف أمكنه أن يعطى تلك البنت آخر ما بقى له من المال الذى •••

— الذى لقيت ذلك العناء كله فى الحصول عليه •

كذلك أضافت آفدوتيا رومانوفنا •

قال رازوميخين شارد الفكر :

— لم يكن أس فى حالة طبيعية • لو عرفت كيف تصرف أس فى حانة من الحانات ! ••• هم ••• على كل حال ، لقد حدثنى بالأس فعلاً ، حين كنت أقوده الى بيته ، عن موظف مات ، وحدثنى كذلك عن فتاة ما ، لكنى لم أفهم من كلامه شيئاً • ثم اننى أنا نفسى ، بالأس ، قد •••

— الأفضل يا ماما أن نذهب نحن اليه • أؤكد لك أننا بذلك سنرى ماذا بقى علينا أن نفعل • وقد آن لنا أن نذهب على كل حال • رباه ! هى الساعة العاشرة وثيف •

كذلك صاحت آفدوتيا رومانوفنا وهى تلقى نظرة على الساعة الذهبية الرائعة ، المرصعة بالميناء ، التى كانت تحملها معلقة فى عنقها بسلسلة من صنع البندقية ، والتى تتناثر تنافراً عجيباً مع جملة زينتها • قال رازوميخين لنفسه : « هذه هدية الخطوبة ! » •

قالت بولشيريا ألكسندروفنا وقد طاش صوابها :

- آ آ آ .. آ الأوان ! اذا لم نذهب اليه ، فقد يظن أننا ما زلنا  
غاضبتين بسبب ما حدث أمس . آ آ آ .. يا رب !

قالت ذلك واسرعت ترمى على كتفيها خماراً أسود ، وتضع قبعتهما  
على رأسها . وارتدت دونيتشكا ثيابها أيضاً . ان قفازيها ليسا مهترئين  
جداً فحسب ، بل هما مثقبان أيضاً . ولم يفت رازوميخين ذلك . على أن  
هذا الفقر الظاهر في ملابس السيدتين كان يصفى عليهما وقاراً خاصاً ،  
وهذا ما يحدث عادةً لأولئك الذين يعرفون كيف يرتدون ملابس  
فقيرة .

كان رازوميخين ينظر الى الفتاة باحترام وتقديس ، ويشعر باعتزاز  
وافتنخار حين يتصور أنه سيصبحها . كان يقول لنفسه : « ان تلك  
الملكة \* التي كانت ترقع جوربيها في سجنها لا بد أنها كانت أثناء ذلك  
أعظم جلالاً وأكبر مهابةً منها في أعظم الأعياد وأروع الاحتفالات ! »  
وهتفت بواشيريا ألكسندروفنا تقول :

- رباه ! هل كان في وسعي أن أصدق يوماً أنني سوف أهاب ،  
كما أهاب الآن ، لقاءً مع ابني ، مع عزيزي ، مع روديا ؟

ثم أضافت تقول وهي تلقي على رازوميين نظرة خجلى :

- أنا خائفة يا دمتری بروكوفتش .

قالت دونيا وهي تقبّلها :

- لا تخافى شيئاً يا ماما ، بل ثقى به . أما أنا فواثقة .

صاحت المرأة المسكينة تقول :

- آ آ آ .. يا رب ! أنا أيضاً واثقة ! ومع ذلك لم أنم طوال

الليل !

• وخرجوا الى الشارع •

– هل تعلمين يا دونيتشكا ؟ اننى ما ان غفوت قليلاً عند طلوع  
الصبح حتى حلمت فجأة بتلك المسكينة مارتا بتروفنا .... كانت تلبس  
ثياباً بيضاء .... واقتربت منى .... وأمسكت يدي .... وكانت تهز  
رأسها وهي تنظر اليه نظرة قاسية ، قاسية جداً ، كأنها تلومنى على شىء  
ما .... أهذه علامة حسنة ؟ آه .... يا رب ! انك يا دمترى كروكوفتش  
لا تعلم ، بعد ، أن مارتا بتروفنا قد ماتت •

– لا ، لا أعلم • ولكن من هى مارتا بتروفنا هذه ؟

– ماتت فجأة .... تصور أنها ....

تدخلت دونيا تقول لأمها :

– ستقولين له هذا فيما بعد يا ماما • هو لا يعرف من هى مارتا  
بتروفنا هذه •

– صحيح ؟ لا تعلم ؟ كنت أظن أنك على اطلاع .... اغفر لى  
يا دمترى بروكوفتش .... أصبحت لا أعرف أين رأى فى هذه الأيام  
الأخيرة • حقاً اننى أعدك معيناً أرسلته العناية الالهية ، لذلك كنت  
أحسبك مطلعاً على كل شىء • اننى أعدك واحداً من أسرتنا لا تؤاخذنى  
اذا أنا كلمتك بهذه الطريقة ! آه .... آه .... رياه ! ماذا أصاب يدك اليمنى ؟  
أهى مجروحة ؟

دمدم رازوميجين يقول سعيداً كل السعادة :

– نعم ، مجروحة •

– اننى أسرف فى الصراحة أحياناً ، فقرعنى دونيا .... ولكن ....  
رياه ! ما هذا البيت الفقير الذى يقيم فيه ؟ ترى هل استيقظ من نومه ؟  
وتلك المرأة ، صاحبة البيت ، كيف تسمى هذا الحجر غرفة ؟ اسمع ،

أنت تقول انه لا يجب أن يتكلم عما يعتلج في قلبه ، فلا شك اذن اننى سأزعجه وأضجره . . . . بعواطفى وضعفى ! ألا تستطيع أن تهدينى يا دمترى بروكوفتش الى الطريقة التى يمكننى أن أعمد اليها فى معاملته !  
لقد طاش صوابى تماماً . . .

— لا تلقى عليه أسئلة كثيرة ، اذا رأيته يعبس أو يتعهم .  
ولا تسأله عن صحته خاصة ، فانه لا يجب هذا .

— آه يا دمترى بروكوفتش ، ما أصعب الأمومة ! وانظر الى هذا السلم ! يا له من سلم فظيع !

قالت دونيا ملاطفة :

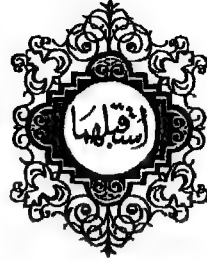
— ماما ، انك شاحبة الوجه جداً ، هدئي روعك يا يمامتى ! لا شك أنه سعيد بلقائنا ، فلماذا تعذبن نفسك هذا التعذيب ؟

هذا ما أضافته وقد سطعت عيناها .

— انتظرا ، سأرى أولاً هل استيقظ من نومه .

باطات السيدتان خطاهما ، وقد مهما رازوميخين على السلم .  
فلما وصلتا الى الطابق الثالث لاحظتا أن باب صاحبة البيت مشقوق قليلاً ، ورأتا فى الظلام عينين سوداوين حادثين جداً كاتتا ترقبانهما . فلما التقت النظرات أغلق الباب بشدة ، ففرقع قرقة بلغت من القوة أن بولشيريا ألكسندروفنا أوشكت أن تصرخ رعباً .

## الفصل الثالث



زوسيموف قائلاً في فرح : « هو بخير ، هو بخير » • ان زوسيموف يعود راسكولنيكوف منذ نحو عشر دقائق ، وقد جلس في ذلك المكان نفسه الذي جلس فيه بالأمس ، على ركن من الديوان • وكان راسكولنيكوف يجلس في الركن المقابل ، مرتدياً ثيابه كاملة ، وقد اعتنى بغسل وجهه وتصفيف شعره ، وذلك أمر لم يقع له منذ مدة طويلة •

امتألت الغرفة دفعة واحدة ، ولكن ناستاسيا استطاعت مع ذلك أن تسلل وراء الزائرين ، وبقيت تنصت الى الحديث •

كانت صحة راسكولنيكوف قد تحسنت بعض التحسن فعلاً ، ولاسيما اذا قورنت بما كانت عليه أمس • كل ما هنالك أنه الآن شديد الشحوب سارد الفكر متجهم النفس • فاذا نظرت اليه كنت كمن ينظر الى رجل أصابه جرح بالغ ، أو عانى ألماً جسيماً حاداً • كان مقطّب الحاجبين ، مكزوز الشفتين ، محموم النظرة. وكان لا يتكلم الا قليلاً ، فاذا تكلم تكلم على مضض ، كأنه يقوم بواجب ، وكان في حركاته أحياناً نوع من قلق •

ليس ينقصه الا ضمار في الذراع أو عصبية من قماش في الاصبع

حتى يكتمل الشبه بينه وبين رجل أصيب بداحوس أليم ، أو جرح مومع أو أى شىء آخر من هذا القيل .

على أن هذا الوجه الشاب المتجهم بدا أنه يتألق لحظة حين دخلت الأم والأخت . غير أن ذلك لم يزد على أن يضيف الى الدهول المتجهم تعبيراً عن ألم مكثف . وسرعان ما انطفأ الألق ، وبقي الألم . ولم يفت زوسيموف الذى كان يراقب مريضه ويدرسه بكل ما يستطيعه من اهتمام وشغف طبيب فى بدايات ممارسته مهنته ، لم يفته أن يلاحظ لدى مريضه ، بغير قليل من الدهشة ، حين وصلت أسرته ، نوعاً من تصميم أليم خفى ، يشبه التصميم الذى يقوم فى نفس انسان يرى غذاباً عليه أن يحتمله ، بدلا من الفرح الذى ينبغى أن تهيشه له هذه الزيارة فى الأحوال الطبيعية . وقد استطاع الطبيب أن يلاحظ بعد ذلك أن كل كلمة تقريباً من الحديث الذى جرى حينذاك كانت كأنها تثير وتنكأ جرحاً لدى المريض . ولكن الطبيب قد أدهشه فى الوقت نفسه أن يرى أن المريض كان يسيطر على نفسه بعض السيطرة ، فاستطاع أن يخفى هذه العواطف ، مع أنه كان بالأمس يثور خنقه عند كل كلمة تُقال ، كمن استبدت به فكرة وحيدة ثابتة .

قال راسكولينكوف وهو يقبل أمه وأخته بعاطفة رقيقة وحنان واضح ( وهذا ما ملأ بولشيرا الكسندروفنا فرحاً ) :

ـ نعم ، ألاحظ أنا نفسى أننى شُفيت .

ثم أضاف يقول مخاطباً رازوميشين وهو يصفحه بمودة :

ـ لا أقول هذا مثلما قلته « أمس » !

سُرَّ زوسيموف كثيراً من وصول الزوار ، لأنه كان قد استنفد خلال الدقائق العشر التى قضاها مع المريض جميع موضوعات الحديث ، فبدأ كلامه يقول :

- حتى لقد دُهِشت من رؤيته على هذه الحال اليوم • فإذا استمر هذا التحسن ، فلن تقضى ثلاثة أيام أو أربعة حتى يعود كما كان تماماً ، أعني كما كان منذ شهر أو شهرين أو ربما ثلاثة •

ثم أضاف الى ذلك مخاطباً راسكولنيكوف وهو يتسم ابتسامة محاذرة ، كأنه يخشى أن يثير غضبه :

- ذلك أن هذا المرض قد بدأ كامنًا منذ مدة طويلة ، هه ؟ اعترف أن بعض الذنب فى ذلك يرجع اليك ••

أجاب راسكولنيكوف يقول ببرود :

- جائز جداً •

تابع زوسيموف كلامه فقال متحمساً :

- أقول هذا لأن شفائك الكامل متوقف بعد الآن عليك أنت خاصة • • أودُّ أن تقتنع الآن ، بعد أن أصبح الحديث معك ممكناً ، بأن علينا أن نفحص الأسباب الأولى ، الأسباب الأساسية ان صح التعبير ، التى ولدّت مرضك ، بغية أن نستطيع ازالة تلك الاسباب • فإذا فعلنا ذلك شفيت ، والا تفاقم مرضك • أنا لا أعرف ما هى تلك الأسباب ، ولكن لا بد أنك تعرفها أنت • فأنت شاب ذكى ، ولا شك أنك لاحظت نفسك • ويخيّل الىّ أن بداية اضطرابك قد جاءت حين تركت الجامعة تقريباً • فما ينبغي إذن أن تبقى عاطلاً عن أى عمل يشغلك • أعتقد أن عملاً موجهاً الى غاية محدّدة سيحسن اليك كثيراً •

- نعم نعم • أنت على حق تماماً • سأعيد تسجيلي فى الجامعة • وعندئذ سيجرى كل شيء ••• على ما يرام •

كان بين أهداف زوسيموف من اسداء نصائحه الحكمة تلك أن ينال اعجاب السيدتين ، لذلك كان طبعاً أن يرتبك بعض الارتباك وأن



يضطرب بعض الاضطراب حين فرغ من القاء خطابه فرفع عينيه نحو راسكولنيكوف فرأى في وجهه سخريةً ظاهرة لا تخفى . على أن ذلك لم يدم الا لحظة . فان بولشيريا ألكسندروفنا سرعان ما طفقت تفيض في شكر زوسيموف ، وتعبّر له خاصةً عن امتنانها من زيارته لهما في الليلة الماضية .

قال راسكولنيكوف يسألها قلقاً :

— كيف ؟ هل ذهب اليكما ليلاً ؟ اذن لم تناما بعد رحلة متعبة كذلك الرحلة ؟

— في الساعة الثانية كان كل شيء قد انتهى يا روديا . وقد ألقنا ، أنا ودونيا ، في بيتنا ، أن لا تنام قطُّ قبل الساعة الثانية من الصباح .  
واصل راسكولنيكوف كلامه فقال وقد أظلم وجهه فجأةً ، وأطرق الى الأرض :

— أنا أيضاً لا أعرف كيف أشكره . . .

ثم اتجه يخاطب زوسيموف فقال :

— بصرف النظر عن الناحية المالية — معذرةً اذا أنا أشرت الى هذه الناحية ! — فاني لا أعرف فعلاً كيف استحققت كل هذه العناية منك .  
حقاً اننى لا أفهم . . . لذلك كانت هذه العناية تشق على نفسي . . . أقول لك هذا بصراحة تامة .

أجابه زوسيموف وهو يحمل نفسه على الضحك حملاً :

— لا تتورن أعصابك يا صاحبي . افرض أنك أول زبائتي . . ان الطبيب يدلّل دائماً زبائته الأول ، حتى لقد يُشغف بعضهم . وأنت تعلم أن زبائتي ليسوا كُثراً حتى الآن .

أضاف راسكولنيكوف يقول وهو يوميء الى رازومихين :

- ناهيك عن هذا ... الذى لم ينل منى الا أنواع التصديق  
وضروب الالهانة \*

هتف رازوميخين قائلاً :

- أسخافات جديدة ؟ هأت ذاك قد أصبحت « عاطفياً » !  
ألا انه لو كان يملك مزيداً من نفاذ البصيرة للاخذ أن الأمر ليس  
أمر « عاطفياً » ، بل شيء آخر هو نقيض العاطفية تماماً . وقد لاحظت  
آفدوتيا رومانوفنا ذلك . وكانت تراقب أخاها فى قلق .  
وتابع راسكولنيكوف كلامه كمن يتلو درساً حفظه فى هذا الصباح  
نفسه فقال :

- أما عنك أنت يا أمه فلا أكاد أجرو أن أتكلم . اننى لم أدرك  
الا اليوم مدى العذاب الذى لا بد أنك عانيتيه أمس حين كنت  
تنتظرينى هنا .

قال ذلك ومدّ يده الى أخته على حين فجأة مبتسماً دون أن يقول  
كلمة . ولكن انفعالاً صادقاً يظهر فى ابتسامته هذه المرة . فأسرعت  
دونيا تناول اليد الممدودة اليها ، فصافحها بحرارة ، سعيدة شاكراً .  
هذه أول مرة يتجه فيها الى أخته بعد الشقاق الذى وقع بينهما أمس .  
وأشرق وجه الأم سعادة حين رأت هذه المصالحة الصامتة الحاسمة بين  
الأخ وأخته .

همس رازوميخين يقول متحمساً وهو يستدير على كرسيه :

- هذا ما يعجبنى فيه ! ان له دائماً اندفاعات كهذه !

وقالت الأم لنفسها : « وما أجمل الطريقة التى اتبعها ! ما أتبلها من  
بادرة ! ما أحلاها من حركة بسيطة رقيقة مرهفة أنهى بها سوء التفاهم  
الذى قام بينه وبين أخته ! لقد كفاه أن يمد اليها يده ، فى هذه اللحظة ،

وهو يرمقها بنظرة فيها رقة ولطف وحنان ... وما أجمل عينيه ! ما أجمل وجهه كله ! ... ألا انه لأجل حتى من دونيتشكا ... ولكن ربه ما هذه الثياب التي يرتديها ! ما أردأ ملابسه ! ان الخادم في دكان آتاناى ايفانوفتش ، الخادم فاسيا نفسه ، يرتدى ثياباً أحسن من ثيابه ! أواه ... لشد ما أحب أن أرمى على عنقه فأقبله و ... آخذ أبكى ... لكننى أخاف ، أخاف جداً ! ... انه غريب الأطوار يا رب ! هو يتكلم برقة وحنان ، ومع ذلك أنا خائفة ! عجيب ، ممّ أنا خائفة ؟ ،

استأنفت كلامها فجأة ، اذ عادت تفكر فى ملاحظة ابنها ، فقالت له : - آه يا روديا ! لا تستطيع أن تتصور مدى ما شعرنا به من شقاء ، أنا ودونيتشكا ، أمس . أما وقد انتهى هذا الآن ، أما وأنه انقضى فأصبحنا سعيدتين من جديد ، فانا نستطيع أن نرويه لك . تصور أننا هرعنا الى هنا لقبلك ، منذ نزلنا من القطار ، فقالت لنا تلك المرأة ... هه ... ها هي ذى ... نعمت صباحاً يا ناستاسيا ... نعم ، قالت لنا هذه المرأة ... هكذا فجأة ... انك كنت فى السرير تعاني من حمى حارة ، ثم هربت وأنت تهذى هذياناً شديداً ، دون أن يعرف الطبيب عن ذلك شيئاً ، وأنهم ركضوا يبحثون عنك فى الشارع . لا تستطيع أن تتصور ما أحدثه هذا فىنا من أثر ! ... لقد تذكرت أنا على الفور النهاية الفاجعة التى انتهى اليها الليوتان بوتاتشيكوف ، أحد أصحابنا القدماء ، صديق أبلك - هل تذكر يا روديا ؟ - الذى كان مصاباً هو أيضاً بحمى حارة فهرب من البيت مثلك فسقط فى بشر الحوش ، ولم يمكن اخراجه منه الا فى الغد . وقد غلونا طبعاً فى تصور خطورة حالتك . وتمنينا أن نركض نبحث عن بطرس بتروفتش ليساعدنا قليلاً على الأقل ... لأننا كنا وحيدتين ، وحيدتين .

قالت جملتها الأخيرة هذه بصوت فيه شكوى وتوجع . لكنها

أمسكت عن الكلام فجأة ، لأنها تذكرت أن الكلام عن بطرس بتروفيش  
ما يزال خطراً بعض الشيء ، « رغم أن الجميع قد أصبحوا سعداء من  
جديد » .

جمجم راسكولينكوف يقول مجيئاً :

- نعم نعم ، هذا كله مؤسف طبعاً ...

ولكن هيئة كانت تنم على ذهول وغياب يلفان من الشدة أن  
دونيشتكا نظرت إليه مشدوهة .

وتابع يقول وهو يبذل جهداً واضحاً ليستجمع ذكرياته :

- ماذا كنت أريد أن أقول لكما أيضاً ؟ ها ... نعم ... أرجوك

يا أمي ، وأرجوك أنت يا دونيشتكا ، أن لا يذهب بكما الظن الى أنني  
كنت لا أنوي أن أسبقكما الى الذهاب اليكما ، وأنتي انتظرت أن تجيئا  
أتما الى .

هتفت بولشيريا ألكسندروفنا تقول مدهوشة هي أيضاً :

- ما هذا الذي تقوله يا روديا ؟

وقالت دونيا لنفسها : « ما باله ؟ أتراه لا يجيئنا إلا من باب القيام  
بالواجب ؟ انه يصلحنا ويستغفرنا ، ولكن كأنه يقوم بسخرة ثقيلة أو  
يتلو درساً محفوظاً » .

- لقد أردت منذ صحت أن أذهب اليكما ، لكن مسألة الثياب

أخرتني ... لقد نسيت أمس أن أقول لها ، أعني أن أقول لناستاسيا  
أن ... تغسل هذا الدم . ولم أستطع أن أردني ثيابي الا الآن .

هتفت بولشيريا ألكسندروفنا تسأله وقد ذهب صوابها :

- الدم ؟ أي دم ؟

فأجابها :

— لا تقلقى ، ليس الأمر بذى بال • هذا الدم سيبه أننى ترنحت قليلاً أمس ، بسبب الهذيان ، فاصطدمت برجلٍ كانت قد داسته عربة • • • هو موظف • • •

قاطعهُ رازومِيخِين قائلاً :

— هذيان ؟ ولكن هأنت ذا تتذكر كل شيء !

فأجاب راسكولنيكوف بلمهجة تتم على الهم :

— صحيح • • • أتذكر كل شيء ، حتى أدق التفاصيل • ولكن لماذا فعلت كيت وكيت ، لماذا ذهبت الى مكان كذا ، لماذا قلت ذلك الشيء فى ذلك المكان ، هذا ما لا أستطيع أن أفسّره لنفسى •

تدخل زوسيموف فقال :

— هذه ظاهرة معروفة جداً • رب فعل يقوم به صاحبه على نحو رائع ، ببراعة فائقة وحنق مدهش ، ثم يبقى الباعث عليه والدافع اليه مموّهاً ، لارتباطه بمشاعر مرّضية شتى • فكأن الأمر كله حلم من الأحلام •

قال راسكولنيكوف لنفسه : « انه لحظ موفق أن يعدنى أشسبه بمجنون ! » •

قالت دونيا وهى تلقى على زوسيموف نظرة قلقة :

— ولكن ألا يصدق هذا على أناس أصحاب أفضاً ؟

فأجابها زوسيموف قائلاً :

— هذه ملاحظة سديدة جداً ، بمعنى أننا جميعاً على وجه التقريب نشبه المجانين حقاً فى كثير من الأحيان ، مع فرق واحد مع ذلك هو أن « المرضى » مجانين أكثر منا قليلاً ، فمن الضروري أن نميّز ههنا

درجات • أما الانسان « السوى » ، فمن الواجب أن نقول انه لا يكاد له وجود • قد نجد فرداً سوياً ، أو فرداً قريباً من السوى ، بين عشرات الألوف وربما مئات الألوف من الأفراد •

اربدت وجوه الحاضرين جميعاً حين سمعوا كلمة « المجانين » هذه التى أفلتت من لسان زوسيموف بشير حذر ولا تروى أثناء ثمرته حول موضوعه المفضل • وكانت تطوف على شفتى راسكولنيكوف الذى ما يزال جالساً ، كانت تطوف على شفثيه اللتين زال عنهما لونهما ، ابتسامة تم على أنه كان مسترسلاً فى أحلام عميقة •

صاح رازومبخين يسأله بسرعة شديدة :

— هيه ، لقد قاطعتك ••• ما حكاية الرجل الذى دامتة العربية ؟

قال راسكولنيكوف وكأنه يستيقظ فجأة :

— ماذا ؟ آ ••• نعم ••• لقد تلوثت بالدم حين ساعدت فى نقله الى بيته ••• بالمناسبة يا أمى : لقد فعلت أمس أمراً لا يقتفر • حقاً لم أكن أملك كل عقلى • لقد أعطيت امرأة ذلك الرجل ، أمس ، كل المال الذى أرسلته الى ••• من أجل دفنه ••• هى الآن أرملة ، مصدورة ، انها امرأة شقية فقيرة ••• عندها ثلاثة يتامى صغار جائعين ••• ما من قرش واحد فى بيتهم ••• وهناك أيضاً بنت ••• لعلكما كنتما متفعلان مافعلته أنا لو كنتما فى مكائى • طبعاً لم يكن من حقى أن أفعل ذلك ، أنا أعترف بهذا ••• لأننى أعرف حق المعرفة كيف حصلتما على ذلك المال • فمن أجل أن يساعد المرء غيره يجب عليه أولاً أن يكون له حق فى ذلك والا : « موتوا أيها الكلاب اذا لم تكونوا راضين » • أليس الأمر كذلك يا دونيا ؟

قال راسكولنيكوف هذا وابتسم ابتسامة خفيفة •

أجابته دونيا بلهجة جازمة تقول :

— لا ، ليس الأمر كذلك !

فقدم يقول وهو يلقي عليها نظرة توشك أن تكون كارهة ،  
وتطوف بشفتيه ابتسامة ساخرة :

— ها ... أنت أيضاً تزخرين بنيات طيبة • كان ينبغي لي أن أفهم  
هذا ! • • ذلك جميل جداً على كل حال • • ربما كان ذلك أفضل ! • • •  
إذا وصلت الى نقطة لا تجسرين أن تخطيها فسوف تشقين ، وإذا تخطيتها  
فربما شقيت أكثر • ثم ان هذا كله سخافات ( أضاف ذلك مهتاجاً ،  
نادماً على أنه استسلم لاندفاعه ) • وانما أردت يا أمي أن أعذر اليك ،  
وأن استغفرك •

كذلك ختم راسكولنيكوف كلامه بصوت جازم متقطع •

قالت الأم راضية كل الرضى :

— كل ما تفعله يا روديا فهو خير • أنا واثقة بهذا •

فأجابها بابتسامة مصطنعة :

— لا تتقي كل هذه الثقة !

أعقب ذلك صمت • لقد كان الحديث كله متوتراً جداً ، سواء في

الصمت ، وفي المصالحة ، وفي الغفران • وكان الجميع يحسون ذلك •

قال راسكولنيكوف لنفسه وهو ينظر الى أمه وأخته بطرف عينه :

« لكأنهما خائفتان مني حقاً » •

والحق أن بولشيريا ألكسندروفنا كان يزداد خوفها على قدر امتداد

صمتها •

وومضت هذه الفكرة في ذهن راسكولنيكوف : « أنا انما كنت

أحبهما اذن من بعد » •

هتفت بولشيريا ألكسندروفنا تقول فجأة وهي تتنفض :

— هل تعلم يا روديا ؟ لقد ماتت مارتا بتروفنا !

— من هي مارتا بتروفنا ؟

— عجيب ! مارتا بتروفنا سفيدريجايلوفا • حدثتك عنها طويلاً  
فى رسالتى !

— آ ••• آ ••• نعم ••• تذكرت ! اذن ماتت ؟ آ ••• حقاً •••

( قال ذلك مرتعشاً كمن يصحو من نوم ) • ماتت ••• أصبح أنها  
ماتت ؟ ممّ ماتت ؟

أسرعت بولشيريا ألكسندروفنا تجيبه وقد شجعها هذا الاستطلاع :

— ماتت فجأة • حدث ذلك يومَ أرسلت اليك رسالتى • تصور !

وتصور أن أغلب الظن أن ذلك الرجل الرهيب هو سبب موتها • يقال  
انه كان قد ضربها ضرباً فظيماً •

سأل راسكولنيكوف أخته :

— هل كان ذلك من عاداتهما ؟

— لا ، بالعكس • كان يسدو على الدوام صبوراً جداً معها ، بل

ولطيفاً جداً فى معاملتها • وكان فى كثير من المناسبات كثير اللين والتسامح  
فى تصرفه ازاء طبع زوجته • ولكن ذلك دام سبع سنين ، فلعله فقد  
صبره على حين فجأة •

— اذن لم يكن فظيماً الى ذلك الحد ما دام قد استطاع أن يسيطر

على نفسه خلال سبع سنين • لكأنك تعذرينه يا دونيتشكا •

— لا ، لا ، انه رجل فظيع ! لا أستطيع أن أخيل رجلاً أظلم منه.



كذلك أجابت دونيتشكا وهي تكاد ترتجف • وقطبت حاجيها  
وغرقت في أفكارها •

وأسرعت بولشيريا ألكسندروفنا تتابع كلامها فقالت :

— حدث ذلك في ذات صباح • فأمرت باعداد العربة لتذهب الى  
المدينة بعد الغداء رأساً ، لأنها تذهب الى المدينة دائماً في مثل تلك الحالات.  
يقال انها التهمت غداءها بشهوة قوية •  
— بعد أن ضُربت ؟

— نعم ، هذه عادة من عاداتها • وما ان انتهت من تناول طعامها حتى  
أسرعت تستحم حتى لا تتأخر • انها تعالج نفسها بالحمامات • ان لديهم  
ينبوع ماء بارد ، فهي تستحم به بانتظام واطراد كل يوم • ولكنها ما ان  
غطست في الماء حتى أصيبت بالسكتة •

قال زوسيموف معقّباً :

— لا غرابة !

— وهل ضربها ضرباً شديداً جداً ؟

قالت دونيا :

— أى قيمة لهذا ؟

وقال راسكولنيكوف فجأة ، بلهجةٍ ليس هناك شيء يمكن من  
التنبؤ بها :

— هم ••• ثم ما قيمة قصّ سخافات من هذا النوع يا أمي ؟

فقالت بولشيريا ألكسندروفنا :

— آه يا بني !••• انما أنا رويت هذه الأمور لأننى أصبحت

لا أعرف عمّ ينبغى أن أتكلّم !

فقال راسكولنيكوف وهو يتسهم ابتسامة مصطنعة من جديد :

— أتراكم تخافون جميعاً منى ؟

قالت دونيا وهى تحدى الى عيني أخيها بنظرة قاسية :

— هذا صحيح + حتى ان ماما قد رسمت اشارة الصليب قبل

صعودها السلم ، من شدة خوفها +

تقلص وجه راسكولنيكوف حتى لكأنه يوشك أن يقع متشنجاً +

فتمتت بولشيريأ ألكسندروفنا تقول مضطربة كل الاضطراب :

— آه ... ما هذا الذى تقولينه يا دونيا ؟ لا تزعل يا روديا ، أرجوك

... لماذا تقولين هذا الكلام يا دونيا ؟ صحيح أنتى طوال مدة الرحلة ،

فى القطار ، كنت أتخيل كيف سنلقى ، وما الذى سيقوله بعضنا لبعض

... وقد بلغت من شدة السعادة أنتى لم أشعر بالرحلة + ولكن ما هذا

الذى أقوله ؟ انتى ما زلت سعيدة ... الآن أيضاً أنا سعيدة ... ما كان

ينبغى لك يا دونيا أن ... انتى سعيدة يا روديا ، ان رؤيتك تجعلنى

سعيدة يا روديا ...

فقدم راسكولنيكوف يقول لأمه خجلاً ، وهو يشد على يدها دون

أن ينظر اليها :

— كفى يا ماما + سيتسع وقتنا للتحدث طويلاً !

ولكنه ما ان قال هذا الكلام حتى اضطرب فجأة ، واصفرَّ وجهه ،

وعاوده ذلك الاحساس الرهيب الذى يعرفه حق المعرفة ، أعنى

الاحساس ببرودة رهبة تجتاح نفسه ، وشعر شعوراً لا يخالجه ريب بأنه

قد كذب كذبة فظيعة ، وبأنه لن يستطيع أن يتكلم بعد الآن بقلب مفتوح

فى يوم من الأيام ، بل وأنه لن يستطيع بعد الآن أن « يتكلم » فى أمر

من الأمور أياً كان + وبلغ الاحساس الذى ولّته هذه الفكرة فى نفسه

من شدة الايلام أنه كاد يفقد الشعور بالواقع فقداناً كاملاً خلال لحظة ،  
فنهض واتجه نحو الباب قدماً لا يلوى على شيء ولا ينظر الى أحد .

هتف رازومينين يسأله وهو يمسكه من ذراعه :

— ماذا تفعل ؟

فعاد راسكولنيكوف يجلس ، وأجال بصره حواليه صامتاً . فكان  
الجميع يتأملونه مشدوهين .

وهتف يقول فجأة :

— حقاً انكم جميعاً لتبغثون الضجر والسأم في النفس ! هلاًّ قاتم  
شيئاً ! ما بالنا نبقى جالسين هكذا ! تكلموا ! تكلموا ! سوف تتكلم ...  
مماً ! أنجتمع ثم لا نقول شيئاً ؟ هيّا قولوا شيئاً ! هلموا !

قالت بولشيريّا ألكسندروفنا :

— الحمد لله . لشد ما خفت أن يتكرر ما حدث أمس .

وقالت آفدوتيا رومانوفنا تسأل أخاها مرتابة :

— ما بك يا روديا ؟

فأجابها راسكولنيكوف وقد أخذ يضحك فجأة :

— لا شيء ... لا شيء ... تذكرت سخافة من السخافات !

دمدم زوسيموف يقول :

— اذا كان الأمر أمر سخافة من السخافات ، فهذا يبعث على

الاطمئنان . والا كان يمكن أن افترض ...

ثم أضاف :

— على كل حال ، يجب أن أنصرف . قد أجيء لأراك ، اذا أنا

وجدتك !

وحياً وخرج •

قالت بولشيريا الكسندروفنا :

— يا له من رجل رائع !

فقال راسكولنيكوف فجأة بصوت متقطع ، وبحرارة أشدّ مما أظهر

من حرارة حتى الآن :

— نعم ، هو رجل رائع ، مدهش ، مثقف ، ذكى ... لا أتذكر

الآن أين التقيت به قبل مرضى • ولكن يبدو لى أننى سبق أن التقيت به •

ثم أضاف وهو يومئ الى رازوميين باشارة من رأسه :

— وهذا أيضاً رجل ممتاز !

ثم التفت الى أخته يسألها فجأة وقد أخذ يضحك لا يدرى أحد

لماذا :

— هل يعجبك يا دونيا ؟

فأجابته دونيا قائلة :

— كثيراً •

قال رازوميين وهو ينهض محمراً الوجه من الحجل والاضطراب :

— يا للأحمق !

وابتسمت بولشيريا الكسندروفنا ابتسامة خفيفة ، بينما كان

راسكولنيكوف يضحك ضحكاً صاخباً •

— ولكن الى أين أنت ذاهب ؟

— أنا أيضاً مشغول •

— لا لست مشغولاً بشيء البتة ، ابق ! لا يكفى أن ينصرف

زوسيموف حتى يكون عليك أن تنصرف أنت أيضاً • لا ، لا تذهب ! ثم

كم الساعة الآن ؟ الثانية عشرة ؟ ما أجمل هذه الساعة التي تحملينها  
يا دونيا ! ولكن ما بالكم تصمتون جميعاً من جديد ؟ لا يتكلم أحد  
غيرى هنا !

أجابت دونيا :

- هي هدية من مارتا بتروفنا •  
وعقبَّت بولشيريا ألكسندروفنا تقول :  
- وقد كلف ثمناً غالياً جداً •  
- هي ضخمة جداً بالقياس الى ساعة نسائية •  
- أحب للساعات أن تكون ضخمة هكذا •  
وقال رازومبخين لنفسه : « ليست هدية من الخطيب اذن » ،  
وابتهج لهذا دون أن يدري كثيراً لماذا !  
وقال راسكولنيكوف غامزاً :  
- تصورت أنا أنها هدية من لوجين !  
- لا ، انه لم يقدم الى دونيا حتى الآن أية هدية !  
قال راسكولنيكوف فجأة وهو ينظر الى أمه التي ذهبت من انتقاله  
الى هذا الكلام بغير تدرج ، ومن اصطناعه هذه اللهجة التي اصطنعها :  
- آ آ آ ... هل تذكرين يا أمى أنتى عشقت وأنتى أردت أن  
اتزوج ؟

- نعم أتذكر يا بنى •  
وتبادلت بولشيريا الكسندروفنا نظرة مع دونيتشكا ورازومبخين •  
- نعم • وماذا أقول لك عن ذلك الأمر أيضاً ؟ لقد نسيت فأصبحت  
لا أتذكر ...

وتابع كلامه وهو يطرف الى الأرض ويصبح شارد الذهن حالماً من جديد :

- كانت فتاة ممراساً ... ممراساً جداً • وكانت تحب أن تتصدق على المتسولين • وقد أجهشت باكية في ذات يوم حين حدثتني عن ذلك • نعم ... نعم ... أتذكر تذكراً كاملاً • لا يمكن أن يقال انها كانت جميلة ! حقاً ... لا أدري لماذا تعلقت بها • ربما لأنها كانت دائماً مريضة • وأحسب أنها لو كانت عرجاء أو حذباء لأحيتها أكثر • ( قال ذلك وابتسم ابتسامة زاهلة ) • كان ذلك نوعاً من جنون الربيع !

قالت دونيا مندفة :

- لا ، لم يكن نوعاً من جنون الربيع •

ألقي راسكولنيكوف على أخته نظرة منتبهة • ولكن كان يبدو عليه أنه لم يفهم كلامها ولا سمعه • ثم نهض وهو ما يزال شارد الفكر ، فمضى الى أمه ، فقبلها ، وعاد يجلس في مكانه •

سأله بولشيريا الكسندروفنا مضطربةً أشد الاضطراب :

- أما زلت تحبها ؟

- هي ؟ ما زلت أحبها ؟ آ ... نعم ... أنت تتكلمين عنها ... لا ... ذلك كله قد أصبح الآن عالماً آخر ... انقضى زمان طويل ... انقضى زمان طويل ... لا هذا فحسب ... بل ان كل ما يجري حولى الآن فكأنه يجري في عالم آخر ...

قال راسكولنيكوف ذلك ، ونظر اليهم باتباه ثم أردف يقول :

- اليكم هذا المثال : أنا أنظر اليكم الآن ، فكأنكم على مسافة ألف فرسخ منى ... ولكن لماذا تتكلم عن هذه الأشياء ؟ ثم لماذا تسألوننى ؟

( أضاف ذلك غاضباً ، وصمت ، وأخذ يقضم أظافره ، وغاب في أحلامه من جديد ) •

وقطعت بولشيريا ألكسندروفنا هذا الصمت الأليم ، اذ قالت فجأة :  
- ما أردأ مسكنك يا روديا ! أنا على يقين من أن مسكنك هذا هو  
نصف أسباب كآبتك !

فقال راسكولنيكوف ذاهل الهيئة :

- المسكن ... نعم ... لا بد أن لمسكني هذا دخلاً في الأمر ...  
أنا أيضاً خطر ببالي هذا •

ثم أضاف يقول فجأة وهو يضحك ضحكة غريبة :  
- ولكن لبتك تعلمين عن أية فكرة غريبة عبرت أنت الآن  
يا أمي !

كان راسكولنيكوف يحس أن هذا الاجتماع ، وهذه الأم وهذه  
الأخت اللتين يراهما بعد فراق دام ثلاث سنين ، وهذه اللهجة الحسنة  
في الحديث ، بينما هو عاجز عن أن يقول كل شيء ، كان راسكولنيكوف  
يحس أن هذا كله يوشك أن يصبح أمراً لا يطاق إطلاقاً • غير أن هناك  
مسألة لا تحتمل مناقشتها أرجاء ، مسألة كان قد قرر منذ صحا من  
نومه أن يحلها في هذا اليوم نفسه بطريقة أو بأخرى • وها هو ذا  
يحس الآن أن في وسعه أن يتخذها وسيلة للخروج مما هو فيه من  
ضيق وكرب ، فيحتاج لذلك بعض الارتياح •

بدأ كلامه فقال بلهجة خشنة قاسية :

- اسمعي يا دونيا • أنا طبعاً استغفرك عمّا جرى أمس ، ولكنني  
أرى أن من واجبي أن أذكرك بانتي ما زلت مصراً على الشيء الأساسي  
من أقوالى • اما أنا واما لوجين • قد أكون أنا أسوأ الناس طراً ، ولكن

ما ينبغي أن تكوني أنت كذلك • يكفي أن يكون أحداً سيئاً • إذا تزوجت لوجين ، فلن أعدك اختي •

صاحت بولشيريا ألكسندروفنا تقول بحرارة : •

– روديا ، روديا ! ها نحن اذن نعود الى ما كنا فيه بالأمس ! لماذا تعد نفسك « أسوأ الناس طراً » ؟ أنا لا أستطيع أن أحتمل هذا • أمس أيضاً كان هذا نفسه •••

وأجابت دونيا تقول بلهجة جازمة ، خشنة كلهجته :

– هذا ناشيء عن خطأ ترتكبه يا أخي • لقد فكّرت هذه الليلة ، فاكشفت قوام خطئك • ان كل شيء ناشيء ، فيما يبدو لي ، عن تصورك أنتي أضحى في سبيل أحد • وهذا ليس صحيحاً البتة • فأنا انما اتزوج تحقيقاً لمصلحتي الخاصة ، لأن حياتي صعبة • طبعاً ••• اذا استطعت في المستقبل أن أنفع أهلي ••• فسوف يسعدني ذلك ، ولكن السبب الرئيسي للقرار الذي اتخذه ليس هو هذا •••

قال راسكولنيكوف لنفسه وهو يقضم أنظافره حائقاً : « انها تكذب ! يا للمتجرفة ! انها لا تريد أن تعترف بأنها تحلم أن تكون محسنة • آه من هذه الطبائع ! حتى حين يحبون ، فكأنهم يكرهون • آه •• لشد ما أكرههم جميعاً ! » •

وتابعت دونيا تقول :

– باختصار : أنا أتزوج بطرس بتروفتش لأنني أختار أهون الشرين • واذا انتي قررت أن أنفد كل ما ينتظره مني ، بأمانة واستقامة وشرف ، فانتى أعقد أنتى لا أخدعه ••• لماذا تبسم ؟

سألها راسكولنيكوف بلهجة مسمومة :



– ستفئدين كل شيء ؟

– الى حد ما • وان الطريقة التي اتبعها بطرس بتروفتش في خطبتي قد أفهمتي على الفور ما ينتظره مني • صحيح أن رأيته في نفسه عالٍ كثيراً ، ولكنني أأمل أن يقدّرني أيضاً ••• لماذا تضحك من جديد ؟

– وأنت لماذا تحمرّين من جديد ؟ انك تكذبين يا أختي ، تكذبين عامدةً ، بعناد امرأة ، حتى لا تراجعى أمامي • أنت لا يمكن أن تحترمي لوجين : لقد رأيته وتحدثت معه • اذن أنت تبيعين نفسك بالمال • اذن أنت تتصرفين تصرفاً دينياً على كل حال • وانه ليسعدني ، انه ليسعدني كثيراً ، أن تكوني على الأقل قادرةً على أن تحمرّتي خجلاً •

صاحت دونيا تقول وقد فقدت كل هدوئها :

– هذا غير صحيح • أنا لا أكذب ! لن أتزوجه دون أن أقتنع بأنه يقدّرني حق قدرى ، وأنه يحرص على • لن أتزوجه دون أن أقتنع اقتناعاً جازماً بأنني أستطيع أن أقدره • ومن حسن الحظ أن في وسعي أن أقتنع بهذا على وجه اليقين في هذا اليوم نفسه • ليس هذا الزواج دناءة على نحو ما تصف • وهبك على صواب ، وهبني قررت أن أرتكب عملاً دينياً ، أفلا تكون أنت قاسياً حين تقول لي هذا الكلام الذي تقول ؟ لماذا تتطلب مني بطولةً تعجز عنها أنت نفسك ؟ هذا ظلم واستبداد ، هذا عنف وطفيان ! اذا كنت أشقى أحداً ، فانما أشقى نفسي ! أنا لم أذبح أحداً بعد ••• لماذا تنظر اليّ هكذا ؟ لماذا اصفرّ وجهك هذا الاصفرار فجأة ؟ روديا ، ماذا بك ؟ روديا ، عزيزي •••

صاحت بولشيرييا الكسندروفنا :

– رباه ! لقد بلغت من تعذيبه أنه سيغمي عليه !

– لا ، لا ، لم يحدث شيء ، انتهى كل شيء • كل ما حدث هو أنني أحسست بشيء من دوار ••• ولكن لم يُنمَ عليّ • انكم تظنون كل

شيء اغماء • ماذا كنت أريد أن أقول ؟ نعم : بأية وسيلة ستقتعين ،  
في هذا اليوم نفسه ، بأنك تستطيعين احترامه ، وبأنه يقدرك ؟ ذلك هو  
ما قلته ، أليس كذلك ؟ يخيّل إلى أنك قلت : « في هذا اليوم نفسه » ،  
أم تراني سمعت خطأ ؟

قلت دونيا :

— ماما ، أطلعي أختي على رسالة بطرس بتروفش •  
فمدّت بولشيريا الكسندروفنا الرسالة إليه ، مرتعشة اليدين •  
فتناولها باهتمام شديد واستطلاع قوى ، ولكنه قبل أن يفضّها نظر إلى  
دونيا مدهوشاً • وقال ببطء ، كأنما وافته فكرة جديدة :

— غريب جداً أنني نرت هذه الثورة كلها من أجل ... لماذا هذا  
الاضطراب كله ؟ تزوجى من تشاين ...

قال هذا كمن يحدث نفسه ، ولكنه كان يتكلم بصوت عالٍ ، وظل  
برهة من الوقت ينظر إلى أخته مرتبكاً •

وفضّ الرسالة أخيراً وهو ما يزال على ما هو عليه من دهشة  
لا تعليل لها • ثم أخذ يقرأ الرسالة ببطء وانتباه •

أعاد قراءة الرسالة مرتين • وكانت بولشيريا الكسندروفنا قلقه  
إلى أبعد حدود القلق • وكان الجميع ، من جهة أخرى ، يتوقعون  
انفجاراً •

بدأ راسكولنيكوف كلامه بعد لحظة من تأمل ، فقال وهو يرد  
الرسالة إلى أمه ، ولكن دون أن يخاطب أحداً بعينه :

— غريب • هو محام • وله زبائن ، وحتى حديثه لا يخلو من ...  
حذقة • ومع ذلك يحسن المرء حين يقرؤه أنه ليس على شيء من تعليم  
أو ثقافة •

حدثت حركة شاملة : لقد كانوا يتوقعون شيئاً آخر غير هذا تماماً •

قال رازوميخين بلهجة قاطعة :

– ولكنهم جميعاً يكتبون هكذا ؟

– هل قرأت هذه الرسالة ؟

– نعم •

قالت بولشيرا الكسندروفنا مضطربة :

– أطلعناه عليها يا روديا ، و ... سألتنا ... النصح ... منذ

برهه ...

فقاطعتها رازوميخين يقول :

– هذا أسلوب القضاء لا أكثر ... ان جميع الأوراق القضائية

تُحرَّر الآن بهذا الأسلوب !

– القضاء ؟ نعم ... صحيح ! ... ذلك أن أسلوب هذه الرسالة

ليس أسلوب رجل محروم من أى حظ من ثقافة ، ولكنه فى الوقت نفسه

ليس أسلوباً أدبياً • ان أسلوبه هو كما قلت يا رازوميخين أسلوب رجل

من رجال الأعمال •

قالت آفدوتيا رومانوفنا وقد أزعجتها لهجة أخيها من جديد :

– ان بطرس بتروفتش لا يخفى أن تعليمه كان متواضعاً ؛ بل انه

ليعتز بأنه عصامى شق طريقه بنفسه •

– اذا كان يعتز فلا شك أن هناك ما يدعوه الى الاعتزاز ! أعتقد

أنك انزعجت يا أختى لأننى لم أخرج من هذه الرسالة كلها الا بهذه

الملاحظة النافهة ؛ وأنت تظنين أننى تعمدت أن أتشبت بهذه السفايف

لأسخر منك • والحق عن ذلك بعيد : ففى صدد موضوع الأسلوب هذاه

انما خطرت ببالى ملاحظة تبدو لى فى هذه الحالة ذات شأن • لقد ورد

فى الرسالة تعبير يقول : « لن يكون لكم عندئذ أن تلوموا أحداً الا أنفسكم » ، وهو تعبير ذو دلالة بليغة فى ذاته ، عدا أنه يشتمل على تهديد : لقد قرر لوجين أن ينصرف فوراً اذا أنا حضرت . فهذا التهديد بالانصراف معناه أنه سيشتركما اذا أتتما لم تطوعاه ، مع أنه هو الذى حملكما على المجئ الى بطرسبرج . فما رأيك ؟ هل يمكن أن تسوءك هذه الكلمات حين يكتبها لوجين مثلما يمكن أن تسوءك لو كتبها هذا ( قال ذلك وهو يومئ الى رازوميخين ) أو كتبها زوسيموف أو كتبها أى واحد منا ؟

قالت دونيتشكا متحمسة :

— ل... لا...! لقد أدركت حق الادراك أن فى أسلوبه مذاجة شديدة ، وأنه قد لا يكون حاذقاً كل الخلق فى استعمال قلمه . ان ملاحظتك سديدة جداً يا أخى ، حتى اننى لم أكن أتوقع أن ...

— نعم ، هذا هو طابع الأسلوب القضائى ، وبالأسلوب القضائى لا يمكن أن يكتب المرء غير هذا . ولعل لوجين كان فيما كتبه فظاً أكثر مما أراد . ومع ذلك أريد أن أخيب ظنك قليلاً : ان فى هذه الرسالة نفسها تعبيراً آخر هو نيمية فى حقى ، نيمية خسيصة . لئن وهبت بالأمس مالاً لأرملة مصدورة يائسة ، فاننى لم أفعل ذلك « بحجة » دفع نفقات الجنازة ، بل لدفع نفقات الجنازة فعلاً . ثم اننى وضعت هذا المال لا فى يد الفتاة أو فى يد « البنت المعروفة بسوء السمعة » على حد تعبيره ، وانما وضعت المال فى يد الأرملة نفسها . اننى أرى فى كلامه هذا رغبة شديدة جامحة فى تلطخ صفحاتى ، وفى احداث شقاق بينى وبينكم . هنا يكشف الأسلوب القضائى عن نيات صاحبه بوضوح ، ويدل على تسرع فيه شئ من سداجة . ان الرجل ذكى ، ولكن لا يكفى أن يكون المرء ذكياً حتى يتصرف بذكاء . هذا كله يطلمك على حقيقته . ثم اننى ...

لا أعتقد أنه يحترمك كثيراً • لا أقول لك هذا الا لتحيطى علماً •••  
ذلك أنتى أتمنى لك الخير صادقاً كل الصدق •

لم تجب دونيا • كانت قد اتخذت قرارها منذ مدة ، فهى تنتظر  
حلول المساء •

سألت بولشيريا الكسندروفنا ابنها ، وقد اشتد قلقها بسبب طابع  
«الأعمال» هذا الذى ساد الحديث :

— فماذا قررت يا روديا ؟

— ماذا تعنين بقولك « ماذا قررت » ؟

— ان ••• بطرس بتروفتش يطلب فى رسالته أن لا تجيء الينا  
هذا المساء ، وانه سينصرف اذا أنت جئت • فهل ••• تجيء ؟

— لست أنا من يجب أن يقرر • وانما ينبغى أولاً أن تعرفا هل  
يسوؤكما طلب بطرس بتروفتش أم لا ؟ وينبغى ثانياً أن تعرف دونيا هل  
فى هذا الطلب اهانة لها أم لا •

وأضاف راسكولنيكوف يقول بخشونة :

— أما أنا فسأفعل ما يناسبكما كلتيكما •

أسرعت بولشيريا الكسندروفنا تجيب :

— لقد اتخذت دونيتشكا قرارها واتهى الأمر ؛ وأنا أوافقها كل  
الموافقة •

قالت دونيا :

— نعم ، لقد قررت يا روديا ••• قررت أن أطلب منك ، ملحة  
مصرّة ، أن تحضر الاجتماع عندنا هذا المساء • هل تجيء ؟  
— سأجىء •

والتقت دونيا الى رازوميخين فقالت له :

- وأنت أيضاً ... أرجوك أن تكون عندنا فى الساعة الثامنة •  
يا أمى ، اننى أدعوه أيضاً •

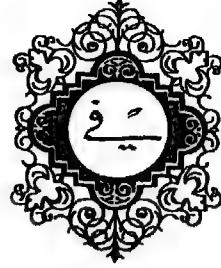
قالت بولشيريا الكسندروفنا :

- هذا حسن جداً يا دونيا •

ثم أضافت :

- ليكن ما تقررين • ثم اننى أنا نفسى أوتر هذا • اننى لا أحب  
أن أظهار وأن أكذب • نعم ، الأفضل أن نقول الحقيقة جميعاً ...  
اغضب أو لا تغضب يا بطرس بتروفشس !

## الفصل الرابع



تلك اللحظة فُتح الباب برفق ، ودخلت الغرفة فتاةٌ تلقى على ما حولها نظرات وجلى . فالتفت الجميع نحوها مدهوشين مستظلمين . ولم يتعرفوا راسكولنيكوف فى الوهلة الأولى . انها صوفيا سيميونوفنا مارميلادوفا . كان قد رآها أمس أول مرة ، ولكنه رآها فى لحظة خاصة وظروف خاصة ، ورآها مرتدية ثياباً خاصة ، فكانت صورتها المنقوشة فى ذاكرته صورة امرأة أخرى غير هذه التى يراها الآن . هى فتاة بسيطة الملبس بل فقيرة الملبس ، تبدو فى ميعه الصبا حتى لكأنها بنية صغيرة ، متحفظة الحركات محتشمة ، نقية الوجه على شئ من خوف ووجل ، ترتدى ثوباً بسيطاً مما يُلبس كل يوم ، وتضع على رأسها قبة بالية الزى ، ولكنها تحمل بيدها شمسية كالأمس .

فلما رأت ، على دهشة شديدة منها ، أن الغرفة تنصُّ بالناس ، لم تضطرب فحسب ، بل فقدت كذلك كل سيطرة لها على نفسها ، وتحركت تهمُّ أن تتسحب .

قال راسكولنيكوف وقد بلغ ذروة الدهشة :

— آآآ... أهذا أنت ؟

وفقد هو أيضاً كل سيطرة له على نفسه .

وسرعان ما تذكر أن رسالة لوجين قد أخبرت أمه وأخته بوجود

هذه الآتسة « المعروفة بسوء السمعة لدى جميع الناس » • وقد احتج هو منذ قليل على نائم لوجين معلناً أنه رأى هذه الفتاة أول مرة مساء أمس ، وها هي ذى تدخل عليه الآن بشخصها فجأة • وتذكر أيضاً أنه لم يحتج أى احتجاج على ما ورد فى رسالة لوجين من أن « البنت معروفة بسوء السمعة » •

ومض ذلك كله فى ذهنه مضطرباً مبهماً بسرعة كسرعة البرق • ولكنه حين تأمل القادمة بأتباه أكبر ، رأى أنها مخلوقة مسكينة مُدَلَّة ، مُدَلَّة الى حد كبير فلم يلبث أن أخذته بها شفقة • فلما تحركت تهم من رعبها أن تهرب ، كان هو قد شعر باضطراب ، فأسرع يقول لها وهو يستوقفها بنظره :

— لم أكن أتوقع مجيئك البتة • هلاً سررتى فجلست • لا شك أنك آتية من قبل كاترين ايفانوفنا • من فضلك • لا ، ليس هنا • بل هنا • اجلسى هنا •

حين دخلت صوتيا ، كان رازوميخين جالساً على أحد الكراسى الثلاثة التى تضمها غرفة راسكولنيكوف ، فنهض ليفسح لها مجال المرور. وقد دلّها راسكولنيكوف فى أول الأمر على مكان فى طرف الديوان هو المكان الذى كان يشغله زوسيموف منذ برهة • لكنه وقد تذكر أن الجلوس على الديوان ينم على رفع الكلفة ، وأنه يتخذ الديوان سريراً له ، أسرع يدلّها على كرسى رازوميخين • وقال لرازوميخين وهو يجلسه على طرف الديوان الذى كان يجلس عليه زوسيموف :

— وأنت ، اجلس هنا •

جلست صوتيا وهى تكاد ترتش ، ونظرت الى السيدتين خجلة وجلة • كان واضحاً أنها لا تفهم هى نفسها كيف تجرأت أن تجلس الى



جانبيها • وقد بلغت من الارتياح حين تصورت ذلك أنها نهضت على حين  
فجأة مضطربة أشد الاضطراب ، وثأثأت تقول متجهةً بكلامها الى  
راسكولنيكوف :

— أنا ... أنا ما جئت الا لدقيقة واحدة ... اغفر لى ازعاجك •  
ان كاترين ايفانوفنا هى التى أوفدتنى اليك ... لأنها لم تجد أحداً  
غيرى يمكنها أن توفده • طلبت منى كاترين ايفانوفنا أن أرجوك ملحةً  
... أن تحضر غداً قداس الجنازة ... صباحاً ... بعد الصلاة ...  
فى مقبرة سان ميتروفان \* ... وأن تحيىء بعد ذلك الينا ... اليها ...  
لتصيب شيئاً من طعام ... هى ترجوك أن تهب لها هذا الشرف • نعم ،  
كلفتنى بأن أسألك هذا ...

قالت صونيا ذلك ، واشتد ارتباكها فصمتت •  
نهض راسكولنيكوف هو أيضاً ، واضطرب هو أيضاً وقال يجيئها:  
— سأحاول أن أجيء حتماً ... حتماً ...  
ثم أردف يقول لها فجأة :

— هلاً سررتنى فجلست • ان لى حديثاً معك • أرجوك • أنت  
مستعجلة ؟ ولكن أرجوك ، هبى لى دقيقتين !

قال ذلك وقرَّب لها الكرسي • جلست صونيا • وعادت تلقى على  
السيدتين نظرة خجلة وجلة ، ثم خفضت عينها فجأة •  
احمر وجه راسكولنيكوف الشاحب ، وتقبضت قسماته ، وقدحت  
عيناه شرراً ، وقال بلهجة قاطعة ملحة :

— يا أمى ، هذه صوفيا سيميونوفنا مارميلادوفا ، ابنة ذلك المسكين  
مارميلادوف الذى داسته الحيل مساء أمس على مرأى منى ، والذى سبق  
أن حدثكم عنه •

ألفت بولشيريا الكسندروفنا نظرةً على صونيا وهى تطرف بعينها قليلاً • انها لم تستطع ، رغم الحشية التى توقظها فيها نظرة ابنها الثانية المتحدية ، أن تمنع عن نفسها هذه المتعة • أما دونيا فقد حدثت الى وجه الفتاة فى جد واصرار ، وأخذت تدرسها بعناية واهتمام • وقد أرادت صونيا ، حين سمعت التعريف بها ، أن ترفع عينها ، ولكنها اضطربت مزيداً من الاضطراب •

وأسرع راسكولنيكوف يقول لها :

– وددت أن أعرف كيف جرت الأمور عندكم اليوم • ألم تلقوا مضايقات ؟ من جهة الشرطة مثلاً ؟

فأجابت الفتاة :

– لا ••• جرى كل شيء مجرى عادياً • كان لا يمكن أن يشك أحد فى سبب الوفاة • لم يزعجونا • ولكن السكان غاضبون علينا • لماذا ؟

– لأن الجثمان بقى مدة طويلة ••• والجو الآن حار ، والرائحة ••• لذلك سينقل الجثمان اليوم الى المقبرة ، عند صلاة الغروب ، فيوضع فى الكنيسة الى القدر • كانت كاترين ايفانوفنا لا تريد ذلك فى أول الأمر ، لكنها تدرك الآن أن ليس هناك وسيلة أخرى •••

– اذن اليوم ؟

– لا بل هى ترجوك أن تشرفنا بحضور صلاة الجنازة غداً ••• فى الكنيسة ••• وبأن تأتى غداً الينا للمشاركة فى الوليمة •

– أهى تقيم وليمة ؟

– نعم ، وليمة جنازة • وقد كلفتنى بأن أشكر لك المساعدة التى تفضلت عليها بها أمس • فلولاك لما ملكنا ما تنفقه على الدفن •

وأخذت شفتا الفتاة وذقتها تختليج فجأة ، ولكنها كبرت وتجلدت  
فاستطاعت أن تسيطر على نفسها ، ثم أغضت طرفها من جديد •

تفحصها راسكولنيكوف أثناء الحديث تفحصاً دقيقاً • ان لها وجهاً  
صغيراً بائساً ، شديد الهزال والنحول ، صاحب اللون ، ليس في قسماته  
انساق كثير ، منكسّر الخطوط ، صغير الأنف مقرّنه • حتى يصعب أن  
يقال انها جميلة • ولكن لها في مقابل ذلك عينيّن زرقاوين تبتلعان من  
الصفاء وتبتلعان من قوة التعبير حين تتقدان أن وجهها يكتسى عندئذ طيبة  
وبراءة لا يملك المرء ازاءهما الا أن ينجذب اليها • هذا الى أن لوجه  
صونيا ، ولسائر شخصها ، صفة خاصة تميزها هي أنها ، على كونها في  
الثامنة عشرة من عمرها ، تبدو أصغر سنّاً من ذلك بكثير ، حتى ليكاد  
يحسبها المرء طفلة • وكان هذا يتجلى أحياناً في بعض حركاتها ، فيكاد  
يبحث على الضحك •

سألها راسكولنيكوف وكان يواصل الحديث بالخاح :  
- ولكن كيف استطاعت كاترين ايفانوفنا أن تتدبر أمورها بمثل  
ذلك المبلغ الضئيل من المال ، حتى لتولم وليمة ؟

- سيكون التابوت بسيطاً جداً ••• وسيكون كل شيء بسيطاً •••  
فلا تكون النفقات باهظة ••• لقد أجرينا الحساب منذ قليل مع كاترين  
ايفانوفنا ، فلاحظنا أن سيقى لنا من المال ما نولم به وليمة ••• لأن  
كاترين ايفانوفنا تحرص على هذا أشدّ الحرص • ليس في الامكان أن  
لا ••• ان في هذا عزاء لها • هذه طبيعتها ، هي هكذا •••

- مفهوم ، مفهوم ••• لماذا تتفحصين غرفتي ؟ أمي أيضاً تقول  
ان غرفتي أشبه بقبر •

قالت صونيا تجيبه بنوع من همس قوى سريع ، وهي تخفض  
عينها من جديد :

— أنت أعطيتنا كل ما كنت تملك ...

وعادت شفتاها وذقنها تختلج •

كانت قد لاحظت منذ برهة طويلة ما يسود غرفة راسكولنيكوف من فقر شديد ، فأفلتت هذه الكلمات منها الآن على غير ارادة أو شعور قريباً • وخيم بعد ذلك صمت • وأضاءت عينا دونيا • وحتى بولشيريّا ألكسندروفنا نظرت الى الفتاة فى رضى وبشاشة • ثم قالت وهى تنهض :

— نحن ذاهبتان الآن ، أنا ودونيا ، الى الغداء ، يا روديا • هلمى يا دونيا • أما أنت يا روديا فعليك أن تقوم بنزهة قصيرة • ثم تستريح : تستلقى قليلاً ، وتجئ الينا بعد ذلك • أخشى أن نكون قد أتعباك كثيراً •

أجاب راسكولنيكوف وهو ينهض متمجلاً :

— نعم نعم ، سأجى • ثم ان هناك أعمالاً يجب أن أقوم بها •

صاح رازوميخين يقول مدهوشاً وهو ينظر الى راسكولنيكوف :

— أصبح أنكم لن تتفدوا معاً ؟ ما هذا الذى تقول ؟

— نعم نعم ، سأجى • أما أنت يا رازوميخين ، فابق دقيقةً أخرى • لستما فى حاجة اليه على الفور يا أمى ، أليس كذلك ؟ أأست أحرملكما من ...

— لا ، لا ! ... وأنت يا دمترى بروكوفتش ، هل تصحبنا الى

الغداء ؟ هل تفضل فتقبل أن تصحبنا الى الغداء ؟

وثنت دونيا على طلب أمها فقالت هى أيضاً :

— أرجوك ، تعال ...

انحنى رازوميخين وقد أشرق وجهه فرحاً • ثم لم تنقض لحظة

قصيرة حتى شعر الجميع بنوع من الضيق والحرج •

— وداعاً يا روديا ، بل الى اللقاء ... أنا لا أحب أن أقول وداعاً !  
وداعاً يا ناستاسيا ... هو ! هأنذا أعود فأقول وداعاً ! ...

ودّت بولشيريا ألكسندروفنا لو تحبى صونيا أيضاً ، ولكنها لم  
تفلح فى ذلك ، فأسّرت تخرج من الغرفة .

ولكن آفتوتيا رومانوفنا ، حين مرّت أمام صونيا ، حيثما تحيةً فيها  
كياسة ، بل فيها مودة أيضاً . فاضطربت صونيا ، وأخت رأسها متعجّلةً  
وجلةً ، بينما طاف بقسمات وجهها تعبير أليم ، كأن ما أظهرته لها آفتوتيا  
رومانوفنا من أدب ولطف قد شق على نفسها حتى ليكاد لا يطاق .

هتف راسكولنيكوف يقول لأخته وقد خرج فى اثرها الى فسحة  
السلم :

— استودعك الله يا دونيا ! هلاً صافحتنى !

فأجابته دونيا وهى تلتفت اليه بحركة خرقاء فيها عطف وحب :

— ولكننى صافحتك ، هل نسيت ؟

— أى ضير فى أن تصافحنى مرة أخرى ؟

وتناول يدها ، وشدّ على أصابعها شداً قوياً ، فابتسمت له دونيا ،  
واحمرّت ، وسحبت يدها بسرعة ، وهرعت تلحق بأمتها سعيدة كل  
السعادة لا تدرى لماذا !

قال راسكولنيكوف وهو يعود الى الغرفة ويلقى على صونيا نظرة  
صافية مضبئة :

— عظيم ! اللهم اجعل الموتى فى سلام ، وأبق الأحياء على قيد  
الحياة . أليس كذلك ؟ أليس كذلك ؟ هو كذلك ، هـ ؟

كانت صونيا تنظر مدهوشة الى وجهه الذى استردّ هدوءه على حين

فجأة • وكان هو يتفرس فيها باتباه صامتاً • ثم لم تلبث قصة أبيها أن  
عادت الى ذاكرته بغتة •

\*\*\*

بدأت بولشيريا الكسندروفنا تتكلم ، منذ صارتا في الشارع ، فقالت  
تخاطب ابنتها :

- رياه ! دونيتسكا ! اننى أشعر بارتياح عظيم لأننا خرجنا من  
عنده ! نعم ، اننى أحس كأن حملاً قد أزيح عن صدرى • لو قال لى  
قائل بالأمس ، فى القطار ، أن ترك ابنى ميسرنى ، فهل كنت أصدق ؟  
- أكرر لك يا أمى أنه ما يزال مريضاً جداً • هل يمكن أن  
لا تكونى قد لاحظت ذلك ؟ لعل حزنه الناشئ عن أنه يعيش بعيداً عنا  
هو الذى جعله فى هذه الحالة • يجب على الانسان أن يكون متسامحاً ،  
فيمكنه عندئذ أن يغفر أموراً كثيرة ، كثيرة جداً •

فأجابتها بولشيريا الكسندروفنا بلهجة حادة ساخطة :

- وهل كنت أنت متسامحة ؟ اسمعى يا دونيا : لقد أنعمت النظر  
اليكما ، فهل تعرفين ماذا لاحظت ؟ لاحظت أنك صورته تماماً ، تشبهينه  
جسماً وروحاً ، بل وتشبهينه روحاً أكثر مما تشبهينه جسماً • كلاكما  
مكشَب المزاج ؟ كلاكما متجهَم النفس ، مندفع الطبع ؟ كلاكما متكبر  
متعال وسخى كريم • أليس كذلك يا دونيتسكا ؟ يستحيل أن يكون أنايأ  
يا دونيتسكا ، أليس كذلك ؟ أليس كذلك ؟ آه ••• حين أفكر فيما  
سيحدث عندنا هذا المساء ، يتجمد قلبى !

- لا تقلقى ياماما ! لن يحدث الا ما يجب أن يحدث •

- ولكن هلاً فكرت يا دونيتسكا فى الظرف الذى نحن فيه ؟ ماذا  
لو رجع بطرس بتروفتش عن وعده ؟

هذا ما أقلت من لسان بولشيريا ألكسندروفنا المسكينة بغير حذر أو تبصر • فأجابتها دونيا بلهجة جافة تنم على الاحتقار :

- ليكن ! ان ذلك لن يشرِّفه كثيراً !

فأسرعت بولشيريا ألكسندروفنا تقول :

- لقد أحسنا صنعاً اذ تركنا روديا • كان يستعجل الخروج لأمرٍ ملح • بهذا يُتاح له أن يتحرك قليلاً ، وأن يستنشق هواءً نقياً • الجو خافق في غرفته ! ولكن أين يمكن أن يتنفس الانسان في هذه المدينة ؟ حتى في عرض الشارع يحس المرء أنه في غرفة بلا نوافذ ! رباه ! يا لها من مدينة !... انتبهى ... ابتعدى ... كادوا يدوسونك ! هذا بيانو محمول ! آه ... ما أكثر ما يُصدم المرء هنا !... أنا خائفة أيضاً من تلك البنت !... !

- أية بنت ؟

- صوفيا سيميونوفنا تلك التي كانت ...

- لماذا أنت خائفة منها ؟

- عندى ما يشبه الاحساس يا دونيا بأن... صديقي أو لا تصديقي ... ولكنني منذ أن دخلت ، قلت لنفسى ، في تلك الدقيقة نفسها ، ان كل شيء ربما كان مردؤه الى هذا ...

هتفت دونيا تقول غاضبة :

- لا شيء مردؤه الى هذا ... عجيبة أنت واحساساتك ياماما !... !

انه لا يعرفها الا منذ أمس ... حتى انه لم يتعرفها حين دخلت !

- سوف ترين ! ... لئن كانت تقلقني ... سوف ترين ...

سوف ترين ! ... آه ... ما أشد ما أشعر به من خوف ! كانت تنظر الى ، كانت تنظر الى بعينين ... بعينين لا أدري ماذا أقول فيهما ...

حتى لقد كنت من نظراتها لا أكاد أستطيع المكوث في مكانى ... هل  
تذكرين طريقته في تقديمها إلينا وتعريفنا بها ؟ ان الأمر الذى يبدو لى  
غريباً عجيباً هو أن يقول عنها بطرس بتروفتش ذلك الكلام ، ثم اذا  
بروديا يقدمها إلينا ، ويقدمها اليك أنت خاصة ! ذلك دليل أنها عزيزة  
لديه .

- ما أكثر ما يكتبه الناس ! ألم يكتبوا عنا نحن أيضاً أشياء كثيرة ؟  
ألم يقولوا عنا نحن أيضاً أشياء كثيرة ؟ أتراك نسيت ذلك ؟ أما أنا ...  
فاننى واثقة بأنها اسانة ... محترمة ... وأن كل ما قيل عنها ليس  
الا افتراء ...

- اسأل الله أن يكون هذا صحيحاً !  
- أما بطرس بتروفتش فليس الا تماماً دينياً .  
كذلك قالت دونيتشكا بلهجة فاطعة على حين فجأة !  
فخفضت بولشيرا ألكسندروفنا عينها ، واقطع الحديث .

\*\*\*

قال راسكولنيكوف وهو يقود رازوميخين نحو النافذة :  
- اليك الأمر الذى أريد أن أحدثك فيه ...  
فقال صونيا متعجلة " وهى تحيى لتصرف :  
- أستطيع اذن أن أقول لكاترين ايفانوفنا انك ستجىء ؟  
- لحظة يا صوفيا سيمونوفنا . ليس هناك أسرار . انك  
لا تضايقيننا البتة ... وأنا أريد أن أقول لك كلمتين أيضاً ...  
قال ذلك ثم التفت الى رازوميخين قبل أن يتم جملة ، فواصل  
كلامه له قائلاً :



- اليك الأمر ... أنت تعرف ذلك الرجل الذى يسمى ...  
 ما اسمه ؟ نعم ... بورفير بتروفتش ... أنت تعرفه ، أليس كذلك ؟  
 - أعرفه . نحن قريبان !  
 ثم أردف يسأل باستطلاع قوى :  
 - ولكن لماذا هذا السؤال ؟  
 - أليس هو الذى يحقق فى القضية ، قضية مقتل العجوز ؟ ألم تقل  
 أمس انه هو الذى يحقق فيها ؟  
 حمق رازوميخين فجأة وسأل :  
 - طيب وماذا ؟

- لقد استجوب أولئك الذين لهم أشياء مرهونة ، وأنا لى أشياء  
 مرهونة هناك ... أشياء صغيرة على كل حال : خاتم أعطيتيه أختى تذكراً  
 عند سفرى الى بطرسبرج ، وساعة أبى الذهبية . والرهنان كلاهما  
 لا يساويان أكثر من خمسة روبلات أو ستة ، لكنهما تذكاران ، وأنا  
 أحرص عليهما . فما الذى يجب علىّ أن أفعله الآن ؟ لا أريد لهذين  
 الشئيين أن يضيعا ، ولا سيما الساعة . فمئذ قليل ، حين تكلمنا عن ساعة  
 أختى ، ارتجفت أنا خوفاً من أن تسألنى أمى أن ترى ساعتى . ان هذه  
 الساعة هى الشئ الوحيد الذى بقى لها من أبى ! فاذا ضاعت هذه الساعة  
 كان يمكن أن تمرض من ذلك أمى . هكذا هنّ النساء ! فأنا أنتظر  
 منك نصيحة . أنا أعلم أنه سيكون من الواجب أن أدلى بأفادة فى قسم  
 الشرطة ، ولكن أليس الأفضل أن نتجه الى بورفير نفسه ؟ ما رأيك ؟  
 اننى أود أن أسوئى هذا الأمر بأقصى سرعة . لسوف ترى أن أمى  
 ستسأل عن هذه الساعة حتى قبل الغداء !

هتف رازوميخين يقول مضطرباً أشد الاضطراب :

- أنت على صواب : لا فائدة من الذهاب الى الشرطة • الأفضل أن تتجه الى بورفير • آه ••• أنا مسرور ! نستطيع أن نمضى اليه فوراً • هو على مسافة خطوتين • وسنجد حتماً •

- اذن هلم بنا اليه !

- وسيسرّه أن يتعرف اليك ! لقد حدثته كثيراً عنك ، عدة مرات • أمس أيضاً حدثته عنك • هلم نذهب اليه • اذن كنت تعرف العجوز ؟ هذا هو الأمر ! هذا هو الأمر ! ان كل شيء يترابط ترابطاً را ••• ثأ ! آ ••• نعم ••• يا صوفيا ايفانوفنا •••

- يا صوفيا سيميونوفنا ( هكذا صحّح راسكولنيكوف ) ••• هذا الرجل هو صديقي رازوميخين ، وهو رجل طيب •••

قالت صوفيا دون أن تنظر الى رازوميخين ، قالت مضطربة خجلة :  
- اذا كان عليكما أن تخرجا الآن •••

فقال راسكولنيكوف يحسم الأمر :

- نعم ، فلنخرج • سأجىء اليك فى هذا النهار يا صوفيا سيميونوفنا ولكن قولى لى أين تقيمين ؟

قال لها راسكولنيكوف ذلك دون ارتباك حقيقى ، ولكنه كان يتكلم بسرعة محمومة ، متحاشياً أن ينظر الى الفتاة •

ذكرت له الفتاة عنوانها واحمر وجهها • وخرجوا جميعاً •

سأله رازوميخين وهو يهبط السلم وراهما :

- أأنت لا تغلق بابك اذن بالفتاح ؟

فأجابه راسكولنيكوف بقوله :

- أبداً •

ثم أضاف يقول باهمال :

— على أنتى أنتوى منذ ستين أن اشترى قفلاً •

ثم قال يخاطب صونيا بلهجة مرحة :

— ما أسعد الذين لا يملكون شيئاً يستحق أن يوضدوا عليه الأبواب  
بالأقفال ، أليس كذلك ؟

حتى اذا صاروا فى الخارج وبلغوا الباب الكبير ، توقفوا •

— أنت ذاهبةٌ يمينه يا صوفيا سيميونوفتش ••• بالمناسبة : كيف  
فعلت حتى استطعت أن تعثرى على بيتى ؟

ألقى عليها هذا السؤال وكأنه كان يريد أن يقول شيئاً آخر • لقد  
ظل طوال الوقت يشتهى أن يتلبث ببصره على عيني القنساء الصافيتين  
الهادئين دون أن يفلح فى ذلك •

أجابته صونيا :

— أنت نفسك ذكرت لبوليتشكا عنوانك •

— ذكرته لبوليا ؟ آ ••• نعم ••• بوليتشكا ! هى الصغرى •••  
هى أختك ! اذن أنا أعطيتها عنوانى ؟

— هل نسيت هذا ؟

— لا ••• الآن تذكرت •

— ثم انتى سمعت أبى الراحل يتحدث عنك • لكننى لم أكن  
أعرف اسمك ••• وهو أيضاً لم يكن يعرف اسمك ••• فجنّت الآن •••  
ولما كنت قد عرفت اسمك أمس ، سألت اليوم : « هل هنا يسكن السيد  
راسكولنيكوف ؟ » ••• ولم أكن أعرف أنك تقيم فى غرفة مفروشة •••  
أستودعك الله ••• سأقول لكاترين ايفانوفنا •••

كانت تشعر بسرور رهيب من أنها استطاعت أخيراً أن تودّع  
لتنصرف • وسارت خافضة العينين ، مسرعةً ، تستعجل الهروب من

نظراتهما وأن تقطع العشرين خطوة التي تفصلها عن ناصية الشارع التالية على اليمين ، وأن تبقى أخيراً وحدها فتستطيع أثناء سيرها البطيء ، دون أن تنظر الى أحد ودون أن ترى شيئاً ، أن تفكر وتتذكر وتزن في ذهنها كل كلمة قيلت وكل أمر حدث . انها لم تشعر طوال حياتها ، بشيء يشبه ما تشعر به الآن . ان عالماً جديداً كاملاً يدخل الى نفسها غامضاً مضطرباً . وتذكرت فجأة أن راسكولنيكوف يريد أن يجيء اليها في هذا النهار ، وربما في الصباح ، وربما على الفور .

دمدمت تقول منقبضة الصدر متضرعة كطفل خائف :

— لا ، لا اليوم ، أرجوك ! رباہ ! أيجيء الى ، في هذه الترفة؟ ..

اذن سوف يرى ... رباہ !

ولم يكن في وسعها طبعاً أن تلاحظ أن سيّداً مجهولاً كان يتبعها في تلك اللحظة . كان هذا السيد قد تبعها منذ باب العمارة الكبير ، حين توقفت هي وراسكولنيكوف ورازوميكين على الرصيف يتبادلون بضع كلمات . وكان هذا السيد المجهول قد بدا كأنه يرتعش حين التقط عرضاً ، أثناء مروره بهم ، تلك الكلمات التي قالتها صونيا : « سألت : هل هنا يسكن السيد راسكولنيكوف » . فألقى على المتحادين الثلاثة ، ولا سيما على راسكولنيكوف الذي كانت الفتاة تتجه اليه بالكلام ، نظرة سريعة لكنها متنبهة ، ثم تفحص المنزل وحفظ رقمه . ثم ذلك كله بثقل ملح البصر سرعة ، ودون أن يلفت نظر أحد ، ثم ابتعد الرجل متباطيء الخطى منتظراً . ورأى صونيا تودّع الشابين ، فأدرك أنها ذاهبة الى مسكنها .

قال يسائل نفسه وهو يتذكر ملامح صونيا : « الى مسكنها ! ولكن أين مسكنها ؟ لقد رأيت هذا الوجه في مكان ما ... يجب أن أستعلم ! » .

فلما وصل الى ناصية الشارع انتقل الى الرصيف المقابل ، والتفت  
 فرأى صونيا تسير الآن في نفس الاتجاه ، ولكن دون أن تلاحظ شيئاً .  
 فلما وصلت هي أيضاً الى الناصية مضت في نفس الشارع الذي مضى هو  
 فيه . فأخذ يتبعها دون أن يحوّل عنها بصره . حتى اذا قطع نحو خمسين  
 خطوة رجع الى الرصيف الذي كانت تسير عليه صونيا ، ولحق بها ،  
 وأخذ يسير وراءها على مسافة خمس خطوات منها .

هو رجل في نحو الخمسين من عمره ، أطول من وسطي الرجال ،  
 بدين ، عريض المنكبين عالى الكتفين ، حسن اللبس أنيق الهندام ، له  
 مظهر سيد من السادة ، يحمل عصا جميلة يقرع بها أرض الرصيف  
 عند كل خطوة من خطواته ، ويداه موشحتان بقفازين جديدين . ان  
 وجهه العريض لا يخلو من وسامة ، وان لبشرته نضارة لا يرى مثلها  
 في سكان بطرسبرج . وان شعره أشقر زاه ، ما يزال كثيفاً ، لم يكد  
 يشيب ؛ وان لحيته المزدهرة الكثيفة أزهى من شعر رأسه أيضاً . عيناه  
 زرقاوان لهما بريق كبريق المعدن ، ولهما نظرة ثابتة ملحاح . وشفتاه  
 حمراوان حمرة قوية . انه ، على وجه الاجمال ، رجل ما يزال محافظاً  
 على نضارته ، يبدو أصغر كثيراً من سنه .

فلما وصلت صونيا الى القنطرة ، التفت الى الرصيف ؛ فاستطاع  
 الرجل أن يلاحظها فرأى ما كان يعبر عنه وجهها من ذهول وتفكير .  
 وحين وصلت أمام العمارة التي تسكن فيها ، استدارت فدخلت الباب  
 الكبير ، فتبعها مدهوشاً بعض الدهشة . حتى اذا بلغت فناء المنزل اتجهت  
 يميناً نحو الركن الذي يوجد فيه السلم المفضى الى مسكنها . فجمجم  
 السيد المجهول يقول لنفسه : « عجب ! » ، وأخذ يصعد درجات السلم  
 وراءها . وفي تلك اللحظة انما انتهت اليه صونيا .

صعدت صونيا حتى وصلت الى الطابق الثاني ، فسارت في الرواق،

ثم قرعت جرس باب الشقة ٩ ، حيث يقرأ المرء على بابها هاتين الكلمتين  
مكتوبتين بالطباشير : « كابرناوموف ، خيَّاط » . فجمجم السيد المجهول  
يقول من جديد : « عجيب ! » . لقد أدهشته هذه المصادفة الغريبة .  
وقرعه هو باب الشقة المجاورة ، الشقة ٨ ، ان المسافة بين البابين لا تزيد  
على ست خطوات .

قال وهو ينظر الى صونيا ضاحكاً :

- آ ... أنت تسكنين عند كابرناوموف ! لقد أصلح لي صديرتي  
أمس . أنا أسكن هنا ، قريباً منك ، عند السيدة ريسليش ، السيدة  
جورثود كارلوفنا ريسليش .  
نظرت اليه صونيا باتباه .

وتابع هو كلامه يقول لها بلهجة فيها مرح خاص :

- نحن اذن جاران . أنا لا أقيم ببطرسبرج الا منذ ثلاثة أيام .  
لسوف يسرنى أن ألقاك مرةً أخرى .  
لم تعجب صونيا . وفتُح الباب ، فانسلت الى بيتها . كانت وجلى ،  
فكأنها تشعر بخجل وعارٍ من شيء ما ...

\*\*\*

كان رازومبخين مضطرباً اضطراباً شديداً في الطريق الى بورفير .  
وقد كرر يقول لراسكولنيكوف عدة مرات :

- هذه فكرة حسنة ! أنا مسرور ، مسرور جداً !

قال راسكولنيكوف لنفسه : « ولكن ممَّ هو مسرور ؟ » .

وتابع رازومبخين :

- كنت أجهل أنك أنت أيضاً قد رهننت عند العجوز بعض الأشياء .

هل حدث ذلك منذ مدة طويلة ؟ أقصد : هل منذ مدة طويلة ذهبت إليها ؟  
فقال راسكولنيكوف لنفسه : « يا للساذج ! يا للأحمق ! هل منذ  
مدة طويلة كنت عندها ؟ » وتوقف لحظة يفكر . ثم قال يجيب  
صاحبه :

- قبل موتها بثلاثة أيام ، فيما يبدو لى .  
ثم أسرع يضيف بلهجة يظهر بها اهتمامه الشديد بأشيائه  
المرهونة :

- على أنني لا أنوى استرداد أشيائى حالاً . فأننى لم يبق معى الا  
روبل واحد ... ومردُّ هذا الى ذلك « الهذيان » اللعين الذى اعترانى  
أمس !

وقد نطق كلمة « الهذيان » هذه نطقاً فيه تأكيد واصرار .  
فسرعان ما قال رازوميشين مزاولاً دون أن يدري لماذا :

- نعم ، نعم ... ذلك هو السبب اذن فى أنك ... فى ذلك اليوم  
... آه ... لشد ما فوجأنى ذلك ... انك ، أثناء هذيانك ، كنت  
لا تنقطع عن الكلام عن خواتم ، وعن سلاسل ، وعملاً لا أدرى أيضاً  
... آ ... نعم ... اتضح الآن كل شيء . .. اتضحت الأمور .. أصبح  
كل شيء واضحاً ! ..

قال راسكولنيكوف يحدث نفسه : « هكذا قامت الفكرة فى أذهانهم  
اذن ونمت ... ان هذا الرجل مستعد لأن يُصلب فى سبيلى ، ومع ذلك  
يشعر بسعادة عظيمة لأن السبب الذى جعلنى أتكلم أثناء الهذيان عن  
خواتم ، قد « اتضح » له الآن ! لقد ترسخت الفكرة فى أذهانهم  
جميعاً ! » .

ثم سأل صاحبه بصوت عالٍ :

— هل تعتقد أننا سنجدته في بيته ؟  
فأسرع رازوميخين يجيبه قائلاً :

— سنجدته ، سنجدته ! انه شاب شهيم يا صاحبي ... سوف ترى •  
صحيح أنه أخرج قليلاً ... وان يكن ممن يرتادون المجتمع الراقى ••  
على أنني أجدته أخرج من ناحية أخرى ، بمعنى آخر ... انه شاب  
ذكي ، ذكي ، ليس بالغبى البتة ... ولكن لتفكيره مجرى غربياً بمض  
الغرابية • فهو كبير الشك والريب ، قوى الاشتباه والحذر ، شديد  
الاستخفاف والاستهتار ... يحلو له أن يضلّك ... لا أقصد أن  
يضلّك ، بل أن يخلق لك الأوهام ... الخلاصة : هو الأسلوب التيق  
... أسلوب الوقائع المادية ! ولكنه يجيد مهنته ... يتقنها !... في  
السنة الماضية حقق في قضية قتل كانت قد اختفت جميع آثارها • وهو  
يرغب كثيراً في التعرف اليك ، يرغب في ذلك كثيراً جداً •  
— لماذا يرغب في ذلك كثيراً ؟

— لا بسبب أن ... وإنما لأنني ، في الآونة الأخيرة ، أتعاء  
مرضك ، اتفق لي أن حدثته عنك مراراً • فكان هو يصغي ... فلما  
علم أنك تدرس القانون ، وأنت لم تستطع أن تنهى دراستك بسبب  
الظروف ، قال : « خسارة ! ... فاستتجيت من ذلك ... أقصد ...  
من كافة هذه الأشياء مجتمعة ... لا من ذلك وحده ... وبالأمس ، قال  
زاميوتوف ... اسمع يا روديا ، أمس مساءً ، حين كنا عائدتين الى  
بيتك معاً ، كنت أنا سكران جداً ، فلعلني أسرفت في الثروة ، فأرجو  
يا روديا أن لا تفلو في حمل كلامي على محمل الجد •  
— ماذا ؟ هم يستقدون أنني مجنون ، أليس كذلك ؟ ولكن قد  
يكونون على حق •  
قال راسكولنيكوف ذلك وضحك •



- نعم نعم ... لا بل !... دعك من هذا الكلام ! ان كل ما قلته  
( وسائر ما عداه أيضاً ) ليس الا سخفاً ... ليس الا ثمرة السكر !  
صرخ راسكولنيكوف بغضب نصفه تصنع وتظاهر :  
- ولكن علام تعتذر ؟ أوه !... ما أكثر ما تضجرتي وترعجتي  
هذه الأمور كلها •

قال رازوميخين :

- أعرف ، أعرف ، أنا أفهم • ثق اننى أفهم • بل ان الكلام عن  
هذا كله عار !

- اذا كان الكلام عن هذا كله عاراً ، فلنكف اذن عنه !  
صمت الاثنان • كان رازوميخين مفتوناً • وقد لاحظ راسكولنيكوف  
ذلك مشمئزاً • وكان من جهة أخرى قلقاً مما قاله له رازوميخين عن  
بورفير منذ هنيهة •

قال يحدث نفسه وقد شحب لونه وخفق قلبه : « لهذا الرجل أيضاً  
سيكون على أن أشكو الفقر ، وأن أظهر بمظهر من يستحق الشفقة  
والرثاء ... وأن أفعل ذلك بطريقة تبدو طبيعية • ولكن الطريقة  
الطبيعية هى أن لا أقول شيئاً البتة ، أن لا أقول شيئاً البتة ! ولكن لا ...  
ان هذا أيضاً لن يبدو طبيعياً !... على كل حال سوف نرى كيف  
ستجرى الأمور ، وسوف نرى هل كان من الخير أن أذهب الى هناك أم  
لم يكن ذلك من الخير !... الفراشة تطير الى لهب الشمعة من تلقاء  
نفسها • قلبى يخفق • هذا نذير سوء ! » •

قال رازوميخين :

- هنا ، فى هذه العمارة الرمادية •

وقال راسكولنيكوف يحدث نفسه : « النقطة الأساسية هى هذه :

هل بورفير على علمٍ بالزيارة التي قمت بها أمس لمسكن العجوز ، وهل هو على علمٍ بسؤالى عن الدم ؟ يجب علىَّ أن أعرف هذا منذ أدخل ، من النظرة الأولى ، يجب أن أقرأه فى وجهه لحظة دخولى ، والا فان... لأعرفنَّ هذا ولو هلكت ! ، ، •

وقال يخاطب رازوميخين فجأة ، وهو يتسم ابتسامة مأكرة :  
- هل تصرف ماذا لاحظت عليك ؟ لقد لاحظت عليك منذ هذا الصباح ، يا صاحبي ، أنك مضطرب اضطراباً غير مألوف كثيراً •  
أنا مخطئ • ؟

أجاب رازوميخين مستاءً :  
- أنا مضطرب ؟ لا لست مضطرباً البتة •

- دعك من هذا الكلام يا صاحبي ! الأمر واضح ! منذ قليل ، كنت جالساً على الكرسي كما لا تجلس عادةً • كنت جالساً على حافة الكرسي تماماً ، وكنت كمن أصيب بمغص • وكنت تثب من طرف أقصى الى طرف أقصى ، فتارةً تنقبض ، وتارةً تجعل لسانك كالعسل حلالة ! بل لقد كان وجهك يحمر احمراراً شديداً • وقد احمر وجهك خاصةً حين دُعيت الى الغداء • نعم ، اصطبغتَ بالحمرة حتى جذور شعرك •

- غير صحيح • أنت تكذب • الى ماذا تريد أن تفهم ؟  
- أريد أن أغمز الى أنك خجول كتلميذ • ها • ها • ها • هانت ذا تحمر من جديد !

- يا للختير !  
- ولكن علام هذا الاضطراب كله ؟ مسكين روميو ! اسمع : لن يفوتنى أن أتكلم عنك اليوم فى مكان ما • ها ها ها ! سوف أضحك أُمى كثيراً • • • وسوف أضحك شخصاً آخر أيضاً •

قال رازوميخين وقد طاش عقله وتجمد رعباً :

ـ اسمع ، اسمع ، هذا أمر خطير ، هذا ... يا للعواقب ! ...  
ما عساك قائلاً لهما ؟ أنا ... يا صاحبي ... آه ... يا لك من  
خنزير ! ...

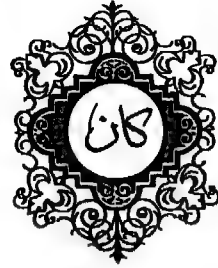
ـ وردة ، وردة من ورود الربيع حقاً ! ليتك تعلم كم يناسبك  
هذا ! روميو طوله ست أقدام ! ثم انك قد غسلت وجهك اليوم ، ونظفت  
أظفارك ، هه ؟ ذلك ما لم يحدث يوماً . ها ... وها أنت ذا قد تدهنت  
وتطيت ! هيّا اخفض رأسك لأرى ! يا لك من خنزير !

كان راسكولنيكوف يقول هذا الكلام وهو يضحك ضحكاً يبلغ من  
الشدة أنه أصبح لا يستطيع السيطرة على نفسه . وعلى هذه الحال من  
الضحك الشديد انما دخل الشابان بيت بورفير بتروفتش . وذلك بعينه  
هو ما أراده راسكولنيكوف . من آخر البيت كان يمكن أن يُسمع دخولهما  
ضاحكين . وقد استمرا يضحكان وهما في الدهليز .

همس رازوميخين يقول لراسكولنيكوف غاضباً وهو يقبض على  
كفّه :

ـ اياك أن تقول كلمة واحدة في هذا الموضوع هنا ، والا  
هشمت بوزك !

## الفصل الخامس



راسكولنيكوف قد دخل الشقة • دخل دخول من  
يبدل كل ما يملك من قوة حتى لا ينفجر  
ضاحكاً • ودخل وراء رازوميين محمرّ  
الوجه ، أخرق الحركات ، متقبض القسّات من  
الغضب • كان وجهه في تلك اللحظة ، بل كان شخصه كله مضحكاً حقاً ،  
يرّر ما كان فيه راسكولنيكوف من فقهية صاخبة • وقد انحنى  
راسكولنيكوف يحيى رب البيت حتى قبل أن يقدم إليه • وكان رب  
البيت واقفاً في وسط الغرفة يلقي على القادمين نظرة سائلة • ثم مدّ  
راسكولنيكوف إليه يده فصافحه ، وهو يبذل جهداً ظاهراً في سبيل أن  
يكبح جماح مرحه ، وأن ينطق بالكلمات القليلة التي يوجبها التعارف •  
ولكنه ما ان أفلح في اتخاذ هيئة الجد ، وفي أن يدمدّم ببضع كلمات حتى  
عاد ينظر الى رازوميين رغم ارادته ، فلم يستطع في هذه المرة أن  
يصمد ، فاذا بضحكه يتدفق قوياً لا سبيل الى مغالبته ، لا سيما بعد أن  
كظمه مدة طويلة • فاذا بالغيط الحارق الذي يستقبل به رازوميين هذا  
الضحك « الصريح » يضي على المشهد كله مظهر مرح طبعي ، بل  
ومرح صادق • وقد فاقم رازوميين مظهر المرح مزيداً من المفاخرة كأنما  
على عمد : ذلك أنه زار يقول لراسكولنيكوف وهو يُجرى يده بحركة  
تم على الغضب قائلاً :

— آ... يا للشيطان الرجيم !

فاذا بالحركة التى أجراها تصدم منصدة عليها فنجان شاي فارغ ،  
فيطير كل شىء فى الهواء ، ويسقط على الأرض مرقعاً •  
هتف بورفير بتروفتش يقول مرحاً :

— لماذا تحطمون الأثاث يا سادة ؟ لماذا تلحقون أذى بالدولة ؟

اليكم وصف المشهد الذى كان يُرى فى تلك اللحظة: راسكولنيكوف  
يضحك ملء حنجرتة تاركاً يده فى يد رب البيت ، ولكن دون أن يفقد  
حسن القصد والاعتدال ، منتظراً اللحظة المناسبة التى سوف يستطيع فيها  
أن يسحب يده بسرعة وعلى نحو طبيعى • ورازوميخين قد هوى به  
سقوط المنصدة وتهشم الفنجان الى درك الحجل والاضطراب ، فألقى على  
الحطام نظرة سوداء ، وبصق على الأرض ، وابتعد نحو النافذة ، فلبث  
أمامها مديراً ظهره ، عابس الوجه مقطب الأسارير ينظر الى الخارج دون  
أن يرى شيئاً • وبورفير بتروفتش يضحك ويرغب فى الضحك ، لكنه  
ينتظر شروحا بطبيعة الحال • وفى ركن من الأركان ، يجلس زاميتوف  
على كرسي •

كان زاميتوف ، حين دخل الزائران ، قد نهض ينتظر وانفرج  
فمه عن ابتسامة ، لكنه يبدو مدهوشاً مرتاباً ، ولا سيما ازاء راسكولنيكوف ،  
فهو ينظر اليه الآن متفرساً باتباه •

ان وجود زاميتوف قد فاجأ راسكولنيكوف وأزعجه ، فقال  
يحدث نفسه : « هذا عنصر آخر يجب أخذه فى الحسبان » •

وبدأ يتكلم فقال يعرف بنفسه مصطنعاً الحجل :

— معذرةً ، أرجوك • اسمى راسكولنيكوف •••

قال بورفير بتروفتش يجيبه :

– لا داعي الى الاعتذار البتة ؟ انه لجميل جداً أنك دخلت على هذا النحو •

وأردف يقول مشيراً الى رازوميخين :

– هيه ! ما باله لا يريد حتى أن يجيئ ؟

قال راسكولنيكوف :

– حقاً لست أدري ما سبب حقه على هذا الحد • كل ما فعلته هو أنني قلت له أئتاء الطريق انه أشبه بروميو ••• وبرهنت له على صدق قولي • لا شيء غير هذا • أو ذلك هو ما يخيّل اليّ على الأقل !

دمدم رازوميخين يقول شامئاً دون أن يلتفت :

– خنزير !

فقال بورفير ضاحكاً :

– لا بد أن هناك أسباباً خطيرة كل الخطورة تجعله يفضّب هذا الغضب كله للكلمة بسيطة صغيرة !

فقال رازوميخين يقاطعه وقد أخذ يضحك هو أيضاً على حين فجأة :

– هيه ! اسكت أنت يا قاضي التحقيق ! ثم فلنذهبوا جميعاً الى الشيطان !

قال ذلك واقرب من بورفير بتروفتش مشرق الوجه منبسط الأسارير كأن شيئاً لم يحدث • وتابع كلامه فقال :

– نحن جميعاً حمقى في الواقع • اسمع : هذا صديقي روديون رومانوفتش راسكولنيكوف • انه أولاً ، من ككرة ما سمع عنك ، أراد أن يتعرف اليك ؟ وهو ثانياً يحب أن يحدثك في قضية صغيرة • هه !

زاميوتوف ؟ ماذا تفعل هنا ؟ أأتما متعارفان اذن ؟ منذ متى ؟

قال راسكولنيكوف يحدث نفسه : « ما معنى هذا أيضاً ؟ » •

ظهر الاضطراب على زاميوتوف ، ولكن اضطرابه لم يكن شديداً .  
وقال يجيب بلهجة طليقة :

— اننا تعارفنا أمس في بيتك !

— اذن لقد أعفنتي العناية الالهية من جهد كان ينبغي أن أبذله •  
تصور يا بورفير أنه يلح ، منذ أسبوع ، الحاحاً شديداً على أن أعرفك  
به • فهأتما قد استغنيتما عني ، فتعارفتما دون وساطة مني ••• أين  
تبغك ؟

كان بورفير بتروفش يرثى ملابس البيت : ثوب منزل ، وقميصاً  
نظيفاً ، وبابوجين قديمين معقوفين • هو رجل في نحو الخامسة والثلاثين  
من عمره ؛ مربع القامة ؛ بدين الجسم ؛ له كرش ، حليق الوجه تماماً  
فلا شارب ولا لحية ؛ مقصوص الشعر على رأس ضخم مدور بارز  
القفا ؛ متورم الوجه ، أفطس الأنف قليلاً ، أصفر اللون كأنه مريض ،  
ولكن هيئته لا تخلو من تعبير عن الحيوية ، ولا عن المرح • حتى لقد كان  
يمكن أن يعبر وجهه عن شيء من الطيبة لولا عيانه اللتان تنظر اليها  
فترى فيهما اخضلاً وبريقاً كبريق المعدن في آن واحد ، وتكاد تحجبها  
أهداب يضرب لونها الى بياض ، وكأنهما من غمزهما المستمر ترسلان  
اشارات لا تنقطع • ان نظرة هاتين العينين تنافي سائر هيئته بعض المنافة  
( وهي هيئة فيها شيء من أنوثة ) وتجعل هذه الهيئة تبدو أميل الى الجذ  
والجهامة مما قد يتوقعه المرء عند أول نظرة يلقيها عليه •

ما ان علم بورفير بتروفش أن زائره يرغب في أن يحدثه في  
« قضية صغيرة » ، حتى رجاء أن يجلس على الديوان ، ثم جلس على

الطرف الآخر ، منتظراً عرض القضية ، مُظهراً أشدَّ الاهتمام • ان مثل هذا الاتباه الصادر عن رجل لا تعرفه ، يبدو لك غير طبيعي ، بل ويشعرك بشيء من الحرج والارتباك ، ولا سيما اذا كان ما مستقوله لا يستحق في رأيك هذا الاتباه ؛ ومع ذلك شرح راسكولنيكوف قضيته ببضع كلمات ، في دقة ووضوح ، فبلغ من رضاه عن نفسه أنه أتبع له أن ينعم النظر في بورفير بتروفتش أثناء ذلك • وكان بورفير بتروفتش ، من جهته ، لا يحوّل بصره عن راسكولنيكوف دقيقة واحدة • وكان رازوميكين قد استقر أمامهما ، فهو يتابع عرض القضية بشغف عارم وصبر نافذ ، متجهاً بنظراته الى هذا تارة ، والى ذاك تارة أخرى ، وكان في هذا شيء من غلو طبعاً •

دمدم راسكولنيكوف يقول بينه وبين نفسه : « يا للأبله ! » •

أجاب بورفير بلهجة رسمية جداً :

— يجب عليك أن تبث الى الشرطة بلاغاً تقول فيه انك وقد علمت بالنبا ، نبأ مقتل المعجوز ، تريد ابلاغ قاضي التحقيق المكلف بالقضية أن هذه الأشياء هي أشياءك وأنتك تريد استردادها • أو أن ... على كل حال ، سيكتبون اليك ...

قال راسكولنيكوف وهو يحاول أن يصطنع الحجل ما وسعه ذلك :

— ولكنني ... ولكنني ... في الوقت الحاضر ... لا أملك مالا ... فحتى هذه الأشياء التافهة التي لا قيمة لها لا أستطيع أن ... كل ما أريده الآن هو أن أصرّح بأن هذه الأشياء لي ، وبأنني متى أصبح معي مال سوف ...

أجاب بورفير بتروفتش مستقبلاً هذه الايضاحات المالية ببرودة :

— ليس لهذا من قيمة • تستطيع على كل حال أن تكتب الى رأساً



إذا أردت فتقول : لا كنت قد علمت كيت وكيت ولما كانت الأشياء كذا وكذا هي أشياءي ، فانتى أرجوكم أن ... الخ •

فأسرع راسكولنيكوف يسأله ، مظهرأ بذلك اهتمامه بالناحية المالية من جديد :

— أأكتب هذه العريضة على ورق عادى ؟

— نعم نعم ، على ورق عادى ...

أجابه بورفير بتروفتش بهذا ، ثم نظر اليه على حين فجأة نظرة فيها سخر صريح ، غامزأ بعينه كأنه يقول له ان أسلوبه هذا لا يخفى على ذكائه • على أن من الجائز أن لا يكون ذلك الا احساساً خاليج راسكولنيكوف ، لأن النمزة لم تدم الا لحظة قصيرة كومض البرق • ومع ذلك لا بد أن النمزة كانت تشتمل على شيء من هذا المعنى • ومهما يكن من أمر ، فان راسكولنيكوف مستعد لأن يحلف أغلظ الايمان على أن بورفير قد غمز ... فاذا بكلمتين تومضان فى ذهنه بسرعة شديدة ، فيقول لنفسه : « انه يعلم ! » •

وتابع كلامه يقول وقد خارت همته قليلاً :

— اغفر لى ازعاجك بهذه الترهات ... صحيح أن هذين الشيئين اللذين كانا مرهونين عند العجوز لا تساوى قيمتهما أكثر من خمسة روبلات ، ولكنى أحرص عليهما حرصاً شديداً ، لأنهما تذكار من واهيهما ؟ اعترف لك باننى ذُعرت أشد الذعر حين علمت أن ...

قال رازومبخين متعمداً وهو يبيّن نية واضحة :

— الآن فهمت ! ذلك هو السبب فى أنك انتفضت أمس حين كنت أثرثر أنا مع زوسيموف فقلت له ان بورفير يستجوب الأشخاص الذين كانوا قد رهنوا أشياء عند العجوز •

طفع الكيل عندئذ • فهذا هو راسكولنيكوف يخرج عن فيلقى على رازوميين نظرة سوداء تشتعل غضباً • ولكنه لم يسيطر على نفسه فوراً • ثم قال له بحق أحسن اصطناعه في حق و - يا عزيزى ، يخيل الى أنك تسخر من عقلى • انا أوافقه أنتى أسرف قليلاً فى الاهتمام بأشياء هى فى نظرك تافهة لا قيمة ولكن هذا ليس سبباً يدعو الى اعتبارى أناياً أو بخيلاً ، لأن هذه التافهة فى نظرك قد لا تكون تافهة فى نظرى أنا • لقد قلت لك من ان تلك الساعة الفضية التى لا قيمة لها هى الشئ الوحيد الذى بقى أبى • فاسخر منى ما شئت أن تسخر ، ولكن أمى قد وصلت ( وهذا راسكولنيكوف نحو بورفير فجأة ) ، فاذا علمت ( استأنف راسكوا كلامه وهو يعود الى رازوميين مسرعاً ويحاول أن يجعل صوته مرتجفاً ) فاذا علمت أن هذه الساعة قد فُقدت ، فسوف تهو حضيض الكرب واليأس • هكذا خلقت النساء !

هتف رازوميين يقول بمرارة :

- ولكننى لم أقصد هذا قط ! أنا لم أقل ما قلته بهذا المعنى نقيض ما أردت أن ...

تساءل راسكولنيكوف مهموماً مغموماً : « هل نجح هذا الأمر هل كان كلامى طبيعياً ؟ ألم أبالغ ؟ لماذا قلت : هكذا خلقت النساء قال بورفير بتروفتش يسأل لسبب من الأسباب :

- آ ... وصلت أملك ؟

- نعم •

- متى ؟

- مساء أمس •

وصمت بورفير كأنه يفكر • ثم أردف يقول بهدوء ، ببرود :  
 - أشياؤك لا يمكن أن تُفقد بحال من الأحوال • ثم اتنى كنت  
 أنتظرِكَ منذ مدة طويلة •

قال بورفير ذلك ، ثم التفت نحو رازوميخين وكأنه لم يحدث شيء ،  
 فمدَّ اليه منفضة سجائر ، لأن رازوميخين كان يهزُّ سيجارته بغير شفقة  
 فيسقط رمادها على السجادة •

ارتعش راسكولنيكوف ، ولكن بورفير الذى كان مشغولاً بسيجارة  
 رازوميخين ، كان يبدو عليه أنه لا يلاحظه •

صرخ رازوميخين سائلاً :

- كيف ؟ كنت تنتظره ؟ أكنت تعرف اذن أن له رهوناً هناك •  
 هو أيضاً ؟

فاتجه بورفير الى راسكولنيكوف رأساً وقال له :

- كان رهنك ، الخاتم والساعة ، موجودين • عندها ، ملفوفين  
 بورقة واحدة ، وقد كُتب اسمك على الورقة واضحاً بقلم الرصاص ،  
 كما سُجِّل على الورقة تاريخ الرهن أيضاً •

قال راسكولنيكوف وهو يضحك ضحكاً أخرق ، ويحاول خاصةً  
 أن ينظر الى عيني بورفير :

- ما أقوى ذاكرتك !

ولكنه لم يستطع أن يمنع نفسه عن أن يضيف قائلاً على حين فجأة:

- لئن أبدت هذه الملاحظة ، فلأن هناك اشخاصاً كثيرين جداً قد  
 رهنوا أشياء ••• فلا بد أن يصعب تذكر أسمائهم جميعاً ••• أما أنت  
 فانك تذكرهم تذكراً واضحاً ، واضحاً ، و ••• و •••

نم قال لنفسه : « ما أغبانى ! ضعيف جداً ! لماذا أضفت هذا الكلام ؟ » •

أجابه بورفير بشيء من سخر طفيف لا يكاد يلاحظ :

– ولكن جميع أولئك الأشخاص أصبحت أعرفهم ، وأنت الشخص الوحيد الذى لم يطالب بأشيائه حتى الآن •  
– ذلك أنتى كنت مريضاً •

– هذا أيضاً سمعت عنه • بل لقد سمعت كذلك أنك كنت قلقاً مضطرباً من شيء ما • ثم انك ما زلت تبدو شاحباً •

– لست شاحباً البتة • بالعكس : صحتى الآن حسنة جداً •

كذلك ردَّ راسكولنيكوف بفظاظة وشراسة ، وقد تغيرت لهجته فجأة • لقد غلى الغضب فى نفسه ، فأصبح لا يستطيع كبحه •

وقال يحدث نفسه من جديد : « هذا الغضب هو الذى سيفضحنى ! ولكن لماذا يعذبونى هذا التعذيب ! » •

عاد رازوميين يتكلم فقال :

– صحتك جيدة جداً ! اسمعوا هذا الكلام ! كان حتى أمس لا يكاد يعى ، وكان يهذى ! هل تصدق يا بورفير أنه كان لا يكاد يستطيع الوقوف على ساقيه ، فما أن أدرنا ظهورنا ، أنا وزوسيموف ، حتى ارتدى ثيابه وتسلل خلصةً ليمضى يتسكع لا أدرى أين ، الى منتصف الليل ، أو الى منتصف الليل تقريباً ، وهو فى حالة هذيان كامل ؟ هل تستطيع أن تتخيل شيئاً كهذا يا بورفير ؟ أمر غريب !

قال بورفير بتروفتش وهو يهزُّ رأسه بحركة من الحركات التى تجريها النساء :

– حقاً ؟ فى « حالة هذيان كامل » ؟ غريب ! •••

وأقلت لسان راسكولنيكوف يقول غاضباً أشد الغضب :

— هذا سخف ! لا تصدقه !

ولكن بورفير بتروفتش بدا كأنه لم يسمع هذه الأقوال العجيبة !

قال رازوميخين وقد تحمس مزيداً من الحماسة على حين فجأة :

— ولكن هل كان يمكن أن تخرج لولا أنك كنت في حالة هذيان؟

ولماذا خرجت ؟ ماذا كان هدفك من الخروج ؟ ولماذا خرجت خفية ؟ أنك

لم تكن تملك عقلك ! أستطيع أن أقول لك هذا الآن وقد زال كل خطر!

قال راسكولنيكوف متجهاً بالكلام الى بورفير وهو يتبسم ابتسامة

فيها وقاحة وتحد :

— لقد أرهقوني أمس ارهاقاً فظيماً ، فهربت لأستأجر مسكناً آخر

لا يستطيعون أن يعثروا عليّ فيه ؟ وحين خرجت حملت كل ماكنت أملكه

من مال • وقد رأى زامبوتوف ذلك المال • يا سيد زامبوتوف ، أكنت

بالأمس سليم العقل أم لا ؟ عليك أنت أن تحصم النقاش •

لو استطاع في تلك اللحظة أن يخلق زامبوتوف لما تردّد في ذلك •

كانت نظرة زامبوتوف وكان صمته يؤلمانه أشد الألم ، ويغيظانه أعظم

الغيظ •

قال زامبوتوف يجهجه بجفاف :

— في رأيي أنك كنت تتكلم كلام انسان عاقل جداً ، بل وكلام

رجل حاذق جداً ••• كل ما هنالك أنك كنت سريع الاحتياج والغضب •

وقال بورفير بتروفتش مقاطعاً :

— واليوم ذكر لي نيكوديم فومتش أنه لقيك أمس ، في ساعة

متأخرة ، بمنزل موظف داسته عربية •

فقال رازوميخين يستأنف كلامه مخاطباً راسكولنيكوف :

- نعم ، لننظر فيما فعلته في بيت ذلك الموظف مثلاً : ألم تتصرف تصرف رجل مجنون هناك ؟ لقد أعطيت أرملته كل ما كان معك من مال لدفع نفقات الجنائز . أفما كان في وسعك ، اذا أنت حرصت حرصاً مطلقاً على مساعدتها ، أن تعطيتها خمسة عشر روبلاً أو حتى عشرين روبلاً ، أو أن تحتفظ لنفسك بثلاثة روبلات في أقل تقدير ؟ ولكنك لم تفعل هذا ، بل جدت عليها بكل ما تملك : خمسة وعشرين روبلاً !

- ولكن لعنني عثرت في مكان ما على كنز . ما يدريك ؟ ولهذا كنت كريماً ذلك الكرم كله بالأمس . ان السيد زاميتوف يعلم أنني وجدت كنزاً ! اغفر لنا يا بورفير بتروفتش ( قال ذلك لبورفير بتروفتش متخلج الشفتين ) اغفر لنا ازعاجك بمثل هذه السفاسف طوال نصف ساعة ! نحن نضجرك ، أليس كذلك ؟

- بالعكس ، بالعكس ! ليتك تعلم كم يهمني أمرك ويشوقني حديثك ! انها لمتعة عظيمة أن يراك المرء وأن يصغى اليك ... أعترف لك أنني شديد السرور بأنك قررت أخيراً أن تقدم الى طلباً .

هتف رازوميخين يقول لبورفير :

- هيه ! هلاًّ قدمت الينا شيئاً من الشاي على الأقل ! لقد جفّ حلقي تماماً !

- هذه فكرة رائحة ، ولعل سائر الصحب يوافقونك عليها ! ولكن ألسنت تحب أن تصيب قبل الشاي شيئاً أدنى الى سدّ الجوع واقامة الأود؟  
- هياً ...

وخرج بورفير ليأمر بالشاي .

كانت الخواطر تمصف في رأس راسكولنيكوف كالاعصار • وكان مهتاجاً أشد الاحتياج •

قال يحدث نفسه : « أنكى ما فى الأمر أنهم لا يخفون ولا يكتمون ، أنهم لا يتحرجون ! كيف حدث ، وأنت لا تعرفنى بعد ، أن تتحدث عنى مع نيكوديم فومتش ؟ معنى ذلك أنهم لا يحاولون حتى أن يخفوا أو يكتموا ، وأنهم يطاردوننى جميعاً كما يطارد الفريسة سربٌ من كلاب الصيد ! انهم يصقون فى وجهى صراحةً ! ( كذلك قال لنفسه وهو يرتجف من شدة الغضب ) • ما بالكم لا تكونون صريحين ! لماذا تلعبون معى لعبة القط والفأرة ؟ حقاً ان هذا لمن قلة الأدب يا بورفير بتروفتش ! ولعلنى لن أسمح به بعد الآن !... لسوف أنهض واقفاً ، فأرميكم بالحقيقة كلها صفحاً على وجوهكم • وسوف يرون عندئذ مدى الاحتقار الذى أحمله لهم ! » •

دارت هذه الخواطر فى رأس راسكولنيكوف وهو يجد فى التنفس مشقة كبيرة • تابع يحدث نفسه : « ولكن ألا يمكن أن يكون هذا كله احساساً باطلاً ، وهماً من أوهام الخيال ، سراباً لا أكثر ؟ ألا يمكن أن أكون مخطئاً فى الحكم على الأمر كله من أوله الى آخره ، وأن لا يكون غضبى ناشئاً الا عن نقص الخبرة وقلة التجربة وعن عجزى عن تمثيل دورى الساقط ؟ لعلهم يقولون كل ما يقولونه بدون فكرة ميتة أو نية سيئة ... لا ، ان كل ما يقولونه عادى ، ولكن المرء يحس وراء كل كلمة من كلماتهم ... صحيح أن من الممكن أن يتكلم جميع الناس بهذه الطريقة وهذا الأسلوب ، ولكن لا بد أن هؤلاء يضمرون أشياء يلمعون اليها المعان • لماذا قال كلمة « عندها » بالحاح خاص ؟ ولماذا قال زامبوتوف اننى كنت أتكلم كلام رجل « حاذق » ؟ لماذا يخاطبوننى بهذه اللهجة ؟ نعم ، هى اللهجة •• ورازوموخين موجود ، هو موجود ، فلماذا لا يشبه

فى شىء ؟ لماذا لا يخطر شىء ببال هذا الأبله ؟ ها هى ذى الحمى تعترينى  
من جديد ! هل غمرنى بورفير بعينه منذ لحظة أم هو لم يغمزنى ؟ ترى  
لماذا وجّه الىّ تلك الغمزة ؟ أتراهم لا يريدون الا أن يثيروا أعصابى  
وأن يخرجونى عن طورى ؟ ... اما أن ذلك كله ليس الا سراباً ، واما  
أنهم « يعرفون » ... ولكن زامبوتوف وقع ! هل زامبوتوف وقع ؟  
لا بد أنه فكّر طويلاً أثناء الليل • كنت أوجس أنه سيفكر ! هو هنا  
كأنه فى بيته • بورفير لا يعده ضيقاً • هو يجلس مديراً ظهره لبورفير !  
انهما متواطئان • و « على » تواطؤهما ! لا شك فى أنهما كانا يتكلمان  
عنى أنا قبل وصولنا • هل يعرفان أننى ذهبت أرى الشقة ؟ ليتنى أعلم  
هذا بسرعة ، بسرعة ! حين قلت اننى هربت أسس مساءً لأبحث عن شقة  
استأجرها ، فان بورفير لم يفتن الى أقوالى • نعم ، لقد دسست مسألة  
الشقة هذه بحذق • سوف يفيدنى هذا فى المستقبل ! ... فى حالة  
هذيان ... ها ها ها ! ... ولكنه يعرف كل ما فعلته أسس • كان يجهل  
أن أمى وصلت ! وقد سجّلت العجوز تاريخ الرهن بقلم الرصاص !  
أنت تكذب ، لن أسلم نفسى ! ما هذه بوقائع على كل حال • سراب  
لا أكثر ! ومع ذلك تذكرون هذا كله على أنه وقائع ! والشقة نفسها  
ليست واقعة ، وانما هى هذيان ! ألا اننى أعرف ماذا سيحب على أن أقول  
لهم ! أهم يعرفون ما حدث فى الشقة ؟ ان أنصرف قبل أن أعرف هذا  
لماذا جئت ؟ ها هنا ذا أغضب الآن ! هذه واقعة ، هذه ! أوه ... ما أشد  
اهتياجى وما أسرع غضبى ! ولكن لعل هذا أفضل ... فانبى بذلك أمل  
دور المريض ... سيحاول أن يهيجنى ... أن يشوش أفكارى • لماذا  
جئت ؟ ... »

ذلك كله ومض فى ذهن راسكولنيكوف سريعاً كالبرق •  
وعاد بورفير بعد لحظة • انه يبدو الآن مرحاً جداً •



قال يخاطب رازوميخين ضاحكاً ، بلهجة مختلفة كل الاختلاف  
عن اللهجة التي كان يتكلم بها منذ قليل :

- هل تعرف يا صاحبي أنتى بعد سهرة الأمس فى بيتك الجديد ،  
أخذ رأسى يدور ، وانسى ما زلت الى الآن ....  
- كانت سهرة شائعة ، أليس كذلك ؟ لا تنس أنتى تركتكم فى  
أجمل لحظة • من الذى انتصر ؟

- لم ينتصر أحد طبعاً • لقد أخذوا يتناقشون فى مشكلات أبدية ،  
وحمى وطيس المناقشة !...

- تصور يا روديا انهم اندفعوا يتجادلون فى هذا الموضوع : أهناك  
جرائم أم ليس هناك جرائم ؟ يا للسخافات التي قالوها !... شئ فظيع...  
فأجاب راسكولنيكوف بلهجة عادية يقول :  
- هذه مسألة اجتماعية عادية جداً ، مع ذلك !  
وتدخل بورفير فقال :

- غير أن السؤال لم تكن هذه صيغته •

فأسرع رازوميخين يعترف قائلاً وقد اشتعلت حماسه على عادته :

- صحيح • لم تكن هذه صيغته تماماً • اسمع يا روديا ، اسمع  
وقل لى رأيك • أنا حريص على معرفة رأيك • لقد اندفعت أمس معهم  
باتتظار وصولك • وكنت قد أعلنت لهم جميعاً أنك آت • بدأت المناقشة  
بوجهة نظر الاشتراكيين • معروفة وجهة نظر الاشتراكيين • الجريمة  
احتجاج على تنظيم اجتماعى غير سليم • ليست الجريمة شيئاً غير هذا •  
ليس هناك أى باعث آخر على الجريمة •

صاح بورفير بتروفتش يقول :

- هأنت ذا تعود الى الأقرء !

كان بورفير بتروفش يتعش انتعاشاً واضحاً ، ولا يكف عن الضحك وهو يلاحظ رازوميخين ، فكان ذلك يزيد هياج رازوميخين • وتابع رازوميخين كلامه يقول محموماً :

- نعم ، ليس هناك أى باعث آخر ، فى نظر الاشتراكيين • أنا لا أفرى • سوف أريك كتبهم • هم يرون أن كل شىء ، أن كل شىء على الإطلاق ، إنما مردّه الى « جو البيئة السيء » ، لا أكثر من ذلك • نعم ، هذا هو تعبيرهم المفضل • وليس هناك الا خطوة واحدة بين هذا القول وبين الاعتقاد بأن جميع الجرائم ستزول دفعةً واحدة متى نُظِم المجتمع تنظيمًا سليمًا • فمتى زالت أسباب الاحتجاج ، أصبح جميع الناس « صالحين » ، من تلقاء أنفسهم • ان الاشتراكيين لا ينظرون الى الطبيعة بعين الاعتبار ، بل يسقطونها من الحساب • هم لا يرون أن الانسانية هى التى ستصل من تلقاء ذاتها ، بتطور تاريخى « حى » ، الى أن تصبح مجتمعاً سليماً ، وإنما يتصورون نظاماً اجتماعياً سوف يخرج من رأس عالم رياضى لا يدرك أحد ما هو ، فإذا هو ينظم النوع الانسانى بأسره فى طرفة عين ، ويجعله صالحاً مبرأً من كل خطيئة ؛ وذلك طبعاً فى خارج أى تطور تاريخى ، حى ، حى • هذا هو السبب فى أنهم بغريزتهم يكرهون التاريخ : « ليس التاريخ الا أهوالاً كريهة وحماقات حقيرة » • هذا ما يقولونه • وهم يفسرون كل شىء بالحماقة • وذلك هو السبب فى أنهم يكرهون تطور الحياة تطوراً حياً ، وينادون خاصةً بأن : « لا نفوس حية » ! • ان النفس الحية تتطلب الحياة ، فالنفس الحية لا تخضع للميكانيكا ، النفس الحية ريادة ، النفس الحية رجعية ! لذلك تراهم يصنعون نفساً من كاوتشوك ينبعث منها تن الموت ، ولكنها ليست حيةً على الأقل ، يصنعون نفساً طيبة ذليلة لا تمرد ! كل ذلك

فى سبل أن يصلوا الى حيث فادونا : الى تلك المجموعة من الأجر ،  
المقسمة ممراتٍ وغرفاً ، التى يسمونها «تعاونية» ! \* ان تعاونيتهم هذه  
جاهزة ، والطبيعة وحدها هى التى لم تصبح جاهزة بعد ، لأنها تقتضى  
الحياة ، لأنها لم تفرغ بعد من التطور الحياتى ، لأنها لم تأهب بعد للمقبرة !  
ألا ان المنطق وحده لا يمكن أن يجعلنا نشب فوق الطبيعة وتتخطاها • ان  
المنطق يتصور ثلاث حالات ، مع أن الحالات ملايين ! أفتحذف هذه الملايين  
كلها باسم قضية الرضاء وحدها ؟ لا شك أن حلَّ المشكلة بهذه الطريقة  
هو أسهل الحلول ! كل شىء واضح : لم تبق حاجة الى التفكير ! ذلك مفر  
جذاب • فانما المهم أن لا نفكر • وفى الامكان بعد ذلك أن نحصر سر  
الحياة كله فى ورقتين مطبوعتين !

قال بورفير ضاحكاً :

— ها هو ذا يندفع • يجب تكييله ا

ثم أضاف يقول ملتفتاً نحو راسكولنيكوف :

— تصوّر أن هذا نفسه هو ما حدث أمس ... وذلك فى غرفة  
تعلو فيها خمسة أصوات أو ستة ... وكان قد سقانا فوق ذلك حتى  
سكرنا • هل تتصور ما حدث ؟ لا يا صاحبي ، أنت مخطيء ... ان  
« للبيئة » دخلاً كبيراً فى الجريمة • أستطيع أن أؤكد لك ذلك •

— أعرف أن للبيئة دخلاً كبيراً فى الجريمة • ولكن قل لى : هب  
رجلاً فى الأربعين قد اغتصب بنتاً فى العاشرة ، فهل البيئة هى التى دفعت  
الى ارتكاب هذه الجريمة ؟

قال بورفير برصانة تثير الدهشة :

— بالمعنى الدقيق للكلمة ، يجوز أن نقول ان البيئة هى التى دفعت

الى ذلك • نعم ، ان اغتصاب بنت صغيرة يمكن جداً أن يعلّل بالتأثير الذى تحدثه البيئة •

كاد رازوميخين أن يستعر غضبه استعاراً رهيباً • وزأر يقول :  
- هذا هراء • وبمثل هذا الهراء أستطيع أن « أبرهن » لك على أن السبب فى أن أهدابك بيضاء هو أن ناقوس \*كنيسة القديس يوحنا بموسكو يبلغ علّوه مائتين وثلاثين قدماً ، وأن أبرهن لك على ذلك بوضوح ، وجلاء ، وأن أبرهن عليه برهاناً فيه تقدمية ، بل وفيه ليبرالية . أتريد أن أبرهن لك على ذلك ؟ هل تراهن على أتنى قادر أن أفعل ؟  
- افعل ! سوف نرى كيف تستطيع أن تفعل !

- هتف رازوميخين يقول وهو ينهض بوئبة واحدة ، ويحرك يده بإشارة تتم على الأسف والمضض :

- ما أشدّ ولعه بالتمثيل والعبت ! لا حاجة الى الكلام معك ، لا داعى الى هذا الغناء ! ذلك أنه يفعل هذا عامداً ، أنت لا تعرفه بعد يا روديا ! ولقد تحيّر أمس لهم ، ليسخر منهم ويعبت بهم ! الله يعلم ماذا قال لهم أمس ! وما كان أشد سرورهم برؤيته متحازاً الى صفهم ! انه قادر على أن يظل يمثل خمسة عشر يوماً بغير انقطاع • فى السنة الماضية ، روى لنا ، لسبب من الأسباب ، أنه سيصبح راهباً ، وظل يخدعنا بهذه القصة شهرين كاملين • ومنذ مدة قصيرة ، أوهمنا بأنه سيتزوج ، وقال انه هياً للاحتفال كل شيء • حتى لقد أوصى ببدلة جديدة ، وصدقناه نحن وأخذنا نهتف • فماذا كان ؟ لم يكن هناك خطيبة ، لم يكن هناك شيء البتة : سراب لا أكثر !

- أنت تكذب ! لقد أوصيت بالبدلة الجديدة أولاً ، والبدلة الجديدة هى التى أوحى الى بفكرة تضليلكم جميعاً !

سأله راسكولنيكوف باهمال :

- أأنت تحب التعبير بالناس كل هذا الحب حقاً ؟  
- أكنت تظن غير ذلك ؟ انتظر اذن ، فسوف ترى أنت أيضاً •  
ها ها ها ! ولكن اسمع ، سأقول لك الحقيقة كلها : ان جميع هذه المسائل التي دار عليها الحديث ، كمسألة الجريمة ، ومسألة البنات الصغيرات ، ومسألة « البيثة » ، قد ذكرتني بمقالة لك منشورة ، مقالة شاقستي دائماً على كل حال ، وعنوانها : « في الجريمة » ••• أو شيء من هذا القيل ••• لا أذكر الآن • لقد أتيح لي منذ شهرين أن أستمع بقراءة تلك المقالة في مجلة « القول » الدورية •

هتف راسكولنيكوف يقول مدهوشاً :

- مقالتي ؟ في مجلة « القول » الدورية ؟ صحيح أنتى ، منذ ستة أشهر ، بعد تركي الجامعة ، كتبت مقالةً عن كتاب كان قد صدر منذ مدة قصيرة ، ولكنني بعثت بالمقالة الى مجلة « القول » الأسبوعية ، لا الى مجلة «القول» الدورية •

- لكنها نشرت في « مجلة القول الدورية » •

- لعل المجلة الأسبوعية لم تنشره في ذلك الحين لأنها توقفت عن الصدور ؟

- نعم • ولكنها حين توقفت عن الصدور قد انصهرت في مجلة « القول » الدورية ؟ وذلك هو السبب في أن مقالتي قد نشرت في المجلة الدورية منذ شهرين ؟ أكنت تجهل ذلك ؟

كان راسكولنيكوف يجهل ذلك فعلاً •

قال له بورفير بتروفتش :

- غريب • انك تستطيع أن تطالب المجلة بأجرك عن المقال •

ما أعجب طبعك ! أنت تعيش اذن في عزلة كاملة فتجهل حتى الأمور التي  
تصل بك من قرب • هذا واقع •

هتف رازوميخين يقول :

- مرحي روديا ! أنا أيضاً كنت أجهل هذا ! سأركض في هذا  
اليوم نفسه الى قاعة مطالعة ، فأطلب المقالة • هل ظهرت منذ شهرين ؟  
ولكن في أي يوم على وجه الدقة ؟ لا بأس ، سأجدها على كل حال •  
هذه حكاية حقاً • أتشر مقالةً ولا تذكر عن ذلك شيئاً ؟

- ولكن كيف عرفت أن المقالة لى • أنا لم أوقعها الا بالحروف  
الأولى •

- عرفت ذلك عرضاً وعرفته في الآونة الأخيرة فقط ، بفضل رئيس  
التحرير الذي أعرفه • وقد شأقتني المقالة كثيراً ، وأثارت اهتمامي •

- أذكر أنني حللت في تلك المقالة الحالة النفسية التي يكون عليها  
القاتل طوال مدة الجريمة •

- نعم ، كنت تقول ان تنفيذ الجريمة يُصحب دائماً بحالة نفسية  
مرضية • وجهة نظر أصيلة ، أصيلة جداً ••• ولكن هذا الجزء من  
مقالتك ليس هو الجزء الذي أثار اهتمامي أكثر من غيره ، وانما أثارت  
اهتمامي فكرة دستتها في نهاية المقالة ، ولم تتلبث عليها طويلاً ، وانما  
أشرت اليها اشارة سريعة من سوء الحظ • وقد أردت أن تقول ، اذا  
كنت تتذكر ذلك ، أن على الأرض أناساً يستطيعون ••• لا يستطيعون  
فحسب ••• بل لهم كذلك حق مطلق في أن يرتكبوا جميع أنواع  
الأفعال الشائنة والجرائم ، وانه لا قيمة لأي قانون بالنسبة الى هؤلاء  
الناس •

ابتسم راسكولنيكوف ازاء هذا الكلام الذى يؤول فكرته تأويلاً  
مراوغاً •

سأل رازوميشين بنوع من الذعر :

— ماذا ؟ ما هو الموضوع ؟ الحق فى ارتكاب الجريمة ؟ ولكن  
لا بسبب « البيثة » على كل حال ، هه ؟  
فأجابه بورفير :

— لا ، لا ، انك لم تفهم المقصود ؟ المسألة فى تلك المقالة هى أن  
الناس فئتان : فئة العاديين ، وفئة الخارقين • فأما « العاديون » فيجب أن  
يعيشوا طائعين خاضعين ، وليس لهم حق فى مخالفة القانون ، وذلك لأنهم  
عاديون • وأما « الخارقون » ، فيحق لهم أن يرتكبوا جميع الجرائم وأن  
يخالفوا جميع القوانين ، وذلك لأنهم « خارقون » • أكان هذا رأيك أم  
ترانى مخطئاً ؟

دمدم رازوميشين يقول :

— ولكن كيف ؟ ليس من الممكن ••• أن يكون الأمر كذلك •••  
وابتسم راسكولنيكوف ابتسامة ساخرة من جديد • لقد أدرك فوراً  
ما الذى يريد أن يبلغه بورفير ، ما الذى يريد أن يستدرجه اليه أو أن  
يستخرجه منه • وكان يتذكر مقالته • وقرر أن يرد على التحدى بمثله •

بدأ يتكلم فقال بلهجة بسيطة متواضعة :

— ليس هذا ما أردت أن أقوله على وجه الدقة • على أننى أعترف  
بأنك عرضت فكرتى عرضاً أميناً ، بل وأميناً كل الأمانة اذا شئت ( كأنه  
كان يسره أن يوافق على أن فكرته قد عرضت عرضاً أميناً كل الأمانة ) •  
والفرق الوحيد هو أننى لم أقطع بأن جميع الخارقين يجب عليهم أن  
يرتكبوا دائماً جميع أنواع الجرائم كما تقول • ولو قد فعلت ذلك لنت

الرقابة نشر المقالة فيما يخص إلى • كل ما أوجبت به هو أن الانسان الخارق يملك الحق ••• لا الحق الرسمي بل الحق الشخصي في أن يأذن لضميره بتخطي بعض الحواجز ••• وذلك في حالة واحدة هي الحالة التي يتطلب فيها تنفيذ فكرته هذا التخطي ( وهي فكرة قد يتوقف عليها سلام النوع الانساني ) • أنت تدعى أن مقاتتي غير واضحة ، فأنا مستعد لأن أشرحها لك في حدود الامكان • ولعلني لا أخطئ اذ افترض أن هذه هي رغبتك • فليكن لك ما تشاء !•• في رأيي أنه لو كانت اكتشافات كبلر أو نيوتن ، بسبب تضافر ظروف معينة ، ما كان لها أن تتحقق الا اذا ضُحّي في سبيلها بحياة فرد أو عشرة أفراد أو مائة فرد بل بحياة عدد من الأفراد أكبر يعيقون تحقيقها أو يقفون حائلاً دونها ، فانه يكون من حق نيوتن بل ومن واجبه ••• أن « يزيح » أولئك الأفراد العشرة أو المائة في سبيل أن ينفع الانسانية باكتشافه • ولكن ليس يترتب على هذا قط أن من حق نيوتن أن يقتل اى انسان يحلوه له أن يقتله ، ولا أن يسرق كل يوم من أحد الأسواق • وأذكر أنني أوضحت في مقالتي أن جميع المؤسسين والمشرعين في تاريخ الانسانية ، من أقدمهم الى أحدثهم ، مروراً بأمثال ليسورجوس وسولون ومحمد ونايليون وغيرهم ، يمكن أن يوصفوا جميعاً بأنهم مجرمون ، لأنهم حين أقاموا قانوناً انما خالفوا بذلك نفسه قانوناً قديماً كان يُعدُّ مقدساً وكان موروثاً عن الأسلاف ؛ وما كان لهم طبعاً أن يمتنعوا عن سفك الدم ( مهما يكن بريئاً في بعض الأحيان ، ومهما يكن قد بُذِلَ بذلاً بطولياً في سبيل القانون القديم ) حين يسهّل سفك هذا الدم مهمتهم ؛ بل ويحسن أن نلاحظ أن أكثر هؤلاء الرواد الذين أحسنوا الى الانسانية وأصلحوا المجتمع انما كانوا أناساً شاذين دمويين • وأوجز فأقول انهم جميعاً ، لا أعظمهم فحسب بل الذين يعلون أقل علوٍ فوق الحد الوسط أيضاً ، أى الذين



فادريين ولو قدرة يسيرة على التعبير عن أفكارهم الجديدة ، انما كانوا مضطرين بحكم طبيعتهم نفسها الى أن يكونوا قتلة ، قليلاً أو كثيراً طبعاً ؛ ولولا ذلك لما استطاعوا أن يخرجوا عن الحد الوسط ، وهم بحكم طبيعتهم أيضاً ما كان لهم أن يقبلوا البقاء عند هذا الحد الوسط ؛ بل وفي رأيي أنه كان من واجبه أن لا يقبلوا البقاء عند هذا الحد الوسط .

الخلاصة : ها أنت ذا ترى أنه ليس فيما قلته حتى الآن شيء جديد كل الجدة . أما عن تقسيمى الرجال الى فئتين ، فئة العاديين وفئة الخارقين ، فأننى أوافق على أن فى هذا التقسيم شيئاً من التحكم ، ولكننى لم أقدم أرقاماً أيضاً . وأنا انما أومن بفكرتى الرئيسية ، وهى أن الرجال ينقسمون ، بحكم قوانين الطبيعة ، الى فئتين ، « بوجه عام » : فئة دنيا هى فئة العاديين الذين لا وجود لهم الا من حيث أنهم مواد ان صح التعبير ، وليس لهم من وظيفة الا أن يتناسلوا ، وفئة عليا هى فئة الخارقين الذين أوتوا موهبة أن يقولوا فى بيئتهم « قولاً جديداً » . ولا شك أن هناك تقسيمات فرعية لا حصر لعددها ، ولكن السمات المميزة التى تفصل هاتين الفئتين قاطعة . فأما الفئة الأولى ، وهى فئة المواد ، فان افرادها ، على وجه العموم ، أناس « خلقوا محافظين » ، أناس معتدلون يعيشون فى الطاعة ويحلوا لهم أن يعيشوا فى الطاعة . وعندى أن عليهم أن يطيعوا ، لأن الطاعة هى ما كُتب لهم ، وليس فى طاعتهم ما يسىء اليهم أو يذل كرامتهم . وأما الفئة الثانية فهى تتألف من رجال يتميزون بأنهم جمعياً يكسرون القانون ، بأنهم جمعياً مدمرون ، أو بأنهم جمعياً ميالون الى أن يصبحوا كذلك بحكم ملكاتهم . وجرائم هؤلاء الرجال تتفاوت خطورتها وتنوع أشكالها طبعاً . وأكثرهم يريدون ، بأساليب متنوعة جداً ، تدمير الحاضر فى سبيل شيء أفضل . فاذا وجب على أحدهم ، من أجل تحقيق فكرته ، أن يخطو فوق جثة ، أو فوق بركة دم ، فانه

يستطيع ( في رأيي ) أن يعزم أمره على أن يخطو فوق الجثة وفوق بركة الدم مرتاح الضمير ؟ وكل شيء رهن بضمون فكرته ، وبما لها من أهمية طبعاً . بهذا المعنى وحده انما تحدثت في مقالتي عن حق ارتكاب الجريمة ( انك تذكر أن نقطة البداية التي انطلقنا منها انما كانت مسألة حقوقية ) . على أنه لا داعي الى القلق كثيراً . فان الجمهور لا يكاد يعترف لهؤلاء الرجال أبداً بهذا الحق . بالعكس : ان الجمهور يضطهدهم ويشنقهم ( كثيراً أو قليلاً ) ، وهو في هذا يمارس حقه ، ويقوم بوظيفته كجمهور محافظ ، رغم أن الأجيال اللاحقة من هذا الجمهور نفسه ستخلد ذكر أولئك المضطهدين المعذنين ، فقيم لهم التماثيل ، وتقديسهم ( كثيراً أو قليلاً ) . فالفئة الأولى من الرجال هي سيدة الحاضر ، والفئة الثانية هي سيدة المستقبل . الأولون يحفظون العالم ويزيدونه كماً ، والآخرين يحركونه ويقودونه الى غاية . ولهؤلاء وأولئك حق واحد في الحياة . أى ان لهم كلهم حقوقاً متساوية ، و « عاشت الحرب الأبدية ! » ، الى أن تقوم اورشليم الجديدة طبعاً !

– أنت تؤمن اذن بأورشليم الجديدة ؟

أجاب راسكولنيكوف بصوت ثابت :

– أؤمن !

قال ذلك خافضاً رأسه مثبتاً بصره على نقطة من السجادة ، كما كان

طوال مدة حديثه المستفيض .

– وهل تؤمن بالله أيضاً ؟ اغفر لى فضولى !

فأجاب راسكولنيكوف وهو يرفع بصره الى بورفير :

– أؤمن به .

– وهل تؤمن ببعث لعازار ؟

– أَوْ ... أؤمن به • ولكن لماذا تسألني عن هذا كله ؟

– هل تؤمن بذلك نصاً وحرفاً ؟

– نصاً وحرفاً !

– صحيح ؟ اغفر لي فضولي • لقد سألتك عن هذا كله من باب حب  
الاطلاع • ولكن استمع لي • سوف أعود الآن الى ما كنت تقوله • أنا  
أرى أن الجمهور لا يضطهدهم ويعذبهم جميعاً • بالعكس : بعضهم ...  
– بعضهم ينتصرون أثناء حياتهم ؟ ... نعم بعضهم يحققون غاياتهم  
أثناء حياتهم ، وعندئذ فانهم هم الذين ...

– هم الذين يرسلون الآخرين الى التعذيب ...

– نعم ، اذا لزم الأمر ... وأكثرهم يفعلون ذلك حقاً • ملاحظتك  
هذه ... لطيفة جداً •

– أشكرك • ولكن قل لي : كيف نميّز هؤلاء الخارقين عن أولئك  
العاديين ؟ هل هم يحملون علامات خاصة منذ ولادتهم ؟ أقصد أنه لا بد  
من دقة أكبر ، أى لا بد من علامة مميزة واضحة • اغفر لي هذا  
الاهتمام ، وهو اهتمام طبيعي لدى رجل عملى يريد الخير • ألا يمكننا  
مثلاً أن نلبسهم رداء خاصاً ، أن نخلع عليهم زياً موحداً ، أن نميّزهم  
بعلامة فارقة ؟ اذ لا بد أن تسلمّ معى بأنه اذا حدث اختلاط ، فتخيل  
رجل من رجال الفئة الأولى أنه ينتمى الى الفئة الثانية ، فأخذ « يزيغ »  
جميع العوائق ، على حد تعبيرك الموفق ، فان ...

– صحيح ... هذا يحدث كثيراً • ملاحظتك هذه ألطف من  
سابقها أيضاً •

– أشكرك •

— لا داعى الى الشكر • ولكن لاحظ أن هذا الخطأ لا يمكن أن يقع الا لأفراد الفئة الأولى ، أى فئة العاديين ( الذين لعلى لم أوفق كثيراً حين أطلقت عليهم هذا الاسم ) : ان كثيراً من هؤلاء العاديين ، رغم ميلهم الفطرى الى الطاعة ، يمكن أن نلاحظ فيهم نزوة من تلك النزوات التى نلاحظها فى الطبيعة ، ونلاحظها حتى لدى الأبقار ، فاذا هم يحبون أن يحسبوا أنفسهم رجالاً من الطليعة ، رجالاً مدمرين ، واذا هم يقتحمون أنفسهم فى الدعوة الى « القول الجديد » ، صادقين مخلصين من جهة أخرى • وكثيراً ما يحدث لهم فى الوقت نفسه أن لا يعترفوا بأولئك الذين هم مجدّدون حقاً ، حتى لقد يعدونهم أناساً منحطين ، رجعيين ، جديرين بالاحتقار • ولكنى أعتقد أن هذا ليس فيه خطر كبير ، فما ينبغى لك أن تقلق ، وذلك لسبب بسيط هو أن هؤلاء لا يقطعون شوطاً بعيداً فى يوم من الأيام ، وفى وسعك طبعاً ، من أجل أن تعاقبهم على حماسهم الطائشة ، وأن تردّهم الى مواقعهم ، فى وسعك أن تجلدتهم أحياناً • ولكن هذا كل شيء ؟ بل انه لا حاجة الى أن يتولى أحد هذه المهمة ، فانهم يجلدون أنفسهم بأنفسهم ، لأنهم أناس أخلاقيون جداً ، فبعضهم يجلدون أنفسهم بأيديهم ، وبعضهم يطلبون الى أقرانهم البشر أن يؤدوا لهم هذه الخدمة • ثم انهم يفرضون على أنفسهم أنواعاً من الكفارات على رموس الأشهاد فيكون هذا درساً مفيداً وعبرة جميلة •

الخلاصة : ليس عليك أن تقلق • ذلك هو القانون !

— حسناً ! لقد طمأنتنى من هذه الناحية قليلاً على كل حال • ولكننى أرى خطراً آخر • قل لى من فضلك : هل هم كثيرون أولئك الأفراد الذين يحق لهم أن يذبحوا غيرهم ، هل هم كثيرون أولئك « الحارقون » ؟ اننى مستعد طبعاً لأن أضحى احتراماً لهم ، ولكن لا بد

أن توافقني على أن المرء لا بد أن يشعر برعدة تسرى في ظهره اذا هم كانوا كثيرين ؟ أليس كذلك ؟

تابع راسكولنيكوف كلامه قائلاً : بتلك اللهجة نفسها :

- لا تقلق من هذا أيضاً . فعلى وجه العموم ، لا تولد الا قلة قليلة جداً من هؤلاء الأفراد الذين يملكون فكرة جديدة حقاً ، أو يقدرّون على أن يعبروا عن فكرة جديدة . هنالك شيء واحد محقق ، هو أن نسبة الأفراد الذين يولدون في هذه الفئة أو تلك لا بد أنها يحدّها قانون طبيعي ما تحديداً دقيقاً . وهذا القانون ما يزال حتى الآن مجهولاً ، ولكنني أعتقد أنه موجود ، وأنه سيُمكن اكتشافه في المستقبل . ولئن وُجدت كتلة من الأفراد تبلغ هذا المبلغ من الضخامة ، فما ذلك الا لمحاولة خلق انسان مستقل بعض الاستقلال ، ولو بنسبة واحد الى ألف ، وذلك بتطور ما يزال سريعاً مجهولاً ، وبواسطة أنواع شتى من تصالّبات عروق وأنواع ، الخ . أما الأفراد الذين يملكون استقلالاً أكبر فإن نسبتهم أصغر من ذلك : هم واحد بين عشرة آلاف ( أتكلّم على وجه التقريب ) . وأما الأفراد الذين يملكون درجةً عليا من الاستقلال فإن نسبتهم أصغر من ذلك أيضاً : هم واحد بين مائة ألف . وأما العباقرة فلا يوجد منهم الا واحد بين مليون . وأما كبار العباقرة ، الذين هم قمة النوع الانساني ، فلا بد أن تنتظر أن تمر على الأرض ألاف ملايين الأفراد حتى يظهر منهم واحد . أنا لم أقم طبعاً بجولة في البوطة التي يتم فيها هذا كله ، ولكن القانون موجود ، ولا بد أن يكون هناك قانون من هذا النوع . فلا مصادفة هنا !

صاح رازومихين يقول أخيراً :

- قولاً لي : أأنتما تمزحان ؟ أأنتما بسبيل أن يخدع كل منكما

الآخر ؟ ان كلاً منهما جالس أمام صاحبه يستهزئ به ويضحك عليه !  
أنت تتكلم جاداً يا روديا !

رفع راسكولنيكوف وجهه الشاحب نحو رازوميخين صامتاً ، حزناً ،  
ولم يجب بشيء . فلما رأى رازوميخين هذا الوجه الهادئ المتألم ،  
استغرب تلك اللهجة اللاذعة الفظة « المتحدية » التي استعملها بورفير .  
قال رازوميخين :

– طيب يا صاحبي ، اذا كنت تتكلم جاداً ... فمن حقت طبعاً أن  
تقول ان هذا كله ليس فيه جديد ، فهو يشبه ما قرأناه وسمعناه ألف  
مرة . ولكن الشيء « الجديد » حقاً في الأمر ، الشيء الذي تتفرد به –  
وهذا ما أشعر منه بهول ورعب – هو أنك تجد أن من الطبيعي أن يسفح  
انسان دماً وهو واعٍ كل الوعي ، وأنت تدافع عن هذا الرأي بمثل هذا  
التعصب كله ... سامحني . معنى ذلك أن هذه هي الفكرة الأساسية  
التي تتضمنها مقالاتك . وأنا أرى أن هذا السماح « الأخلاقي » بسفح  
الدم ، أقطع حتى من السماح بسفح الدم رسمياً أو شرعياً .  
قال بورفير :

– صحيح تماماً . هو أقطع منه .

وقال رازوميخين يخاطب راسكولنيكوف :

– لا ، لا ، لقد سمحت لنفسك بالاندفاع في مزلق الخطأ . هناك  
خطأ . سوف أقرأ المقالة . حقاً لقد أسرفت في الغلو . لا يمكن أن يكون  
هذا تفكيرك . سوف أقرأ المقالة ...

قال راسكولنيكوف :

– ليس في المقالة شيء من هذا كله . المقالة لا تتضمن الا اشارة .

قال بورفير وقد أصبح لا يستطيع أن يستقر في مكانه :

- نعم ، نعم ، الآن أصبحت أدرك رأيك في الجريمة بشيء من  
الوضوح . اغفر لى الحاحي ( أنا أعرف أنتى أضيائك ) • لقد طمأنتى  
منذ قليل فى موضوع الاختلاط الذى يمكن أن يحدث بين الفئتين •  
ولكن ... هناك حالات تظل تقلقنى من وجهة النظر العملية • لنفرض  
أن رجلاً أو شاباً يعد نفسه مثل ليكورجوس أو مثل محمد • انه سوف  
يشرع فوراً فى « ازاحة » جميع العوائق • سوف يقول : ان على عاتقى  
أن أقوم بحملة بعيدة ؛ ومن أجل القيام بحملة لا بد لى مال • ولذلك  
سوف يبدأ بالحصول على المال للقيام بحملته • واضح ؟  
هنا انفجر زاميتوف ضاحكاً فى ركنه ضحكاً قوياً على حين فجأة •  
ولكن راسكولنيكوف ظل ساكناً ، حتى أنه لم يرفع نحوه عينيه •  
وأجاب يقول بلهجة هادئة :

- أعترف بأن حالات كهذه لا بد أن تقع فعلاً • ان الحمقى  
والمنرورين يقومون فى هذا الفخ ، ولا سيما اذا كانوا شباباً •  
- أرايت ؟ فماذا اذن ؟

أجاب راسكولنيكوف ضاحكاً :

- ما شأنى أنا ؟ أنا لا دخل لى ! هكنا انما جرت الأمور دائماً •  
قال هو منذ قليل ( هنا أوما راسكولنيكوف الى رازومخين ) اننى أبيع  
سفع الدم • ما قيمة ذلك ؟ ان المجتمع تحميه المنافى والسجون وقضاة  
التحقيق والمعتلات ؟ فعلام القلق ؟ طاردوا السارق !

- واذا قبضنا عليه ؟

- يجب أن يتيح لكم أن تقبضوا عليه •

- أنت منطقى • ولكن ماذا عن ضميره الأخلاقى ؟

- فم يضيكم ضميره الأخلاقى ؟

— مسألة انسانية •

— من كان له ضمير أخلاقي فليس له الا أن يتعذب اذا هو اعترف  
لنفسه بخطيئته • سيكون هذا عقاباً له ، بالاضافة الى السجن •

سأل رازوميين وهو يقطب حاجيه :

— والأشخاص الذين يملكون العبقريّة حقاً ، الأشخاص الذين  
أعطوا حق القتل ، هل يجب عليهم أن لا يتألّموا البتة ولو سفحوا دمًا ؟

— لماذا تستعمل تعبير « يجب عليهم » ؟ ليس ههنا لا اذن ولا منع •  
ألا فليتألّم من تأخذه بضحية شفقة ! لا بد أن يتألّم من كان واسع الوجدان  
عميق الشعور •

ثم أضاف راسكولنيكوف يقول فجأة وقد شرد فكره واختلفت  
هيئة عما كانت عليه أثناء الحديث :

— يخيّل الىّ أن الرجال العظماء لا بد أن يشعروا على هذه الأرض  
بحزن عظيم •

ورفع راسكولنيكوف عينيه ونظر الى الجميع مفكراً ، وابتسم ،  
وتناول قبعته • كان هادئاً هدوءاً كبيراً بالقياس الى الحالة التي كان عليها  
حين دخل ؟ وكان يحس هو بذلك •

نهض الجميع •

واستأنف يورفير بتروفتش كلامه فقال :

— لك أن تشمئني ولك أن تمضب ان شئت ؛ ولكني لا أستطيع أن  
أغالب رغبتى في أن ألقى عليك سؤالاً آخر صغيراً . أنا أعلم أنني أرهقتك  
أرهاقاً شديداً ، ولكنني أحب أن أعبرّ لك عن فكرة صغيرة راودتني  
وأخشي أن أنساها ...



• هات فكرتك الصغيرة •

كذلك قال له راسكولنيكوف جاداً ، شديد شحوب الوجه ، وهو واقف أمامه ينتظر •

• اليك فكرتي ••• ولكنني لا أعرف حقاً كيف أعبر عنها تعبيراً مناسباً ••• ان فكرتي الصغيرة تافهة قليلاً ••• هي فكرة سيكولوجية ••• اسمع : انه لمن المستحيل عليك أثناء كتابتك تلك المقالة أن لا تكون ••• هيء هيء هيء هيء ••• أن لا تكون قد عدت نفسك ••• انساناً خارقاً بعض الشيء ••• انساناً يحمل « القول الجديد » ، بالمعنى الذي قصدته ، أليس هذا صحيحاً ؟

قال راسكولنيكوف باحتقار :

• جائر جداً •

وتحرك رازوميخين •

وعاد بورفير بتروفتش يتكلم فقال :

• فإذا كان الأمر كذلك ، أفلا يمكن أن تكون قد قررت أنت نفسك ، في أعقاب اخفاق شخصي ما ، أو للخلاص من الفقر ، أو أيضاً لتعجيل سير الانسانية الى أمام ، لا يمكن أن تكون قد قررت أنت نفسك أن تتخطى الحاجز ••• ف ••• فقتل مثلاً أو تسرق ؟ •••  
قال بورفير بتروفتش هذا وغمز بعينه اليسرى وأخذ يضحك ضحكاً خفيفاً ، كما فعل منذ قليل •

فأجابه راسكولنيكوف بلهجة متكبرة متحدية :

• اذا كنت قد تخطيت الحاجز فلن أقول لك انني تخطيته •

• ان أمراً واحداً يهمني ، هو أن أحسن تأويل مقاتلك ، وأن أحسن ذلك من الناحية الأدبية وحدها •

قال راسكولنيكوف لنفسه : « هو ! يا للشرك القدر ! » •

وقال يجيب مخاطبه بخشونة :

— اسمح لى أن ألفت نظرك الى أنني لا أعد نفسى لا مثل محمد  
ولا مثل نابوليون ••• ولا مثل أى شخص من هذا النوع ! ••• واذا أنني  
لست واحداً من هؤلاء الأشخاص ، فأننى لا أستطيع أن أقدم اليك جواباً  
مرضياً ، فأقول لك ما الذى يمكن أن أفعله •

قال بورفير بتروفتش فجأة بألفة مخيفة :

— دعك من هذا الكلام ! أى واحد منا ، فى روسيا ، لا يمد نفسه  
اليوم مثل نابوليون ؟

وكان فى نبرة صوته نفسها ما يدل على نية واضحة جداً •

ورشق زامبوتوف من ركنه هذا السؤال :

— ألا يمكن أن يكون واحد ممن يمدون أنفسهم مثل نابوليون  
فى المستقبل هو الذى قتل آليونا ايفانوفنا فى الأسبوع الماضى ؟

صمت راسكولنيكوف وحدّق الى بورفير بنظرة ثابتة قاسية • واكفهر  
وجه رازوميخين • كان رازوميخين قد بدأ يشتبه منذ برهة • ونظر  
حواليه غاضباً • وانقضت دقيقة فى صمت قائم • وتحرك راسكولنيكوف  
يريد أن ينصرف •

قال بورفير بلهجة رقيقة عذبة :

— أتصرف ؟

ومدّ اليه يده بكثير من التجبب والتودد • وتابع يقول له :

— سعيد جداً ، سعيد جداً بمعرفتك • أما عن مطالبتك برهنيك ،  
فكن مطمئناً : يكفى أن تكتب عريضةً بالمعنى الذى أشرت به عليك •

نعم • بل ربما كان الأفضل من ذلك أيضاً أن تأتني الى ، في يوم قريب  
 ••• في الغد مثلاً ••• سأكون بمكتبى حتماً في نحو الساعة •••  
 الحادية عشرة • سرتب الأمر كله ، وسترتب قليلاً ••• فاز أنك واحد  
 من أواخر من ذهبوا الى « هناك » ، فانك قد تستطيع أن تقول لنا شيئاً ما  
 ( هذا ما أضاف يقوله وهو يصطنع كل الطيبة وكل البساطة ) •

سأله راسكولنيكوف بلهجة خشنة :

— أتريد أن تستجوبنى رسمياً ، وفقاً للأصول ؟

— فيم أستجوبك على هذا النحو ؟ لا تدفنى الى هذا أية ضرورة  
 حتى الآن • طبعاً ••• أنا لا أدع لأية فرصة تفلت منى ••• وقد تحدثت  
 الى جميع الذين أودعوا رهوناً لدى العجوز • حتى لقد استطعت أن  
 أحصل على بعض الدلائل • ولما كنت أنت آخر هؤلاء •• ولكن بالمناسبة  
 ( هتف يقول ذلك فجأة في غمرة من الفرح ) بالمناسبة ••• الآن تذكرت  
 ••• ماذا أريد أن أقول ؟ ••• ( هنا التفت يخاطب رازومихين ) •••  
 نعم يا رازومихين ••• ان الفتى نيكولاشكا ذاك الذى صدعت به رأسى  
 ••• قد ثبت لى اليوم ••• على وجه اليقين ( وهنا عاد يلتفت الى  
 راسكولنيكوف ) أنه برىء ••• ولكن ما حيلتى ؟ لقد كان لا بد لى أيضاً  
 من ازعاج ميتكا ••• والآن اليك ما كنت أريد أن أسألك عنه : حين  
 صعدت السلم ، كانت الساعة بين السابعة والثامنة ، أليس كذلك ؟

أجاب راسكولنيكوف :

— نعم ، كانت الساعة قد تجاوزت السابعة •

وسرعان ما أدرك راسكولنيكوف ممتعضاً أنه كان فى وسعه أن  
 لا يذكر هذا •

— ألم ترَ ، وأنت تصعد السلم ، بعد الساعة السابعة ، فى شقة كان

بابها مفتوحاً - هل تتذكر ؟ - ألم ترَ عمالاً كانوا يعملون في تلك الشقة ، أو عاملاً منهم على الأقل ؟ هم دهانون كانوا يدهنون الشقة ، ألم تلاحظهم ؟ هذا أمر هام جداً ، هام جداً جداً بالنسبة اليهم .

أجاب راسكولنيكوف يقول ببطء ، كأنه ينبش ذاكرته ، وهو يحاول بجهد مرهق أن يكتشف الفخ الذي ينصبه له مخاطبه ليتحاشى الوقوع فيه :

- دهانون ؟ لا ، لم أر دهانين . لا ، لم أرهم . ثم اتنى لا أذكر اتنى رأيت شقة كان بابها مفتوحاً . ولكننى فى مقابل ذلك ( هو يشعر الآن بأنه تجنب الفخ وهو فرح بذلك ) أذكر أن موظفاً كان يتقل فى الطابق الثالث من الشقة التى تقع أمام شقة آليونا ايفاتوفنا . اتنى أذكر هذا ، بل أذكره واضحاً كل الوضوح . . . . كان هناك جنود يحملون أريكة ، فاضطرت أن التصق بالحائط . ولكننى لم أر دهانين ، لا ، لا أذكر اتنى رأيت دهانين . ويخيل الى أنه لم يكن أى باب من الأبواب مفتوحاً . لا ، لم يكن هناك باب مفتوح . . . . لم يكن هناك باب مفتوح . . . .

صاح رازومихين يقول فجأة كأنه تاب الى رشده أخيراً وفهم فى هذه اللحظة نفسها ، صاح يقول مخاطباً بورفير :

- ولكن ما هذا الذى تقوله ؟ أنت تعلم أن الدهانين كانوا يعملون يوم مقتل العجوز ، أما هو فقد ذهب الى العجوز قبل ذلك بيومين . فما هذا السؤال الذى تلقى عليه ؟

فهتف بورفير قائلاً وهو يلطم جبينه :

- آ . . . . نعم . . . . اختلط على كل شىء . تباً لى . ان هذه القضية قد أفقدت صوابى .

والتفت يقول لراسكولنيكوف كأنما ليعتذر :

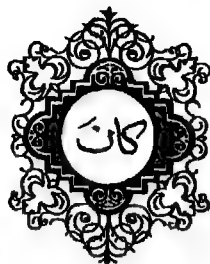
- اننى من فرط اهتمامى بأن أعرف هل رأى أحدٌ أولئك  
الدهانين بعد الساعة السابعة فى الشقة ، قد تخيلت أنك تستطيع أن تجيب  
عن هذا السؤال ... نعم ، لقد اختلط على كل شىء .

قال رازومихين غاضباً :

- يجب عليك أن تنتبه !

وقد قيلت هذه الكلمات الأخيرة حين وصلوا الى حجرة المدخل .  
لقد شيعهما بورفير بتروفتش الى الباب بتودد كبير ولطف بالغ . فلما  
صارا فى الشارع كان كل منهما مظلم النفس متجهم الوجه . وسارا  
بضع خطوات لا ينطقان بكلمة واحدة . وتنفس راسكولنيكوف تنفساً  
عميقاً ...

## الفصل السادس



رازوميخين يردّد قائلاً في حيرة واضطراب  
وهو يحاول أن يدحض حجج راسكولنيكوف  
بكل ما أوتي من قوة :

ـ أنا لا أصدّق هذا ! لا أستطيع أن أصدّقه !  
كانا قد اقتربا من عمارة باكاليف ، حيث تنتظرهما بولشيريا  
الكسندروفنا ودونيا منذ مدة طويلة • وفي غمرة المناقشة الحامية ، كان  
الفتى يتوقف في كل لحظة مضطرباً قلقاً ، على الأقل لأن هذه هي المرة  
الأولى التي يتحدثان فيها صراحةً عن « ذلك الأمر » •

أجاب راسكولنيكوف وهو يتسم ابتسامة باردة جافة :

ـ لا تصدّق ! أنت على عادتك لم تلاحظ شيئاً ، أما أنا فقد كنت  
أذن كل كلمة •

ـ أنت شكاك ريّاب ، لذلك كنت تزن كل كلمة • همّ •  
أوافقك على أن لهجة بورفير كانت غريبة بعض الغرابة • • • وأن ذلك  
الوغد زامبوتوف خاصةً • • • انك على حق • • • لقد كان فيه شيء من ،  
شيء من • • • ولكن لماذا ؟ لماذا ؟

ـ سيفكر أثناء الليل !

ـ ولكن لا ، بالعكس ، بالعكس ! لو كانت تدور في ذهنيها فكرة  
كهنه الفكرة الغبية ، لحاولا ، على العكس ، أن يخفياها بجميع الوسائل،

لحاولا أن يكتماها ليفاجئاك بها فيما بعد ، أما ما فعلاه فقد كان ... كان  
وقاحة ، وقاحة ...

- لو كانا يملكان وقائع ، أقصد وقائع حقيقية ، أو شبهات تقوم على  
أى أساس من وقائع ، لحاولا أن يخفيا ما يدور فى ذهنيهما ( ولقاما من  
جهة أخرى بتفتيش مسكنى منذ مدة طويلة ) • ولكنهما لا يملكان  
وقائع ، لا يملكان أية واقعة • ليس هذا كله الا سراياً ... هذا كله  
لا رأس له ولا ذنب ! • هذا كله لا يقوم على شيء ولا يستند الى شيء ،  
لذلك لا يعمدان الى طريقة المباغنة • لعله هو نفسه غاضب من أنه  
لا يملك أية واقعة • لعل هذا هو السبب فى حقه وغبطه • وربما كان  
كذلك يسيئ نية خفية خبيثة • هذا رجل ذكى ، كما يبدو لى أنا على  
الأقل ... لعله أراد تخويفى باظهار أنه يعرف أشياء ... يا صاحبي ،  
الأمر هنا أمر سيكولوجيا شخصية • على كل حال ... فان جميع هذه  
التفسيرات والتأويلات تثير استمرازي • هلاً تركنا هذا الحديث كله !

- ثم ان فى كلامه اهانة ، اهانة ! أنا أفهمك • ولكن ما دمنا قد  
بدأنا التحدث بصراحة ( وانه لحسن جداً أننا وصلنا الى ذلك ، وأنا  
مغتبط بهذا أشد الاغباط ) ، فأحب أن أعترف لك دون لف أو دوران  
أنتى قد لاحظت منذ مدة طويلة أن هذه الفكرة تدور فى ذهنيهما • ولكن  
لا شك أنها لم تكن قد تجسدت بعد ، وأنها لم يكن لها الا وجود كامن •  
على أن وجودها فى ذهنيهما حتى فى هذه الصورة أمر لا يطلق • كيف  
يجرؤان ؟ أين ، فى أى جزء من نفسيهما استطاعت هذه الفكرة أن تجد  
لها عشاً ؟ ليتك تعلم كم أحققتى هذا وكم أثار جنونى ! طالب فقير دمرته  
أنواع البؤس وصنوف الهواجس والمخاوف • على وشك الاصابة بمرض  
مصحوب بهذيان ... بل لعل المرض كان قد ألمّ به منذ ذلك الحين

( لاحظ هذا ) ... شاب مفروط في الشك والحذر ، شديد الكبرياء شاعر بقيمته ، ظل مدفوناً في ركنه ستة أشهر لا يرى في أثنائها أحداً ... قد بليت ثيابه حتى أصبحت خرقاً رثة لا تستر ظهره ، وبلى حذاءه حتى اهترأ فكأنه حافي القدمين ... شاب هذا شأنه يجد نفسه واقفاً على حين فجأة أمام رجال من الشرطة تافهين يصبو عليه وقاحتهم ، ويطالبونه بأن يبادر الى سداد قيمة سند باطل ... ورائحة' الدهان الطرى تزكم أنفه ... والحرارة ثلاثون درجة في غرفة غاصة بالناس ، فلا يكاد يستطيع أن يتنفس ... وها هو ذا يسمع حديثاً عن مقتل امرأة كان قد رآها بالأسس ... وهو فوق ذلك خاوى المعدة ... أفعجب أن يغنى على هذا الشاب حينذاك ؟ كيف ينون كل تلك الافتراضات السخيفة على اغمائه ذاك ؟ شيطان يأخذهم ! ... اسمع يا روديا ! أنا أدرك أن هذا أمر يثير الغيظ . ولكنني لو كنت في مكانك لما زدت على أن أضحك منه ... لما زدت على أن أضحك عليهم ، أمام أنوفهم ، بل وأن أبصق في وجوههم ... أن أرمي وجوههم بسيول من البصاق ، وأن أكيل لهم صفعات يحسون بها احساساً قوياً ... ابصق عليهم ! أقول لك ابصق عليهم ! لا تخف ! اجعلهم يشعرون بالخزي والعار !

قال راسكولنيكوف يحدث نفسه : « تكلم فأحسن الكلام على كل

حال ! »

ثم قال لرازوميين بمرارة :

« أبصق عليهم ؟ ولكنني سأخضع في غد لاستجواب جديد . هل يجب على حقاً أن أصل الى حدّ تقديم شروح وتعليلات ، بينما أنا ساخط على نفسي منذ الآن لأنني أهنت نفسي اذ ارتضيت أن أكلم زامبوتوف بالأسس في الكاباريه ؟



- شيطان يأخذهم • سأذهب الى بورفير بنفسى • ولأصرفنّ معه  
تصرف « قريب من أقربائه » ، صدّقنى • لا بد أن يفرغ جعبته • أما  
زاميوتوف ...

قال راسكولنيكوف لنفسه : « أخيراً فهم » ،  
وصاح رازوميشين قائلاً وهو يمسكه من كتفه :

- انتظر ! انتظر ! لقد قلت حماقة من الحماقات • نعم ، فكّرت  
فى الأمر ، فأيقنتُ أنك قلت حماقة من الحماقات • ما هذا الذى تذكره  
عن فنج نصب لك ؟ أين الفنج فى هذا ؟ أنت تزعم أن مسألة العمال هذه  
فنج • ولكن فكّر قليلاً : لو كنت قد فعلت « ذلك الأمر » ، أفكنت  
تستسلم فتذكر أن الشقة كانت بُدّهن ... وأنت فوق ذلك قد رأيت  
العمال ؟ بالعكس • ما كنت لتذكر أنك رأيت عمالاً ، حتى ولو كنت  
قد رأيتهم • من ذا الذى يشهد على نفسه ؟

أجاب راسكولنيكوف يقول على مضض ، مشمراً اشمترأزاً  
واضحاً :

- لو كنت قد فعلت « ذلك الأمر » ، لذكرت حتماً أنتى رأيت  
العمال والشقة •

- ولكن لماذا يشهد المرء على نفسه ؟

- لأنه ما من أحد غير الفلاحين السدّج أو الأغرار الذين ليس  
لهم خبرة ينكر كل شيء على الإطلاق حين يُستجوب • أما الانسان الذى  
يملك ولو أقل قدر من الذكاء والخبرة ، فانه لا يفوته أبداً ، فى حدود  
الامكان ، أن يعترف بالوقائع الخارجيّة التى لا سبيل الى انكارها ، وانما  
هو يحاول أن يؤولها تأويلاً آخر ، أن يرتبها على النحو الذى يريد ،  
أن يضيف عليها دلالة غير متوقّعة ، فاذا هى تفسّر تفسيراً جديداً وترى

فى ضوء جديد • ولقد كان بورفير يأمل أن أجيب قطعاً بهذه الطريقة ،  
أى أن أذكر له أنتى رأيت العمال ، من باب اصفاء مزيد من مظهر  
الصدق على أقوالى ، ثم أضيف الى ذلك تفسيراً ما •

— ولكن لو فعلت ذلك لأجيبك فوراً بأنه لم يكن هناك عمال قبل  
مقتل العجوز بيومين ، فلا بد اذن أنك كنت هناك يوم مقتل العجوز بعد  
الساعة السابعة ... ولضيقك هذا الأمر التفصيلى !

— ذلك بعينه هو ما كان يعوّل عليه ويأمل فيه • كان يأمل أن  
يتسع وقتى للتفكير ، فإذا أنا أسارع الى تقديم الجواب الذى يضمنى على  
أقوالى مظهر الصدق ، ناسياً أن السعال لم يكونوا هناك قبل وقوع الجريمة  
بيومين •

— وكيف تسمى هذا ؟

— لا أسهل من نسيانه ! وفى مثل هذه التفاصيل التافهة انما يرتبك  
أمكر الناس بأكبر سهولة • فكلما كان مكر المرء أكبر كانت الأمور  
الأبسط هى التى توقعه فى الفتح • ليس بورفير غيباً الى الحد الذى  
تصوره •

— هو وغد كبير على كل حال !

لم يستطع راسكولنيكوف أن يتمتع عن التيسم • ولكنه فى الوقت  
نفسه قد استعرب هذا التعجل وهذا التلذذ اللذين سيطرا عليه وهو يقدم  
هذا الشرح ألم يكن قد أجرى ذلك الحديث كله مشمئزاً ، مكرهاً ،  
مستجيباً لدواعى الحساب وحده ؟ قال لنفسه : « لا شك أن بعض نقاط  
هذه القضية تجد هوى فى نفسى ! » •

ولكنه فى تلك الدقيقة نفسها بدا عليه القلق فجأة ، كأن فكرة غير

متوقعة ، فكرة تبث على الخوف قد ساورته على حين بغتة • وازداد قلقه • وكانا قد وصلا الى باب عمارة باكالاييف •  
قال راسكولنيكوف فجأة :

– ادخل وحدك ، وسأرجع حالاً •

– ولكن الى أين تذهب ؟ لقد وصلنا !

– يجب على أن ••• يجب على أن ••• هناك عمل ينبغي أن أقوم به • سأعود بعد نصف ساعة • قل لهما هذا •

– لك ما تشاء ، ولكنني آتٍ معك •

فهتف راسكولنيكوف يقول بخنق يبلغ من المرارة والكرب أن رازوميين شعر باضطراب وحيرة وارتباك :

– أأنت أيضاً تريد اذن أن تعذبني ؟

وظل رازوميين بعض الوقت واقفاً على درجات المدخل ، مظلم الهيئة ، ينظر الى راسكولنيكوف الذي كان يعطى بخطى مديدة في اتجاه الزقاق المؤدى الى بيته • وأخيراً كزَّ أسنانه ، وشنَّج قبضته ، وحلف ليمصرن بورفير في ذلك اليوم نفسه ؛ وصعد يهدى روع بولشيريا الكسندروفنا التي كانت قلقة من تأخرهما الطويل منذ ذلك الحين •

وصل راسكولنيكوف أمام بيته مبثَّل الصدغين بالعرق ، لاهثاً يتنفس تنفساً شاقاً • وصعد السلم مسرعاً ودخل غرفته التي لم يكن قد أغلق بابها ، وأسرع يوصد عليه من الداخل بالكلاية • ثم هرع ، وقد جُنَّ جنونه رعباً وذعراً ، أسرع نحو الركن الذي كان فيه الثقب الذي يخفيه ورق الجدار ، والذي كان قد خبأ فيه الأشياء المسروقة في ذلك اليوم • دسَّ يده في الثقب ، وظل ينشسه بكثير من العناية خلال عدة دقائق ، سابراً جميع الشقوق وجميع ثنيات الورق • فلما لم يعثر على

شيء نهض فتنفس تنفساً عميقاً • لقد تخيّل منذ قليل ، حين وصل مع رفيقه الى عمارة باكاليف ، تخيّل فجأةً أن من الممكن أن يكون أحد الأشياء التي أودعها في هذا الثقب ، كسلسلة صغيرة أو زرّ كم أو حتى الورقة التي لُفّت بها هذه الأشياء وعليها كتابة بخط المعجوز ، أن يكون أحد هذه الأشياء قد اندس في شق من الشقوق على نحو من الأنحاء ، فإذا هو يظهر بعد ذلك قرينة قاطعة أو دليلاً ثابتاً لم يكن متوقفاً ولا يمكن انكاره •

لبث راسكولنيكوف واقفاً هنالك كالملسود ، ثم اذا بابتسامة غريبة ذليلة تلم بشفتيه وهو لا يكاد يشعر بها • وأخيراً تناول قبعته وخرج من الغرفة صامتاً • كانت أفكاره مشوشة مضطربة • ومرةً تحت باب المدخل الكبير شارد الفكر حالماً •

صاح صوت ضخم قائلاً :

— هذا هو !

فرفع راسكولنيكوف رأسه •

كان البواب واقفاً على عتبة حجراته ، يوميء الى راسكولنيكوف لرجل قصير القامة يبدو عليه أنه بائع صغير ، يرتدى فوق صدرته معطفاً أشبه بثوب من ثياب المنزل ، اذا رآه الرائي من بعيد ظنه امرأة ؛ وعلى رأسه قبعة متسخة ، ورأسه مائل على صدره ؛ ويدل وجهه الرخو المتنفض على أنه في نحو الخمسين من عمره على أقل تقدير ، وتعبّر عيناه الصغيرتان الغائرتان في حجاجيهما عن قسوة وتجهّم واستياء •

سأل راسكولنيكوف البواب وهو يقترب :

— ماذا هنالك ؟

فرشقه البائع الصغير بنظرة من تحت ، وحدّق اليه يتفحصه

باتتياه ، ثم ابتعد عن باب المدخل وسار فى الشارع دون تعجل ، ودون  
أن يقول كلمة واحدة •

هتف راسكولنيكوف يقول :

– ولكن ماذا هنالك ؟

فأجابه البواب :

– هو رجل سألنى هل يسكن فى هذه العمارة طالب • وقد ذكر  
اسمك ، وسأل كذلك عن الشخص الذى تقيم عنده • فلما نزلت أنت  
فى تلك اللحظة نفسها دلته عليك ، فاذا هو ينصرف ••• على النحو  
الذى رأيت •

كان البواب مدهوشاً هو أيضاً ، لكن دهشته لم تكن قوية كثيراً •  
وقد فكّر لحظة ، ثم استدار وعاد يدخل حجرتة •

هرع راسكولنيكوف يجرى فى آثار البائع الصغير ، فسرعان  
ما لاحه سائراً فى الجهة الأخرى من الشارع ، بخطى متساوية بطيئة ،  
مطرقاً الى الأرض ، شارد الفكر • ولم يلبث راسكولنيكوف أن لحق به ،  
ولكنه اكتفى فى أول الأمر بأن يسير ورائه • ثم أدركه أخيراً ، فألقى على  
وجهه نظرة مواربة • فلاحظه الرجل فوراً ، فألقى عليه نظرة سريعة  
لكنه عاد يخفض عينيه • وسار الرجلان على هذا النحو جنباً الى جنب  
مدة دقيقة دون أن يقول أحد منهما شيئاً •

وأخيراً قال راسكولنيكوف بصوت أجش :

– سألتَ عنى ••• البواب •••

فلم يجبه الرجل ، حتى انه لم يرفع اليه بصره • وساد صمت  
جديد •

عاد راسكولنيكوف يقول بصوت مختنق ، فلا تخرج الألفاظ من صدره الا بعناء كبير :

- انك قد جئت تسأل عني ... وهأت ذا تصمت الآن ...  
فما معنى هذا ؟

فرفع الرجل عينيه في هذه المرة ، وحدّق الى راسكولنيكوف بنظرة قاتمة مشثومة ، وقال له بصوت خافت لكنه واضح متميز :  
- قاتل !

كان راسكولنيكوف يسير الى جانبه • فلما سمع منه هذه الكلمة ، ضعفت ساقاه ضعفاً رهيباً ، وسرت في ظهره رعدة باردة ، وتوقف قلبه عن الحفقان لحظة ، كأنه قد انهار انهياراً كاملاً على حين فجأة • وسارا على هذا النحو مسافة مائة خطوة ، جنباً الى جنب ، في صمت مطلق • وكان الرجل لا ينظر اليه •

تمتم راسكولنيكوف يقول أخيراً بصوت لا يكاد يُسمع :  
- ولكن ماذا تريد أن ... من ... من هو القاتل ؟  
فقال الرجل بصوت فيه مزيد من الوضوح ، وفيه مزيد من الحزم أيضاً :

- القاتل « أنت » !

وبنوع من ابتسامة تعبّر عن كره وانتصار ، نظر الى راسكولنيكوف من جديد ، متفرساً في وجهه الشاحب وعينه المنطقتين •

وكانا قد وصلا الى مفترق ، فسار الرجل يسرةً ، وابتعد دون أن يلتفت • وظل راسكولنيكوف مسمراً في مكانه يتابعه بنظراته مدةً طويلة • حتى اذا قطع الرجل المجهول مسافة خمسين خطوة ، رآه

راسكولنيكوف الذى ما يزال جامداً فى مكانه ، رآه يلتفت وينظر اليه ، مبتسماً ابتسامةً فيها برودة ، وانتصار ، وكره .

فقفل راسكولنيكوف راجعاً الى بيته ، يسير بخطى مترنحة ، مصطكاً الساقين ، فى جسمه قشعريرة . فلما وصل الى غرفته خلع قبعته فوضعها على المائدة ، ولبت واقفاً خلال عشر دقائق كاملة لا يستطيع حراكاً . ثم استلقى على سريره مهدود القوى ، ومدّ ساقيه وذراعيه وهو يشن أنيناً شاكياً . وانطبقت أجفانه . وظل راقداً على هذه الحال قرابة نصف ساعة .

لم يكن يفكر فى شيء . لا شيء الا بضع خطرات ، أو قل بضع شذرات من خطرات كانت تتلاحق فى فكره فوضى بغير نظام ولا اتصال ولا اتساق : وجوه أفراد كان قد رآهم فى ماضيات الأيام ، أثناء طفولته ، وجوه صادفها مرة واحدة ثم لم يتذكرها فى أحواله العادية بعد ذلك قط ؟ ناقوس كنيسة ف . . . ؟ بلياردو فى كاباريه وضابط يقف قرب هذا البلياردو ؟ رائحة فى محل لبيع التبغ فى قبو ؟ سلمٌ خازنة من الحمارات ، مظلم جداً ، مملوء بالقاذورات ، قد تآثرت على درجاته قشور بيض ، بينما يترامى الى المكان رنين النواقيس فى يوم الأحد . . . وهذه الأشياء تتلاحق سريعةً كأنما يحملها اعصار . ومنها أشياء ممتعة تشبث بها راسكولنيكوف ويتسلق عليها ، ولكنها تنيب وتزول ؟ ويظل فى نفسه شيء ما يثقل على قلبه ، ولكنه لا يسرف فى ايلامه . . . حتى لقد يحس أحياناً بارتياح وهناءة . وثمة رعدة خفيفة لا تبارحه . وهذه أيضاً لذينة . . .

سمع راسكولنيكوف وقع أقدام متعجلة ، وسمع صوت رازوميخين ، فأغمض عينيه متظاهراً بالنوم . فتح رازوميخين الباب ، ولبت على العتبة

متردداً لحظة • ثم دخل الغرفة بهدوء ورفق ، واقترّب من السرير  
محاذراً ، وسُمعت وشوشة ناستاسيا قائلة :

– لا تزعبه • لينم ما شاء أن ينام ! سيأكل فيما بعد •

ويجيها رازوميخين :

– أنت على حق •

ويخرج رازوميخين وناستاسيا بهدوء ، ويغلقان الباب •

انقضى على هذه الحال نصف ساعة • وفتح راسكولنيكوف عينيه ،  
ثم تهالك على ظهره من جديد ، مصالباً يديه وراء رأسه • « من كان  
ذلك الرجل ؟ ما هو ذلك الرجل الذي خرج من تحت الأرض ؟ أين  
كان وماذا رأى ؟ لا ريب في أنه رأى كل شيء • ولكن أين كان  
يتواري ؟ من أين كان يراقب ويرصد ؟ ولماذا لم يخرج من تحت  
الأرض الا الآن ؟ كيف استطاع أن يرى ؟ هل من الممكن أن آه ••  
كذلك كان يتساءل راسكولنيكوف ، ثم تابع تساؤلاته وقد اعترته  
رعدة باردة سرت في ظهره : « والعلبة التي وجدها يقولوا وراء الباب ؟  
هل كان يمكن أن يتصور المرء شيئاً كهذا ؟ ••• قرائن قاطعة ؟ أدلة  
ثابتة ؟ أيكفي اغفال شيء صغير كحبة رمل حتى يظهر دليلٌ ضخّم  
كأهرام مصر ! ذبابة طارت ، فرأت الذبابة كل شيء ••• هل يتصور  
أحد هذا ؟ » •

وباشمئزاز عميق أدرك راسكولنيكوف ضعفه ، أحسنّ وهن

جسمه •

قال يحدث نفسه وهو يتسّم ابتسامة مرة : « كان ينبغي لي أن  
أتصور هذا ! كيف تجرأت ، وأنا أعرف نفسي ، وأنا أتبأً بقدرتي  
وطاقتي ، كيف تجرأت فتناولت ساطوراً ولطخت يديّ بالدم ؟ كان



يجب علىّ أن أعرف هذا سلفاً ... ولقد كنت أعرفه سلفاً بالفعل ! ، ،  
هكذا دمدم يقول وقد بلغ غاية الكرب واليأس .

وكانت تدور في رأسه أفكار تشلّه شلاً . قال يحدث نفسه :  
« لا ، لا ، ان أولئك الرجال هم من طينة أخرى غير طينتي ! ان  
«المسيطر» \* الحقيقى ، الذى يجوز له كل شىء ، يقصف طولون بالمدافع ،  
ويقوم بمذبحة فى باريس ، و « ينسى » جيشه بمصر ، و « ينفق » نصف  
مليون من الرجال فى حملة موسكو ، ثم يتملص من القضية فى فلنا بجملته  
تشتمل على تلاعب بالألفاظ ثم تقام له التماثيل بعد موته . كل شىء مباح  
اذن له ! لا ، ان أولئك الرجال هم من طينة أخرى ؟ ليسوا من لحم بل  
من برونز » .

وومضت فى فكر راسكولنيكوف فكرة مفاجئة فكاد يضحك . قال  
يحدث نفسه : « نابوليون ، أهرامات مصر ، واترلو ، ثم عجوز مرايية  
مهترئة هى أرملة موظف صغير ، تخفى تحت سريرها صندوقاً من جلد  
أحمر ... كيف يمكن التقريب بين هذا وذاك ، كيف يمكن تشبيه هذا  
بذاك ، كيف يستطيع اسنان أن يبلغ هذا حتى ولو كان بورفير بتروفتش ؟  
كيف يمكنهم أن يهضموا هذا ؟ ألا ان الجمال الفنى نفسه يرفض ذلك :  
هل كان يمكن أن يندس نابوليون تحت سرير عجوز حقيرة ؟  
يا للصغار ! » .

وكان راسكولنيكوف يحس فى بعض اللحظات بأنه يهذى ، وكان  
يندفع اندفاعات فيها حمى ! ...

قال يحدث نفسه بحمياً مسعورة : « ليست العجوز شيئاً ذا بال .  
العجوز ليست الا خطأ . ولكن القضية ليست قضية العجوز . العجوز  
ليست الا مرضاً . وقد أردت أن أقفز فوق الحاجز وأن أخطئه بسرعة .

أنا لم أقتل كائنًا إنسانيًا ، وإنما قتلت مبدأً . ولكن لئن قتلت  
المبدأ ، فانتى لم أستطع أن أخطئه ، بل بقيت في الجهة التي كنت فيها .  
كل ما استطعت أن أفعله هو أنني قتلت . حتى اننى لم أعرف كيف أقتل  
... هو المبدأ ، نعم هو المبدأ ! لماذا كان هذا الغبي رازوميخين يهاجم  
الاشتراكيين منذ قليل ؟ هؤلاء أناس عاملون ، جادون ، يهتمون « بسعادة  
البشر العامة الشاملة » . لا ، لا ، لقد وُهِبَت لى الحياة مرة واحدة الى  
الأبد ، ولن أعرف حياة أخرى . أريد أن أحيا شخصيًا ، والا فالأفضل  
أن لا أحيا البتة . أى عيب فى هذا ؟ أنا لم أزد على أن رفضت أن أمرَّ  
بأمرٍ جائئة ، قابضاً على قروشى فى جيبي ، منتظراً تحقق السعادة العامة  
الشاملة ! « لقد حملت حجرى الى المبنى الذى يُشاد لتحقيق السعادة  
العامة الشاملة ، ومن ذلك أستمَد طمأنينة القلب وسكينة النفس ! ، ،  
ها ها ! لماذا نسيتمونى ؟ أنا ليس لى الا حياة واحدة ، وانى لأريد أن  
أحياها ! آه ... ما أنا الا قملة محشوة بأفكار فنية . ذلك أنا . ولست  
شيئاً آخر . ( كذلك أضاف يقول فجأة وهو ينفجر فى ضحك كضحك  
المجانين ) . نعم ، أنا قملة فعلاً ( هكذا تابع يقول بفرح خيىث ) : أولاً  
لأننى أفكر كما أفكر فى هذه اللحظة مستندلاً على أنني قملة ؛ وثانياً  
لأننى لبثت شهراً بكامله أزعج العناية الالهية، وأشهداها على أنني لم أقرر  
أن أفعل ما فعلت عن هوى منى بل فى سبيل غاية عظيمة وهدف كبير .  
ها ها ها ، وثالثاً لأننى قررت أن أسلك الى فعلتى كل المدالة الممكنة ،  
فراعت فى تنفيذها الوزن والقياس والحساب : ألم أخطر من بين جميع  
قمل الكون قملةً هى أقل القمل جدوى ؟ وحين قتلها ، ألم أكن أنوى  
أن لا آخذ منها الا ما كنت فى حاجة اليه لأخطو خطواتى الأولى ( ثم  
يذهب الباقي الى الدبر تنفيذاً لوصيتها ، ها ها ها ؟ ) . نعم ، أنا قملة قطعاً  
( هذا ما أضافه الى قوله وهو يصرف بأسنانه ) ، بل لعلى أحقر من

قملة ، وأبعث على الاشتمئزاز من قملة مسحوقة ، لأننى كنت أعلم  
 « سلفاً » ، كنت أتبأ سلفاً بأننى بعد قتلها سأقول لنفسى هذا الكلام ! هل  
 فى العالم كله شئ يمكن أن يقارن بفضاعة كهذه الفظاعة ؟ يا للصغار !  
 يا للجبين ! ألا اننى لأفهم أعمق الفهم ذلك النبى المتطى صهوة جواده ،  
 المشهر سيفه ، القائل : الله يريد هذا ، فأطع واخضع ايها المخلوف  
 « المرتش » \* ! لقد كان على حق ، كان على حق تماماً ، ذلك النبى ، الذى  
 صفّ المدافع فى عرض الشارع وأمر بإطلاق القذائف على الأبرياء  
 والجنّة على السواء ، ولم يرض حتى أن يشرح سلوكه وأن يسوّغه .  
 أطمع أيها المخلوق المرتجف ، وحذار أن ترغب فى أى شئ ، فليس هذا  
 شأنك أنت ! آه . . . لن أغفر لهذه العجوز فى يوم من الأيام ، فى يوم من  
 الأيام ، بحال من الأحوال ! » .

كان شعره مبتلاً بالعرق ، وكانت شفاته المختلجان مصوّحتين ،  
 وكان بصره يحدّق الى السقف بنظرة ثابتة .

« أمى ، أختى ، لشد ما كنت أحبهما ! فلماذا صرت أكرههما الآن ؟  
 ذلك اننى أكرههما ، أكرههما جسيماً ، لا أطيق أن أحمل وجودهما الى  
 جانبى ! .. منذ قليل ، اقتربت من أمى وقبلتها .. اننى أتذكر هذا ..  
 عانقتها وتساءلت : ترى لو كانت تعلم .. ينبئ لى اذن أن أقولها ..  
 لو قلت لها لتخفت من عبء .. آه .. لا شك فى أنها مثلى ( كذلك أضاف  
 يقول بجهد ، كأنه يقاوم الهذيان الذى يجتاحه ) .. آه ! لشدّ ما أكرهها  
 الآن ، تلك العجوز ! أعقد أننى مستعد لأن أقتلها مرةً أخرى لو بعثت  
 حية ! مسكينة الزبابت ! لماذا وُجدت هناك ؟ .. ومع ذلك لا تخطر  
 ببالى الا قليلاً ، فكأننى لم أقتلها ! ما أغرب هذا ! الزبابت ، صونيا !  
 يا للبتين المسكيتين ، التواضعتين ، الوديعتين .. الزاخرة أعينهما رقةً  
 وعذوبة ! يا هذه المخلوقات العزيزة ، لماذا لا تبكين ؟ لماذا لا تتنين ؟ انها

تمطى كل شيء ، وتنظر اليك نظرة تفيض رقة وهدوءاً وسكينة !...  
صونيا ! صونيا ! يا صونيا الوداعة المسالمة ! ..  
وأغمى على راسكولنيكوف .

واستغرب كيف أمكن أن لا يتذكر كيف وجد نفسه مرةً أخرى  
في الشارع . الوقت متأخر . الظلمات تنكأث . البدر يسطع بضياء  
ما ينفك يقوى . ولكن الجو خائق . أناس كثيرون يسرون في الشوارع .  
بعضهم يعودون الى بيوتهم منهمكين ، وبعضهم يتزهون . وفي الهواء  
رائحة كلس وغبار ومياه مستقعة . وراسكولنيكوف يمشي حزيناً مهموماً .  
وهو يتذكر أنه خرج على نية معينة محدّدة ؟ هو يعرف أن عليه أن  
يتعجل القيام بأمر من الأمور ، ولكنه أصبح لا يدري ما هو ذلك الأمر  
على وجه الدقة . وها هو ذا يتوقف فجأةً ، فيرى في الجهة الأخرى من  
الشارع ، على الرصيف ، رجلاً يومياً له يده . أخذ يقطع الشارع  
ليمضي اليه ، ولكن الرجل ابتعد فجأةً كأن شيئاً لم يكن ، حتى دون أن  
يلتفت . تساءل راسكولنيكوف وقد أخذ يلاحقه : « هل ناداني حقاً ؟ » .  
ولكنه حين وقف على مسافة عشر خطوات منه لم يلبث أن تعرّفه  
بغته فاستولى عليه رعب : انه ذلك البائع الصغير نفسه ، بمعطفه الذي  
يشبه ثوباً من أثواب المنزل ، وبوجهه المتفصّن . تبعه راسكولنيكوف  
من بعد ، خافق القلب . ودخل الاثنان في شارع صغير . ما زال الرجل  
لا يلتفت . تساءل راسكولنيكوف : « هل يعرف أنني أمشي وراءه ؟ »  
عبر البائع الصغير مدخل عمارة من العمارات . اقترب راسكولنيكوف من  
الباب بسرعة كبيرة ، ونظر : ترى ألن ينظر اليه هذا الرجل ، ألن  
يناديه ؟ وها هو ذا الرجل يلتفت على حين فجأةً فعلاً ، حين صار في  
فناء المنزل ، فيوميء له بغته من جديد . ولج راسكولنيكوف مدخل  
العمارة ، ولكن ما ان مرّ تحت العتبة حتى اختفى الرجل من الفناء .

لا يمكن الا أن يكون الرجل قد دخل السلم الأول الذي يقع يمينته •  
اندفع راسكولنيكوف يلاحقه • وكانت ما تزال تُسمع ، فعلاً ، بعد  
طابقين ، أصوات ' وقع أقدام ' تسير بخطى منتظمة • شيء غريب : ان  
السلم لا يبدو لراسكولنيكوف مجهولاً • هذه نافذة الطابق الأرضي •  
ان ضياء القمر ، الحزين السرى ، يتسلل من خلال الزجاج • وهذا هو  
الطابق الأول • عجيب : انها الشقة التي كان يعمل فيها الدهّانون !...  
كيف لم يتعرف ذلك فوراً ؟ سكنت أصوات خطوات الرجل الذي كان  
يتقدمه : « لقد توقف اذن ، أو اختبأ في مكان ما ، » وهذا هو الطابق  
الثاني • هل يجب على راسكولنيكوف أن يصعد الى أعلى ؟ ان الصمت  
رهيب جداً ! وظل راسكولنيكوف يصعد رغم ذلك • ان أصوات وقع  
أقدامه هو نفسه تقلقه ، ترعبه • رباه ! ما أحلك هذا الظلام ! لا شك  
في أن الرجل المجهول قد اختبأ في مكان ما ، في ركن ما • آه ... ان  
باب الشقة مفتوح على سعته كلها ! فكّر راسكولنيكوف لحظةً ، ثم دخل •  
الدهليز مظلم خال ، والأثاث يبدو أنه نُقل • نفذ راسكولنيكوف الى  
الصالون سائراً على رموس الأصابع في رفق وهدوء : ان ضوء القمر  
الساطع يغمر الغرفة • كل شيء في الصالون ما يزال كما كان : الكراسي ،  
المرآة ، الديوان الأصفر ، الصور في أطرها • وهذا قمر ضخم ، أحمر  
بلون النحاس ، مدور تماماً ، يُطل من النافذة رأساً • قال راسكولنيكوف  
يحدث نفسه : « عن القمر انما يصدر هذا الصمت ... لا شك في أن  
القمر يحاول الآن أن يفضح سرّاً من الأسرار ، أن يكشف لغزاً من  
الألغاز ! » • ظل راسكولنيكوف ساكناً جامداً ينتظر ، فكلمة ازدادا القمر  
صمتاً ازدادا خفقان قلبه شدة وعنفاً حتى أصبح يؤله • وما يزال الصمت  
مخيفاً ! وفجأةً تنطلق قرقة جافة كقرقة غصن ينكسر ، ثم يصمت  
كل شيء من جديد • وهذه ذبابة تستيقظ وتطير فتصدم الزجاج ، وتدندن

بصوت كأنه شكاة وأنين • وفي تلك اللحظة نفسها يميز راسكولنيكوف ، في الركن ، بين الخزانة الصغيرة والنافذة ، شيئاً يشبه معطف معطف امرأة ، يتدلى على الحائط • تسأل راسكولنيكوف : « لماذا يوجد معطف هنا ؟ لم يكن في هذا المكان معطف من قبل ! » • واقترب سائراً بخطى بطيئة ، وحذر أن أحداً لا يراه ، يخفيه وراء هذا المعطف • وأزاح المعطف محاذراً ، فرأى كرسيًا ، ورأى العجوز جالسةً على الكرسي ، متكومةً على نفسها ، خافضة رأسها بحيث لم يستطع أن يرى وجهها • لكنها هي العجوز ما في ذلك ريب • لبث واقفاً الى جانبها لحظة • قال لنفسه : « انها خائفة » ثم أخرج الساطور من الأبريم برفق وهدوء ، فهوى به على قمة جمجمة العجوز ، مرةً أولى ، فمرةً ثانية • ولكن الشيء الغريب أن العجوز لم تترنح تحت الضربات. لكأنها من خشب. خاف راسكولنيكوف ، ومال على العجوز يتفحصها من كتب • كل ما هنالك أن رأسها قد انخفض مزيداً من الانخفاض • انحنى راسكولنيكوف عندئذ انحناءً كاملاً حتى الأرض ، ونظر اليها من أخصم القدمين الى قمة الرأس • نظر اليها متجهداً من الرعب • كانت العجوز تضحك وهي جالسة على كرسيها ، تضحك ضحكاً كبيراً يهزُ جسمها كله ، ولكنه ضحك لا يكاد يدرك ، فهي تخفيه حتى لا يكاد يسمعه راسكولنيكوف • وبدأ له فجأة أن باب غرفة النوم يُشق ، وأن وراء الباب أيضاً أناساً يضحكون ويتهايمسون • استولى عليه الغضب • فأخذ يضرب العجوز على رأسها بكل ما يملك من قوة ، ولكن الضحك والتهامس الصادرين عن غرفة النوم يزدادان وضوحاً وقوة كلما هوى على رأس العجوز بضربة جديدة • والعجوز نفسها قد أصبح جسمها يهتز الآن كله من شدة الضحك • أراد راسكولنيكوف أن يهرب • ولكن الدهليز كان قد امتلأ بالناس • وكان الباب الذي يفضي الى السلم مفتوحاً على سعته

كلها • وكان السلم ممثلاً بالناس كذلك من أسفله الى أعلاه • جمهور كبير • حشد هائل • رؤوس ثم رؤوس • والجميع ينظرون اليه ، ولكنهم في الوقت نفسه يخشون ، ويتنظرون ، ويصمتون !... انقبض قلبه ، ورفضت ساقاه أن تتحركا ، فكأنهما قد أصبحت لهما جذور في الأرض • أراد أن يصرخ • وأفاق من اغمائه •

استرد أنفاسه في جهد وعناء • ولكن الشيء الغريب أنه تراءى له أنه ما يزال يحلم • كان باب غرفته ما يزال مفتوحاً على سعته كلها • وكان يقف على عتبة الباب رجل لا يعرفه راسكولنيكوف إطلاقاً ، رجل كان يتفرس فيه بالحاح •

ما كاد راسكولنيكوف يفتح عينيه تماماً حتى عاد يغمضهما فوراً • كان مستلقياً على ظهره لا يقوم بأية حركة • قال يسأل نفسه : « أهو الحلم ما يزال مستمراً أم لا ؟ » • وفتح جفنيه قليلاً ونظر : كان الرجل المجهول ما يزال واقفاً في مكانه نفسه يحدّق اليه • ثم ها هو ذا يجتاز العتبة محاذراً ، ويفلق الباب وراءه اغلاقاً محكمًا ، ويقترب من المائدة ، ويتنظر دقيقة دون أن يحوّل بصره عن راسكولنيكوف ، ثم يجلس على الكرسي قرب الديوان هادئاً صامتاً •

وضع الرجل المجهول قبعته على الأرض الى جانبه ، ثم أسند يديه الى مقبض عصاه ، وألقى بذقنه على يديه • كان واضحاً أنه يتهاى لا انتظار طويل •

إذا صحَّ ما استطاع راسكولنيكوف أن يلاحظه من خلال أجفانه التي كانت أشبه بالغمضة ، فإن هذا الرجل كان قد تجاوز الشباب ، وكان قوى البنية ، عريض المنكبين ، كثيف اللحية ، زاهى الشقرة حتى لتكاد تكون شقرته بياضاً ...

انقضت عشر دقائق • لم يكن الظلام قد هبط بعد ، ولكن المساء يقترب • ان صمتاً كاملاً يسود الغرفة • حتى السلم لا تصل منه أية ضجة • ليس يُسمع شيء الا دندنة ذبابة ضخمة كانت قد صدمت الزجاج أثناء طيرانها • نفذ صبر راسكولنيكوف أخيراً ، فنهض فجأة وجلس على الديوان ، وقال يخاطب الزائر المجهول :

— هيه ••• تكلم ••• ماذا تريد ؟

فأجابه الزائر المجهول بلهجة غريبة عجيبية ، وهو يطلق ضحكة هادئة :

— كنت أعلم أنك لست نائماً ، وأنتك تتظاهر بالنوم تظاهراً •  
اسمح لي أن أعرفك بنفسى : آرКАДى ايفانوفتش سفدريجييلوف •



## حواش

### الصفحة

- ٧ \* « زقاق س ٠٠٠ » : هو زقاق ستولياري نى بيريشولوك ، أى « زقاق النجارين » ، القريب من « سوق العلف » ، حيث أقام دوستويفسكى من سنة ١٨٦٤ الى سنة ١٨٦٧ .
- ٧ \* فى روسيا يسمى الطابق الأرضى من العمارة بالطابق الاول ، ويسمى الطابق الأول بالطابق الثانى ، وهكذا دواليك .
- ٩ \* « سوق العلف » ، هو ميدان محاط بحانات وخمارات وفنادق مشبوهة . وقد جاء دوستويفسكى على ذكره فى كتابه « فى قبوى » ( المجلد السادس من هذه الطبعة العربية ) .
- ١٠ \* « تسيمرمان » : رجل ألماني كان يملك محلا لأزياء القبعات .
- ١٤ \* « راسكولنيكوف » : اشتق المؤلف اسم راسكولنيكوف من الكلمة الروسية « راسكولنيك » ومعناها الانفصال ، ليشير بذلك الى انفصال بطل الرواية عن آراء المجتمع . وفى الصياغة الاولى لهذه الرواية ، أى الصياغة التى جعل دوستويفسكى عنوانها : « يوميات راسكولنيكوف » ، أطلق المؤلف على بطله اسم « فاسيا » . ولعله لاحظ بعد ذلك أن اسم « فاسيا » اللف وأرق من أن يطلق على هذا البطل فجعل اسمه ونسبته الى أبيه : « روديون رومانوفتش » ، وتلك تسمية غريبة توحى الى القارئ الروسى ، فيما يقال ، بما يتصف به طبع راسكولنيكوف من قسوة وعنف .
- ١٦ \* « آليونا » تشويه شعبى لاسم ايلينا (هيلانة) .
- ٢٢ \* « بوديا تشسكايا » : أى شارع القسس ، وهو أحد شوارع وسط مدينة سان بطرسبرج ، قرب «سوق العلف» .

الصفحة

- ٢٥ ★ وظيفة « المستشار » المقصودة هنا هي وظيفة موظف في الدرجة التاسعة .
- ٣٠ ★ « بطاقنها الصفراء » : هي بطاقة تحقيق الشخصية الخاصة بالمؤسسات .
- ٣٠ ★ « كل خبيء مآله الى ظهور » : اشارة الى النص الوارد في انجيل متى ( الاصحاح العاشر : ٢٦ ) : « ليس مكتوم لن يستعلن ، ولا خفي لن يعرف » .
- ٣٢ ★ « اننى أشبه الوحش كل الشبه » : اشارة الى الوحش الذى جاء ذكره فى رؤيا يوحنا .
- ٣٣ ★ « رقصة الشال » : كانت ماريا كونستانت ، زوجة دوستوفسكى الاولى ، تتباهى بأنها رقصت رقصة الشال فى حفلة تخرج « بمعهد استراخان » .
- ٣٣ ★ « نالت وساما ذهبيا » : فى المدارس الثانوية والمعاهد بروسيا كان نجباء التلاميذ ينالون عند حصولهم على شهادة البكالوريا وساما ذهبيا .
- ٣٧ ★ « ليويس » : ج . هـ . ليويس ، فيلسوف انجليزى كان أحد المعجبين بالفيلسوف الفرنسى أوجوست كونت ، وقد ألف كتابا بعنوان « فزيولوجية الحياة العامة » ظهر سنة ١٨٦٠ وراج رواجاً كبيراً فى روسيا ، ولا سيما فى الاوساط الراديكالية .
- ٣٧ ★ « صونيا » ، « صونيتشكا » : تصغير اسم صونيا ، تحبها وتديلا .
- ٣٧ ★ « مستشار الدولة » : موظف من الدرجة الخامسة .
- ٣٨ ★ « جوخ السيدات » : نسيج صوفى خفيف .

الصفحة

- ٤٠ \* « كابرياناوموف » : نسبة الى مدينة كفر ناحوم التي ورد ذكرها في الانجيل .
- ٤٤ \* « زاخارتش » : تخفيف اسم زاخاروفتش ، والشعب يعمد الى هذا التخفيف مستغنيا عن «فتش» بـ «تش» ، ولسوف تقع في النص على راسكولنيكوف تارة باسم روديون رومانوفتش وتارة باسم روديون روماننش ، وكذلك سسنقع على بروكوفتش وبروكوفيفوتش اسما لشخص واحد ، وهكذا ذواليك .
- ٤٥ \* « كلص الليل » : يستعمل مارميلادوف هنا التعبير الوارد في رسالة القديس بولس الاولى الى اهل تسالونيكي ( الاصحاح الخامس ، ٢ ) .
- ٤٦ \* « جسر مصر » : جسر مزين بزخارف مصرية على قناة فونتাকা ، غير بعيد عن « سوق العلف » .
- ٦٢ \* « روديا » مصغر اسم روديون .
- ٦٣ \* « دونيا » ، « دونيتشكا » : تصغير اسم آدفتويا ، من باب المحبة والتدليل .
- ٦٤ \* « سفيدريجايلوف » : اشتق المؤلف هذا الاسم من اسم سفيدريجايلو ، وهو دوق كبير من ليتوانيا في القرن الخامس عشر ، اشارة الى نبالة محتد هذه الشخصية من شخصيات روايته .
- ٦٦ \* « باخوس » : اله الخمر عند قدماء الاغريق
- ٧٠ \* « مستشار قضائي » : هو موظف من الدرجة السادسة .
- ٧٣ \* كان مجلس الشيوخ يقوم بوظائف محكمة النقض
- ٧٧ \* مائة كيلومتر تقريبا

الصفحة

- ٨٢ ★ « بورقتين صغيرتين » ، أى بورقتين تقديتين قيمة كل منهما روبل واحد .
- ٨٣ ★ « وسام القديسة حنة » : أرفع الأوسمة الروسية ، وله درجات ثلاث أعلاها الصليب الذى تزدان به العروة ، وهو المشار اليه هنا .
- ٨٤ ★ ان الحرب التى شنتها بروسيا والنمسا على الدنمارك سنة ١٨٦٤ لامتلاك دوقية شلفسبيج هولشتاين قد أشارت سخط الراى العام الاوروبى . وقد سبق أن أورد المؤلف ذكرها فى قصته « فى قبوى » .
- ٨٤ ★ كانت الصحف الروسية تتحدث كثيرا آنذاك عن سوء معاملة الزنوج فى أمريكا بسبب حرب الانفصال (١٨٦١ - ١٨٦٥) ؛ وكان معروفا ان البارونات الألمان فى مقاطعات البلطيق يسومون الليتونيين سوء العذاب فيهرب هؤلاء من أراضيهم .
- ١٠٢ ★ ان نهر نيفا الصغير يضم جزيرة فاسيلفسكى ، ويضم فى موقع أبعد من ذلك جزر كريستوفسكى وبتروفسكى وإيلاجين ، وغيرها . التى تغطيها حدائق وتملؤها فيلات .
- ١٠٥ ★ « ميكولكا » تصغير ميكولا ( نيقولا ) .
- ١٥٨ ★ « ميتكا » : تصغير دمترى ، ديمترى .
- ٢٠٨ ★ « رادتشيف » : كاتب من القرن الثامن عشر ، نشر سنة ١٨٧٠ كتابه الشهير « رحلة من سان بطرسبرج الى موسكو » ، وهو كتاب عاطفى ثورى ، تأثر بالأب رانيال أكثر مما تأثر بجان جاك روسو . وقد صادرت الرقابة الكتاب ، ونفى المؤلف الى سيبيريا حيث قضى ست سنين .

الصفحة

- ٢٠٩ ★ «جسر نيقولا» : هو الجسر الذى يوصل من جزيرة فاسيلفسكى الى المدينة ، قرب « قصر الشتاء » .
- ٢١٠ ★ هى كاتدرائية سان اسحاق الكبرى ، الواقعة فى وسط المدينة .
- ٢١١ ★ تقع الجامعة فى أول جزيرة فاسيلفسكى .
- ٢١٨ ★ « باشنكا » و « باشا » : تصغير اسم باراسكيقا ، براسكوفيا ، تحببا وتديلا ؛ وبراسكوفيا هذه هى صاحبة البيت الذى يسكن فيه راسكولنيكوف .
- ٢٣٧ ★ كان اللورد بالمرستون قد مات منذ مدة قصيرة سنة ١٨٦٥ ، وقد سمي باسمه معطف ذو شكل خاص ، كما يوجد معطف ذو شكل آخر سمي باسم لورد راجلان .
- ٢٣٧ ★ الولايات المتحدة الامريكية تعنى هنا السراويل ( البنطلون ) ، وهذا قائم على لعب بالتجانس اللفظي بين كلمة « شتاتى » الروسية ومعناها الدولة أو الولاية ، وبين كلمة « شتاتى » ومعناها السراويل .
- ٢٣٩ ★ « شارمر » خياط على الموضة ببطرسبرج « مورد صاحب الجلالة الامبراطورية » .
- ٢٤٣ ★ «قصر الكريستال» : حانة أطلق عليها دوستويفسكى اسم قصر الكريستال من باب التهكم ، تشبيها لها « بقصر الكريستال » الذى رآه فى لندن وتحدث عنه فى «ذكريات شتاء عن مشاعر صيف» (راجع المجلد السادس من هذه الطبعة العربية) .
- ٢٤٤ ★ « مدرسة القانون الامبراطورية » : هى مدرسة ذات امتيازات أنشئت سنة ١٨٣٥ وتخرج منها قانونيون متنورون مثل البارون آ. فرانجل ، صديق دوستويفسكى . وقد تخرج من هذه المدرسة المؤلفان الموسيقيان ف. سبروف و ب. تشايكوفسكى؛

الصفحة

- كما تخرج بوشكين من مدرسة ثانوية مماثلة هي مدرسة تساركويه سيلو .
- ٢٥١ \* « حى الرمال » (بسكى) : حى وضع فى الجزء الشرقى من مدينة سان بطرسبرج .
- ٢٥١ \* « أهل كولومنا » : ان كولومنا مدينة صغيرة تقع فى الجنوب الشرقى من موسكو غير بعيد من زاراييسك ، الفلاحون الذين جاءوا يسكنون العاصمة يتجمعون فى أحياء تختلف باختلاف أقاليمهم التى وفدوا منها .
- ٢٧٢ \* المقصود هنا هو الاصلاحات الكبرى التى تمت بين سنة ١٨٦١ وسنة ١٨٦٤ ، أى الغاء القنائة ، والاصلاح القضائى والجزائى ، وادخال نظام « الحكم الذاتى » ، الخ .
- ٢٧٤ \* ان لوجين يعرض هنا عرضا عاما نظرية « الانانية العاقلة » ، تلك النظرية المبسطة فى كتاب تشيرنيشفسكى : « ما العمل؟ »
- ٢٧٨ \* « هنا ، طالب سابق يهاجم عربة بريد ٠٠ » : يشير دوستويفسكى الى هذه الواقعة فى رسالة بعث بها الى كاتكوف فى شهر ايلول (سبتمبر) ١٨٦٥ .
- ٢٧٨ \* « ٠٠٠ أستاذ من أساتذة التاريخ العام » : نظر القضاء فى هذه القضية وفصل فيها فى شهر أيار (مايو) ١٨٦٥ .
- ٢٩٢ \* لا شك فى أن هذه التأملات التى تمر بذهن رجل محكوم عليه بالاعدام انما احتفظ بها دوستويفسكى من الدقائق التى عاشها قرب المقصلة فى ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٩ .
- ٢٩٤ \* كان رجل اسمه ايتسلر ، ولعله ألماني الأصل ، قد افتتح فى ضواحي بطرسبرج حانة على الطراز الريفى فكان ينشر اعلانات كثيرة عنها فى الجرائد . أما الاعلانات التى يقرأ راسكولينكوف

## الصفحة

عناوينها « ماسيمو - بارتولا - الأرتيكيان » فهي عن رجل أمريكي اسمه موريس كان يعرض في صيف ١٨٦٥ بمدينة سان بطرسبرج « آخر شخصين من آرتيكي المكسيك » ، أحدهما بنت اسمها بارتولا ، والثاني صبي اسمه ماسيمو . وكان الرجل الأمريكي ينشر إعلانات في الصحف كل يوم عن هذا العرض لاجتذاب المشاهدين .

وأما « حريق في ٠٠٠ وحريق في ٠٠٠ وحريق آخر في ٠٠٠ » ، فهي أنباء حرائق كثيرة شبت بمدينة سان بطرسبرج في ذلك الصيف نفسه من عام ١٨٦٥ ؛ لذلك كتبت جريدة « الصوت » في عددها ١٦٦ تقول : « جميع الصحف ملأى بوصف حرائق خطيرة كثيرا أو قليلا » .

★ ٣٠٦ « - أرايت ؟ أوراق حمراء وأوراق زرقاء ! » : الأوراق المالية الحمراء هي أوراق العشرة روبلات ، أما الزرقاء فهي أوراق الخمسة روبلات .

★ ٣٠٦ « كفى حديثا » : وردت بالفرنسية في الأصل ، وهي الجملة التي قالها فوتران في رواية بالزك « الأب جوريو » .

★ ٣١١ « جسر س ٠٠٠ » : هو جسر « الصعود » على قناة كاترين .

★ ٣١٦ « بيتر » : اختصار شعبي لاسم مدينة بطرسبرج .

★ ٣٣٠ « بوليا » و « بولينكا » : تصغير اسم أبوليتاوا .

★ ٣٣٤ « ليدا » و « ليدوتشكا » : تصغير اسم ليدا .

★ ٣٧٨ كان عازف الكمان روبنشتاين (١٨٢٩ - ١٨٩٤) عندئذ في قمة مجده .

★ ٣٩٧ « ان تلك الملكة ٠٠٠ » : يفكر الكاتب هنا في ساري انطوائيت وهي في الهيكل .

## الصفحة

- ٤٢٧ ★ « مقبرة سان مترو فان » : مقبرة فقيرة تقع في جنوب العاصمة،  
بعد محطات القطار .
- ٤٦١ ★ الاشارة هنا الى اشتراكية شارل فورييه الخيالية .
- ٤٦٢ ★ ان ناقوس كنيسة القديس يوحنا الكبير جزء من الكرملين  
بموسكو ، وهو أعلى ناقوس في روسيا .
- ٤٩١ ★ المقصود طبعا هو نابوليون بوناپرت الذى قصف طولون بالمدافع  
فعلا سنة ١٧٩٣ ، ورمى الملكيين بالرصاص بباريز في شهر  
تشرين الاول ( اكتوبر ) سنة ١٧٩٥ ، وترك جيشه بمصر سنة  
١٧٩٩ ، ويقال انه بعد فقدته « الجيش الكبير » قال في فلنا  
سنة ١٨١٢ : « ليس بين الرائع والمضحك الا خطوة واحدة » .  
فلتفصل الاجيال القادمة في هذا » .
- ٤٩٢ ★ تعبير للاشتراكي فكتور كونسيديران نجده في كتابه الذى  
عنوانه « قدر الاشتراكية » ( ١٨٣٨ ) .
- ٤٩٣ ★ اشارة الى بيت من الشعر في قصيدة بوشكين « محاكاة القرآن » .



## فهرس

### الصفحة

#### الجزء الأول

٧	.. .. .	الفصل الأول
٢٣	.. .. .	الفصل الثاني
٥٦	.. .. .	الفصل الثالث
٧٩	.. .. .	الفصل الرابع
١٠٠	.. .. .	الفصل الخامس
١٢٠	.. .. .	الفصل السادس
١٤١	.. .. .	الفصل السابع

#### الجزء الثاني

١٦٥	.. .. .	الفصل الأول
١٩٧	.. .. .	الفصل الثاني
٢١٦	.. .. .	الفصل الثالث

## الصفحة

٢٤١	.. .. .	الفصل الرابع
٢٦٢	.. .. .	الفصل الخامس
٢٨٥	.. .. .	الفصل السادس
٣٢٣	.. .. .	الفصل السابع

## الجزء الثالث

٣٥٧	.. .. .	الفصل الأول
٣٨٠	.. .. .	الفصل الثاني
٤٠٠	.. .. .	الفصل الثالث
٤٢٥	.. .. .	الفصل الرابع
٤٤٦	.. .. .	الفصل الخامس
٤٨٠	.. .. .	الفصل السادس
٤٩٩	.. .. .	حواش

## الأعمال الأدبية الكاملة

<u>المجلد الأول</u>	<u>المجلد الثامن</u>
الفقراء	الجريمة والعقاب - ١.
المثل	<u>المجلد التاسع</u>
قلب ضعيف	الجريمة والعقاب - ٢.
<u>المجلد العاشر</u>	<u>المجلد العاشر</u>
نيوتشكانزفانوفنا	الأبلة - ١.
اليالي البيضاء	<u>المجلد الحادي عشر</u>
بروخارتشين	الأبلة - ٢.
النجارة	<u>المجلد الثاني عشر</u>
المهرج	الشياطين - ١.
السارق الشريف	<u>المجلد الثالث عشر</u>
البطل الصغير	الشياطين - ٢.
قصة في سبع رسائل	<u>المجلد الرابع عشر</u>
شجرة عيد الميلاد والزواج	الرامق - ١.
زوجة آخر، وزجل تحت السرير	<u>المجلد الخامس عشر</u>
<u>المجلد الثالث</u>	الرامق - ٢.
قرية مستيانتشيكوفوسكانها	قصص
حلم العم	<u>المجلد السادس عشر</u>
<u>المجلد الرابع</u>	الأخوة كارامازوف - ١.
مذلولون مهانوف	<u>المجلد السابع عشر</u>
<u>المجلد الخامس</u>	الأخوة كارامازوف - ٢.
ذكريات من منزل الأموات	<u>المجلد الثامن عشر</u>
<u>المجلد السادس</u>	الأخوة كارامازوف - ٢.
في قبوي	
قصة اليمه	
ذكريات شتاء عن مشاعر صيف	
التمساح	
<u>المجلد السابع</u>	
المقامر	
الزوج الأنبي	









# دوستويفسكي

الاعمال الادبية الكاملة

إن معاصري دوستويفسكي قد أساءوا فهمه ، فأكثرهم لم يشأ أن يرى فيه إلا كاتباً اجتماعياً يدافع عن "الفقراء" والمذللين الميائين" فإذا عالج مشكلات ماتنفك تزداد عمقاً أخذ بعضهم يشتر به ويصفه بأنه "موهبة مريضة" ومن النقاد من لم يدرك أن الواقعية الخيالية" التي يمكن أن توصف بها أعمال دوستويفسكي إنما تسبر أعماق أغوار النفس الإنسانية ، وأن دوستويفسكي كان رائداً سبق نظرية التحليل النفسي التي أنشأها فرويد وآدلر ، وأنه زرع هذه المشكلة الميتافيزيقية ، مشكلة الصراع بين الخير والشر ، في كل نفس.."

الكسندر ف. سربرفيف